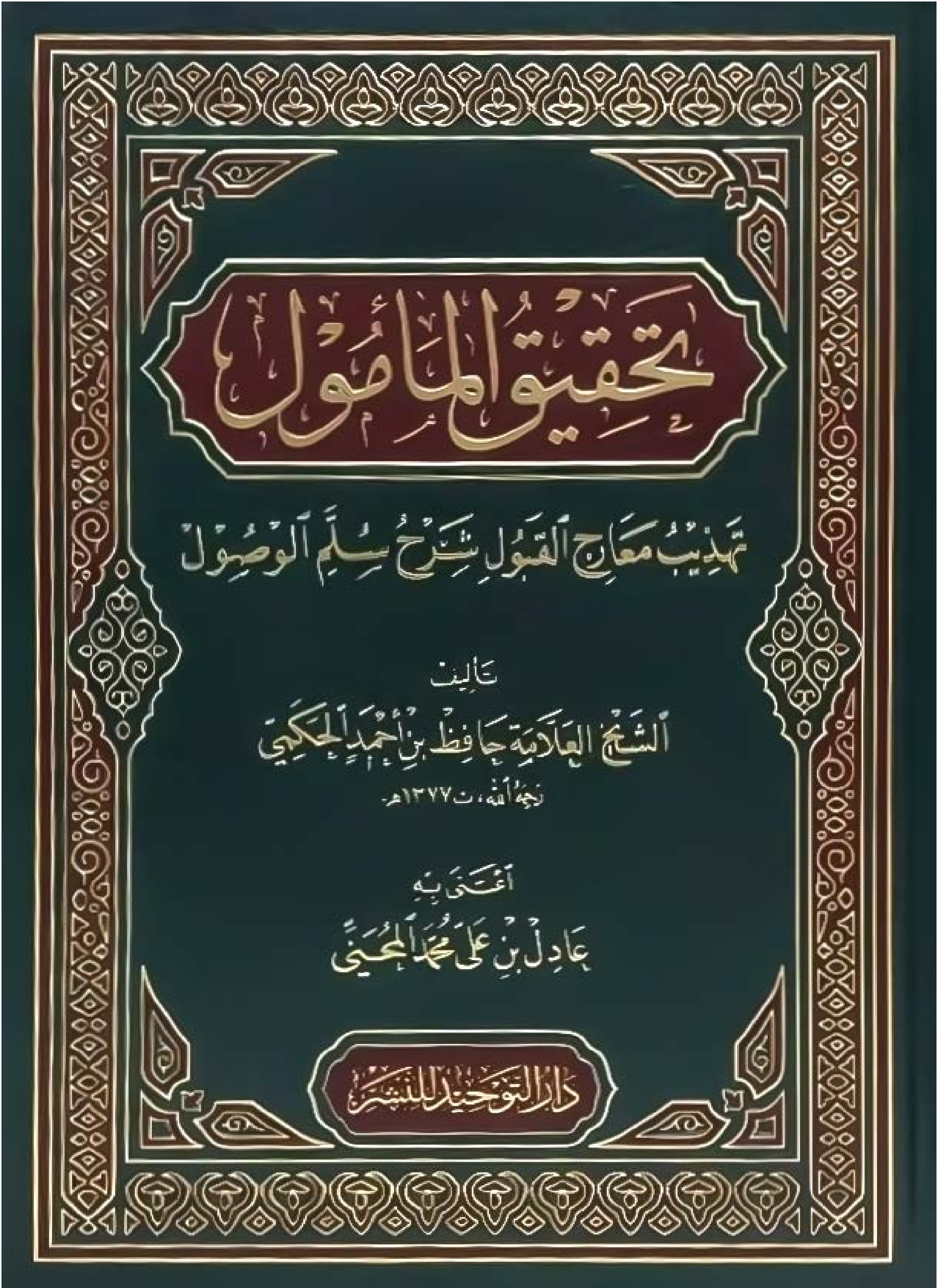


تحقيق المأمول
تهذيب معارج القبول شرح سلم الوصول
تأليف
الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي
رحمه الله، ت ١٣٧٧هـ
اعتنى به
عادل بن علي محمد المعيني
دار التوحيد للنشر

ح عادل علي محمد محني، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

محني، عادل علي محمد

تحقيق المأمول تهذيب معارج القبول. / عادل علي محمد محني

- الرياض، ١٤٣٣هـ

٧٢٠ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٢-٩٢٣٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٣/١٣٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٣٦١

ردمك: ٢-٩٢٣٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com

تحقيق المأمول

تهذيب معارج القبول شرح سلم الوصول

تأليف

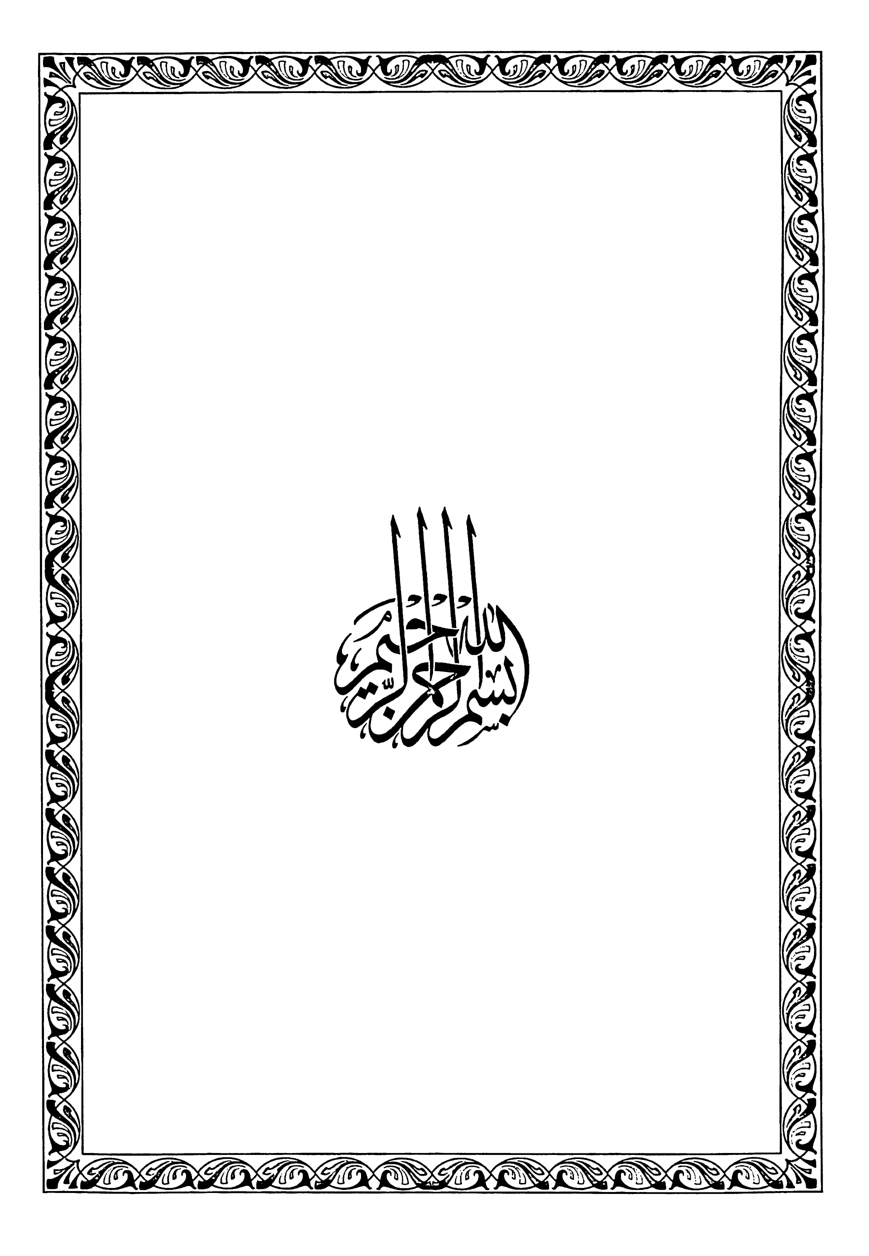
الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي

رحمه الله، ت ١٣٧٧هـ

اعتنى به

عادل بن علي محمد المحيني

دار التوحيد للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله المستحق للحمد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لله عبد لما مانع لما أعطى اللَّه ولا معطي لما منع اللَّه ولا ينفع ذا الجد منه الجد وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله حامل لواء الحمد وعلى آله وصحبه وسلم :

أما بعد : فإن منظومة سُلَّم الوصول من المنظومات المباركة التي انتفع بها كثير من طلبة العلم في معرفة حقيقة التوحيد ودراسة مباحث العقيدة حيث تميزت باشتمالها على أهم أبواب العقيدة الإسلامية اشتمالًا رائعًا إضافة إلى عنايتها بأصل العقيدة الذي هو توحيد الألوهية فقد عرضته عرضًا وافيًا ميسرًا ثم أبطلت ما يناقضه أو يضاد كماله من مظاهر الشرك والقبورية وما استحدث من البدع العقائدية في هذا الباب كما اهتمت بتقرير معتقد أهل السنة في أسماء اللَّه وصفاته بضوابطه المعروفة عندهم كما عَنِيَتْ بذكر أهم أصول أهل السنة في كافة أبواب العقائد فجاءت بفضل اللَّه تعالى جامعة نافعة قرة عين تسر الناظرين .

ولما كان ناظمها الشيخ العلامة/ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه اللَّه تعالى- قد شرحها شرحًا كبيرًا أكثر فيه من جمع النصوص والآثار والنقول ومناقشة المخالفين فقد أصبح هذا الشرح كبيرًا على كثير من الراغبين في دراسته من طلبة العلم الذين غاية أحدهم أن يرغب في الوقوف على معاني

المنظومة بأقرب عبارة، ولما كانت هذه المنظومة المباركة مقررة في كثير من مدارس العلم دون أن يكون عليها شرح مختصر يُقَرِّبُ معانيَها ويوضِّح مَبانِيَها رأيت الحاجة قائمة إلى تقريب شرح الناظم نفسه لأنه أولى مَن يُبِيْنُ عن معاني منظومته. فاستعنت بالله وشرعت في هذا التهذيب لتقف بعد ذلك على شرح الناظم لنظمه سهلًا قريبًا بعيدًا عن التطويل الممل والاختصار المخل.

وعليه فهدف هذا التهذيب هو: تقريب ما احتواه الأصل بحيث يحقق غرضه ويصل إلى مقاصده بأسهل طريق وأقل عبارة.

عملي في هذا التهذيب

١- كان المقصود الأساس لهذا التهذيب هو الوصول إلى عبارة الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله تعالى- التي شرح بها ألفاظ نظمه وبَيَّنَ بها معانيها، فلن يشرح كلامه أحسن منه، ولن يبين مقصوده مثله، وكان الوقوف عند ذلك والاكتفاء به أمرًا مقنعًا لي في أول الأمر، لكن بما أن الشيخ حافظًا -رحمه الله تعالى- قد أكثر من نقل الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف على غالب المسائل التي قصدها نظمه لم يكن بإمكاني أن أضرب الصفح عن هذا الخير الكثير فعدلت إلى نقل ما لابد منه من الأدلة القرآنية والنبوية والمهم القليل مما ذكره من آثار السلف حتى لا يبعد هذا التهذيب بُعدًا شديدًا عن أصله، ولا يخلو خلوا تامًا مما اعتنى الناظم به في شرحه من ذكر الأدلة وعبارات الأئمة.

٢- وبما أن الشيخ حافظًا -رحمه الله تعالى- كان يستطرد في شرحه

لكثير من فصول منظومته بذكر مسائل تتعلق بالفصل المذكور أو معنى يلزم التنبيه عليه لم يستقم -أيضًا- الإعراض عن ذلك بالكلية فسلكت في ذلك مسلكًا متوسطًا أُبقي فيه على المعنى الأصلي مختصِرًا عبارة الشارح اختصارًا شديدًا يبقي على المعنى بغير زيادة، وهذا الأمر لم يكن بالأمر اليسير حيث استدعى دقة شديدة في مراعاة المقصود حتى لا يصل الأمر إلى الإخلال.

٣- كل ما تراه في هذا التهذيب هو عبارة الشيخ حافظ الحكمي -رحمه اللَّه تعالى- وكلامه ونقوله واستدلالاته حيث التزمت ألا أضيف في ألفاظ الشرح ولا أُغَيِّرَ في ترتيبه فالكتاب باق على المسلك العام الذي أنشأه شارحه عليه.

٤- ميزت عبارة النظم بجعلها بين قوسين - أثناء الشرح - لتتميز من بين الكلام، وليعلم أن ما بعدها شرح لها، وهنا ألفت النظر إلى أن الشيخ حافظًا -رحمه اللَّه تعالى- عني بشرح ألفاظ نظمه والوقوف على مقاصدها وتحريرها تحريرًا جيدا لكنه لم يدم في ذلك على وتيرة واحدة بل قد اختلف ذلك من موضع لآخر حتى ليصل الأمر في بعض الأحيان إلى عدم وقوفه عند عبارة النظم مطلقًا ليشرع مباشرة في المقصود العام من الفصل الذي عقده والاستدلال والكلام عليه، وبناء عليه فإن جملة من عبارات النظم بل وأبياته لم تحظ من الناظم بما حظيت به مثيلاتها من التحرير والبيان.
والأظهر أن طريقة الشارح في هذه المواضع مبنية على أنه يرى أن ألفاظها واضحة وضوحًا لا تحتاج معه إلى مزيد بيان إضافة إلى ورودها في ألفاظ الأدلة وتبينها بالمعنى العام ولأجل ذلك يقتصر على الاكتفاء بذكر النظم

دون التعليق على ألفاظه .

٥- رتبت مسائل الفصول والكلام عليها فأعطيتها شكل النقاط المستقلة بحيث لا تنغمر في ثنايا الشرح .

٦- لم أحرص على إضافة شيء عدا بعض الفوائد القليلة التي رأيت أنه يحسن التنبيه عليها جاعلًا موضعها ضمن حواشي الكتاب وهوامشه .

٧- خرجت جميع الأحاديث النبوية التي أبقى عليها هذا التهذيب ، وكذا ما أمكن من الآثار عن الصحابة والتابعين ، وبينت أحكام أهل العلم عليها ، مع استبعاد الأحاديث النبوية الضعيفة والمعلولة بالكلية ، بحيث أصبح هذا التهذيب لا يضم من الأحاديث إلى ما حكم أهل العلم بثبوته .

وهنا أشير إلى أن الشارح اعتمد اعتمادًا كبيرًا في نقل كثير من الأحاديث والآثار خاصة والحكم عليها على تفسير الحافظ ابن كثير الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحيث أستطيع أن أقول إن هذا الكتاب كان أحد أهم مصادر الشارح في تأليفه لهذا الكتاب .

واللَّه المسؤول أن ينفع به كما نفع بأصله وأن يجعله مباركًا على قارئه ودارسه وأن يجعله خالصًا لوجهه إنه خير مسؤول وأقرب مأمول وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

عَادِلُ بْنُ عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ الْمُحَيْنِيُّ

عشية الثاني عشر من شهر اللَّه المحرم

للسنة الهجرية ١٤٢٩

الموافق ٢٠ / ١ / ٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهم - يا ربنا ومليكنا وإلهنا - قد علمت مَن سعد بطاعتك والجنة، ومَن شقي بمعصيتك والنار، وكتبت ذلك وسطَّرتَه وقدَّرته وقضيته، وشملَتْ الجميعَ قدرتُك، ونفذتْ فيه مشيئتُك، ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولا يدري عبدُك في أيِّ القِسمين، ولا في أيِّ القبضتين هو، وأنت تعلم، اللهم إياك نعبد، إيمانًا بكتبك، وتصديقًا لرسلك، وانقيادًا لشرعك، وقيامًا بأمرك ودينك، وإياك نستعين، إيمانًا بربوبيتك، واستسلامًا لقضائك وقدرك، وافتقارًا إليك، وتوحيدًا لك في إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك، ولا مشيئة إلا أن تشاء، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولا معصوم إلا من عصمتَ، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى، وصدَّق بالحسنى فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، غير المغضوب عليهم ممن علِم الحق وكتمه، وتركه وأباه، واشترى بآياتك ثمنًا قليلًا، ولا الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حُل بيننا وبين معصيتك والكفر، يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨][(١)].

(١) هذه الدعوات الطيبات من عبارات المؤلف -رحمه الله تعالى- ختم بها شرحه لباب القدر من منظومته المباركة فأوردناها هنا نستفتح بها.

شرح مقدمة المنظومة

١) أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينَا رَاضٍ بِهِ مُدبِّرًا مُعِينَا

(أبدأ) في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف (**باسم الله**) متبركًا (ومستعينًا) به، طالبًا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى- معلمًا لنا - في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٣].

(راضٍ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض (به) أي باللَّه ﷻ.

(مدبرًا) حالٌ من الضمير المجرور، أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزمَّة الأمور بيده، وهو الذي يعلم ما لا نعلم، ويقدر ما لا نقدر.

و(معينًا) لي على جميع أموري الدينية والدنيوية، فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه، ولا علم لي إلا ما علمنيه، فلا أعبد إلا إياه، ولا أستعين إلا به، ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه.

٢) والْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا إلى سَبِيلِ الْحَقِّ واجْتَبَانَا

أي وأُثنِّي بحمده فأقول (**الحمد لله**)كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وأمر بذلك عباده فقال تعالى- مخاطبًا لنبيه خطابًا يدخل فيه جميعُ أمته-: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]، فله الحمد كالذي يقول، وخيرًا مما نقول، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد

في الأولى والآخرة.

ولما كان من أكبر نعم اللَّه علينا وأجلِّ مننِه الواصلة إلينا هدايتُه إيانا إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناءَ عليه بها فقلتُ **(كما هدانا)** أي: على ما هدانا إرشادًا ودلالةً بكتبه ورسله، وتوفيقًا وتسديدًا بمشيئته وقدَره، **(إلى سبيل الحق)** وهو دين الإسلام والإيمان **(واجتبانا)** له، وبذلك قال تعالى ممتنا علينا - وله الحمد والمنة-: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ولما كان الحمدُ الخبري أبلغَ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرار قدَّمتُه عليه أولًا ثم عطفتُ عليه الإنشائي جمعًا بينهما فقلت:

٣) أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وأَشْكُرُهْ ... ومِن مَسَاوِي عَمَلي أَسْتَغْفِرُهْ

(أحمده) أي أنشئ له حمدًا آخر متجددًا على توالي نعمه وتواتر فضله، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه **(سبحانه)** أي: تنزيهًا له عما لا يليق بنعوت جلاله وصفات كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قوله في الحديث المتفق عليه: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم**»(١) **(وأشكره)** على ما أنعم وأَلْهَمَ امتثالًا لقوله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمة -رحمه اللَّه تعالى-: «الحمد يتضمن

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسانُ إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن اللَّه تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصُّ من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً ... يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ٣١].

والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه» انتهى كلامه -رحمه اللَّه تعالى- بتصرف[1].

(ومن مساوئ) جمعُ مساءة (عملي) مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف (أستغفره) السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

٤) وأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا ... وأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِي مَا قَضَى

(وأستعينه) أطلب منه العون (على نيل الرضا) أي: على فعل الأعمال

(١) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢١٦.

الصالحة، التي بسببها يُنال رضاه، أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضله ورحمته (**وأستمد**) أي: اطلب منه الإمداد بأن يرزقني (**لطفه**) بي (**فيما قَضَى**) وقدَّر من المصائب، وأن يجعلني راضيًا بذلك، مؤمنًا به، مستيقنًا أنه من عند اللَّه، وأن وقوعَه خيرٌ عندي من كونه لم يقع، وأن يهديَ قلبي، وكما قال ﷺ: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**»[1] الحديث فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر وهو الرضا بالمصيبة[2].

٥) وبعدُ إني بالْيَقِينِ أشْهَدُ ... شَهادَةَ الإخلاصِ ألَّا يُعْبَدُ

٦) بالْحَقِّ مألُوهٌ سِوَى الرَّحْمنِ ... مَنْ جَلَّ عَن عَيْبٍ وعَنْ نُقْصَانِ

(**وبعدُ**) هو ظرف زماني، يؤتَى به للتنبيه على ما بعده، وفصله عما قبله، ويُبنى على الضمِّ لقطعه عن الإضافة، ويغني عن إعادة المضاف إليه (**إني باليقين**) القاطع الجازم بدون شك ولا تردد (**أشهد شهادةَ**) مصدر مؤكِّد (**الإخلاص**) مضاف إلى شهادة، من إضافة الصفة إلى الموصوف (**أنْ**) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن مستكن، والتقدير أنه، والخبر (**لا يُعبَد**) بضم الياء، وفتح الباء بالبناء للمفعول (**بالحق**) يتعلق

(١) سيأتي تخريجه وحكمه - بمشيئة اللَّه تعالى - عند ذكر الحديث بطوله في أدلة النظر إلى وجه اللَّه تعالى.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- كما في جامع الرسائل (٢/ ٧٦)-: (وَأما «الْقدر الَّذِي يرضى بِهِ» فَإِنَّهُ إِذا ابْتُلِيَ بِالْمرضِ أَو الْفقر أَو الْخَوْف فَهُوَ مَأْمُور بِالصبرِ أَمر إِيجَاب، ومأمور بِالرِّضَا: إِمَّا أَمر إِيجَاب، وَإِمَّا أَمر اسْتِحْبَاب؛ وللعلماء من أَصْحَابنَا وَغَيرهم فِي ذَلِك قَولَانِ، وَنَفْس الصَّبْر وَالرِّضَا بالمصائب هُوَ طَاعَة لله وَرَسُوله فَهُوَ من امْتِثَال الْأَمر وَهُوَ عبَادَة لله).

بيُعبَد (مألوه) نائب الفاعل ليُعبد، ومعناه معبود (سوى) أداة استثناء بمعنى إلا (الرحمن) أي لا معبود بحق إلا اللَّه ﷻ، والتقييد بحق يَخرج به الآلهة المعبودة بباطل، فإنها قد عبدت، والمنفي: هو استحقاق العبادة عن غير اللَّه ﷻ، لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا اله إلا اللَّه، ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمتها بمعناها، وسيأتي -إن شاء اللَّه تعالى- بسط القول في تفسيرها.

(مَن جلَّ) في صفات كماله ونعوت جلاله (عن عيب وعن نقصان) وهما لفظان مترادفان، فكل عيب يُسمى نُقصانًا، وكل نقصان يسمى عيبًا، واللَّه ﷻ منزه عن ذلك كله، بل له الجلال المطلق والكمال المطلق، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٧) وأن خيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا مَنْ جاءَنا بالْبَيِّنَاتِ والْهُدَى

٨) رَسُولُهُ إلى جَمِيعِ الْخَلْقِ بالنُّورِ والْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ

(و) أشهد (أن خير) أفضل (خلقه) هاء الضمير يعود إلى الرحمن (محمدا) بَدَلٌ من خير، أو عطفُ بيان، ومعناه الكثير المحامد، فهو أبلغ من محمود، (مَن جاءنا بالبينات والهدى) من عند اللَّه ﷻ، هذه الجملة صلة مَن، وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ، والخبر (رسولُه)، الرسول بمعنى المرسَل، وهو: مَن أُوحي إليه وأُمر بالتبليغ، فإن أُوحيَ إليه ولم يُؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس (إلى جميع الخلق) كافة، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ

وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي الصحيح من حديث الخصائص: «**وكان الرسول يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[١]، وفيه أيضًا: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[٢]، (**بالنور**) المبين، وهو القرآن الذي قال اللَّه ﷻ فيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] الآية، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]، وغير ذلك من الآيات (**والهدى**) الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم (**ودين الحق**) الإسلام الذي لا يقبل اللَّه تعالى من أحد غيره، قال اللَّه ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩][٣].

وكلٌّ من القرآن والرسول والإسلام يُسمى نورًا وهدىً وصراطًا

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٣٢٨، ٤٢٧)، صحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٢) صحيح مسلم (١٥٣).

(٣) يقول الحافظ ابن كثير الدمشقي -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره ٢/ ٣٥٠: (فالهدى هو ماجاء به ﷺ من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة)، ويقول - أيضًا - في التفسير ٤/ ١٧١: (فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح).

مستقيمًا، وكل الثلاثة متلازمة تقول: أرسل اللَّه ﷻ رسوله، وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام، وتقول دين الإسلام هو الذي أرسل اللَّه به رسوله، وأنزل به كتابه، وكلٌ منها نورٌ مبين وهدى مستبين وصراط مستقيم.

٩) صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمجَّدَا وَالْآلِ وَالْصَّحْبِ دَوَامًا سَرْمَدَا

(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية: الصلاة من اللَّه ﷻ ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، ذكره عنه البخاري[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وفي الصحيح من الحديث القدسي: «وإذا ذَكَرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم»[٢].

(ومجدا) بألف الإطلاق، أي: شرفه وزاده تشريفًا وتمجيدًا (والآلِ) أي: آله ﷺ، وهم أتباعُه وأنصارُه إلى يوم القيامة كما قيل:

آلُ النَّبِي هُمُو أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ على الشَّرِيعَةِ من عُجْمٍ ومِن عَرَبِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ آلُهُ إِلَّا قَرَابَتُهُ صَلَّى المُصَلِّي عَلَى الطَّاغِي أَبِي لَهَبِ

ويدخل الصحابة في ذلك من باب أولى، ويدخل فيه أهلُ بيته من قرابته وأزواجه وذريته من باب أولى وأولى، (والصحب) جمع صحابي وهو: مَن رأى أو لقي النبي، مؤمنًا به ولو لحظة، ومات على ذلك، ولو تخللت ردَّةٌ

---

(١) في كتاب التفسير باب قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ: صحيح البخاري برقم (٦٩٧٠)، صحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

في الأصح، وهم أفضل القرون في هذه الأمة، وسيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم على بعض - إن شاء اللّٰه تعالى-.

١٠) وَبَعْدُ هَذَا النَّظْمُ في الأُصولِ لِمَنْ أرَادَ مَنْهجَ الرَّسُولِ

١١) سألَنِي إيَّاهُ مَنْ لَا بُدَّ لِي مِنَ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ الْمُمْتَثَلِ

(وبعد) تقدم الكلام عليه قريبًا، أي: وبعد الشهادتين، والصلاة والسلام على محمد ﷺ وآله وصحبه **(هذا النظم)** الألف واللام للعهد الحضوري، موضوعه **(في الأصول)** والمراد بها هنا: أصول الدين من الإيمان باللّٰه ﷻ وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وأركان الإسلام الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما يتعلق بكل منها، والكلام على رسالة نبينا محمد، وما يتعلق بها، والكلام في مسألة الخلافة، والاعتصام بالكتاب والسنة، وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك، وسترى - إن شاء اللّٰه تعالى- تبيانها مفصلًا **(لمن أراد)** من المؤمنين **(منهج الرسول)** سبيله ومسلكه، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة[1].

---

(١) إليك - يا طالب العلم - هذه الكلمات الثمينة التي تبين لك أن العصمة من الزيغ والغواية في أبواب الاعتقاد والإيمان إنما تكون باتباع الوحي المعصوم واقتفاء طريق السلف الماضين، وعدم مفارقة سبيلهم في قليل أو كثير يقول الإمام أبو القاسم هبة اللّٰه بن الحسن ابن منصور اللالكائي (٤١٨ هـ) في مفتتح كتابه النافع شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف اللّٰه به عباده مِن فهم توحيده وصفاته، وتصديق رسله بالدلايل واليقين، والتوصل إلى طُرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مَقُوْل وأوضح حجة ومعقول كتاب اللّٰه الحق المبين، ثم=

سألني . . . إلخ البيت بيِّنٌ واضح .

١٢) فَقُلْتُ مَعْ عَجْزي ومَعْ إشفَاقِي مُعْتَمِدًا على الْقَدِيرِ الْبَاقِي

(فقلت) جوابُ (سألني)، (مع عجزي) عدم قدرتي على ذلك (ومع

= قول رسول اللَّه ﷺ وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها، والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون عما كان عليه السلف، فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرايق الحق المسلوكة، والدلايل اللايحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة، التي عملت عليها الصحابة والتابعون، ومَن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين اللَّه رب العالمين، ثم مَن اقتدى بهم من أئمة المهتدين، واقتفى آثارهم من المتبعين، واجتهدَ في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فمن أخذ في مثل هذه المحجة، وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة، أَمِنَ في دينه التَّبِعَة في العاجلة والآجلة، وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واتقى بالجُنَّة التي يُتقى بمثلها، ليتحصن بحمايتها، ويستعجل بركتها، ويحمد عاقبتها في المعاد والمآل إن شاء اللَّه، ومن أعرض عنها وابتغى في غيرها مما يهواه أو يروم سواها مما تعداه أخطأ في اختيار بغيته وأغواه، وسلكه سبيل الضلالة، وأرداه في مهاوي الهلكة، فيما يعترض على كتاب اللَّه وسنة رسوله بضرب الأمثال، ودفعهما بأنواع المحال، والحيدة عنهما بالقيل القال، مما لم ينزل اللَّه به من سلطان، ولا عرفه أهل التأويل واللسان، ولا خطر على قلب عاقل بما يقتضيه من برهان، ولا انشرح له صدر موحد عن فكر او عيان، فقد استحوذ عليه الشيطان، وأحاط به الخذلان، وأغواه بعصيان الرحمن، حتى كابر نفسه بالزور والبهتان. . فهو راكض ليله ونهاره في الرد على كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ والطعن عليهما، أو مخاصما بالتأويلات البعيدة فيهما، أو مسلطا رأيه على ما لا يوافق مذهبه بالشبهات المخترعة الركيكة، حتى يتفق الكتاب والسنة على مذهبه، وهيهات أن يتفق، ولو أخذ سبيل المؤمنين وسلك مسلك المتبعين، لبنى مذهبه عليهما، واقتدى بهما، ولكنه مصدود عن الخير مصروف).

إشفاقي) خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها، وذلك لقِصَرِ باعي وقلةِ اطِّلاعي، والذي قوَّى عزمي على ذلك هو كوني **(معتمدًا)** أي: متوكلًا **(على القدير)** الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض **(الباقي)** الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مُقَدِّمَةٌ تُعَرِّفُ الْعَبْدَ بِمَا خُلِقَ لَهُ، وَبِأَوَّلِ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَبِمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ المِيثَاقَ فِي ظَهْرِ أَبِيهِ آدَمَ وَبِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ

١٣) اعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا ... لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدًى وَهَمَلَا

١٤) بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ... وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

(اعلم) كلمة يُؤتى بها للاهتمام، وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها في هذا الموضوع لكل المكلفين **(بأن الله جل)** شأنه وتنزه عن كل نقص **(وعلا)** بكل معاني العلو **(لم يترك الخلق سدىً)** ولا **(هملًا)** أي: لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا، ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة، لأنه - تعالى- ما خلقهم إلا بالحق، لا عبثًا ولا باطلًا، بل لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾؛ أي الخلق

باطلًا، لا بل بالحق ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: سبحانك: أي عن أن تخلق شيئًا باطلًا، تباركت وتعاليت، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد، ولا إرادة منا، ولا حكمة لنا؟!، وقيل: للعبث؟، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خُلقت البهائم، لا ثواب لها ولا عقاب؟!، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة؟! لا، ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة، وإقامة أوامر اللَّه ﷻ، ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه، ونجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخًا وتقريعًا وتبكيتًا، بعدما رأوا الحقائق عينَ اليقين، ثم قال تعالى- منزِّهًا نفسه عما حسبوه-: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه المَلك الحق المنزَّهُ عن ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، قال السدى: يعني لا يُبعث!!، وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني: لا يُؤمر ولا يُنهى!!.

قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-: «والظاهر أن الآية تعم الحالتين أي: ليس يُترك في هذه الدنيا مهملًا لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سدىً لا يبعث، بل هو مأمورٌ منهيٌّ في الدنيا، محشور إلى اللَّه في الدار الآخرة»[1].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٣.

(بل خلق) اللَّه تعالى (الخلقَ ليعبدوه) ﷻ، بما شرعه على ألسنة رسله، وأنزل به كتبَه (و) مع عبادتهم إياه، لا يُشركون بعبادته أحدًا كائنا مَن كان، بل (بالإلهية يفردوه) دون ما سواه، فمَن عَبَدَ اللَّه تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات، ومات على ذلك حبط جميع عمله، وصار هباءً منثورًا، حيث أشرك مع اللَّه في عبادته مَن هو مثله مخلوق لعبادة اللَّه ﷻ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي إلا لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكلُّ مخلوق من الجن والإنس خاضعٌ لقضاء اللَّه ومتذلل لمشيئته، ولا يملك أحدٌ لنفسه خروجًا عما خُلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر، وقيل إلا ليعبدون: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] الآية. اهـ مِنْ تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-(١). وهذِهِ الْأَقوالُ في هذهِ الْآيةِ وإنْ كانتْ مُتقارِبةً - وَالْآيَةُ تَسَعُ جَمِيعَهَا - أَرْجَحُهَا الْأَوَّلُ وَهُوَ قولُ أَميرِ المؤْمنينَ عليِّ بن أَبي طالِبٍ رضي الله عنه: إِلَّا لِآمرَهم وأدعوَهمْ لِعِبادتِي. يؤَيِّدُهُ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقولُه

(١) تفسير البغوي معالم التنزيل - (٧/ ٣٨١).

تعالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الْآيَةَ وغيرُها من الآياتِ.

وَيؤيدُ ذلكَ أَنَّ اللَّهَ -تبارك وتعالى- إنما شاء العبادةَ من جميع عباده وأرادها وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أراده وشاءَه منه فله رضاه والجنة، ومن خالف في ذلك فله سخطُه والنار، ولو شاء اللَّه تعالى من جميعهم العبادةَ وأرادها في الكون لم يكن لهم بدٌّ من ذلك، ولم يكن لأحد إلى معصية اللَّه تعالى من سبيل، ولو أنه -تبارك وتعالى- قضى في الكون أن لا يُعبد إلا إياه لم يُشرِكْ به أحدٌ من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعًا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وهذه المشيئةُ منه للعبادةِ -من عبادِهِ- شرعًا عامةٌ لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصةٌ للمؤمنين، فلهذا اتَّفقت فيهم المشيئتان، فوافقوا المشيئة الشرعية لِمَا سَبَق لهم في المشيئة القدرية الكونية، وأما الكافر فلم يوافق المشيئةَ الشرعية لما سَبَق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة، فتبيَّن بهذا: أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها، ولا محيد له عنها، سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة، وأما المشيئة الشرعية فمن كان سَبَقَ له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه اللَّه تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق

الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، يعني الظاهرة، وكذلك حبُّ اللَّه ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحُكمِهِ والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله(١)، يعني الباطنة، وجِماع العبادةِ كمالُ الحبِّ مع كمال الذّل، وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى زيادةُ بحثها في بابها من المتن.

١٥) أخْرَجَ فيمَا قدْ مَضَى مِن ظَهْرِ ... آدمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ

١٦) وأخَذَ العَهْدَ عَلَيْهِمْ أنَّهُ ... لَا رَبَّ مَعْبُودٌ بحقٍّ غَيْرُهُ

(أخرج) أي: اللهُ تبارك وتعالى (فيما) أي: الزمن الذي (قد مضى)، وذلك بعد خلقه آدم -عليه الصلاة والسلام- (من ظهر آدم) أبي البشر عليه السلام (ذريتَه) كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة (كالذرَّ) أي: كهيئته، (وأخذ) عز وجل (العهد عليهم)، وتفسير العهد: (أنه) الضمير للشأن أو الحال، هو ربهم (لا رب معبود) مستحقٌّ للعبادة، ولذا قُيِّدَ (بحقٍ غيره) وإلا فكمْ قد اتخذ أعداؤه من أرباب، وعبدوها بالباطل بدون حق، بل بالظلم العظيم، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا

(١) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- ٢/ ٣٦١.

عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟! قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي**» أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنُعْمَانَ يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قُبُلًا قال تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤]» رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢)، وقد

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٣١٥٦، ٦١٨٩)، صحيح مسلم برقم (٢٨٠٥) كلاهما بلفظ: (وأنت في صلب آدم).

(٢) مسند أحمد برقم (٢٤٥٥)، السنن الكبرى للنسائي برقم (١١١٢٧)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٢٠٢)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (٤٠٠٠) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه، ووافقه الذهبي، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة ١٠/ ٣٣٩، وقال عنه الحافظ ابن كثير في البداية=

رُوي من طرقٍ كثيرة موقوفًا .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول اللّه ﷺ سُئل عنها فقال : «**إن اللّه خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، قال : خلقتُ**

= والنهاية ١/ ٩٠ : فهو بإسناد جيد قوي على شرط مسلم، غير أنه قال عن الموقوف إنه أكثر وأثبت. وقد علق على كلامه المحدث الألباني رحمه الله بقوله - كما في السلسلة الصحيحة (٢ / ٣٦٧)-: (هو كما قال -رحمه اللّه تعالى-، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعا، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع، لسببين:
الأول: أنه في تفسير القرآن، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه «المستدرك» أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه (١ / ٥٥).
الآخر: أن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب وعبد اللّه بن عمرو وأبو هريرة وأبو أمامة وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما - ومعاوية بن أبي سفيان وأبو الدرداء وأبو موسى، وهي إن كان غالبها لا تخلو أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضا، بل قال الشيخ صالح المقبلي في «الأبحاث المسددة»: «**ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك**»، ولاسيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم عبد اللّه بن عمرو وعبد اللّه بن مسعود، وناس من الصحابة، وأُبي بن كعب وسلمان الفارسي ومحمد بن كعب والضحاك بن مزاحم والحسن البصري وقتادة وفاطمة بنت الحسين وأبو جعفر الباقر وغيرهم)، وصححه الألباني - أيضًا - في الآيات البينات ص ٩١ وأضاف: بل هو متواتر المعنى كما بينته في «الصحيحة» (١٦٢٣) وقال الشوكاني في فتح القدير ٢/ ٢٦٣ : وإسناده لا مطعن فيه.

هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقتُ هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون..» الحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: هذا حديث حسن[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لما خلق اللَّه آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وَبِيصًا من نور، ثم عَرَضَهم على آدم، فقال: أَيْ ربي مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتُك..**» الحديث. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[2]، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخرج اللَّه ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في آذِيِّ الماء. رواه ابن جرير[3].

---

(١) مسند أحمد برقم (٣١١)، سنن أبي داود برقم (٤٧٠٣)، وسنن الترمذي برقم (٣٠٧٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٠٠١) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصححه لغيره الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦٦ وغيرها.

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٧٦)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (٣٢٥٧) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه ابن العربي المالكي في أحكام القرآن ٢/ ٣٣٣، والألباني في الجامع الصغير حديث رقم (٥٢٠٨).

(٣) أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية برقم (٣١)، قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر - (١ / ٦٩): الآذيّ - بالمد والتشديد -: الموج الشديد.

وله عنه رضي الله عنه قال: إن اللَّه تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالرزق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعةُ حتى يُولدَ مَنْ أُعطى الميثاقَ يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاقَ الآخِر فوفَّى به نفعه الميثاقُ الأول، ومن أدرك الميثاقَ الآخِر فلم يُقرَّ به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرا قبل أن يُدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة(١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره برقم (١٥٤٢٣)، وقد صحح الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى - في كتابه الروح ١٥٧ أثرًا موقوفًا على أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه فيه مزيد تفصيل لشأن ذلك الميثاق، قال رحمه الله: (وفي صحيح الحاكم أيضا من حديث أبى جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية، قال: جمعهم له يومئذ جميعا، ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحا، ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين!! قال: فإني أُشهد عليكم السموات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم: أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئا، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، فقالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ورُفع لهم أبوهم آدم، فرأى فيهم الغنى والفقير، وحسن الصورة وغير ذلك، فقال رب لو سويت بين عبادك؟، فقال: إني أحب أن أُشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرج، وخُصُّوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ . .﴾، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾، وهو قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾، وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أُخذ عليها الميثاق،=

* **فإن قيل**: كيف تلزمُ الحجةُ على أحدٍ لا يَذكر الميثاقَ؟ **قيل**: قد أوضح اللَّه تعالى الدلائل على وحدانيته، وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد، ولزمتْه الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة. اهـ البغوي.

* **قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-**: وذهب طائفةٌ من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كل مولود يُولد على الفطرة**»[1]، وفي رواية: «**على هذه الملَّة..**» الحديث اهـ.

* **قلت**: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتةٌ بالكتاب والسنة:

١) **الأول**: الميثاقُ الذي أخذه اللَّه تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟! قالوا: بلى.. الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين -رحمهم الله- في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما[2].

= فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فدخل مِن فيْها، وهذا إسناد صحيح) اهـ.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (١٣٥٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨). ورواية: (على هذه الملة) تفرد بها مسلم برقم (٦٩٣٠).

(٢) وهو مشهور مذهب أهل الحديث والسنة في معنى الآية، فقد نقل الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الروح ١٦٣ عن ابن الأنباري رحمه الله أنه قال عنه إنه: (مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية)، كما نقل - أيضًا - عن=

= إسحاق بن راهويه قوله: «وأجمع أهل العلم أن اللَّه خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم وأشهدهم»، ونصَّ الإمام أبو المظفر السمعاني -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره (٢ / ٢٢٩) على أن إثبات الميثاق والإشهاد عليه هو (المعروف والذي عليه جماعة المفسرين في معنى الآية) كما نَسَب القول= = بالميثاق إلى أهل السنة، وتأويل الميثاق بالفطرة إلى المعتزلة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٣١): (واعلم أن المعتزلة تأولوا هذه الآية، فقالوا: أراد به الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السُّنة من لدن آدم إلى فناء العالم، وقوله: (وأشهدهم على أنفسهم) يعني كما نصب من دلائل العقول التي تدل على كونه ربا، ويلجئهم إلى الجواب بقولهم: بلى، وأنكروا الميثاق. وهذا تأويل باطل، وأما أهل السنة مقرون بيوم الميثاق، والآية على ما سبق ذكره).
وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه اللَّه تعالى- في بيان مشكل الآثار (٩/ ١٧٣): (فكان في هذا الحديث من استخراج اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ذرية آدم ﷺ من صلبه مثل الذي في الحديث الأول، وزيادة على ما في الحديث الأول، وهو كلامه إياهم قُبُلا: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، ثم ذكر بقية ما في الآية التي تلونا، وكان ذلك غير مستنكر في لطيف قدرة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ)، ثم ذكر قول من فسر الميثاق بالفطرة ثم قال: (وهذا تأويل لو لم نكن سمعنا عن رسول اللَّه ﷺ بما في الحديثين الأولين لاستحسناه من متأوليه، إذ كانوا تأولوا الآية على ما هي محتمِلة له، ولكن لما بيَّن رسول اللَّه ﷺ مرادَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الذي أراده بها، كان ذلك هو الحجة الذي لا يجوز القول بخلافه، ولا التأويل على ما سواه، واللَّه عَزَّ وَجَلَّ نسأله التوفيق).
ويقول الإمام الحافظ أبو الفرج ابن رجب الحنبلي -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٥: (وقد تكاثرت الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة في تفسير الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ، فأقروا كلهم بوحدانيته، وأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم أباهم آدم والملائكة)، وقال الإمام الشوكاني -رحمه اللَّه تعالى- في فتح القدير ٣/ ١١٦: (والمعنى أن اللَّه سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره، فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذرّ، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره، لثبوته مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وموقوفًا على غيره من الصحابة، ولا ملجىء للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهرُ اللَّه بَطَلَ نهرُ مَعْقِل).

٢) الميثاق الثاني: ميثاقُ الفطرة، وهو أنه -تبارك وتعالى- فَطَرَهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رضي الله عنهم[١] وغيرها من الأحاديث في الصحيحين.

٣) الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسلُ، وأُنزلت به الكتب، تجديدًا للميثاق الأول، وتذكيرًا به: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

* ومَنْ لم يُدرك هذا الميثاق بأن مات صغيرًا قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة، فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم،

---

(١) أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فهو حديث المولود يولد على الفطرة وقد تقدم، وأما حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه فهو ما رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٥) وموضع الشاهد منه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»، وأما حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه فقد أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥٥٨٨) والحاكم في المستدرك برقم (٢٥٦٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه ووافقه الذهبي وغيرهما: أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين، فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاؤوا قال رسول الله ﷺ: «ما حملكم على قتل الذرية؟» قالوا: يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين، قال: «أوَ هل خياركم إلا أولاد المشركين، والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يُعرب عنها لسانها». وصححه المحدث الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٢).

وإن كان من أولاد المشركين فاللَّه أعلم بما كان عاملا لو أدركه، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: «اللَّه تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»[(١)][(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: صحيح البخاري برقم (١٣١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٠)، وقد أخرجاه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري برقم (١٣١٨)، ومسلم برقم (٢٦٥٩).

(٢) استعرض ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه طريق الهجرتين ص (٥٨٨) الأقوالَ ومذاهب الطوائف في مسألة حكم أطفال المشركين في الآخرة وخَلَصَ إلى ترجيح القول بأنهم يمتحنون يوم القيامة شأنهم شأن من لم تبلغه الدعوة من المكلفين يقول -رحمه اللَّه تعالى- في ذلك:

(المذهب الثامن: أنهم يُمتحنون في عرصات القيامة، ويُرسل إليهم هناك رسول، وإلى كل مَن لم تبْلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه أدخله النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يأتلف شملُ الأدلة كلها، وتتوافق الأحاديث، ويكونُ معلوم اللَّه الذي أحال عليه النبي ﷺ حيث يقول: (اللَّه أعلم بما كانوا عاملين) يظهر حينئذ، ويقع الثواب والعقاب عليه بحال كونه معلوما علما خارجيا لا علما مجردا، ويكون النبي ﷺ قد ردَّ جوابهم إلى علم اللَّه فيهم، واللَّه يرد ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم، فالخبر عنهم مردود إلى علمه، ومصيرهم مردود إلى معلومه، وقد جاءت بذلك آثارٌ كثيرةٌ يؤيد بعضها بعضا، فمنها ما رواه الإمام أحمد والبزار - أيضا - بإسناد صحيح. . عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: (أربعة يحتجُّون يوم القيام: رجل أصمُّ لا يسمع، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، أما الأصم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني رسول، فيأخذُ مواثيقهم ليُطِيْعُنَّه، فيُرسل إليهم رسولًا: أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا، قال معاذ بن هشام: وحدثني أبي عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة بمثل هذا الحديث، وقال في آخره: فمن دخلها كانت عليه بردًا=

١٧) وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلَا لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلَا
١٨) لِكَيْ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُمْ وَيُنْذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ
١٩) كِيْ لَا يَكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ لِلهِ أَعْلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَلْ

= وسلامًا، ومن لمْ يدخلْها رُدَّ إليها).
ثم قال بعد ذكره جملة من الأحاديث الدالة على ذلك المعنى: (فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضًا وتشهد لها أصول الشرع وقواعده والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة نقله عنهم الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ في المقالات وغيرها).
وقال - عن هذا القول - في أحكام أهل الذمة ٢/ ١١٣٧: (وهذا قول جميع أهل السنة والحديث). وقال عنه أيضًا -رحمه اللَّه تعالى- في حاشيته على سنن أبي داود ١٢/ ٣٢٣: (وهذا أعدلُ الأقوال، وبه يجتمع شملُ الأدلة، وتتفق الأحاديث في هذا الباب).
ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في الجواب الصحيح ٢/ ٢٩٨: (ومَنْ لم تقُمْ عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال - أي أطفال المشركين - والمجانين وأهل الفترات، فهؤلاء فيهم أقوال: أظهرها: ما جاءت به الآثار أنهم يُمتحنون يوم القيامة، فيَبعث اللَّه إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العقاب).
ورجح هذا القول الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره ٣/ ٣٠ فقال: (ومنهم من ذهب إلى أنهم يُمتحنون يوم القيامة في العرصات، فمَن أطاع دخل الجنة، وانكشف علمُ اللَّه فيه بسابق السعادة، ومَن عصى دخل النار داخرا، وانكشف علمُ اللَّه فيه بسابق الشقاوة، وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الإعتقاد، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد)، وقد حكاه السيوطي في الحاوي للفتاوي ٢/ ١٩٢ عن الحافظ ابن حجر -رحمهما اللَّه تعالى-، وصححه واعتمده.

٢٠) فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلَا شِقَاقِ فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
٢١) وَذَاكَ نَاجٍ مِن عَذَابِ النَّارِ وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
٢٢) وَمَنْ بِهِمْ وَبِالْكِتَابِ كَذَّبَا وَلَازَمَ الإعْرَاضَ عَنهُ والإبَا
٢٣) فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلَا العَهْدَيْنِ مُسْتَوجِبٌ لِلخِزْيِ في الدَّارَيْنِ

(وبعد هذا) أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم، ثم فطَرَهم وجبلهم على الإقرار به، وخلَقَهم شاهدين به (رسْله) بإسكان السين للوزن، مفعولُ أَرسَلَ مقدم (قد أرسلا) بألف الإطلاق (لهم) أي إليهم (وبالحق) متعلق بأنزل، أي: بدين الحق (الكتاب) جنسٌ يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل (أنزلا) بألف الإطلاق، والأمر الذي أرسل اللَّه تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو (لكي بذا العهد) الميثاق الأول (يذكروهم) تجديدًا له، وإقامة لحجة اللَّه البالغة عليهم (وينذروهم) عقاب اللَّه إن هم عصوه ونقضوا عهده (ويبشروهم) بمغفرته ورضوانه إن هم وَفَوْا بعهده، ولم ينقضوا ميثاقه، وأطاعوه وصدقوا رسله.

والحكمة في ذلك لـ(كي لا يكون حجة) على اللَّه ﷻ (للناس، بل لله) على جميع عباده (أعلى حجة) أبلغها وأدمغها (عز) سلطانه (وجل) شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ -وهو خاتم الرسل، والمُصدِّقُ لما جاءوا به، وكتابه مصدقٌ لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمن عليه-: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن

﴿قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٣ - ١٦٥].

(**فمن يصدِّقهم**) يعني الرسل (**بلا شِقَاق**) تكذيب، ولا مخالفة (**فقد وَفَى**) لربه ﷻ (**بذلك الميثاق**) العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين، ولكن هم جند اللَّه الغالبون المنصورون في الدنيا، وحزبه المفلحون الفائزون في الآخرة، وجواب الشرط (**فذاك ناج من عذاب النار**) إذ لم يرتكب أسباب دخولها من معصية اللَّه وتكذيب رسله، كما ارتكب ذلك من خُلق لها (**وذلك الوارث عقبى الدار**) وهي الجنة، لفعله أسبابها التي أمره اللَّه ﷻ بها، من الوفاء بعهد اللَّه وميثاقه، وتصديق رسله وكتبه، والعمل بجميع طاعته -تبارك وتعالى- (**ومَن بهم**) أي بالرسل (**وبالكتاب**) أي الكتب التي أنزل اللَّه عليهم ليبلغوها إلى عباده، ويُبينوها ليعملوا بما فيها (**كَذَّبا، ولازم الإعراض عنه**) عما أرسل اللَّه به رسله (**والإبا**) أي الامتناع، وهم الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠] الآيات وغيرها، وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] وغير ذلك من الآيات، وجواب الشرط (**فذاك**): أي المكذب بالكتاب، وبما أَرسل اللَّه تعالى به رسله، الآبي منه، المعرض عنه، المصرُّ على ذلك حتى مات عليه هو (**ناقضٌ كلا العهدين**) الميثاق الذي أخذه اللَّه عليه وفَطَرَهُ على الإقرار به،

وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة (مستوجبٌ) بفعله ذلك (للخزي في الدارين) أي في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢].

وقد وفى بذكر الفريقين المُوفِين بالعهد والناقضين له، وما لكلٍّ منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قولُ اللَّه ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ﴾ أي: فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله، وهم الفريق الأول ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]، وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين من طُرُق عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أنَّ لك ما في الأرض من شيء أكنت تَفْتَدِي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردتُّ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي!!**»(١).

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني الفريق الأول ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ يعني الفريق الثاني، لا واللَّه ليسوا سواء ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر اللَّه ﷻ بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق، وتناولُها للميثاق المذكور من باب أولى ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ مِن صلة الأرحام، ومن الإيمان باللَّه

---

(١) سبق تخريجه.

ورسله، وعدم التفريق بين أحد منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على قدر اللَّه، وعلى ملازمة طاعته، وعن معصيته، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة، وبيَّن جزاءهم عليها والعياذ باللَّه تعالى، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] فسبحان اللَّه وبحمده، ما أبلغ حكمته، وأعدل حكمه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

فَصْلٌ فِي انْقِسَامِ التَّوْحِيدِ إِلَى نَوْعَيْنِ
وَبَيَانِ النَّوْعِ الأَوَّلِ وَهُوَ تَوْحِيدُ المَعْرِفَةِ وَالإِثْبَاتِ

٢٤) أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ

٢٥) إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ ... وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ

٢٦) إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وعَلَا ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَا

(أول واجب) فرَضَه اللَّه ﷻ (على العبيد) هو (معرفة الرحمن) أي: معرفتهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له، وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فَطَرهم شاهدين مقرين به، ثم أرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبهم عليهم، (إذ) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم -تبارك وتعالى- بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمع أمر وهو: خطاب اللَّه ﷻ

المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به، ولا يخرج منه إلا بضده، ولا يُزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به، ولا يُخلَّد في النار ويُحرَم الجنة إلا بضده، ولم تَدْعُ الرسل إلى شيء قبله، ولم تَنْه عن شيء قبل ضده.

(وهو) أي: التوحيد (نوعان)(١):

(١) دليل العلماء على تقسيم توحيد اللَّه تعالى إلى ثلاثة أقسام هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات هو استقراء القرآن الكريم، وفي ذلك يقول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٣/ ١٧): «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد اللَّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: توحيده في ربوبيته. . الثاني: توحيده -جلَّ وعلا- في عبادته. . النوع الثالث: توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته».
ومن السلف - رحمهم اللَّه- من يقسم التوحيد إلى قسمين: فيجعل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات قسمًا واحدًا يسميه بـ(توحيد المعرفة والإثبات)، ويسمي توحيد الألوهية: (توحيد الطلب والقصد)، وهو ما جرى عليه المؤلف هنا، ومن السلف الذين نُقل عنهم تقسيم التوحيد إلى ما ذكرنا: الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ) في الفقه الأبسط ص٥١، والإمام أبو يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ)، والإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ) في عقيدته المشهورة بالطحاوية، والإمام أبو عبد اللَّه ابن بطّة العكبري (ت٣٨٧هـ) في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، والإمام الحافظ ابن مندة (ت٣٩٥هـ) في كتابه التوحيد، وهذا التقسيم الأخير هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري (٤٨١)رحمه اللَّه تعالى، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، وابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) وغيرهم.
يقول الشيخ العلامة بكر أبو زيد -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه التحذير من مختصرات الصابوني ص ٣٠: (وهذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره=

- الأول: **التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي**، المتضمن إثبات صفات الكمال لله ﷻ[1]، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

- والثاني: **التوحيد الطلبي القصدي الإرادي**، وهو: عبادةُ اللَّه تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه، ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وألَّا يجعل له عِدلًا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية.

* والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين، لأنه إما خبرٌ عن اللَّه ﷻ، وما يجب أن يُوصف به، وما يجب أن يُنزه عنه، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وإما دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الطلبي الإرادي، وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكمِّلاته، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يُكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده، وإما خبرٌ عن أهل الشرك، وما فعل بهم

= الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم اللَّه الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلامَ العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء). وانظر النقول عن الأئمة في ذلك: في كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص٣٤ وما بعدها د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

(١) وأفعاله الدالة على ربوبيته هي من جنس أوصاف كماله الدالة على عظمته وجلاله.

في الدنيا من النكال، وما يفعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

* اقرأ في الجمع بين التوحيدين: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١ - ٨]، وآية الكرسي، وقل هو اللَّه أحد، وغيرها من القرآن.

* والكلام في هذا الفصل على النوع الأول: وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو: **(إثباتُ)** بالرفع، بَدَلُ بعضٍ من قولنا **(نوعان)** أي الأول منهما **(إثباتُ ذاتِ الربِّ جل وعلا)** فإن هذه العوالِمَ العلويَّات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها، ويتصرف فيها ويدبرها، ومحالٌ أن تُوجَد بدون موجد، ومحالٌ أن تُوجِد أنفسها، قال اللَّه تبارك وتعالى- في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية-: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾: أي من غير رب؟!، ومعناه أخُلقُوا من غير شيء خلقهم فوُجِدوا بلا خالق؟!، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بُدَّ له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يَجُزْ أن يوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: لأَنْفُسِهِم؟!، وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجودَ له كيف يخلق؟! فإذا بَطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا، فليؤمنوا به،

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟! وهذا في البطلان أشد وأشد، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يُوجَد بنفسه فضلًا عن أن يكون موجِدا لغيره، وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله ﷻ، وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾: أي ولكن عدمُ إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك، وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين(١).

* وكثيرًا ما يرشد الله -تبارك وتعالى- عبادَه إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية، كما قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] أي: فيها من الآيات الدالةِ على عظمةِ خالقها، وقدرتِه الباهرة، مما قد ذَرَأَ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال والقفار، والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جُبِلوا عليه من الإرادات والقُوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحِكَم في وضع كلِّ عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَلم أنه إنما لِيُنَتْ مفاصلُه للعبادة.

* وكذا ما في ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة، إذ كانت نطفةً، ثم

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٧٣١، ٢٨٨٥، ٣٧٩٨، ٤٥٧٣)، وصحيح مسلم (٤٦٣).

علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، إلى أن نُفخ فيه الروح، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات ٤٧ - ٤٨]، يقول تعالى منبِّها على خلق العالم العلوي والسفلي: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ أي: جعلناها سقْفا محفوظا رفيعا ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾: أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثَّوري وغيرُ واحد[1]، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن كثير: أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾: أي جعلناها فراشًا للمخلوقات ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾: الباسطون نحن، قال ابن عباس: نعم ما وطَّأتُ لعبادي، ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾: صنفين

(١) ربما يظن ظانٌ أن تفسيرَ السلف للأَيْد هنا بمعنى القوة دالٌ على وقوعهم في تأويل بعض الصفات الإلهية، وصرفهم لها عن معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي، ظنًا منه أنهم فسروا اليد المضافة إلى الرب تعالى بالقوة، وهذا الظن في غير محله، لأن المذكور في الآية ليس هو اليد، وإنما هو الأَيْد نظير قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ [ص:١٧] أي ذا القوة، والأيد مصدر (آدَ الرجل يئيد أيدًا) أي قَوِيَ، هكذا قال المفسرون، قال أبو بكر الرازي في مختار الصحاح - (١ / ٧٤٥) (مادة: يدي)-: (قوله تعالى: ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ أي بقوة، وهو مصدر آدَ يئيد، إذا قَوِي، وليس جمعًا ليدٍ، وقد نصَّ الأزهري على أن هذه الآية في الأَيْدِ بمعنى المصدر، ولا أعرف أحدًا من أئمة اللغة أو التفسير ذهب إلى ما ذهب إليه الجوهري من أنها جَمْعُ يَدٍ). انتهى، ويقول العلامة الشنقيطي -رحمه اللَّه تعالى- في أضواء البيان - (٧ / ٤٤٢): (قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾، لَيْسَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ الْمَعْرُوفَةِ بِهَذَا الِاسْمِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: بِأَيْدٍ لَيْسَ جَمْعَ يَدٍ: وَإِنَّمَا الْأَيْدُ الْقُوَّةُ، وَالْأَيْدُ، وَالْآدُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ، وَرَجُلٌ أَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، أَيْ قَوَّيْنَاهُ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَمْعُ يَدٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا فَاحِشًا، وَالْمَعْنَى: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِقُوَّةٍ)، وانظر للمزيد: مفردات ألفاظ القرآن، واللسان (مادة: أَيَدَ)، والإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص ١٠٨، ١٠٩)، وفيه تفصيلٌ مفيد.

ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له . اهـ. ابن كثير[١] والبغوي[٢].

* ففي هذه الأشياء دلالاتٌ بينةٌ على وحدانية اللَّه تعالى لقوم يعقلون، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقًا وصانعًا، غنيًّا بذاته، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، قائمٌ بذاتِه وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قديرٌ لذاتِه وكلُّ ما سواه عاجزٌ لا قدرةَ له إلا بما أقْدره، متَّصفٌ بجميع صفات الكمال، وكلُّ ما سواه فلازمه النقص، وليس الكمال المطلق إلا له، وهو اللَّه تبارك وتعالى.

* والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تُحصى، وأجلُّ من أن تُستقصى، وفيها كفاية وغنى يُغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها.

* واللَّه -تبارك وتعالى- أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يُحتاج في معرفة وجوده إلى شواهدَ واستدلالات، فذات المخلوق نفسُه شاهدةٌ بوجود خالقه، حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئًا، فلِمَ يذهب يستدل بغيره؟! وفي نفسه الآية الكبرى، والبرهان الأعظم، وشأنُ اللَّه تعالى أكبر من ذلك.

* ولم يَجحد وجودَه تعالى مَن جحده من أعدائه إلا على سبيل

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٧/ ٤٢٤).

(٢) تفسير البغوي - (٧/ ٣٧٩).

المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] فكيف بوجود الخالق -تبارك وتعالى-؟!.

* ومناظرةُ الرسل لأعداء اللَّه في الباب يطول ذكرها، ومقاماتُ نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تُذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أنَّ أُمتَّه لم يكن فيهم من يَجحد الخالق، بل هم مُقرُّون به، وبربوبيته، غيرَ أنَّهم لم يقْدِروه حقَّ قدْره، بل عبَدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، والزمر: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٩]، إلى غير ذلك من الآيات، كما سيأتي بسطُه إن شاء اللَّه تعالى.

* وعن أبي حنيفة -رحمه اللَّه تعالى- أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى؟! فقال لهم: دعوني، فإني مُفكِّرٌ في أمر قد أُخبرت عنه، ذَكروا لي سفينةً في البحر موقَّرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسُها ولا يسوقُها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواجَ العظام حتى تخلُص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها، من غير أن يسوقَها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل!! فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحُكمة ليس لها صانع!! فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

* وسُئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تَـأَمَّـلْ فِـي رِيَـاضِ الأَرْضِ وَانْـظُـرْ إلَـى آثَـارِ مَـا صَـنَـعَ الـمَـلِـيـكُ
عُـيُـونٌ مـن لُـجَـيـنٍ شَـاخِـصَـاتٌ بِـأَحْـدَاقٍ هِـيَ الـذَّهَـبُ الـسَّـبِـيـكُ
عَـلَـى قُـضْـبِ الـزَّبَـرْجَـدِ شَـاهِـدَاتٌ بِـأَنَّ الـلَّـهَ لَـيْـسَ لَـهُ شَـرِيـكُ

* وقال ابن المعتز ويُروى لأبي العتاهية -رحمهما اللَّه تعالى-:

فَـيَـا عَـجَـبًـا كَـيْـفَ يُـعْـصَـى الإلَـهُ أَمْ كَـيْـفَ يَـجْـحَـدُهُ الـجَـاحِـدُ
وِلِـلَّـهِ فِـي كُـلِّ تَـحْـرِيـكَـةٍ وَفِـي كُـلِّ تَـسْـكِـيـنَـةٍ شَـاهِـدُ
وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدُ

أسماء اللَّه الحسنى

* **وأسماء اللَّه الحسنى**: هي التي أثبتها تعالى لنفسه، وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ، وآمن بها جميع المؤمنين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مَن أحصاها دخل

الجنة، وهو وِتْرٌ يُحب الوِتْر» أخرجاه في الصحيحين[١].

* وقد حرَّرَها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في التلخيص الحبير، تسعة وتسعين اسمًا من الكتاب العزيز، منطبقةً على لفظ الحديث ورتبها هكذا: اللَّه، الرب، الإله، الواحد، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الحي، القيوم، العلي، العظيم، التواب، الحليم، الواسع، الحكيم، الشاكر، العليم، الغني، الكريم، العفو، القدير، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، المولى، النصير، القريب، المجيب، الرقيب، الحسيب، القوي، الشهيد، الحميد، المجيد، المحيط، الحفيظ، الحق، المبين، الغفار، القهار، الخلاق، الفتاح، الودود، الغفور، الرءوف، الشكور، الكبير، المتعال، المقيت، المستعان، الوهاب، الحفي، الوارث، الولي، القائم، القادر، الغالب، القاهر، البَرّ، الحافظ، الأحد، الصمد، المليك، المقتدر، الوكيل، الهادي، الكفيل، الكافي، الأكرم، الأعلى، الرزاق، ذو القوة، المتين، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذو الطول، رفيع الدرجات، سريع الحساب، فاطر السموات والأرض، بديع السموات والأرض، نور السموات والأرض، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام[٢] اهـ. وقد عدَّها جماعة غيرُ مَنْ ذكرنا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) انظر التلخيص الحبير (٤/ ٤٢٥)، قلت: قد اقتصر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في إحصاء الأسماء الحسنى - على تحرير الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، غير أن المتأمل يجد أن عددًا من الأسماء التي تضمنها هذا الإحصاء لم ترد مطلقة في النصوص التي وردت بها، وإنما=

= وردت فيها مقيدة بإضافات تجعلها إلى الوصف أقرب منها إلى الاسم، ومن المعلوم أن العلمية هي أهم ما يميز الاسم عن الوصف، والإطلاق عن الإضافة والتقييد مما يقوي إرادة العلمية، ولهذا عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه العقيدة الأصفهانية - ١٩ أسماء اللَّه الحسنى بقوله: (الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يُدعى اللَّه بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها)، وبتطبيق هذا التعريف على الأسماء التي ذكرها المؤلف يتبين أن عددًا منها قد لا يمكن إدراجه في أسماء اللَّه تعالى وهي: (المستعان، الحفي، القائم، الغالب، الحافظ، الهادي، الكفيل، الكافي، ذو القوة، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، رفيع الدرجات، سريع الحساب، فاطر السموات والأرض، بديع السموات والأرض، نور السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام) نظرًا لكون هذه الأسماء وردت في القرآن الكريم مقيدة مضافة، ولعل اقتصار الحافظ على استخراج التسعة والتسعين اسمًا من القرآن الكريم هو الذي حمله على التوسع في ذكر هذه الأسماء المقيدة دون غيرها من الأسماء الثابتة التي وردت في السنة الصحيحة. ومع ذلك فلابد من الإشارة إلى أن كثيرًا من العلماء ذكر بعض هذه الأسماء المقيدة في عداد أسماء اللَّه تعالى، ولم يعدُّوا الإضافة أو التقييد في الإسم مانعًا من اعتباره اسما من أسماء اللَّه تعالى.

وقد ورد في السنة النبوية عددٌ من الأسماء الحسنى، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ثمانية عشر اسمًا من السُّنَّة - في كتابه القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى - ص١٦-: (الجميل، الجواد، الحكم، الحييُ، الرب، الرفيق، السُّبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر).

ولعل من أفضل مَن اجتهد في ذلك د. محمود عبد الرازق الرضواني في كتابه (أسماء اللَّه الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة) حيث خلص من تتبعه لنصوص الكتاب والسنة وتطبيقه القواعد التي يعتبر بها في جعل الاسم من أسماء اللَّه، إلى تسعة وتسعين اسمًا مرقمة على النحو التالي ص٣١: (هُوَ (١) اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ (٢) الرَّحْمَنُ، (٣) الرَّحِيمُ، (٤) المَلِكُ، (٥) القُدُّوسُ، (٦) السَّلامُ، (٧) المُؤْمِنُ، (٨) المُهَيْمِنُ، =

كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم.

* واعلم أن أسماء اللَّه ﷻ ليست بمنحصرةٍ في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة، ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، بل ولا فيما عَلِمَتْه الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه - عند أحمد وغيره - عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**ما أصاب أحدًا قط هَمٌّ، ولا حُزْنٌ، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن**

= (٩) العَزِيزُ، (١٠) الجَبَّارُ، (١١) المُتَكَبِّرُ، (١٢) الخَالِقُ، (١٣) البَارِئُ، (١٤) المُصَوِّرُ، (١٥) الأَوَّلُ، (١٦) الآخِرُ، (١٧) الظَّاهِرُ، (١٨) البَاطِنُ، (١٩) السَّمِيعُ، (٢٠) البَصِيرُ، (٢١) المَوْلَى، (٢٢) النَّصِيرُ، (٢٣) العَفُوُّ، (٢٤) القَدِيرُ، (٢٥) اللَّطِيفُ، (٢٦) الخَبِيرُ، (٢٧) الوِتْرُ، (٢٨) الجَمِيلُ، (٢٩) الحَيِيُّ، (٣٠) السِّتيرُ، (٣١) الكَبِيرُ، (٣٢)المُتَعَالُ، (٣٣) الوَاحِدُ، (٣٤) القَهَّارُ، (٣٥) الحَقُّ، (٣٦) المُبِينُ، (٣٧) القَوِيُّ، (٣٨) المَتِينُ، (٣٩) الحَيُّ، (٤٠) القَيُّومُ، (٤١) العَلِيُّ، (٤٢) العَظِيمُ، (٤٣) الشَّكُورُ، (٤٤) الحَلِيمُ، (٤٥) الوَاسِعُ، (٤٦) العَلِيمُ، (٤٧) التَّوابُ، (٤٨) الحَكِيمُ، (٤٩) الغَنِيُّ، (٥٠) الكَرِيمُ، (٥١) الأَحَدُ، (٥٢) الصَّمَدُ، (٥٣) القَرِيبُ، (٥٤) المُجيبُ، (٥٥) الغَفُورُ، (٥٦) الوَدودُ، (٥٧) الوَلِيُّ، (٥٨) الحَميدُ، (٥٩) الحَفيظُ، (٦٠) المَجيدُ، (٦١) الفَتَّاحُ، (٦٢) الشَّهيدُ، (٦٣) المُقَدِّمُ، (٦٤) المُؤخِّرُ، (٦٥) المَلِيكُ، (٦٦) المُقْتَدِرُ، (٦٧) المُسَعِّرُ، (٦٨) القَابِضُ، (٦٩) البَاسِطُ، (٧٠) الرَّازِقُ، (٧١) القَاهِرُ، (٧٢) الديَّانُ، (٧٣) الشَّاكِرُ، (٧٤) المَنَّانُ، (٧٥) القَادِرُ، (٧٦) الخَلَّاقُ، (٧٧) المَالِكُ، (٧٨) الرَّزَّاقُ، (٧٩) الوَكيلُ، (٨٠) الرَّقيبُ، (٨١) المُحْسِنُ، (٨٢) الحَسيبُ، (٨٣) الشَّافِي، (٨٤) الرِّفيقُ، (٨٥) المُعْطِي، (٨٦) المُقيتُ، (٨٧) السَّيِّدُ، (٨٨) الطَّيِّبُ، (٨٩) الحَكَمُ، (٩٠) الأَكْرَمُ، (٩١) البَرُّ، (٩٢) الغَفَّارُ، (٩٣) الرَّءوفُ، (٩٤) الوَهَّابُ، (٩٥) الجَوَادُ، (٩٦) السُّبوحُ، (٩٧) الوَارِثُ، (٩٨) الرَّبُّ، (٩٩) الأَعْلَى، (١٠٠) الإِلَهُ.

أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علمتَه أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك[١]، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي، إلا أذهب اللَّه حُزنَه وهمَّه، وأبدله مكانه فرحًا» فقيل: يا رسول اللَّه أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»[٢].

* واعلم أن من أسماء اللَّه ﷻ ما لا يُطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله، فإذا أُطلق وحده أَوْهم نقصًا -تعالى اللَّه عن ذلك-، فمنها: المعطي المانع، والضَّار النافع، والقابض الباسط، والمُعزُّ المُذل، والخافض الرافع،

---

(١) يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل ٢٩: (وقوله «أو استأثرت به في علم الغيب عندك» دليلٌ على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها غيره، وعلى هذا فقوله «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي: له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال: لفلان مائة عبد أعدَّهم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد).

(٢) مسند أحمد برقم (٣٧١٢)، وصحيح ابن حبان برقم (٩٧٢)، المعجم الكبير للطبراني برقم (١٠٣٥٢)، وعمل اليوم والليلة لابن السني برقم (٣٣٩)، وصححه ابن القيم - رحمه اللَّه تعالى- في بدائع الفوائد ١/ ١٧٤، والجواب الكافي ص ١٤٤ وغيرها، وابن الأمير الصنعاني -رحمه اللَّه تعالى- في الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف ص ٤٩، وحكم بثبوته ابن الوزير -رحمه اللَّه تعالى- في إيثار الحق على الخلق ص ١٥٩، وصححه الألباني -رحمه اللَّه تعالى- صحيح الترغيب والترهيب - (٢/ ١٧١).

فلا يُطلق على اللَّه ﷻ المانعُ الضَّارُ القابضُ المذلُّ الخافضُ كُلًا على انفراده، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك: المنتقم، لم يأت في القرآن إلا مضافًا إلى ذو، كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] أو مقيدًا بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

* **قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى-**: «إن اللَّه تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظنَّ من الجُهال المصنِّفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم، تقْشَعِرُّ منه الجلودُ، وتكاد الأسماع تُصمُّ عند سماعه، وغرَّ هذا الجاهل أنه ﷻ أطلق على نفسه هذه الأفعال، فاشتق له منها أسماء!! -وأسماؤُه تعالى كلُّها حسنى- فأدخلها في الأسماء الحسنى، وقرَنَها بالرحيم الودود الحكيم الكريم!! وهذا جهلٌ عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا، بل تُمدح في موضع، وتُذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على اللَّه تعالى مطلقًا، فلا يُقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يُشتقُّ له منها أسماء يُسمى بها، بل إذا كان لم يأتِ في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم، ولا الفاعل ولا الصانع، لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يُوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ؟! ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي، والآتي، والجائي، والذاهب، والقادم، والرائد، والناسي، والقاسم، والساخط، والغضبان،

واللاعن، إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقلٌ.

* **والمقصود**: أن اللَّه ﷻ لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق ﷻ؟؟»[1].

* **واعلم أن دلالة أسماء اللَّه تعالى حقٌّ على حقيقتها**، مطابقةً وتضمُّنًا والتزامًا[2]، فدلالة اسمه تعالى الرحمن على ذاته ﷻ مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمُّنًا، وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه -تبارك وتعالى-.

* **وليست أسماءُ اللَّه تعالى غيرَه**، كما يقولُه الملحدون في أسمائه -تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا-، فإن اللَّه ﷻ هو الإله، وما سواه عبيد، وهو الرب، وما سواه مربوب، وهو الخالق، وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء، وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء، وما سواه فانٍ، فلو كانت أسماءُ اللَّه تعالى غيرَه - كما زعموا - لكانت مخلوقةً، مربوبة، محدثة، فانية، إذ كل ما

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين - (١ / ٤٨٦).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٢٠٧) - موضحًا معنى كل من هذه الدلالات الثلاث-: (فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على جميع المعنى الذي عناه المتكلم، ودلالة التضمن دلالة اللفظ على ما هو داخل في ذلك المعنى، ودلالة الالتزام دلالة اللفظ على ما هو لازمٌ لذلك المعنى، خارج عن مفهوم اللفظ).

سواه كذلك - تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - .

* **وأسماءُ اللَّه غيرُ مخلوقة**، قال عثمان بن سعيد الدارمي - نقمة اللَّه على بشر المريسي وذويه-: «باب الإيمان بأسماء اللَّه تعالى، وأنها غير مخلوقة» قال: «وأسماء اللَّه تعالى صفاتُه، ليس شيءٌ منها مخالفًا لصفاته، ولا شيءٌ من صفاته مخالفًا لأسمائه، فمَن ادَّعى أن صفةً من صفات اللَّه مخلوقةٌ أو مستعارةٌ فقد كَفَر وفَجَر، واللهُ -تعالى وتقدس اسمه- كلُّ أسمائه سواء، لم يزلْ كذلك، ولا يزال، لم تَحدُث له صفةٌ ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقًا قبل المخلوقين، ورازقًا قبل المرزوقين، وعالمًا قبل المعلومين، وسميعًا قبل أن يَسمع أصواتَ المخلوقين، وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة، -وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا-، ثم قال: فهذه كلُّها أسماء اللَّه تعالى، لم تَزلْ له كما لم يَزَلْ، بأيِّها دعوتَ فإنما تدعو اللَّه نفسه، قال: ولن يدخلَ الإيمانُ قلبَ رجل حتى يعلم أن اللَّه تعالى لم يزل إلهًا واحدًا بجميع أسمائه وجميع صفاته، لم يَحدُث له منها شيء، كما لم تزل وحدانيته»انتهى كلامه - رحمه اللَّه تعالى- بتصرف[1].

* واختلفِ العلماء في معنى قوله ﷺ: «**من أحصاها**»، فقال البخاري وغيره من المحققين معناه: حفظها، وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى[2]، وقيل أحصاها: عمل بها، فإذا قال: الحكيم: سلَّم لجميع

(١) انظر نقض الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي الجهمي العنيد ١/ ١٦١.
(٢) وهو في صحيح البخاري بلفظ (لا يحفظها أحد) برقم (٦٠٤٧) وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

أوامره وأقداره، وأنها جميعَها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: القدوس: استحضر كونه مقدَّسًا منزَّهًا عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء ابنُ عقيل.

* **وقال ابن بطال:** «طريقُ العمل بها: أنَّ ما كان يَسوغُ الاقتداءُ به كالرحيم والكريم فيمرِّن العبدُ نفسَه على أن يصح له الاتصاف بها -يعني- فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرارُ بها، والخضوعُ لها، وعدمُ التحلِّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطَّمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة اهـ).

والظاهر أن معنى حفظها واحصائها: هو معرفتها، والقيام بعبوديتها، كما أن القرآن لا ينفع حفظُ ألفاظه مَن لا يعمل به، بل جاء في المُرَّاق من الدين أنهم: يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم[1].

* وقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾، أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمْتِ الحفر، وأقوال السلف

---

(١) وهم الخوارج الذين تواترت الأحاديث الصحيحة بذمهم وبيان عدم انتفاعهم بما هم عليه من كثرة القراءة والعبادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٩ / ٨٦): (وقد استفاضت الأحاديث الصحيحة فى وصفهم وذمهم والأمر بقتالهم عن النبى ﷺ، قال أحمد بن حنبل: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه)، وسيعرف بهم المؤلف عند قوله في النظم: مبيد كل خارجي مارق. -الحاشية المتعلقة بالخوارج.

في الإلحاد متقاربة، والإلحاد يعمُّها، وهو ثلاثة أقسام:

١) **الأول: إلحاد المشركين**: وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء اللَّه تعالى عما هي عليه، وتسميتهم أوثانهم بها، مضاهاة لله ﷻ، ومشاقة له وللرسول ﷺ.

٢) **الثاني: إلحاد المشبهة**: الذين يكيِّفون صفات اللَّه ﷻ، ويشبهونها بصفات خلقه، مضادةً له تعالى، وردًا لقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وهو مقابلٌ لإلحاد المشركين، فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق، وسوَّوه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة، وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

٣) **الثالث: إلحاد النفاة، وهم قسمان**:

١) **قسم**: أثبتوا ألفاظ أسمائه - تعالى- دون ما تضمنته من صفات الكمال، فقالوا: رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا، وعطَّلوها عن معانيها، وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى[1]، وهم في الحقيقة كمن بعدهم، وإنما أثبتوا

---

(١) وهم المعتزلة، يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ص ١٧٢: (أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظًا مجردة لا معاني لها لم تدل على المدح، وقد وصفها اللَّه سبحانه بأنها حسنى كلها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على=

الألفاظ دون المعاني تسترا، وهو لا ينفعهم.

٢) وقسم: لم يتستروا بما تستَّر به إخوانهم، بل صرحوا بنفي الأسماء، وما تدل عليه من المعاني، واستراحوا من تكلف أولئك!، ووصفوا اللَّه تعالى بالعدم المحض، الذي لا اسم له ولا صفة، وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى، مكذبون بالكتاب، وبما أَرسل اللَّه به رسله[1]، وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفِّر مقابله، وهم كما قالوا، كلهم كفار بشهادة اللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات، الواقفين مع كلام اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ.

(صفاته العُلى) أي: وإثبات صفاته العُلى، التي وصف بها نفسه تعالى، ووصفه بها نبيه ﷺ، من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من صفات

= أوصاف الكمال، ولهذا لما سمع بعض العرب قارئا يقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والله غفور رحيم، قال: ليس هذا كلام اللَّه تعالى! فقال القارئ: أتكذِّب بكلام اللَّه تعالى؟! فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام اللَّه، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال الأعرابي: صدقت، عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع، ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب أو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه، وفي السنن من حديث أبي بن كعب: (قراءة القرآن على سبعة أحرف) ثم قال: (ليس منهن إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب) إسناده صحيح، ولو كانت هذه الأسماء أعلامًا محضة لا معنى لها لم يكن فرق بين ختم الآية بهذا أو بهذا).

(١) وهم الجهمية.

الذات، وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعزة، والعلو وغيرها، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ ولم يشتق منه اسمًا، كحُبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائه عن عباده المؤمنين، ورضاه لهم الإسلام دينًا، وكراهته انبعاث المنافقين، وسخطه على الكافرين، وغضبه عليهم، وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام، ويديه المبسوطتين بالإنفاق، وغير ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة، والفطر السليمة.

إِثْبَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

٢٧) وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ

٢٨) بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلائِقِ مُبْدِعُهُمْ بِلَا مِثَالٍ سَابِقِ

(وأنه الرب) أي: وإثبات ربوبيته، بأنه ربُّ كل شيء ومليكه، ربُّ الأولين والآخرين، ربُّ المشرقين وربُّ المغربين، ربُّ السموات والأرضين وما بينهما، ربُّ العالمين، ربُّ الآخرة والأولى، مالك الملك، فلا شريك له في ملكه.

عَلَّم وأَلْهَم، ودبَّر فأحكم، وقضى فأبرم، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، ولا إله غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

(الجليل) أي: المتَّصف بجميع نعوت الجلال، وصفات الكمال،

المنزَّه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والمثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى (**الأكبر**) الذي السموات والأرض وما فيهن وما بينهما في كفِّهِ كخردلة في كف آحاد عباده[١]، له العظمة والكبرياء، وهو أكبر كل شيء شهادة، لا منازعَ له في عظمته وكبريائه، ولا ينبغي العظمة والكبرياء إلا له، ومن نازعه في صفة منهما أذاقه عذابه[٢]، وأحلَّ عليه غضبه، ومن يَحلُلْ عليه غضبُه فقد هوى.

(**الخالق**) أي: المُقَدِّر، والمُقَلِّب للشيء بالتدبير إلى غيره[٣]، كما قال

(١) جاء الخبر بذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم) أخرجه الطبري في التفسير برقم (٣٠٤٥٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة برقم (١٠٩٠).

(٢) ورد هذا المعنى في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٦٨٤٦) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ». وهو في سنن أبي داود برقم (٤٠٩٢) وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بلفظ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ» وصححه الألباني في تحقيقه له ٤٠٩٠، وللحديث لفظ آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - فيما يحكيه عن ربه عز وجل - قال: (الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته). أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٧٥٨).

(٣) جاء في تاج العروس للزبيدي (٢٥ / ٢٥١): (الخَلْقُ في كَلام العَرَبِ على وَجْهَيْنِ: الإِنشاءُ على مِثالٍ أَبْدَعَه، والآخَرُ: التَّقْدِيرُ. وكُل شَيْءٍ خَلَقه اللَّهُ فهو مُبْتَدِئُه عَلَى غيرِ مِثالٍ سُبِقَ إِليه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ و ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، قال ابْنُ الأَنْبارِيّ: مَعْناه أَحْسَنُ المُقَدِّرِينَ، وقولُه تَعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تُقَدِّرُونَ كَذِبًا، وقولُه=

تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فاللَّه -تبارك وتعالى- الخالق، وكل ما سواه مخلوق له، مربوب له، لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض، ومن فيهن وما بينهما، وحركات أهلها وسكناتهم، وأرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، كلُّها مخلوقات له، محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله، وموجده، ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها، وإليه منتهاها ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

(البارئ) أي: المنشِئُ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبَرء هو: الفَرْي وهو: التنفيذ وإبراز ما قدَّره وقرَّره إلى الوجود، وليس كل من قدّر شيئًا ورتَّبه يقدِر على تنفيذه وإيجاده سوى اللَّه ﷻ كما قيل:

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ   وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

أي: أنت تُنفذ ما خلقت أي قدَّرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد، فالخلق التقدير، والفَرْيُ التنفيذ.

= تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾ خَلْقُه: تَّقْدِيرُه، ولم يُرِدْ أَنَّه يُحْدِثُ مَعْدُومًا.
والخالِقُ فِيْ صِفاتِه تَعالَى وعَزَّ: المُبْدِعُ للشَّيْءَ، المُخْتَرِع على غَيرِ مِثالٍ سَبَقَ، وقالَ الأزْهَرِي: هو الَّذِي أوْجَدَ الأشْياءَ جَمِيعَها بعدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً، وأَصْلُ الخَلْقِ: التَّقْدِير، فهُوَ باعْتِبار ما مِنْهُ وجودُها مُقَدِّرٌ، وباعْتِبارِ الإِيجادِ على وَفْقِ التقْدِيرِ خالِقٌ).

(المصوِّر) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أي الذي ينفذ ما يريد إيجادَه على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورة الأمر أو مثاله، فأولًا يكون خلقًا، ثم بَرءًا، ثم تصويرًا، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-: أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨][(١)].

(باري البرايا) جميع الموجودات (منشئ الخلائق) أي: جميع المخلوقات (مبدعهم) أي: خالقهم، ومنشئهم، ومحدثهم، يفسر ذلك (بلا مثال سابق) أي: بلا نظير سالف، ومنه سُميت البدعةُ بدعةً، لأنها على غير مثال سابق في الشرع، وقال اللَّه تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: محدثها، وموجدها على غير مثال سبق، وهذا

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٨/ ٨٠).
يقول الإمام القرطبي -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره - (١٨ / ٤٨): (الْخَالِقُ: هنا المقدر، والْبَارِئُ: المنشئ المخترع. والْمُصَوِّر: مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة. فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما. ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل، وخلق اللَّه الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة، وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها، ويتميز عن غيره بسمتها. فتبارك اللَّه أحسن الخالقين. وقال النابغة:

الخالق البارئ المصور في الـ ـأرحام ماء حتى يصير دما

وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير، وليس كذلك، وإنما التصوير آخرًا والتقدير أولًا والبراية بينهما).

مفسر للبيت الذي قبله، وقد تقدم الكلام عليه ولله الحمد والمنة.

٢٩) الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلَا ابْتِدَاءِ والآخِرُ الْبَاقِي بِلَا انْتِهَاءِ

(الأول) فليس قبله شيء **(المبدي)** الذي يَبدأ الخلق ثم يعيده **(بلا ابتداء)** لأوليته تعالى **(والآخر)** فليس بعده شيء **(الباقي)** وكل ما سواه فانٍ **(بلا انتهاء)** لآخريته تعالى، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: **«اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحبِّ والنَّوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقْضِ عنِّي الدَّين، وأغنني من الفقر»** رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣).

وفي الصحيحين(١) عن عمران بن حصين ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ، وعقَلْتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم فقال: **«اقبلوا البشرى يا بني تميم»** قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن فقال: **«اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم»** قالوا: قَبِلْنا يا رسول اللَّه، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: **«كان اللَّه ولم يكن شيء غيره، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكْر كلَّ شيء، وخلق السموات والأرض»** الحديث.

وقال عمر ﷺ: قام فينا النبي ﷺ مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم، وأهلُ النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. رواه البخاري(٢).

وفي حديث ابن عمر ﷺ: **«أنه تعالى يطوي السموات بيده، ثم يقول أنا الملك، أنا الملك، أنا الجبار المتكبر، أين ملوك الأرض؟، أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟»**(٣)، وفي حديث الصور: أنه ﷻ إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له، حينئذ يقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قائلا: لله الواحد القهار(٤) أي

(١) هو في صحيح البخاري فقط برقم (٦٩٨٢)، ولم أجد أحدًا عزاه إلى مسلم، وانظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (١٠٨٢٩)، وقد ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في أفراد البخاري برقم (٥٥٨).
(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٢٢٨).
(٤) نقل الحافظ ابن كثير في النهاية في الملاحم والفتن ١/ ١٤١ عن الحافظ أبي موسى المديني قوله - بعد إيراده لهذا الحديث بتمامه-: وهذا الحديث وإن كان في إسناده مَن تُكلم فيه، فعامة ما فيه يُروى مفرقًا من أسانيد ثابتة.

الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه.

* قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى-: «فمعرفة هذه الأسماء الأربعة، الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، هي أركان العلم والمعرفة، فحقيقٌ بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه، فأَوَّلِيَّةُ اللَّه ﷻ سابقةٌ على أَوَّلِيَّةِ كل ما سواه، وآخريَّتُه ثابتةٌ بعد آخريَّة كل ما سواه، فأوليَّتُه سَبْقُهُ لكل شيء، وآخريَّتُه بقاؤُه بعد كل شيء، وظاهريَّتُه سبحانه فوقيتُه وعلوُّه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهرُ الشيء هو ما علا منه، وأحاط بباطنه، وبُطونه سبحانه: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

* فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطةُ أَوَّلِيَّتِهِ وآخريته بالقَبْل والبَعْد، فكلُّ سابق انتهى إلى أَوَّلِيَّتِهِ، وكلُّ آخرٍ انتهى إلى آخريته، فأحاطت أَوَّلِيَّتُه وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهِرِيَّتُهُ وباطنيَّتُه بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهرٍ إلا واللَّه فوقَه، وما من باطنٍ إلا واللَّه دونه، وما من أَوَّلٍ إلا واللَّه قبله، وما من آخرٍ إلا واللَّه بعدَه، فالأولُ قِدَمُه، والآخِر دوامُه وبقاؤُه، والظاهرُ علُوُّه وعظمتُه، والباطنُ قربُه ودنوُّه، فسبَقَ كلَّ شيء بأَوَّلِيَّتِهِ، وبَقِيَ بعد كل شيء بآخِرِيَّتِهِ، وعلا على كلِّ شيء بظُهُورِهِ، ودَنَا من كل شيء بِبُطُونه، فلا تُواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا يَحجُب عنه ظاهرٌ باطنا، بل الباطن له ظاهر، والغيبُ عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسِّرُّ عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد،

فهو الأول في آخريَّتِه، والآخِرُ في أوليَّتِه، والظاهر في بُطُونِه، والباطن في ظهوره، لم يزل أولًا، وآخرًا، وظاهرًا، وباطنًا»(١)، ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفى وكفى -رحمه اللَّه تعالى-، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول اللَّه ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا بأوجز عبارة وأخصرها، فسبحان من خصه بجوامع الكلم ﷺ.

٣٠) الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِي   الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ الْعَلِي
٣١) عُلُوَّ قَهْرٍ وَعُلُوَّ الشَّانِ   جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
٣٢) كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ والْفَوْقِيَّهْ   عَلَى عِبَادِهِ بِلَا كَيْفِيَّهْ

(الأحد الفرد) الذي لا ضِدَّ له، ولا نِدَّ له، ولا شريك له في إلهيته وربوبيته، ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له، ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته.

* فهو أَحدٌ في إِلَهيَّتِهِ لا معبود بحق سواه، ولا يستحق العبادة إلا هو، ولذا أمرنا ألا نعبد إلا إياه، وهو أحدٌ في رُبُوبِيَّتِهِ فلا شريكَ له في ملكه، ولا مضادَّ، ولا منازع، ولا مغالب، أحدٌ في ذاته، وأسمائه، وصفاته، فلا شبيه له، ولا مثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ٤٢]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات، الكلُّ خلقُه وملكه وعبيده، وفي قبضته، وتحت تصرفه وقهره، ماضٍ فيهم حكمُه، عدلٌ فيهم قضاؤُه، نافذةٌ فيهم مشيئته، لا امتناعَ

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين (٤٧).

لهم عما قضاه، ولا خروجَ لهم من قبضتِه، ولا تحرك ذرَّة في السموات والأرض ولا تسكُن إلا بإذنه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

* وكم يقيم الحجةَ -تبارك وتعالى- على من أشرك معه إلهًا غيرَه، بأحديَّتِه في الربوبية والأسماء والصفات، وإقرار المشرك بها، وأن آلهتَه التي أشرك لا تتصف بشيء منها، ويلزمُه إفرادَه بالألوهية الملازمة للربوبية، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مُطلق القدرة، وكمالها وتمامها، الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلْقُ الخلق ولا بعثُهم في كمال قدرته إلا كنفْس واحدة، الذى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤده حفظهما، أي: لا يكرثه، ولا يثقله، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [آخر الطلاق]، والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات اللّٰه الظاهرة

والمعنوية، وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية، تدل على كمال قدرته الشاملة، التي لا يخرج عنها مثقال ذرة، كما أنه لا يعزُب عن علمه مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم، وفي حديث الاستخارة المتفق عليه: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم. .**»[١] الحديث.

(**الأزلي**)[٢] بذاته وأسمائه وصفاته، الذي لا ابتداء لأوليته، ولا انتهاء لآخريته.

* وليس شيء من أسمائه وصفاته متجددًا حادثًا[٣]، لم يكن قبل ذلك

---

(١) سيأتي تخريجه عند إيراده بتمامه فيما يأتي.

(٢) والأزلي ليس اسمًا من أسماء اللَّه تعالى، وإنما هو وصف يُخبر به عنه سبحانه، وهو نسبة إلى الأزل الذي هو القِدَم السابق على كل شيء، وهو مأخوذ من كونه تعالى لم يزل ولا يزال موجودا بغير بداية، وهو بمعنى اسمه تعالى الأول، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣٣٦): فالأزلي هو: الذي لم يزل كائنا، والأبدي هو: الذي لا يزال كائنا، وكونه لم يزل ولا يزال معناه دوامه وبقاؤه الذي ليس له مبتدأ ولا منتهى.

(٣) لأنه تعالى أولٌ بصفاته، ومن المتقرر في اعتقاد أهل السنة والجماعة أن صفات الرب تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على نوعين:

الأول: الصفات الذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، بحيث لا يتصور أن يكون الرب سبحانه غير متصف في حال من الأحوال، وسُميت ذاتية لهذا المعنى، وهو ملازمتها للذات العلية ملازمة تامة كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والقوة والعزة والغنى وغير ذلك.

والثاني: الصفات الفعلية: وهي صفاته المتعلقة بمشيئته وقدرته، بحيث يفعل منها ما شاء متى شاء، كالرحمة والرضا والغضب والنزول والمجيء والاتيان وغيرها مما يفعله الرب متى ما شاء، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. =

كذلك، له كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، وهو العليم قبل إيجاده المعلومات، والسميع قبل إيجاده المسموعات، والبصير قبل إيجاده المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته، أَزَلِيَّةٌ بأَزَلِيَّةِ ذاته، باقية ببقاء ذاته، لم يزل متصفًا بها في أوليَّتِه، وكذلك لم يزل متصفا بها في سَرْمَدِيَّتِه، ليس بعد خلْقِ الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثِه البريةَ استفاد اسم البارئ، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين، والرازق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة، وكذلك وَصَفَ نفسه -تبارك وتعالى- فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ إلى غير ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم يزل كذلك. اهـ.

* ولا يجوز أن يُعتقد أن اللَّه تعالى وُصف بصفة لم يكن متصفًا بها،

= يقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه اللَّه تعالى- في القول السديد ص٣: (ويصفونه - أي أهل السنة - بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد). ومع كون صفات اللَّه الفعلية متعلقة بمشيئته - تعالى- وإرادته إلا أنها لا تخرج عن كونها صفات له قائمة به - سبحانه -، تقوم به تعالى حقيقة ويفعل منها ما شاء متى شاء، فعلم بذلك أن الصفات بنوعيها لم يحدث للرب منها شيء لم يكن موصوفًا به، يقول الإمام الدارمي رحمه الله في النقض (١ / ١٨٥): (ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن اللَّه لم يزل إلهًا واحدًا بجميع أسمائه وجميع صفاته، لم يحدث له منها شيء، كما لم تزل وحدانيته تبارك وتعالى).

لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال، وفُقدانها صفة نقص، ولا يجوز كونُه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده، وتقدم في الأزلية حديثُ عمران بن حصين رضي الله عنهما في بدء الخلق: كان اللَّه ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء.

(الصَّمَد) قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-: وقال الطبراني - في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرًا من الأقوال في تفسير الصَّمد-: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، وهو الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤْدُدُه، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل، ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك. اهـ.

(البَرُّ) وصفًا وفعلًا، قال ابن عباس: اللطيف، وقال الضحاك: الصادق فيما وعد.

(المهيمن) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: هو الشهيد على عباده بأعمالهم، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، ، وقال الحسن: الأمين، وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ، وقال زيد: المصَدِّق، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي، وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء اللَّه تعالى في الكتب، واللَّه اعلم بتأويله.

(العلي) فكل معاني العُلُوِّ ثابتةٌ له.

(علوّ قهر) فلا مغالب له، ولا منازع، بل كلُّ شيء تحت سلطان قهره، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

* وقد جمع اللَّه تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، أي: وهو الذي قهر كل شيء، وخَضَع لجلاله كلُّ شيء، وذلَّ لعظمته وكبريائه كلُّ شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

(وعُلُوَّ الشان) فتعالى عن جميع النقائص والعيوب، المنافية لإلهيته وربوبيته، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، تعالى في أحديته عن الشريك والظهير، والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد، والكفؤ والنَّظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسِّنَة والنوم، والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان، وعن عُزوب مثقال ذرَّة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثًا، وعن ترك الخلق سدى، بلا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدًا مثقال ذرة، أو أن يهْضِمَه شيئًا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم، أو يُرزَق، أو أن يَفتقِر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل.

* وهذان المعنيان من العلو لم يخالف فيهما أحد ممن يَدعي الإسلام

وينتسب إليه.

* وإنما ضلَّ من ضل منهم وأخطأ في التنزيه - الذي هو مقصوده - حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه، وأحسن الظنَّ بنفسه وعقله ومتبوعه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثير منهم اغترَّ بقولٍ كان مقصود قائله الزيغ والفساد والكفران، فحَسِبَ - لإحسان الظَّنِّ به - أن مقصودَه التحقيقُ والإيمان والعرفان، واتَّبعوا السُّبُل المُضِلَّةَ فتفرقت بهم عن صراط الرحمن.

* فمنهم من نزَّهَهُ تعالى عن فوقيته على عرشه، بائنًا من خلقه، ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان[1]، ولم يُنَزِّهْهُ حتى عن الأماكن الخسيسة.

---

(١) قلت: اعتقاد أن (اللَّه في كل مكان) هو اعتقاد الجهمية الذين كفَّرهم أئمة السلف وبينوا زندقتهم حتى قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- كما في الفتاوى الكبرى (٥ / ٣١٣): (ومعلومٌ اتفاق سلف الأمة وأئمتها على تضليل الجهمية من المعتزلة وغيرهم، بل قد كفروهم وقالوا فيهم ما لم يقولوه في أحد من أهل الأهواء، أخرجوهم عن الاثنين وسبعين فرقة وقالوا: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)، وقلَّ إمام من أئمة المسلمين الذين تصدوا للرد على هذه الفرقة الضالة إلا وردَّ عليهم في اعتقادهم أن اللَّه في كل مكان، ومن ذلك ما ذكره إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه تعالى- حيث عقد في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية» بابا في بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون اللَّه على العرش ثم قال ص٤٠: (إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على اللَّه حين زعم أن اللَّه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس اللَّه كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لا بد له من واحد منها، إن زعم أن اللَّه خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن=

= والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفرا أيضا، حين زعم أنه دخل في مكان وحشّ قذر رديء، وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة). وساق الإمام هبة اللّه اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ في اعتقاد أهل السنة (٣ / ٥٣٢) بإسناده إلى الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أُولعوا به من الكذب أنهم مشبهة، بل هم المعطلة قالوا -تبارك وتعالى- في كل مكان بكماله في أسفل الأرضين وأعلى السموات على معنى واحد!! وكذبوا في ذلك ولزمهم الكفر)، ويقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العرش ص ٤٩: (ذكروا أن الجهمية يقولون: أنْ ليس بين اللّه عَزَّ وَجَلَّ وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون هو فوقه وفوق السماوات، وقالوا: إن اللّه في كل مكان، وأنه لا يتخلص من خلقه، ولا يتخلص الخلق منه، إلا أن يفنيَهم فلا يبقى من خلقه شيء، وهو مع الآخر، فالآخر من خلقه ممتزجٌ به، فإذا أفنى خلقه تخلص منهم وتخلصوا منه تبارك اللّه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، ومن قال بهذه المقالة فإلى التعطيل يرجع قولهم، وقد علم العالَمون أن اللّه قبل أن يخلق خلقه قد كان متخلصا من خلقه بائنا منهم فكيف دخل فيهم تبارك وتعالى أن يوصف بهذه الصفة، بل هو فوق العرش - كما قال - محيط بالعرش متخلص من خلقه بيِّن منهم، عِلمُه في خلقه لا يخرجون من علمه.. فاللّه تعالى استوى على العرش يرى كل شيء في السماوات والأرضين، ويعلم ويسمع كل ذلك بعينه، وهو فوق العرش). ويقول الإمام أبو الحسن الملطي الشافعي (ت٣٧٧ ه) في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٩٧ - وهو يعدد أصناف الجهمية-: (ومنهم صنف أنكروا أن يكون اللّه سبحانه في السماء، وأنكروا الكرسي، وأنكروا العرش أن يكون اللّه فوقه، وفوق السموات من قبل هذا، وقالوا: إن اللّه في كل مكان، حتى في الأمكنة القذرة تعالى اللّه عما يقولون علوا كبيرا)، ويقول الإمام أبو عبد اللّه ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ في الإبانة ٣/ ١٤٢- بعد أن سرد الأدلة من القرآن الكريم على علو اللّه تعالى على خلقه وفوقيته على عباده-: (ولكن الجهمي المعتزلي الحلولي الملعون يتصامم عن هذا وينكره، فيتعلق بالمتشابه ابتغاء الفتنة لما في قلبه من الزيغ، لأن المسلمين كلهم قد عرفوا أماكن كثيرة=

= ولا يجوز أن يكون فيها من ربهم إلا علمُه وعظمتُه وقدرتُه، وذاته تعالى ليس هو فيها. . ويقال للجهمي: أليس قد كان اللَّه ولا خلق؟ فيقول: نعم، فيقال له: فحين خلق الخلق أين خلقهم؟! وقد زعمتَ أنه لا يخلو منه مكان؟! أَخَلَقهم في نفسه؟! أو خارجا من نفسه؟! فعندها يتبين لك كفر الجهمي، وأنه لا حيلة له في الجواب، لأنه إن قال: خلق الخلق في نفسه كفر، وزعم أن اللَّه خلق الجن والإنس والأبالسة والشياطين والقردة والخنازير والأقذار والأنتان في نفسه تعالى اللَّه عن ذلك علوا كبيرا، وإن زعم أنه خلقهم خارجا من نفسه فقد اعترف أن ها هنا أمكنة قد خلت منه. . لكنا نقول إن ربنا تعالى في أرفع الأماكن وأعلى عليين، قد استوى على عرشه، فوق سماواته، وعلمُه محيطٌ بجميع خلقه، يعلم ما نأى كما يعلم ما دنى، ويعلم ما بطن كما يعلم ما ظهر، كما وصف نفسه تعالى فقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، فقد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلى وما في الأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم جميع ما توسوس النفوس به، يسمع ويرى، وهو بالنظر الأعلى، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرضين إلا وقد أحاط علمه به، وهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى، تُرفع إليه أعمال العباد وهو أعلم بها من الملائكة الذين شهدوها وكتبوها ورفعوا إليه بالليل والنهار، فجلَّ وتعالى عما ينسبه إليه الجاحدون ويشبهه به الملحدون)، وسيأتيك قريبًا قول الإمام أبي عمر ابن عبد البر -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه التمهيد ٧/ ١٢٩ - بعد ذكره لحديث أبي هريرة في النزول-: (وفيه دليل على أن اللَّه ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن اللَّه ﷻ في كل مكان، وليس على العرش !!)، وقد قال الإمام أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الرد على الجهمية: (حدثنا علي بن الحسن بن مهران حدثنا سبشار بن موسى الخفاف قال جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحوال وفلان يتكلمون؟ فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: اللَّه في كل مكان، فبعث أبو يوسف وقال: عليَّ بهم، فأتوا إليهم - وقد قام بشر - فجيء=

* ومنهم من نزَّهَه عن العلو والفوقية، وجعله هو الوجود بأسره - تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا - ففروا من الهدى إلى الضلالة، ومن الرُّشد إلى الغَيِّ، ومن الإسلام إلى الكفر، ومن السُّنة إلى البدعة، ومن النور إلى الظلمات، وضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

* وهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، فجعلوا إمامَهم وقدوتهم الكتاب والسنة، وساروا معهما حيث سارا، ووقفوا حيث وقفا، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله، من الأسماء الحسنى والصفات العلا، فما أثبت اللَّه لنفسه أثبتوه، وما نفاه عن نفسه نفوه، فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾.

(كذا) ثابت (له العُلُوُّ والفوقيَّة) بالكتاب، والسنة، وإجماع الملائكة،

= بعلي الأحول والشيخ يعني الآخر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك، فأمر به إلى الحبس، وضُرب عليٌّ الأحول وطُوِّف به.)، وقال أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الاعتقاد - في باب القول في الاستواء - بعد أن سرد الأدلة من القرآن الكريم على فوقية اللَّه واستوائه على عرشه-: (فيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية بأن اللَّه بذاته في كل مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾: انما أراد بعلمه لا بذاته). ولما ذكر الحافظ ابن كثير الجعد ابن درهم في البداية والنهاية ١٠/ ١٩ قال عنه: (وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن اللَّه في كل مكان بذاته، تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا)، وهذه النصوص من هؤلاء الأئمة تبين أن القول بأن اللَّه تعالى في كل مكان هو اعتقاد الجهمية، وأنه من أبرز ما انحرفوا به عن عقيدة السلف رضوان اللَّه عليهم، واستوجبوا به طعن السلف عليهم وذمهم لهم.

والأنبياء والمرسلين، وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة(١)

---

(١) قلت: لم يزل اعتقاد علو اللّٰه تعالى على عباده وفوقيته على خلقه واستواءه على عرشه موضع إجماع بين أهل الإسلام، ولا يُعرف فيه مخالف من المسلمين قبل ظهور طوائف البدعة من أهل الأهواء المشاقين لله وللرسول ﷺ المخالفين لسبيل المؤمنين من الجهمية والمعتزلة الذين أحدثوا ضلالة نفي علو اللّٰه، وتبعهم على ذلك المتأخرون من أتباع أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، ولا زالت هذه الضلالة تُقرر في كتب هذه الطوائف المنحرفة على أنها مقتضى التنزيه اللائق باللّٰه تعالى، وهو في حقيقة الأمر ردٌّ لكتاب اللّٰه تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، كما هو سوءُ ظن بنصوص الكتاب والسنة، وما دلَّت عليه من كمال الرب اللائق به تعالى في ذلك، إضافة إلى أنه تضليلٌ لخيار الأمة المجمعين على ذلك، وإليك - فيما يلي - نقل إجماع الأمة على علو اللّٰه تعالى وفوقيته:

روى البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٤٠٨ بسند صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٧ وجود إسناده الحافظ في الفتح ١٣ / ٤٠٦ -رحمهما اللّٰه تعالى- عن الإمام الأوزاعي -رحمه اللّٰه تعالى- أنه قال: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن اللّٰه - تعالى ذكره - فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا).

ويقول الإمام ابن بطة العُكبري -رحمه اللّٰه تعالى- في الإبانة ٣/ ١٣٦: (وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن اللّٰه تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولاينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قوم زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين، فمرقوا من الدين، وقالوا: إن اللّٰه ذاته لا يخلو منه مكان، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء، وهو بذاته حالٌّ في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين). ويقول -رحمه اللّٰه تعالى- في نفس الكتاب ١/ ١١٣ - بعد ذكره لأدلة علو اللّٰه واستواءه على عرشه-: (فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه والسماء بإجماع الناس).

ويقول الإمام الحجة عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)-رحمه اللّٰه تعالى- في=

= نقضه على المريسي ١/ ٣٤٠: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن اللَّه تعالى فوق عرشه فوق سمواته)، وقال - أيضًا - ١/ ٢٢٨: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن اللَّه في السماء، وحدُّوه بذلك، إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرَفوه بذلك، إذا حَزَبَ الصبيَّ شيءٌ يرفع يديه إلى ربه، يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد باللَّه وبمكانه أعلم من الجهمية).
ويقول الإمام إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤ هـ)-رحمه اللَّه تعالى- في رسالته التي شرح فيها أصول عقيدة أهل السنة التي أجمعوا عليها ص ٧٥: (عالٍ على عرشه في مجده بذاته، وهو دانٍ بعلمه من خلقه، أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ثم قال بعد ذلك: (هذه مقالاتٌ وأفعالٌ اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق اللَّه اعتصم بها التابعون قدوة ورضى، وجانبوا التكلف فيما كفوا، فسددوا - بعون اللَّه - ووُفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوه تزيدا فيعتدوا. فنحن باللَّه واثقون، وعليه متوكلون، وإليه في اتباع آثارهم راغبون).
ويقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥١: (وأجمع الخلق جميعا أنهم إذا دعوا اللَّه جميعا رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان اللَّه ﷻ في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء وهو معهم في الأرض).
ويقول الإمام أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)-رحمه اللَّه تعالى-في التمهيد ٧/ ١٣٩ في بيان معنى قول اللَّه ﷻ: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. الآية) قال: (علماءُ الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله).
وقال - أيضًا - في كتابه التمهيد ٧/ ١٢٩ - بعد ذكره لحديث النزول-: (وفيه دليل على أن اللَّه ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن اللَّه ﷻ في كل مكان، وليس على العرش!!)
وقال الإمام أبو بكر الآجري (٣٦٠هـ)-رحمه اللَّه تعالى- في الشريعة ٣/ ١٠٧٥: (والذي يذهب إليه أهل العلم أن اللَّه - ﷻ سبحانه - على عرشه، فوق سماواته، =

= وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلى، وبجميع ما في سبع أراضين وما بينهما، وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم ما توسوس به النفوس. يسمع ويرى، لا يعزب عن اللَّه ﷻ مثقال ذرة في السماوات والأرضين وما بينهن إلا وقد أحاط علمه به، وهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى، ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار). وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة إلى أهل الثغر - التي رجع فيها إلى اعتقاد السلف رحمهم الله-: (باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها وأُمروا في وقت النبي ﷺ بها): ثم قال: (الإجماع التاسع: . . وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه. . وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه ﷻ لم يزل مستوليًا على كل شيء). وقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ «الصَّابوني» الملقبُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ (ت ٤٤٩ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته فِي السُّنَّةِ ص ٧ قَالَ: (ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن اللَّه ﷻ فوق سماواته، على عرشه، كما نطق به في كتابه، يثبتون من ذلك ما أثبته اللَّه تعالى، ويؤمنون به، ويصدقون الرب ﷻ في خبره، ويطلقون ما أطلقه ﷻ من استوائه على عرشه). وقال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) -رحمه اللَّه تعالى - في كتابه التوحيد (١/ ١٦١): (باب ذكر البيان أن اللَّه ﷻ في السماء، كما أخبرنا في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه، وكما هو مفهومٌ في فطرة المسلمين، علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكراهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم، كل من دعا اللَّه جل وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء، ويمد يديه إلى اللَّه إلى أعلى لا إلى أسفل).

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى - (٣ / ٢٦٢) عن الإمامين الخطابي (ت ٣٨٨هـ) وأبي نصر السجزي (ت٤٤٤هـ)- رحمهما اللَّه - حكايتهما إجماع الأئمة على ذلك فقال: (وَقَوْلِ الخطابي في «شِعَارِ الدِّينِ» بَعْدَ أَنْ حَكَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا: (وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ مَا تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ الْآيُ وَالْأَخْبَارُ وَالْفُضَلَاءُ الْأَخْيَارُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، بِلَا كَيْفٍ، بَائِنٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، هَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُمْ الثِّقَاتُ). هَذَا كُلُّهُ لَفْظُهُ. =

= وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ السجزي فِي كِتَابِ «الإِبَانَةِ» لَهُ: (وَأَئِمَّتُنَا - كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وفضيل ابْنِ عِيَاضٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْه - مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ).

وقد نقل الإجماع - أيضًا - على علو اللَّه تعالى واستواءه على عرشه على معنى علوه بذاته وفوقيته - سبحانه - عليه كلٌ من الإمام أبو عمر الطلمنكي المالكي (ت٤٢٩هـ)، والقاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)- الذي ليس في متكلمي الأشعرية أفضل منه - في= = كتابيه الإبانة والتمهيد، والقرطبي صاحب التفسير الكبير (٦٧١هـ) في كتابه الأسنى في شرح الأسماء الحسنى فقال - كما نقل عنه الذهبي في العلو ص ٢٦٨-: (واللَّه فوق عرشه، كما أجمع عليه الصدر الأول، ونقله عنهم الأئمة، وقالوا ذلك رادِّين على الجهمية، القائلين بأنه في كل مكان، محتجين بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين - أي إما قول أهل السنة أو الجهمية -. . فأما القول الثالث المتولد أخيرًا من أنه تعالى ليس في الأمكنة، ولا خارجا عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق، ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متحيزة، ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات، ولا خارجا عن الجهات، ولا ولا . . فهذا شيء لا يُعقل ولا يُفهم مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار)، وممن نقل إجماع المسلمين على علو ربنا - سبحانه - الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)في كتابه الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٣٣ فقال: (وقد أجمع المسلمون أن اللَّه هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وزعموا - أي الأشعرية-: أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات. وعند المسلمين أن لله ﷻ علوَّ الغلبة، والعلو من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣١ - بعد أن نقل أقوال عدد من أهل العلم في حكاية الإجماع على استواء اللَّه على عرشه-: (وهذا باب واسع لا يحصيه إلا اللَّه تعالى، فإن الذين نقلوا إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أنّ اللَّه فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله) والأمر كما=

(على عباده) فوقهم مستويًا على عرشه، عاليًا على خلقه، بائنًا منهم، يعلم أعمالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه منهم خافية.

* والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُستقصى، والفطر السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك، لا تُنْكِرُه، ولْنُشِرْ على بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها، وباللَّه التوفيق فمن ذلك:

١) أسماؤُه الحسنى: الدالةُ على ثبوت جميع معاني العلو له -تبارك وتعالى-، كاسمه الأعلى، واسمه العلي، واسمه المتعالي، واسمه الظاهر، واسمه القاهر، وغيرها قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال النبي - في دعائه -: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**» وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وهذه الأسماء تدل على ثبوت جميع معاني العلو له -تبارك وتعالى- ذاتًا وقهرًا وشأنًا.

٢) ومن ذلك: التصريح بالاستواء على عرشه[١]، كما قال تعالى- في

= قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفيما نقلناه دليل بيِّن على أن هذا الاعتقاد مما لم تختلف فيه الأمة المهدية قط، ولم يحدث فيه نزاع بينها إلا من جهة أهل البدع الخارجين على عقيدتها إلى عقائد الضالين والمنحرفين.

(١) قلت: استواء اللَّه تعالى على عرشه الذي وردت به نصوص الوحي معناه علوه سبحانه وارتفاعه عليه، كما فسره به أئمة السلف قاطبة، لا يختلفون في ذلك ولا يتنازعون=

سورة الأعراف-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأخبر باستواءه - أيضًا - في كلٍ من سورة يونس، وسورة الرعد، وسورة طه، وسورة الفرقان، وسورة السجدة، وسورة الحديد، وفي حديث أنس - في فضل الجمعة، وتسميته في الآخرة يوم المزيد. . الحديث بطوله - وفي آخره قال: «**وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش**» وقد رواه الشافعي في مسنده، وعبد اللَّه بن أحمد في كتاب السنة، وابن خزيمة وغيرهم[1].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا جمع اللَّه تعالى الخلائق حاسبهم، فيميز بين أهل الجنة وأهل النار، وهو تعالى في جنته، على عرشه**» قال محمد بن عثمان الحافظ: هذا حديث صحيح[2].

= فيه، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي الْعَالِيَةِ أنه قال: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارْتَفَعَ، وفيه عن مُجَاهِد ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، ولم يزل أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسالكهم يحرفون هذا المعنى ويبدلونه مع إجماع المسلمين عليه، وهذا ما أشار إليه الإمام الكبير يزيد بن هارون (ت٢٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ إذ يقول: (من زعم أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ على خلاف ما يَقِرُّ في قلوب العامة فهو جهمي) فيما رواه عنه رواه عبد اللَّه ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (١/ ١٢٣).

(١) مسند الشافعي برقم (٣٧٤)، قال الذهبي في العلو ص٣٣ - بعد أن ذكر طرق هذا الحديث-: (وهذه طرق يعضد بعضها بعضا)، وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٠٤): وَلِهَذَا الْحَدِيثِ عِدَّةُ طُرُقٍ جَمَعَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي جُزْءٍ.

(٢) ذكر ذلك وأقره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٢٧ وقال الذهبي في كتاب العرش (٢/ ٩٨): هذا حديث محفوظ عن نوح بن قيس عن يزيد الرقاشي رواه يزيد بن هارون وغيره عنه.

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لما فَرَغ اللَّه من خلقه استوى على عرشه**» رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري[١].

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلتُ: يا رسول اللَّه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «**كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق العرش فاستوى عليه**» رواه أبو داود، وابن ماجه، وقال الذهبي: إسناده حسن[٢]، ورواه الترمذي وحسنه لكن لفظه: «**وخلق عرشه على الماء**». قال يزيد بن هارون: العماء أي: ليس معه شيء.

٣) ومن ذلك: **التصريح بالفوقيَّة لله تعالى**، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة، بأن تُقتل مقاتلتُهم، وتُسبى ذريتهم، وتُغنم أموالهم، قال له النبي ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم المَلِك من فوق سبعة أَرْقِعَة**»، وفي لفظ: «**من فوق سبع سموات**»[٣]، وأصله في الصحيحين[٤]، وهذا سياق ابنُ اسحاق.

---

(١) وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٦، وقال: إسناده على شرط البخاري، وقال الألباني في مختصر العلو ص ٧٥: رواته ثقات.

(٢) وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين ٤/ ٢٦٧.

(٣) صححه الذهبي في العلو ص ٢٨. وحسنه الألباني في اختصاره له ص ٧٥، وأما اللفظ الأول فصححه الألباني في مختصر إرواء الغليل ١/ ٢٨٥.

(٤) صحيح البخاري (٢٨٧٨)، صحيح مسلم (١٧٦٨).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت زينب ﷺ تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني اللَّه من فوق سبع سموات»[(١)].

ولأبي داود عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: كنتُ في البطحاء، في عصابة فيهم رسول اللَّه ﷺ، فمرت بهم سحابةٌ، فنظر إليها فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب، قال: «**والمُزْن؟**» قالوا: والمزن، قال: «**والعَنَان؟**» قالوا: والعَنَان، قال أبو داود: ولم أُتقن العَنَان جيدًا، قال: «**هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عدَّ سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بَحْر بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أَوْعَالٍ، بين أظلافهم وركبهم مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرشُ، بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم اللَّه -تبارك وتعالى- فوق ذلك**»، زاد أحمد: «**وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٤)، وأصل الحديث متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٧٠)، وأبو داود برقم (٤٧٢٣)، والترمذي في السنن برقم (٣٣٢٠) وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وابن ماجه (١٩٣)،، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥٧٧)، والحاكم في المستدرك (٣٤٢٨)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن منده في التوحيد (١ / ٥٨) وقال: (هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أول العقيدة الواسطية، وقال في الفتوى الحموية الكبرى - (١ / ٢٠٧): (وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مروي من طريقين=

وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن رجلًا ممن كان قبلكم لبس بُردين فتبختر، فنظر اللَّه إليه -من فوق عرشه- فمقته، فأمر الأرض فأَخَذَتْه، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها» رواه الدارمي(١)، وله شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة ﵁(٢).

وفي حديث عمران بن حصين -في بدء الخلق-: (كان اللَّه ﷻ على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون) حديث صحيح أصله في البخاري(٣).

= مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولًا إلى النبي ﷺ، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه (أي ابن عميرة راوي الحديث عن الأحنف) من الأحنف ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره وعدم معرفته)، وقال الذهبي في كتاب العرش ٢١: (رواه أبو داود بإسناد حسن، وفوق الحسن)، وصححه الجوزقاني في الأباطيل (١/ ٧٩)، وابن القيم وأبطل حجج المضعفين له كما في تهذيب السنن (٧/ ٩٢-٩٣).

(١) صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص٥٥، وقال الذهبي في العلو للعلي الغفار ص٤١: بعد أن ليّنه (وللحديث طرق).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٥٢).

(٣) هو في صحيح البخاري، وله عنده لفظان، الأول: برقم (٣٠١٩) ولفظه: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غيره»، والثاني: برقم (٦٩٨٢) ولفظه: «كان اللَّه ولم يكن شيء قبله»، وتتمته في الموضعين: «وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء» بتقديم وتأخير في جمله، وصححه - بلفظ المؤلف - ابنُ القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٥٢، والذهبي في العلو للعلي الغفار ص ٦٥، وفي كتاب العرش ص ٢٧ له أيضًا.

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن العبد ليَهمُّ بالأمر من التجارة أو الإمارة، حتى يُيَسَّرَ له، نظر اللَّه له من فوق سبع سموات، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإن يسرتُهُ له أدخلتُه النار). رواه البغوي، وسكت الذهبي عنه[1].

وعنه رضي الله عنه قال: (العرش فوق الماء، واللَّه فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم). قال الذهبي: إسناده صحيح[2].

ومن ذلك: التصريح بأنه تعالى في السماء، قال اللَّه تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول اللَّه ﷺ -من اليمن- بذُهَيْبَة في أَدِيم مَقرُوض، لم تُحصَّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عُيَيْنَةَ بنِ بدر، وأَقرع بنِ حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني؟! وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء** . .» الحديث[3].

---

(١) بل قال في العلو للعلي الغفار ص٨٠ (أخرجه اللالكائي بإسناد قوي)، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٧٣)، ومع ذلك فقد ضعفه الألباني في مختصر العلو (ص ٧٥)، وينبغي أن يحكم له بالرفع على قاعدة أهل العلم في مثله مما لا يقال بمحض الرأي.

(٢) وصححه الألباني في مختصر العلو (٧٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠٩٤) وصحيح مسلم برقم (١٠٦٤).

وعن معاوية بن الحكم - في حديث طويل - قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أُحُد والجُوانيَّة، فاطَّلعتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكن صككْتُها صَكَّة، فأتيت رسول اللَّه ﷺ، فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول اللَّه أفلا أعتقها؟ قال: «ائْتِنِي بها»، فأتيتُه بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول اللَّه ﷺ، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم(١).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٧) قلت: وهذا الحديث من أصح وأصرح أدلة إثبات علو اللَّه تعالى وفوقيته على خلقه، وهو شجى في حلوق نفاة علو اللَّه المعطلين، وقد جهدوا للطعن فيه وإبطاله سندًا ومتنًا - كما هو خُلقهم وعادتهم مع كل حديث يخالف أهواءهم مهما بلغت صحته -، ولكن هيهات!! ردَّهم اللَّه بغيظهم لم ينالوا خيرًا، فالحديث في غاية الصحة وغاية الصراحة، وقد شهد النبي ﷺ فيه بالإيمان للجارية لما أقرت بعلو اللَّه تعالى مع الإقرار برسالته ﷺ، وكفى بذلك تقريرًا لعلو اللَّه تعالى وإثباتًا له، وقد أورده الإمام ابن منده (ت ٣٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإيمان ١/ ٢٣٠ تحت قوله: (ذكرُ ما يدل على أن المقر بالتوحيد إشارة إلى السماء بأن اللَّه في السماء دون الأرض وأن محمدا رسول اللَّه ﷺ يسمى مؤمنًا)، وأورده إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (١/ ١٧٩) رَحِمَهُ اللَّهُ تحت قوله: (بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الإِقْرَارَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السماء من الْإِيمَانِ)، وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره في العلو ص ٢٨: (وهكذا رَأَيْنَا كلَّ من يُسأل: أينَ الله؟ يبادر بفطرته ويقول: في السماء. ففي الخبر مسألتان: إحداهما: شرعيةُ قول المسلم: أين اللَّه، وثانيهما: قول المسؤول: في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما يُنكر على المصطفى ﷺ!!)، يقول الإمام الدارمي في النقض على بِشْر ١/ ٥٠٨: (وأما قولك: لا يوصف بأين! فهذا أصل كلام جهم، وهو خلاف ما قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ورسولُه ﷺ والمؤمنون، لأن اللَّه تعالى قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقال=

= للملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾.. فلو لم يوصف بأين - كما ادعيت أيها المعارض -لم يكن رسول اللَّه ﷺ يقول للجارية: (أين الله) فيغالطها في شيء لا يؤيِّن، وحين قالت: هو في السماء لو قد أخطأت فيه لردَّ رسول اللَّه ﷺ عليها وعلَّمها، ولكنه استدل على إيمانها بمعرفتها أن اللَّه في السماء، وكذلك رُوي لنا عن ابن المبارك حدثناه الحسن بن الصباح ثنا علي بن الحسن الشقيقي قال: قيل لابن المبارك: بأي شيء نعرف ربنا؟ قال: بأنه في السماء على العرش، بائن من خلقه، قلت: بحدٍّ؟ قال: بحدٍّ، فهذا القرآن ينطق بأن اللَّه تعالى يوصف بأين، وهذا رسول اللَّه ﷺ قد وصفه، وعليه درج أهل المعرفة من أهل الإسلام)، وقال - أيضًا - ١/ ٢٢٦ (فقول رسول اللَّه ﷺ: (إنها مؤمنة) دليلٌ على أنها لو لم تؤمن بأن اللَّه في السماء لم تكن مؤمنة، وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنة إلا من يحُدُّ اللَّه أنه في السماء كما قال اللَّه ورسولُه ﷺ)، ويقول -رحمه اللَّه تعالى- في الرد على الجهمية ص ٤٧: (ففي حديث رسول اللَّه ﷺ هذا دليلٌ على أن الرجل إذا لم يعلم أن اللَّه ﷻ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبدًا فأُعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن اللَّه في السماء، ألا ترى أن رسول اللَّه ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن اللَّه في السماء، وفي قول رسول اللَّه ﷺ: (أين الله) تكذيبٌ لقول من يقول هو في كل مكان لا يوصف بـ(أين)، لأن شيئا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: (أين هو)، ولا يقال: (أين) إلا لمن هو في مكان، يخلو منه مكان، ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول اللَّه ﷺ قولها وعلَّمها، ولكنها علمت به فصدقها رسول اللَّه ﷺ، وشهد لها بالإيمان بذلك، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء). وما أروع ما قاله الإمام أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في الاقتصاد في الاعتقاد ص ٨٩ - بعد ذكره لهذا الحديث-: (ومَنْ أجهل جهلًا وأسخف عقلًا وأضل سبيلًا ممن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: أين الله!! بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: (أين الله؟) ؟!).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه اللَّه تعالى- في معرض ذكره لأدلة علو اللَّه تعالى وفوقيته من كتابه إعلام الموقعين ٢/ ٣٠٢: (الخامس عشر: شهادتُهُ ﷺ التي هي أصْدقُ شهادةٍ عند اللَّه وملائكتِه وجميعِ المؤمنين - لمن قال: إنَّ ربهُ في السَّماءِ=

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض، يرحمكُم مَن في السماء، الرَّحِمُ شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله اللَّه، ومن قطعها قطعه الله» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[1].

= بِالإيمانِ، وشهد عليه أفراخُ جَهْمٍ بِالكفرِ!!، وصرَّح الشَّافِعِيُّ بأَنَّ هذا الذي وَصَفَتْه من أَنَّ ربَّها في السَّمَاءِ إيمَانٌ، فقال في كتابه في بابِ عتق الرَّقبةِ المؤمنة - وذكرَ حديث الْأَمَةِ السَّوداء التي سوَّدَتْ وُجُوهَ الْجَهْمِيَّةِ وَبَيَّضَتْ وُجُوهَ الْمُحَمَّدِيَّةِ-: فلما وَصَفَتْ الْإِيمَانَ قال: (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) وهي إنَّما وصفتْ كَوْنَ رَبِّهَا في السماءِ، وأَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ، فقرنتْ بَيْنَهُمَا في الذكرِ، فجعلَ الصَّادقُ المَصدوقُ مجموعهما هو الْإِيمَانُ). ويقول -رحمه اللَّه تعالى- في نونيته المسماة بالكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية:

واذكر شهادته لمن قد قال ربي ... في السما بحقيقة الايمان
وشهادة العدل المعطل للذي ... قد قال ذا بحقيقة الكفران
واحكم بأيهما تشاء وإنني ... لأراك تقبل شاهد البطلان
إن كنت من أتباع جهم صاحب ... التعطيل والبهتان والعدوان.

وقد أورد الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد الأدلة والآثار على علو اللَّه تعالى، المكذبة للجهمية النافين لذلك، ومما ذكره ص ٣٧ قول صدقة سمعت سليمان التيمي - وهو أحد أئمة المسلمين وخيارهم - (ت١٤٣هـ) يقول: لو سُئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم. قال أبو عبد اللَّه - أي البخاري - وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ إلا بما بيَّن، وقد صحح الذهبي هذا الأثر في كتاب العرش.

(١) مسند أحمد برقم (٦٤٩٤)، وسنن أبي داود برقم (٤٩٤١)، وسنن الترمذي برقم (١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك برقم (٧٢٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه لغيره الألباني في مختصر العلو (ص ٧٥)، ونقل=

وله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ لأبي: **«يا حصين، كم تعبدُ اليوم إلها؟!»** قال أبي: سبعة، ستةً في الأرض، وواحدًا في السماء، قال ﷺ: **«فأيُّهم تُعِدُّ لرغبتك ورهبتك؟»** قال: الذى في السماء[١]، قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول اللَّه علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال ﷺ: **«قل: اللهم ألهمني رشدي، وأَعِذْني من شر نفسي»**، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[٢]، وقد رُوي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه[٣].

= في السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٩٩ تصحيح أبي الفتح الخِرَقي له في «الفوائد الملتقطة» (٢٢٢ - ٢٢٣) والعراقي في «العشاريات» (٥٩ / ١) وابن ناصر الدين الدمشقي في مجالسه المخطوطة، وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاستقامة (١ / ٤٤٠)-: إنه حديث ثابت، وصححه في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٢٤، والجمل الثلاث الأخيرة منه وهي من قوله: (الرحم شجنة . .) إلى آخر الحديث رواها البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٣٢ بقريب منها.

(١) يقول الإمام الحجة عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه اللَّه تعالى- في النقض ١/ ٢٢٨: (فحصينٌ الخزاعي - في كفره يومئذ - كان أعلم باللَّه الجليل الأجلِّ من المريسي وأصحابه، مع ما ينتحلون من الإسلام، إذ ميَّز بين الإله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض، وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن اللَّه في السماء، وحَدُّوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حَزَبَ الصبيَّ شيءٌ يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد باللَّه وبمكانه أعلم من الجهمية).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٤٨٣)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم برقم (٢٣٥٥)، والدعاء للطبراني برقم (١٣٩٣)، وصححه ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الوابل الصيب ص ٢٣٠. وجوده الحافظ ابن حجر رحمه الله في تهذيب التهذيب.(٢ / ٣٣١).

(٣) وهو ما رواه أحمد في مسند برقم (١٩٩٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى برقم=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يَرضى عنها»، رواه مسلم في صحيحه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الميتُ تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمئِنَّة، كانت في الجسد الطيب، اخرُجي حميدة، وأبشري برَوْح و ريحان، وربٍّ غير غضبان، فيقولون ذلك حتى يُعرج بها إلى السماء التي فيها اللَّه عز وجل»، وذكر باقي الحديث، رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير واللفظ له[2].

= (١٠٧٦٤) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَيْرٌ لِقَوْمِكَ مِنْكَ، كَانَ يُطْعِمُهُمْ بِالْكَبِدِ وَالسَّنَامِ، وَأَنْتَ تَنْحَرُهُمْ، قَالَ: فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى رُشْدِ أَمْرِي، فَانْطَلَقَ وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْلَمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَتَيْتُكَ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي، قُلْتَ: قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى رُشْدِ أَمْرِي فَمَا أَقُولُ الآنَ حِينَ أَسْلَمْتُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى رُشْدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا عَلِمْتُ وَمَا جَهِلْتُ. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٦٩١) وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الوابل الصيب ص ٢٣٠ فقال: (وإسناده على شرط الصحيحين)، والحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة - (٢ / ٨٦).

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٣٦).

(٢) مسند أحمد برقم (٨٧٦٩)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٦٢)، والسنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١٤٤٩) كلهم بهذا اللفظ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٧٨)=

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لما أُسريَ بي مررت برائحة طيبة، فقلتُ: يا جبريل ما هذه الرائحةُ الطيبةُ؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، كانت تَمشِطُها، فوقع المِشْطُ من يدها، فقالت: باسم اللَّه تعالى، فقالت ابنتُه: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُّ أَبيْك اللهُ، فقالت: أخبر بذلك أبي؟! قالت: نعم، فأخبرتُه فدعا بها، فقال: مَن ربُّك؟! هل لكِ ربٌّ غيري؟! قالت: ربي وربك اللَّه الذي في السماء، فأمر ببقرة من نحاس فأُحْمِيَت، ثم دعا بها وبولدها، فألقاهما فيها» وساق الحديث بطوله، رواه الدارمي، وأبو يعلى الموصلي، وقال الذهبي: هذا حديث حسن الاسناد[1].

= دون قوله: (السماء التي فيها اللَّه ﷻ)، (١٤٤٩)، وصحح الحديث ابنُ منده في الإيمان ٢/ ٩٦٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧-٤٠) وقال بعد أن ساقه بعدة أسانيد: «هذه الأسانيد التي ذكرتها كلها صحيحة على شرط الشيخين»، وقال أبو نعيم فيما نقله عنه شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (ص٨٧): «هذا حديث متفق على عدالة ناقليه»، وقال عنه ابنُ القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٣٦): «صحيح صححه جماعة من الحفاظ» وصححه - أيضًا- في الروح ١٨٤ وقال عن إسناده ١٠٤: وهذا إسناد لا تَسأل عن صحته، وأورده الذهبي في العلو ٢٠ فقال: «هو على شرط البخاري ومسلم، ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب». وصححه في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين برقم (٢٤)، وقال البوصيري في الزوائد (٤/ ٢٥٠): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وصححه أيضًا الكناني في مصباح الزجاجة ٤/ ٢٥٠، وحسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٣٦٧ حديث رقم (١٦٢٧) وغيرها من كتبه -رحمه اللَّه تعالى-.

(١) كما في كتاب العرش له رحمه الله، وأخرجه الإمام أحمد في المسند برقم(٢٨٢١) وصححه أحمد شاكر في تعليقه عليه وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه له، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية برقم (٧٣)، وابن حبان في حيحه برقم=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أُلقيَ إبراهيم عليه السلام في النار، قال: اللهم إنك واحد في السماء، وأنا واحد في الأرض أعبدُك**» رواه الدارمي في النقض، وقال الذهبي: حسن الإسناد[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إن الله يحب فلانا فأَحبَّه، فيُحبُّه جبريل، فينادي جبرائيل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض**» رواه البخاري[٢].

٤) ومن ذلك: التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقال -

= (٢٩٠٤)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤ / ١٨٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٣٨٣٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصحح السيوطي إسناده في الدر المنثور ٥/ ٢١٢، وقال الحافظ ابن كثير ٣ / ٢٢ عن إسناده: إنه لا بأس به، وقال حسين سليم أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى (٤ / ٣٩٤): إسناده صحيح.

(١) كما في كتاب العرش له رحمه الله ص ٤٣، والعلو برقم (٣٤)، وحسنه في الأربعين في صفات رب العالمين برقم (٢٩)، وقد أخرجه الإمام الدارمي في النقض (١ / ٤٩٠) وفي الرد على الجهمية (٥٢) والبزار في مسنده (١٦ / ١٩) وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٩) والخطيب في تاريخ بغداد (١٠ / ٣٤٦)، وحسنه المناوي في التيسير (٢/ ٣٠٢).

(٢) بل هو متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٣٠٣٧، ٥٦٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٧).

تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١] الآية.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه لما قضى الخلق، كَتَبَ عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»(١).

ولمسلم عنه - في حديث طويل -: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه، يتلون كتاب اللَّه، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتْهُم الرحمة، وحفَّتْهُمُ الملائكة، وذكرهم اللَّه فيمَن عنده**»(٢).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ - وذكر الحديث وفيه - فقال: «**ألا تَصفُّون كما تصفُّ الملائكةُ عند ربها؟**» فقلنا: يا رسول اللَّه وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يُتمون الصفوف الأُوَلَ، ويتراصُّون في الصف**»(٣).

ولهما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**احتجَّ آدمُ وموسى عند ربهما عليهما السلام فحجَّ آدمُ موسى**»(٤)وذكر الحديث.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٥١) لكن بلفظ آخره: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»، وأخرجه البخاري بلفظ مسلم برقم (٦٩٦٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٩، ٢٧٠٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (٤٣٠).

(٤) الحديث - بلفظ الشاهد منه - تفرد به مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٢)، وقد رواه=

٥) ومن ذلك: الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع:

* منها: رفعه عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

* ومنها: صعود الأعمال إليه، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تَصدَّق بعدْل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله تعالى يتقبَّلها بيَمينِه، ثم يُربيِّها لصاحبها كما يُربِّي أحدُكم فُلُوَّه، حتى تكون مثلَ الجبل**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى الله عز وجل كأنها شرارة**» قال الذهبي: غريب، وإسناده جيد(٢).

= البخاري في مواضع منها (٣٢٢٨، ٤٤٥٩، ٤٤٦١) وغيرها، لكن دون موضع الشاهد منه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٩٣) بلفظ الشاهد منه معلقًا مجزومًا به، وقد أخرجه - بهذا اللفظ - أحمد في المسند (٨٣٦٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٣٣١٩)، وهو في سنن البيهقي الكبرى برقم (٧٦٢٧)، وصححه الألباني في مختصر إرواء الغليل - (٨٨٦)، وأخرجه - بدون لفظ الشاهد منه - البخاري برقم (١٣٤٤)، مسلم برقم (٢٣٩٠).

(٢) كما في مختصر العلو ٧٥، وصححه السيوطي في الجامع الصغير - (١ / ٨٤) والمناوي في شرحه المسمى بالتيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٢٢، وقال المنذري كما في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٦٥): رواه الحاكم وقال: رواته متفق=

وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب**»[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفِض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعملُ النَّهار قبل عمل الليل، حجابُه النُّور، لو كَشَفَه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٢] وفي ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين وغيرهما.

* **ومنها: صعود الأرواح إلى اللَّه عز وجل، أعني: أرواح المؤمنين**، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][٣].

= على الاحتجاج بهم إلا عاصم بن كليب فاحتج به مسلم وحده، وصححه الألباني كذلك في صحيح الجامع برقم: ١١٨.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٣١٦)، صحيح مسلم برقم (١٩).

(٢) الحديث في صحيح مسلم برقم (١٧٩)، وقد عزاه ابن القيم والذهبي وابن كثير للشيخين. وليس هو كذلك في تحفة الأشراف، وذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين برقم (٤٨٨) في أفراد مسلم فاللَّه أعلم.

(٣) يقول الإمام الدارمي رحمه الله في الرد على الجهمية ٧٠: (قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَفِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دَلالَةٌ ظَاهِرَةٌ أَنَّ اللَّهَ عز وجل فَوْقَ السَّمَاءِ، لأَنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ إِنَّمَا تُفَتَّحُ لأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِرَفْعِ أَعْمَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ عز وجل مِنْهَا، وَلِمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِذَا كَانَ (أي اللَّه تعالى) مَعَ الْمَيِّتِ وَالْعَامِلِ بِنَفْسِهِ فِي الأَرْضِ فَإِلَى مَنْ يُعْرَجُ بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؟ وَلِمَ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِقَوْمٍ، وَتُغْلَقُ عَنْ آخَرِينَ، إِذَا كَانَ اللَّهُ بِزَعْمِكُمْ فِي الأَرْضِ؟ وَمَا مَنْزِلَةُ قَوْلِ اللَّهِ عز وجل عِنْدَهُمْ إِذَنْ: لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَمَنْ آمَنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي احْتَجَجْنَا مِنْهُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَصَدَّقَ هَذَا الرَّسُولَ=

وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل - في قبض الروح وفيه- : «**حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة، فيقول اللَّه تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى**» وذكر الحديث[1].

* **ومنها : عروج الملائكة والروح إليه، قال اللَّه -تبارك وتعالى- :** ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يَتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة**

= الَّذِي رُوِّينَا عَنْهُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، لَزِمَهُ الإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ بِكَمَالِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَإِلا فَلْيَحْتَمِلْ قُرْآنًا غَيْرَ هَذَا، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِهَذَا).

(١) مسند أحمد برقم (١٨٥٣٤) وصححه محققه الأرناؤوط، وأخرجه الدارمي الرد على الجهمية برقم (١١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٢٠٥٩)، وعبد اللَّه بن أحمد في السنة برقم (١٤٣٨)، وقال عنه الحافظ ابن منده في كتاب الإيمان ٢/ ٩٥٩: (هذا إسناد متصل مشهور صحيح على شرط مسلم)، وأخرجه البيهقي شعب الإيمان - (١/ ٦١٢)، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَاد)، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٥٨، وقال عنه في الروح ص ٤٦: هذا حديث ثابت، مشهور، مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومساءلة منكر ونكير، وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي اللَّه، ثم رجوعها إلى القبر، ثم قال: فالحديث صحيح لا شك فيه)، كما نَقل عن الحافظ أبي نعيم الأصبهانى قوله: (هذا حديث متفق على عدالة ناقليه)، وحسن المنذري في الترغيب والترهيب إسناد أحمد ٤/ ١٩٧وقال: (رواتُه محتجٌ بهم في الصحيح)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (١٦٧٦).

الفجر، ثم يَعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم -وهو أعلم بهم- فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[١].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله -تبارك وتعالى- ملائكةً يطوفون في الطرق، يَلتمسُون أهلَ الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون اللَّه تعالى، تَنَادَوا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم - ما يقول عبادي: قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك..» وذكر الحديث، متفق عليه[٢].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كان مَلك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى -عليه الصلاة والسلام- فلطمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه عز وجل فقال: يا ربِّ بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: فليضع يده على ثور، فله بكل شعرة وَارَتْ كَفُّهُ سَنَةً يعيشها، فأتاه فبلَّغَه ما أمره، فقال: ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: الآن، فشمَّهُ شَمَّةً قبض فيها روحه، وردَّ اللَّه على ملك الموت بصرَه» متفق عليه[٣].

---

(١) صحيح البخاري في مواضع (٥٣٠، ٣٠٥١، ٦٩٩٢، ٧٠٤٨)، صحيح مسلم برقم (٦٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٤٥)، صحيح مسلم (٢٦٨٩).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٧٤، ٣٢٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٧٢) لكن بلفظ (فرجع إلى ربه)، وقد رواه بلفظ (العروج) - الذي هو موضع الشاهد منه - البزارُ في مسنده برقم (٩٥٩٣)، والحاكم في المستدرك برقم (٤١٠٧)، وصححه الألباني في مختصر العلو ٧٥.

٦) ومن ذلك: معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى، وإلى حيث شاء الله ﷻ كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في الصحيحين وغيرهما(١).

---

(١) قلت: واقعة معراج نبينا ﷺ إلى ربه واقعة عظيمة، وهي من أجلِّ معجزات نبينا ﷺ التي شرفه الله بها، وهو ثابت بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية الصحيحة المتواترة، وبإجماع المسلمين، فأما دلالة القرآن عليه فقد بيَّنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أحسن بيان - في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - (٦/ ١٦٥) فقال: (وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن، أخبر بمسراه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وفي موضع آخر بصعوده إلى السموات، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأخبر هنا بمسراه ليلا بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك ليريه من آياته، ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر الناس ما فيها من الآيات، فعُلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس، كما قال - في السورة الأخرى-: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أُريَها النبي ﷺ ليلة أسرى به، فكان في إخباره بالمسرى ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ بيان أنه رأى من آياته ما لم يره الناس، وقد بيَّن ذلك في السورة الأخرى، فإنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، وانه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى، وذكر في تلك السورة المسرى، لأنه أمكنه أن يقيم عليه برهانا، فإنه لما أخبرهم به فكذبه من كذبه وتعجبوا من ذلك سألوه عن نعته وصفته، فنعته لهم لم يخرم من النعت شيئا، وأخبر خبر عيرهم التي كانت في الطريق، فظهر لهم صدقه، وكان صدقه في هذا آيةً على صدقه فيما غاب عنهم) ويقول رحمه الله كما في جامع المسائل (١/ ٢١٣): (ولهذا كان قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ دليلًا في المعراج الذي كان بعد المَسْرَى=

= إلى المسجد الأقصى، لم يكن المقصودُ مجردَ رؤية الأقصى، فإنه قد رآه المسلم والكافر والبَرُّ والفاجر، ولكن هو سبحانَه أخبر بذلك ليكون هذا آيةً للرسول، فإنهم قد رأوا المسجد الأقصى، فإذا أخبرهم أنه رآه ووَصَفَه لهم - كما جاء في الحديث الصحيح - كان ذلك حجةً له على أنه رآه، ولم يُمكِنْهم تكذيبُه في ذلك، بخلاف ما لو أخبر بالعروج إلى السماء ابتداءً، فإنهم كانوا إذا كذبوا بذلك لم يكن هناك ما رأوه حتى يَصِفَه لهم، وهو سبحانَه قد أخبر بعُروجِه إلى السماء في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾» اهـ.

وأما ثبوته بالسنة فقد ثبت المعراج بأحاديث صحيحة ثابتة متواترة مستفيضة كما قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحجة في بيان المحجة - (١ / ٥٣٨) - بعد ذكره الدليل القرآني على المعراج: (ثم الأخبار المتواترة بالأسانيد المتصلة أنه عرج به إلى السماء). ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٤٧ - في قصة المعراج-: (وهي متواترة) ويقول السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لوامع الأنوار البهية - (٢ / ٢٨٨): (وعليه يدل القرآن نصا، وصحيح الأخبار إلى السماوات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغته)، بل يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إرشاد الثقات - ٥٨: (ومن دلائل نبوته صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وقد نطق بهذا الكتاب العزيز، وتواترت به الأحاديث تواترا لا يشك من له أدنى إلمام بعلم السنة، ولا ينكر ذلك إلا متزندق، وليس بيده إلا مجرد الاستبعاد، وليس ذلك مما تدفع به الأدلة، ويبطل به الضروريات، وإلا لكان مجرد إنكار وقوع الشيء المبرهن على وقوعه كافيا في دفعه، وذلك خلاف العقل والنقل)، ولأجل ذلك كله قال أبو حفص ابن شاهين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ناسخ الحديث ومنسوخه - ١٨١: (وأما الحديث في نفسه فلا يرده من صح إيمانه وإسلامه)، ونقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٥ / ٤٢) عن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية في كتابه «التنوير» قوله: (وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء) ثم قال: (فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وأما ثبوته بالإجماع فقد نقل أبو الحسن الأشعري - في رسالته إلى أهل الثغر ٦٢ -: =

= (وأجمعوا . . على أن الإيمان بما جاء به من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات واجب). ويقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العلو ١٠٢-: (ومن عقد أئمة السنة السلف والخلف أن نبينا عرج به إلى السموات العلى، عند سدرة المنتهى، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، وفرض اللَّه حينئذ عليه الصلاة، فنزل ومرَّ على موسى، فأخبره فقال: إني قد خبرت الناس قبلك، إن أمتك لا تطيق خمسين صلاة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف).

وأما دلالة واقعة المعراج وأخبارها على علو الرب وفوقيته على خلقه فهي مما لم تكن لتحتاج لتقرير لولا ما حدث في الأمة من زيغ النفاة لصفات الرب، وتهوك المعطلين لخصائصه، الذين اعتدوا على دلالات النصوص بالبغي، ودفعوا في واضحات معانيها بالتقول بالبهتان، وإلا فالمسلمون جميعًا يفهمون من واقعة المعراج أن الرب تعالى كرَّم نبيه محمد ﷺ بأن عَرج به إليه إدناءً له منه وتقريبًا، وخاطبه ربه ليلتئذ بلا واسطة، وفي ذلك يقول إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ - (١ / ٢٧٣): (وفي الأخبار دلالةٌ واضحة أن النبي عُرج به من الدنيا إلى السماء السابعة، وأن اللَّه تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار، فتلك الأخبار كلُّها دالةٌ على أن الخالق البارئ فوق سبع سمواته، لا على ما زعمت المعطلة أن معبودهم هو معهم في منازلهم وكُنُفِهم). ولما سرد أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي دلائلَ القرآن الكريم على علو اللَّه تعالى في كتابه حجج القرآن (٥٠) قال: (وقصة المعراج من أقوى احتجاج)، ويقول الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته - (٢ / ٣٩١): (وقد تواترت الأحاديث الصحيحة التي أجمعت الأمة على صحتها وقبولها بأن النبي عُرج به إلى ربه، وأنه جاوز السموات السبع، وأنه تردد بين موسى وبين اللَّه ﷻ مرارا في شأن الصلاة وتخفيفها، وهذا من أعظم الحجج على الجهمية، فإنهم لا يقولون عرج به إلى ربه، وإنما يقولون عرج به إلى السماء !!).

ويقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٢٣): (وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه لمن تدبره وباللَّه التوفيق).

ولذلك قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد أدلة علو اللَّه تعالى على خلقه في القصيدة=

= النونية الشافية الكافية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية - (١ / ١٠٩) ما نصه:

(وحديث معراج الرسول فثابت وهو الصريح بغاية التبيان
وإلى إله العرش كان عروجه لم يختلف من صحبه رجلان)

ويقول صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ في قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ١١٢: (وأجمع القائلون بالأخبار، والمؤمنون بالآثار، أن رسول اللَّه ﷺ أسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بنص القرآن، ثم عرج به إلى السماء واحدة بعد واحدة حتى إلى فوق السماوات السبع، وإلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من السماء إلى مكة قبل الصبح، وفيه - أيضا - دليل على علو الرب تعالى، وكونه فوق العرش، مستويا عليه، كما قال سبحانه في مواضع من كتابه ومنها قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾).

ويقول الشيخ العلامة محمد بن حسين الفقيه - في كتابه الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي الذي تمم به الصارم المنكي ٣٢٠ - وهو يعدد أدلة علو اللَّه على خلقه - ما نصه: (ومنها: حديث الإسراء. المتّفق عليه عند كافّة المسلمين.، وفيه: أنّه ﷺ عُرِج به إلى السّماء، ورأى ربّه وكلّمه وأدناه منه، وفرض عليه خمس صلوات في اليوم واللّيلة، أفهذا كلّه لا يثبت أنّ اللَّه في السّماء؟! بلى؛ هذه كلّها أدِلّة ظاهرة قاطعة بأنّ اللَّه. جلّ ثناؤه. في السّماء على عرشه، بلا كيف ولا تشبيه ولا تحديد. فبعدًا لقوم لا يؤمنون!).

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢ / ١٦):

وآمن بأن اللَّه فوق عباده بلا جهة تحويه لا رأي عازلِ
بسورة ملك آيتان كلاهما تدل بأن اللَّه فوق السما عليْ
وفي سجدةٍ مَعْ فاطرٍ ثم فصلت وفي أول الأولى وسورةِ سائلِ
ولو لم يكن إلا عروج محمد لكان به إدحاض كل مجادلِ

قلت: ولا يتأتى لمنكر علو اللَّه تعالى وفوقيته على خلقه أن يثبت معراج نبينا ﷺ على ما وردت به الأدلة إلا مع قدر كبير من التعسف والتكلف في معاني ألفاظ تلك الأدلة=

= تأباه هذه الواقعة وأخبارها، ومن هنا قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد دلائل السنة النبوية على علو اللَّه تعالى وفوقيته - في الرد على الجهمية ٦٧ : (وما ذَكر رسول اللَّه من قصته حين أسري به، فعرج به إلى سماء بعد سماء، حتى انتُهي به إلى السدرة المنتهى - التي ينتهي إليها علم الخلائق - فوق سبع سموات، ولو كان (أي اللَّه تعالى) في كل مكان - كما يزعم هؤلاء - ما كان للإسراء والبراق والمعراج إذًا مِن معنى !! وإلى مَن يُعرج به إلى السماء؟! وهو - بزعمكم الكاذب - معه في بيته في الأرض؟! ليس بينه وبينه ستر؟! تبارك اسمه وتعالى عما تصفون)، وقد أشار الإمام أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على من أنكر الحرف والصوت - (٢ / ١) - في فصل عقده لبيان أن الأشعرية موافقون للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول وزائدون عليهم - إلى أن نفيَ العلو تكذيبٌ بالمعراج فقال: (وأنكرت - أي المعتزلة - حديث المعراج، وقال الأشعري: إنه ثابت، ثم قال: اللَّه لا يجوز أن يوصف أنه فوق، فكذَّب بما في حديث المعراج، فصار موافقًا لهم مع إظهاره الخلاف!!). ويقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لحديث المعراج في معرض نقله أدلة العلو في كتاب العرش ٤٢ : (فهذا الحديث - أيضًا - دالٌ على أنه ﷻ فوق السموات، وفوق جميع المخلوقات، لولا ذلك لكان معراج النبي ﷺ إلى فوق السماء السابعة إلى سدرة المنتهى، ودنو الجبار منه، وتدليه ﷻ بلا كيف، حتى كان من النبي ﷺ قاب قوسين أو أدنى، وأنه رآه تلك الليلة، وأن جبريل علا به، حتى أتى به إلى اللَّه تعالى، وهذه المقتضيات كلها التي أفادتنا أنه فوق السماء، باطلةً لا تفيد شيئًا على زعْمِ من قال: إنه في كل مكان بذاته !!، الذين يلزم من دعواهم أنه في الكُنُف والبطون والأرحام، وغير ذلك مما طبع اللَّه بني آدم على خلافه، بل إنما فطرهم على أنه فوق العرش، فوق السماء السابعة، وأرسل رسله بتقرير ذلك، ولم يرسلهم بأنه ليس على العرش، ولا بأنه لا داخل العالم ولا خارجه !!، وسنوضح هذا فيما بعد إن شاء اللَّه تعالى، ونجيب عن المعارضات والشبه التي توردها الجهمية، لأنا الآن في معرض نقل النصوص).
ومعنى التكريم في معراج نبينا ﷺ إنما هو في كونه تقريبًا من اللَّه لرسوله ﷺ، وإدناءًا له منه، كما دل عليه حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - في البخاري في كتاب التوحيد منه برقم (٧٥١٧)- أنه ﷺ قال: (وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة، بتفضيل كلام=

= اللَّه، فقال موسى: رب لم أظن أن يُرفع عليَّ أحدٌ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللَّه، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبارُ ربُّ العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى اللَّه فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة)، قال الحافظ ابن حجر -رحمه اللَّه تعالى-: (وقد أخرج الأموي في مغازيه - ومن طريقه البيهقي - عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: دنا منه ربُّه، وهذا سند حسن).

وفي حديث الإسراء في صحيح مسلم برقم (١٦٢): (فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، . . ، قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول اللَّه ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه).

ولذا قال أبو محمد الجويني رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته في الإستواء والفوقية ٣٣ مشيرًا إلى معنى التكريم في المعراج: (ثم أَجِدُ الرسولَ لما أراد اللَّه تعالى أن يخصه بقربه عَرَج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى)، ومن هنا كان من أنكر علو اللَّه تعالى على خلقه منكرًا لمعنى التكريم وحقيقته في معراج نبينا ﷺ.

فلا مفر لمنكر العلو الإلهي من التكذيب بالمعراج، والتلاعب بمعاني أدلته، بل هو لازم له شاء أم أبى، وذلك أن معراج نبينا ﷺ إنما هو إلى ربه، فإذا جحد علو الرب تعالى وفوقيته فلأي شيء يُعرج به بعد ذلك، وهذا ما أشار إليه الإمام الدارمي - فيما سبق - وغيره، ولذلك يؤكد الإمام أبو عبد اللَّه بن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ هذا التلازم بين الأمرين فيقول - في الصواعق المرسلة (٤ / ١٤٢٧): (كما أنهم لما أصلوا تعطيل الرب من صفة العلو وتعطيل العرش من استواء ربه عليه لزمهم التكذيب بما لا يحصى من الآيات والأحاديث، وإن أقروا بألفاظها، ولزمهم الطعن في خيار الأمة وساداتها، وأئمة الإسلام وأهل السنة والحديث، ولزمهم إنكار نزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، وإنكار مجيئه وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وإن أقروا بذلك أقروا به مجازًا لا حقيقة، ولزمهم - من ذلك - التكذيبُ بمعراج رسول اللَّه إلى ربه، ودنوه منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وتردده بين موسى وبين ربه مرارا، كل=

٧) ومن ذلك: التصريح بنزوله - تبارك وتعالى[١]-:

= ذلك لا حقيقة له عندهم، كما صرح به أفضل متأخريهم، وملك مناظريهم في كلامه على المعراج، وجعله خيالا لا حقيقة له !!).

وقد نقل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٥ عن متكلم السنة إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد بن المظفر المختار الرازي صاحب كتاب (فرع الصفات في تقريع نفاة الصفات) قوله - بعد أن ذكر حجج القرآن والسنة على إثبات علو الرب-: (ثم إن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟، واختلافهم في الرؤية - تلك الليلة - اتفاقٌ منهم على أن اللَّه على العرش، لأن المخالفين لا - يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته، وهم - أي الصحابة - فرقوا، حيث اختلفوا في أحدهما دون الآخر). قال ابن القيم: (قلت: مراده أنهم إنما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة أسري به إلى عنده، فجاوز السبع الطباق، ولولا أنه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفيا ولا إثباتا في تلك الليلة وغيرها).

(١) دلالة أحاديث النزول على علو اللَّه تعالى بيِّنة واضحة، وقد قررها الأئمة في مصنفاتهم، واستدوا بها على ذلك، ومن ذلك قول الإمام الدارمي -رحمه اللَّه تعالى- في الرد على الجهمية ص ٧٣: (والآثار التي جاءت عن رسول اللَّه ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أن اللَّه عز وجل فوق السموات على عرشه بائن من خلقه)، وقال الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه المري الأندلسي شيخ قرطبة المعروف بابن أبي الزمنين (ت٣٩٩هـ) - معلقًا على حديث النزول - في رسالته أصول السنة ص ١١٣: (وَهَذَا ٱلْحَدِيثُ بَيِّنٌ أَنَّ ٱللَّهَ عز وجل عَلَى عَرْشِهِ فِي ٱلسَّمَاءِ دُونَ ٱلْأَرْض)، ولما ذكر الإمام الكبير - الملقب بإمام الأئمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى- أحاديث النزول في كتابه المسمى كتاب التوحيد ١/ ٢٩٠ قال: (وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن اللَّه جل وعلا فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محالٌ في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى !، ومفهومٌ في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل). وقد نقل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٨ عن أبي القاسم عبد اللَّه بن خلف المقري الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أنه ذكر حديث النزول - ثم قال: (في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في=

كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل ربُّنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثُلُثُ الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيَه؟ من يَستغفرني فأغفرَ له**»(١)، وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نحو ثلاثين صحابيًّا(٢)، وقد ثبت -أيضًا- نزولُه تعالى ليلةَ النِّصف من شعبان(٣)، وعشيَّةَ عرفة، وعند فناء الخلق،

= السماء على العرش فوق سبع سموات)، وقال الإمام أبو عمر ابن عبد البر -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه التمهيد ٧/ ١٢٩ - بعد ذكره لحديث أبي هريرة في النزول-: (وفيه دليل على أن اللَّه ﷿ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن اللَّه ﷿ في كل مكان، وليس على العرش !!) قلت: بل هو حجة لإثبات علو اللَّه تعالى حتى على من يتأول نزول الرب تعالى بنزول أمره، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: (وقد سُئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول؟ فقال: ينزل أمره، فقال له السائل: فممن ينزل - أي أمره -؟! ما عندك فوق العالَم شيء !! فممن ينزل الأمر؟! مِن العدم المحض؟! فبهت). مجموع الفتاوى ٥/ ٣٦٩.

(١) صحيح البخاري برقم (١٠٩٤)، صحيح مسلم برقم (٧٥٨).

(٢) وبناءًا على ذلك فهو حديث متواتر اللفظ والمعنى، وممن صرح بتواتره من أهل العلم بالسنة والحديث الإمام أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان (٤٤٤ هـ) ﵀ في الرسالة الوافية ١٣٥، والحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٢٨)، والحافظ عبد الغني المقدسي كما في تذكرة المؤتسي شرح عقيدة عبد الغني المقدسي (١١٠) وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النزول (ص ١٠٨) والإمام محمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٣٠٣- وابن القيم في تهذيب السنن ٧/ ١٠٨؛ والذهبي في العلو ص٧٣-٧٩؛، وأبو زرعة الرازي كما في عمدة القاري ٧/ ١٩٩، والكتاني في النظم المتناثر ص١٩١، والعلامة عبد الرحمن بن سعدي في توضيح الكافية الشافية ص١٤٧، والألباني في تخريجه لشرح الطحاوية ص ٥٢٢.

(٣) من حديث عائشة ﵂ أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٦٠١٨)، والترمذي في السنن=

حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار، وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده، كما يشاء، وعلى ما يليق بجلاله وعظمته. وسيأتي - إن شاء الله تعالى- بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن.

٨) ومن ذلك: تَنَزُّلُ الملائكة، ونزول الأمر من عنده، وتَنْزيل الكتاب منه[1]، -تبارك وتعالى- قال الله ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]، وقال حكاية عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ﴾ [مريم: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] الآية وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿كِتَـٰبٌ

= برقم (٧٣٩) ونقل تضعيف البخاري له، وابن ماجه برقم (١٣٨٩) بلفظ: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْب)، قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (١١٤٤): وجملة القول أن الحديث - بمجموع هذه الطرق - صحيح بلا ريب والصحة تثبت بأقل منها عددًا مادامت سالمة من الضعف الشديد كما هو الشأن في هذا الحديث.

(١) يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه التبيان في أقسام القرآن ص ١٤٥: (وأفاد كونه تنزيلا من رب العالمين مطلوبين عظيمين من أجلِّ مطالب الدين: أحدهما: أنه المتكلم، وأنَّه منْه نَزَل، ومنه بَدأ، وهو الذي تكلم به، ومن هنا قال السلف: منه بدأ، ونظيره: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾.
والثاني: علو الله سبحانه فوق خلقه، فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل، والرب تعالى إنما يخاطب عباده بما تعرفه فطرهم، وتشهد به عقولهم).

أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٤] وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح عن ابن عباس ﵄: بلغ أبا ذر مبعثُ النبي ﷺ، فقال لأخيه: «اعلم لي علمَ هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء»[١]، وقد تقدم في حديث الذهيبة قوله ﷺ: «يأتيني خبر السماء صباحا ومساء».

وفيه من حديث ابن مسعود ﵁ قال رجل: يا رسول اللَّه أيُّ الذنب أعظم؟ وذكر الحديث إلى أن قال: فأنزل اللَّه تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[٢] الآيات، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

٩) ومن ذلك: **رفعُ الأيدي إليه والأبصار**، كما في أحاديث القنوت، وأحاديث الاستسقاء[٣]، وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا الجزور وهو ساجد[٤]، وحديث استغاثته ربه ببدر،

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٤٨) موصولًا، وأورده معلقًا في (باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وَقَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾) صحيح مسلم (٢٤٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٧٠٩٤).

(٣) مما ورد في رفع النبي ﷺ يديه في الاستسقاء ما في البخاري برقم (٣٣٧٢) ومسلم برقم (٨٩٥) من حديث أنس أن النبي ﷺ: كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، وفي قصة الأعرابي الذي دخل على الرسول ﷺ وهو يخطب الجمعة فطلب منه أن يستسقي لهم فرفع النبي ﷺ يديه ودعا أخرجها البخاري برقم (٨٩١) ومسلم برقم (٨٩٧). وغير ذلك.

(٤) لم أقف على رفع اليدين في هذه القصة.

ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه(١)، وكذا في أُحُد، والخندق، وحُنين، واستغفاره لرفيق أبي موسى يومئذ(٢) وغير ذلك، فكتب السنة مملوءة بهذا النوع.

* وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث، في وقائع متفرقة، وذلك معلومٌ بالفِطَر، فكل مَن حَزَبَه أمرٌ من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو اللَّه ﷻ(٣).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٣).
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٢٠، ٤٠٦٨) ومسلم برقم (٢٤٩٨).
(٣) تحسن الإشارة في هذا المقام إلى ما ذكره ابنُ أبي العز رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢٤ فقال: (وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس الاستاذ أبي المعالي الجويني - المعروف بإمام الحرمين - وهو يتكلم في نفي صفة العلو - ويقول: كان اللَّه ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنَّه ما قال عارف قط: يا اللَّه، إلا وَجَدَ في قلبه ضرورةَ طلبِ العلوِّ !!، لا يلتفت يمنةً ولا يَسْرةً !!، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟! قال فلطم أبو المعالي على رأسه !! ونزل، وأظنه قال: وبكى، وقال: حيَّرَني الهمذاني، حيرني).
وقد ذكر هذا الدليلَ الفطري عددٌ من الأئمة الكبار، ونقلوا إجماع الخلق واتفاقهم عليه، وأشاروا إلى كونه من الضرورات الفطرية التي لا مدفع لها عن القلوب، ولا يمكن لأحد إنكارها والمكابرة فيها، يقول خطيب أهل السنة عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) رحمه الله في تأويل مختلف الحديث ٢٧١: (ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما رُكبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن اللَّه تعالى هو العلي وهو الأعلى، وهو بالمكان الرفيع، وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه، والأيدي ترفع بالدعاء إليه، ومن العلو يُرجى الفرج، ويتوقع النصر، وينزل الرزق، . . والأمم كلها عربيها وعجميها تقول: إن اللَّه تعالى في السماء ما تُركت=

= على فطرها، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم)، ويقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في نقضه على المريسي ١/ ٢٢٨: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن اللَّه في السماء وحدُّوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حَزَبَ الصبيَّ شيءٌ يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد باللَّه وبمكانه أعلم من الجهمية)، ويقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢٩٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العرش ص٥١: (وأجمع الخلق جميعًا أنهم إذا دعوا اللَّه جميعًا رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء، وهو معهم في الأرض)، وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)-رحمه اللَّه تعالى- في كتاب التوحيد ١/ ٢٥٤: (باب ذكر البيان أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجهالهم أحرارهم ومماليكهم ذكرانهم وإناثهم بالغيهم وأطفالهم كل من دعا اللَّه جل وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يديه إلى اللَّه إلى أعلاه لا إلى أسفل). ويقول أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٢٤هـ) في الإبانة ١٠٥: (ورأيت المسلمين جميعا يرفعون أيديهم نحو السماء إذا دعوا لأن اللَّه على العرش ولولا أن اللَّه على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يخفضونها إذا دعوا إلى الأرض) ويقول الإمام أبو عمر ابن عبد البر النمري (٣٦٨ ه)-رحمه اللَّه تعالى- في التمهيد ٧/ ١٣٤: (ومن الحجة أيضا في أنه عَزَّ وَجَلَّ على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج فيه إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم)، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية - (٤ / ٤٤٤) عن أبي الحسن علي بن مهدي الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: قال البلخي: (وإنما أمرنا اللَّه تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه)، ونقل عن الباقلاني قوله - بعد ذكره لأدلة رفع اليدين إلى السماء بالدعاء-: (وهذا تصريح بأن الأيدي إنما ترفع إلى اللَّه نفسه، وأنه يجب أن يصح رفعها إليه حيث كان، وأنه إنما اختص رفعها بجهة العلو لأن اللَّه هناك)، ونقل الإمام ابن القيم في حاشيته على سنن=

= أبي داود - (١٣ / ٢٦) عن الخطابي أنه قال -في كتاب شعار الدين- : (وقد جرت عادة المسلمين خاصتهم وعامتهم أن يدعوا ربهم عند الابتهال والرغبة إليه ويرفعوا أيديهم إلى السماء وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن المدعو في السماء ﷻ)، ويقول أبو يعلى الفراء (٤٥٨هـ) فيما نقله عنه شيخ الإسلام في درء التعارض (٦ / ٢٠٨) - بعد أن ذكر الأدلة على علو اللَّه تعالى- : (كل عاقل من مسلم وكافر إذا دعا فإنما يرفع يديه ووجهه إلى نحو السماء وفي هذا كفاية). وقد نقل الإمام ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٥ عن متكلم السنة إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد ابن محمد المظفري صاحب كتاب (فرع الصفات في تقريع نفاة الصفات) قوله - بعد أن ذكر حجج القرآن والسنة على إثبات علو الرب- : (وأما المعقول فمن وجوه خمسة: أحدهما: إطباق الناس كافة وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الأيدي إلى السماء عند السؤال والدعاء بخلاف السجود، فإنه تواضع متعارف بخلاف التوجه إلى الكعبة، فإنه تعبد غير معقول، أما رفع الأيدي بالسؤال نحو المسؤول فأمر معقول متعارف. قال: ومن نظر في قصص الأنبياء وأخبار الأوائل القدماء وأنباء الأمم الماضية والقرون الحالية اتضحت له هذه المعاني واستحكمت له هذه المباني)، ثم قرر العلو وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع؛ -رحمه اللَّه تعالى- . اهـ

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الحموية الكبرى ص ٩ - بعد أن ذكر جملة من أدلة رفع اليدين بالدعاء- : (إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا اللَّه مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينيًا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن اللَّه ألقى إلى أمته المدعوين - أن اللَّه سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر اللَّه على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته).

ويقول رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٤٥٨): (الذين يرفعون أيديهم وأبصارهم وغير ذلك إلى السماء وقت الدعاء تقصد قلوبهم الرب الذي هو فوق وتكون حركة جوارحهم بالإشارة إلى فوق تبعا لحركة قلوبهم إلى فوق وهذا أمر يجدونه كلهم في قلوبهم وجدًا ضروريًا إلا من غيرت فطرته باعتقاد يصرفه عن ذلك)، ثم ذكر قصة=

وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود[١] وهو في الصحيح بدون رفع البصر[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما طَرَفَ صاحب الصور مذ وُكِّل به، مستعدًّا، ينظر نحو العرش، مخافةَ أن يُؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّان»** أخرجه الحاكم وصححه[٣].

وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يُطيل الصلاة، ثم

= أبي جعفر الهمذاني مع أبي المعالي التي سبق ذكرها ثم قال: (فأخبر هذا الشيخ عن كل من عرف الله أنه يجد في قلبه حركة ضرورية إلى العلو إذا قال يا الله وهذا يقتضي أنه في فطرتهم وخلقتهم العلم بأن الله فوق وقصده والتوجه إليه إلى فوق).

وإذ قد ثبت استقرار ذلك في عقول العالمين وفطرهم، وأجمعوا عليه إجماعًا ضروريًا فيحسن الإشارة إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بيان تلبيس الجهمية (٥ / ٥): (فمن اعتقد أن الأمم المختلفةَ الملل والأجناس إذا اجتمعت على مثل هذا الأمر - من غير أن يجمعها عليه جامع خاص - تكون مخطئة فلا ريب أنه - مع كونه قد قدح في إجماع المسلمين - مصابٌ في عقله، كما هو مصاب في دينه، حيث جوز أن يكون الأولون والآخرون مخطئين وهو المصيب!!).

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (١٧٠)، والنسائي في الكبرى برقم (٩٨٣٢)، والبزار (١ / ٣٦١)، وقد صحح هذه الروايةَ ابنُ الملقن في البدر المنير ٢ / ٢٨٤ قائلًا: فهذا إسناد على شرط الشيخين.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٣٤).

(٣) قائلًا: (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) كما في المستدرك (٤ / ٦٠٣)، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٧٨): أصاب الحاكم، وصححه - أيضًا - في مختصر العلو ص ٧٥، وهو في العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني برقم (٣٩١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١٨٥)، ، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٦٨، وجوَّد إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٢٤١، وفي تخريج أحاديث الإحياء - (٤ / ٢٢٧).

يركع، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السماء، نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء: قال الذهبي: إسناده صالح[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**» الحديث بطوله، قال الذهبي: إسنادُه حسن[(٢)]، وفيه أحاديث غير ما ذكرنا.

١٠) ومن ذلك: إشارةُ النَّبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه[(٣)].

---

(١) مسند ابن الجعد ص٢١٠، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٦٦٩)، وحلية الأولياء (٢/ ٣٢٧)، إثبات صفة العلو لابن قدامة برقم (٤٤)، وصححه الذهبي في العلو ص١٢٦.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد برقم (١٢٠٣)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٩٧٦٣) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٨٤٢)، والمسند للشاشي برقم (٤١٠)، قال الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص١٢٢: وهو حديث صحيح، وقال الحافظ المنذري - في الترغيب والترهيب ٤/ ٢١٣-: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني من طُرُق، أحدُها صحيح، وقال عنه ابن القيم - في حادي الأرواح ٢١٥-: هذا حديث كبير حسن، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٥٧.

(٣) يقول الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني -رحمه الله تعالى- في كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ٢/ ١١٦: (وزعم هؤلاء - يعني المعتزلة-: أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد !!. وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في=

كما في حديث جابر الطويل - عند مسلم[١] - وفيه: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتابَ اللَّه، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، ويَنْكُتُها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد. .**» ثلاث مرات وذكر الحديث.

= قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وزعموا: أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات. وعند المسلمين أن للَّه ﷻ علو الغلبة. والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علوَّ الذات، وعلوَّ الصفات، وعلوَّ القهر والغلبة. وفي منعهم الإشارة إلى اللَّه سبحانه من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل. لأن جماهير المسلمين، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى اللَّه جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال. فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة. ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٣٩: (الاشارة إلى فوق إلى اللَّه في الدعاء وغير الدعاء باليد والأصبع أو العين أو الرأس أو غير ذلك من الاشارات الحسية قد تواترت به السنن عن النبي ﷺ واتفق عليه المسلمون وغير المسلمين) -ثم ذكر عددًا من الأحاديث في ذلك - ثم قال: (وعن سعد بن أبي وقاص قال: مر علي النبي ﷺ وأنا أدعو بإصبعيَّ فقال: (أَحِّد أَحِّد) وأشار بالسبابة) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وأخرج الترمذي والنسائي من حديث أبي عن أبي هريرة نحوه وقال: «حسن غريب»، قالوا ومعناه أشر بواحدة، فإن الذي تدعوه واحد، وهذا نص بيِّن في أن الإشارة إلى اللَّه حيث قال له: «أحد أحد» أي أحد الإشارة فاجعلها بإصبع واحدة، فلو كانت الإشارة إلى غير اللَّه لم يختلف الأمر بين أن يكون بواحدة أو أكثر، فعلم أن الإشارة لما كانت إلى اللَّه وهو إله واحد أمره أن لا يشير إلا بإصبع واحدة لا باثنين).

(١) صحيح مسلم برقم (١٢١٨).

وللبخاري[١] من حديث ابن عباس في خطبته ﷺ -يوم النحر- وفيه: ثم رفع رأسه، فقال: «اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟» الحديث.

١١) ومن ذلك: النصوص الواردة في ذكر العرش، وصفته، وإضافته غالبًا إلى خالقه -تبارك وتعالى-، وأنه - تعالى- فوقَه[٢]، قال اللَّه تعالى:

(١) صحيح البخاري برقم (١٦٥٢).

(٢) وقد تواترت آيات الكتاب وأحاديث السنة وآثار الصحابة والتابعين فمن بعدهم بذكر عرش الرحمن وأنه أول المخلوقات وأعظمها وأوسعها كما أنه أعلى المخلوقات وسقفها وأنه سقف الجنة، وأن له قوائم، وله حملة، وهو كالقبة على العالم كما ذكر الحافظ في البداية والنهاية ١/ ١٢وغيره. وأن الرب تعالى مستو عليه أي عالٍ عليه كما أخبر بذلك عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله ﷺ، وغير ذلك مما يوجب العلم القطعي الضروري بوجود عرش الرحمن حقيقة، ومع ذلك كله فقد بلغ الأمر بنفاة علو اللَّه تعالى وفوقيته سبحانه إلى جحودهم وجود عرش اللَّه تعالى حقيقة بعد جحودهم إستواءه عليه، وردُّوا وحرفوا عامة نصوص الكتاب والسنة الواردة بذكره، وحملوها على معان مجازية يبطلون بها حقيقته، ورحم اللَّه الإمام الحجة عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) حينما عقد في كتابه العظيم الرد على الجهمية ص ٣٢ بابًا سماه: (باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة) قال فيه: (وما ظننا أنا نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به!! حتى ابتُلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات اللَّه، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا، وإلى اللَّه نشكو ما أوهت هذه العصابة من عُرى الإسلام، وإليه نلجأ، وبه نستعين)، ويقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العرش ص٥١: (تواترت الأخبار أن اللَّه تعالى خلق العرش فاستوى عليه بذاته، . . .، فهو فوق السماوات، وفوق العرش بذاته، متخلصا من خلقه، بائنا منهم، علمه في خلقه، لا يخرجون من علمه)، وقال الإمام أبو الحسن الملطي الشافعي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٩: (قال أبو عاصم خشيش بن أصرم: وقد أنكر جهم أن يكون اللَّه على العرش، (وذكر الآيات في ذكر العرش ثم قال): من كفر بآية من كتاب اللَّه فقد كفر به أجمع، فمن أنكر العرش فقد=

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ

= كفر به أجمع، ومن أنكر العرش فقد كفر بالله، وجاءت الآثار بأن لله عرشا، وأنه على عرشه) وقال الإمام أبو عبد الله ابن بطة العُكبري (٣٨٧هـ)في الإبانة ٣/ ١٩٢: (باب ذكر العرش والإيمان بأن لله تعالى عرشا فوق السموات السبع) ثم قال: (اعلموا رحمكم الله أن الجهمية تجحد أن لله عرشًا، . . وجاءت الأخبار وصحيح الآثار من جهة النقل عن أهل العدالة وأئمة المسلمين عن المصطفى ﷺ من ذكر العرش ما لا ينكره إلا الملحدة الضالة. . قال الشيخ: فقد ذكرتُ في هذا الباب من أمر العرش ما نزل به القرآن، وصحت بروايته الآثار، وأجمع عليه فقهاء الأمصار وعلماء الأمة من السلف والخلف)، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن أبي عمر الطلمنكي -رحمه الله تعالى- نقله للإجماع على إثبات العرش واستواء الله عليه فقال -كما في مجموع الفتاوى ٥/ ٥١٩-: (وقال أبو عمرو الطلمنكي: وأجمعوا - يعنى أهل السنة والجماعة - على أن لله عرشا، وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمُه وقدرتُه وتدبيرُه بكل ما خلقه، قال: فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء). وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه الله تعالى- في كتاب التوحيد ١/ ٢٣١: (باب ذكر استواء خالقنا - العلي الأعلى الفعال لما يشاء - على عرشه، فكان فوقه، وفوق كل شيء عاليا، كما أخبر الله جل وعلا - ثم ذكر الأدلة على ذلك ثم قال - فنحن نؤمن بخبر الله -جل وعلا- أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود، كما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة، مخالفين لأمر الله -جل وعلا-، كذلك الجهمية. . قال أبو بكر: فالخبر يصرح أن عرش ربنا -جل وعلا- فوق جنته، وقد أعلمنا -جل وعلا - أنه مستو على عرشه، فخالقنا عالٍ فوق عرشه، الذي هو فوق جنته).

ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤، ١٥] إلى غير ذلك.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا اللَّه العليم الحليم، لا إله إلا اللَّه رب العرش العظيم، لا إله إلا اللَّه رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم**»[1].

وفيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدَّها اللَّه للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فسَلُوه الفِرْدوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقَه عرشُ الرحمن، ومنه تفجر أنهارُ الجنة**»[2].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكونُ أولَ من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش. .**»[3] الحديث.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يدُ اللَّه ملأى، لا يغيضُها نفقةٌ، سحَّاءَ الليلَ والنَّهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، وعرشُه على الماء، وبيده**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٠)، صحيح مسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٣٧، ٦٩٨٧)، صحيح مسلم برقم (١٨٨٤) مختصرا.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢١٧، ٣٢٢٧، ٣٢٢٢، ٤٣٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٤)، وهو متفق عليه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق؟ فأفاق، أو كان ممن استثنى اللَّه عز وجل؟**».

الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض»[١] وفي رواية: «**وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع**»[٢].

وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم اللّٰه تعالى في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**»[٣].

وعن جابر بن عبد اللّٰه رضي الله عنهما أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «**أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن مَلَكٍ من ملائكة اللّٰه تعالى من حملة العرش، أن ما بين شَحمةِ أُذُنِه إلى عاتِقِهِ مسيرةُ سبعمائة عام**»، رواه أبو داود[٤].

١٢) ومن ذلك: ما قصه اللّٰه تعالى عن فرعون - لعنه اللّٰه - في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه اللّٰه عز وجل العليُّ الأعلى، خالق كل شيء وإلهه، قال اللّٰه تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، **وقال تعالى في سورة**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٠٧، ٦٩٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٢٩، ١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٧٢٧)، والمعجم الأوسط برقم (١٧٠٩)، والعظمة لأبي الشيخ برقم (٤٧٦)، وقد صحح إسنادَ أبي داود الذهبيُّ في العلو ١/ ٩٧، والمناويُّ في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٣٥، وقال عنه الحافظ في الفتح ٨/ ٦٦٥: وإسناده على شرط الصحيح، وقال عنه المؤلف في الأصل ١/ ١٧٢: وإسناده جيد، رجاله كُلُّهم ثقات، ورواه ابن أبي حاتم بإسناد آخر جوَّده الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/ ٤١٥ وقال: رجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود برقم (٤٧٢٧)، والمشكاة (٥٧٢٨)، والصحيحة (١٥١).

المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، ففرعون -لعنه اللَّه تعالى- كذَّب موسى في أن رب السموات والأرض، ورب المشرق والمغرب وما بينهما، هو اللَّه الذي في السماء، فوقَ جميع خلقه، مباينٌ لهم، لا تخفى عليه منهم خافية، فكلُّ جَهْمِيٍّ نافٍ لعلوِّ اللَّه ﷻ فهو فرعوني، وعن فرعون أَخَذَ دينه، وكلُّ سُنِّي يصف اللَّه تعالى بما وصف به نفسه، أنه استوى على عرشه، بائن من خلقه، فهو مُوسَوي محمَّدي، متبع لرسل اللَّه وكتبه.

١٣) ومن ذلك: ما قصه اللَّه تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، قال أبو بكر بن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى- على هذه الآية: «أفليس العلم محيطًا يا ذوي الألباب أن اللَّه ﷻ لو كان في كل موضع، ومع كل بشر وخلق، -كما زعمت المعطلة- لكان متجليًا لكل شيء؟!، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان اللَّه تعالى متجليًا لجميع أرضه، سهلها ووعرها، وجبالها وبراريها ومفاوزها، ومدنها وقراها، وعماراتها وخرابها، وجميع ما فيها من نبات وبناء، لجعلها دكًّا؟! كما جعل اللَّه الجبل الذي تجلى له دكا؟! قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ انتهى.

* وبالجملة فجميع رسل اللَّه -عليهم الصلاة والسلام- وجميع كتبه المنزلة، وجميع أهل السموات، ومؤمني أهل الأرض، من الجن والإنس، أتباع رسل اللَّه، وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تَجْتَلْهَا الشياطين عن دينها، جميعُها شاهدةٌ حالًا ومقالًا، أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألهه، وتفزع إليه، وتدعوه رغبًا ورهبًا، هو فوق كل شيء، عالٍ على جميع خلقه، استوى على عرشه، بائنًا من مخلوقاته، وهو يعلم أعمالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، وجميع تقلباتهم وأحوالهم، لا يخفى عليه منهم خافية.

* ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم، وحرهم ومملوكهم، وذكرهم وأنثاهم، وصغيرهم وكبيرهم، كلٌ منهم إذا دعا اللَّه -تبارك وتعالى- في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء، إلى جهة العلو، إلى من يعلم سرَّه ونجواه، متوجِّهًا إليه بقلبه وقالبه، يعلم أن معبودَه فوقَه، وأنه إِنَّما يُدعَى من أعلى لا من أسفل -كما يقول الجهمية قبحهم اللَّه تعالى- وتَنَزَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا.

* ونحن نُشهد اللَّه تعالى، وحملة عرشه، وجميع ملائكته، وأنبياءه ورسله، وجميع خلقه، أنا نُثبت لربنا ﷻ ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته رسوله ﷺ، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، من أن ربَّنا وإلهنا فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه، لا يخفى عليه منهم خافية، واستواؤُه على عرشه كما أخبر، وعلى الوجه الذي عناه وأراده، كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا نتكلف لذلك تأويلًا، ولا تكييفًا، بل نقول: آمنا باللَّه، وبما جاء عن اللَّه، على مراد اللَّه، وآمنا

برسول اللَّه، وبما جاء عن رسول اللَّه، على مراد رسول اللَّه ﷺ، ولا نطلب إمامًا غيرَ الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما، ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطقُ بما نطقا به، ونسكتُ عما سكتا عنه، ونسير سيرهما حيث سارا، ونقف معهما حيث وقفا، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

٣٣) وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمُو بِعِلْمِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُو

٣٤) وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّهْ لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَهْ

٣٥) فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ وَهْوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ

(ومع ذا) الاتصاف بالعلو، والاستواء على العرش، والمباينة منه لخلقه -تبارك وتعالى- فهو (مُطَّلِع) ﷻ (إليهمو) الواو للإشباع (بعلمه) المحيط بجميع المعلومات، لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع -تبارك وتعالى- بين ذلك في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥- ٧]، فجمع - تعالى- بين استوائه على عرشه، وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع -تعالى- بينهما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول: «واللَّه فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[1]، وغير

(١) سبق تخريجه.

ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين (مهيمنٌ) رقيب (عليهمو) بواو الإشباع، (وذِكْرُه) تبارك وتعالى (للقُرْب) في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عُنُق راحلته»[1]، وكذلك ذِكْرُه (المعية) العامة في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وكذا المعية الخاصة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقول: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، كلٌّ ذلك (لم ينفِ للعلو) المذكور في النصوص السابقة من الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة (والفوقية) عطف على العلو، وهو رديفه في المعنى، بل كل ذلك حقٌّ على حقيقته، ولا منافاة بين قربه ﷻ وبين عُلُوِّه (فإنه) هو (العلي) المتصف بجمع معاني العلو، ذاتًا وقهرًا وشأنًا (في دُنُوِّه) فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة، وعشية عرفة، وغير ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاء

---

(١) هذا الحديث - بلفظ الشاهد منه - تفرد به مسلم في صحيحه برقم (٢٧٠٤)، وهو في البخاري - بدون لفظ الشاهد منه - في مواضع (٢٨٣٠، ٣٩٦٨، ٦٠٢١ وغيرها) من حديث أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه.

بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافيا لفوقيته فوق عباده، واستوائه على عرشه، فإنه ليس كمثله شيء، في ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله(١).

* ومعيَّتُه العامة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] معناها: إحاطتُه بهم علمًا وقدرة، كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك(٢).

---

(١) ويبين ابن القيم - رحمه اللَّه تعالى - أنه لا منافاة بين علوه سبحانه وقربه فيقول كما في مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦٠: (فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه؛ مُطَّلعٌ على خلقه؛ يرى أعمالهم، ويرى ما في بطونهم، وهذا حقٌّ لا يُناقض أحدُهما الآخر.
والذي يُسهِّل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الربِّ؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهنَّ، فكيف يستحيل في حقِّ مَنْ هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟).

(٢) اعلم أن نفاة علو اللَّه تعالى وفوقيته يستدلون بالآيات الواردة في الإخبار بمعية اللَّه تعالى لخلقه وقربه من عباده على نفي علوه تعالى وفوقيته على عباده، مع أن الأمة مجمعة على أن معية اللَّه تعالى لخلقه إنما هي علمه بهم، وإحاطته بشؤونهم، قال مالك ابن أنس: اللَّه تعالى في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان، وعن معدان قال: سألت سفيان الثوري عن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، قال: علمه، وقال أبو طالب: سألت أبا عبد اللَّه عن رجل قال: إن اللَّه معنا وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؟ قال أبو عبد الله: قد تجهَّم هذا (أي قال بقول الجهمية)، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها !!: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ العلم معهم، وقال: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فعلمه معهم، وقيل لأبي عبد الله: فرجلٌ قال: أقول كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أقول هكذا، ولا أجاوزه إلى غيره؟ فقال أبو عبد الله: هذا كلام=

* وأما معيَّتُه الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غيرُ المعيَّة العامة، فهو معهم بالإعانة، والرعاية، والكفاية، والنصر والتأييد، والهداية والتوفيق والتسديد، وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه دونه.

* وكفاك قول اللَّه ﷻ فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: «ولا يزال عبدي

= الجهمية، قالوا كيف نقول؟ قال: علمه معهم، وأول الآية يدل على أنه علمه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾. انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/ ١٣٦.

وفي ذلك يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه اللَّه تعالى- معلقًا على بعض النصوص الدالة على القرب - في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢ / ٣٣١)-:

(ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة اللَّه وجلاله، واطِّلاعه على عباده، وإحاطته بهم، وقربه من عابديه، وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيما وإجلالا ومهابة ومراقبة واستحياء، ويعبدونه كأنهم يرونه.

ثم حدث بعدهم مَن قلَّ ورعه، وساء فهمه وقصده، وضعفت عظمة اللَّه وهيبته في صدره، وأراد أن يُري الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن اللَّه بذاته في كل مكان، كما يُحكى ذلك عن طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى اللَّه عما يقولون علوا كبيرا، وهذا شيء ما خَطَر لمن كان قبلهم من الصحابة ﷺ، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد حذر النبي ﷺ أمته منهم في حديث عائشة الصحيح المتفق عليه.

وتعلقوا - أيضا - بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب اللَّه، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فقال من قال من علماء السلف حينئذ: إنما أراد أنه معهم بعلمه، وقصدوا بذلك إبطال ما قاله أولئك، مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن.. وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أن المراد علمه، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال: أنه تعالى بذاته في كل مكان).

يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحبَبْتُهُ كُنْتُ سمعه الذي يسمع به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها»[1]، وليس معنى ذلك: أن يكون جوارحَ للعبد -تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا-، وإنما المراد: أن من اجتهد بالتقرب إلى اللَّه ﷻ بالفرائض، ثم بالنوافل، قرَّبَه إليه، ورقَّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصيرُ يعبد اللَّه على الحضور والمراقبة، كأنَّهُ يراه، فيمتلىء قلبُه بمعرفة اللَّه تعالى، ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصيرَ هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهَدًا له بعين البصيرة، فمتى امتلأ القلبُ بعظمة اللَّه تعالى مَحَا ذلك من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادةَ إلا لما يُريدُ منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبدُ إلا بذكرِهِ، ولا يَتحرك إلا بأمره، فإن نَطَقَ نَطَقَ باللَّه، وإن سَمِع سَمِع به، وإن نَظَرَ نَظَرَ به، وإن بَطَشَ بَطَشَ به، فهذا هو المراد بقوله ﷻ: «كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها»، ومن أشار إلى غير هذا، فإنما يُشير إلى الإلحاد، من الحلول والاتحاد، واللَّه ورسوله بريئان منه (وهو القريبُ جَلَّ في عُلُوِّه) فهو ﷻ مستوٍ على عرشه، عالٍ على جميع خلقه، وهو قريبٌ يُجِيب دعوة الداع إذا دعاه، ويعلم سرَّه ونجواه، وهو أَقْربُ إلى دَاعيْهِ من عُنق راحلته، ويعلم ما توسوس به نفسُ الإنسان وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإن الذي عند عنق راحلته، أو عند حبل وريده، لا يعلم ما خفي عليه من كلامه، واللَّه ﷻ على عرشه، ويعلم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة ﵁.

السر وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو مع خلقه بعلمه وقدرته، لا تَخفى عليه منهم خافية، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو على كل شيء شهيد، وبكل شيء محيط، فهو - سبحانه - القريب في علوه، العليُّ في دنوه، وهو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم.

٣٦) حَـيٌّ وَقَـيُّـومٌ فَـلَا يَـنَـامُ وَجَـلَّ أَنْ يُـشْـبِـهَـهُ الأَنَـامُ

٣٧) لَا تَـبْـلُـغُ الأَوْهَـامُ كُـنْـهَ ذَاتِـهِ وَلَا يُـكَـيِّـفُ الْـحِـجَـا صِـفَـاتِـهِ

(حي) لا يموت، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، فهو الحي الذي لم تُسبق حياتُه بالعدم، ولم تُعقَّب بالفناء، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»(١)، (وقيُّومٌ) فهو القيوم بنفسه، القيِّم لغيره، فجميع الموجودات مُفتقِرةٌ إليه، وهو غنيٌّ عنها، ولا قوام لها إلا به، ولا قوام لها بدون أمره، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، وهو القائم على كل شيء، والقائم بجميع أمور عباده، والقائم على كل نفس بما كسبت، وفي الصحيحين من دعائه ﷺ في صلاة الليل: «**اللهم لك الحمد**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٤٨)، ومسلم برقم (٢٧١٧).

أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض»[١] الحديث، (فلا ينام) أي: لا يعْتَريه نقص، ولا غفلة، ولا ذهولٌ عن خلقه، فإن ذلك نقصٌ في حياته وقيوميته، ولهذا أردف هذين الإسمين بنفي السِّنَة والنوم فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا تغلبه سِنَة وهو: الوسن والنعاس، ولا نوم، ونفيُه من باب أولى، لأنه أقوى من السِنَة، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية، وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات فقال: «**إن اللَّه لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، أو النار، لو كَشَفَهُ لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه**»[٢]، (وجَلَّ أن يُشبهه الأنام) في ذاته، أو أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، لأن الصفات تابعة لموصوفها، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات.

* ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى اللَّه إليه أهل السنة والجماعة، لما نفوا عن اللَّه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسول اللَّه ﷺ، ولما عطَّلوه عن صفات كماله، ونعوت جلاله، فرارًا بزعمهم من التشبيه، فوقعوا في أعظم من ذلك، ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٩٥٨، ٦٩٥٠، ٧٠٠٤، ٧٠٦٠)، ومسلم برقم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وسَبَبُ ضلالهم: أنهم تقدموا بين يدي اللَّه ورسوله، واتهموا الوحيين فيما نطقا به، ووزنوهما بعقولهم السخيفة، وأذهانهم البعيدة، وقوانينهم الفاسدة، التي هي ليست من اللَّه في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضاع مختلفة، أدخلها الأعادي على أهل الإسلام، لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الإلحاد، المثمرة تعطيل الباري ﷻ عن صفات كماله وعلوه، واعتقاد الحلول والاتحاد:

جَاءُوا بِهَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ ... لِلَّهِ كَيْ يُغْوُونَ كُلَّ سَفِيهِ
قَالُوا: صِفَاتُ كَمَالِهِ مَنْفِيَّةٌ ... عَنْهُ مَخَافَةَ مُوجِبِ التَّشْبِيهِ
تَعْطِيلُهُمْ سَمَّوْهُ تَنْزِيهًا لَهُ ... لِيُرَوِّجُوا فَاعْجَبْ لِذَا التَّمْوِيهِ
وَالْوَحْيُ قَالُوا: نَصُّهُ لَا يُوجِبُ ... الْعِلْمَ الْيَقِينَ فَأَيُّ دِينٍ فِيهِ
مَا الدِّينُ إِلَّا مَا عَنِ الْيُونَانِ قَدْ ... جِئْنَا بِهِ طُوبَى لِمَنْ يَحْوِيهِ
نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ... وبَقُوا حَيَارَى فِي ضَلَالِ التِّيهِ

* فسموا النور الذي أنزله اللَّه ﷻ على رسوله ﷺ تفصيل كل شيء، وتبيانًا لكل شيء، ولم يفرِّط فيه من شيء، وبيان النبي ﷺ من جوامع كلمه، التي اختصه اللَّه بها، فسمَّوا ذلك كله آحادًا ظنية لا تفيد اليقين!! وسمَّوا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم قواطعَ عقلية !! لا واللَّه ما هي إلا خيالات وهمية، ووساوس شيطانية، هي من الدين بريئة، وعن الحق أَجنبيَّة، تُوجِبُ الحيرةَ، وتُعقب الحسرة، كثيرةُ المباني، قليلةُ المعاني، كسَرَابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماء، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئا، لكن وَجَدَه السُمَّ النَّقيع، والدَّاء العُضال، فِخاخُ هلكةٍ نصبَها

الأعداء لاصطياد الأغبياء، وخدعةُ ماكرٍ في صورة ناصح، فعْلَ عدوِّ اللَّه اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتهما على الشجرة التي نهاهما ربهما عنها ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢] إلى آخر الآيات.

* وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا، وسموه علم التوحيد تلبيسًا وتمويهًا، وما هو إلا سُلَّمُ الإلحاد والزندقة، وجَحَدوا صفاتِ الباري عز وجل، وسمَّوا ذلك تنزيهًا، ليُغْرُوا الجهالَ بذلك، وإنما هو محض التَّعطيل، وسمَّوا أولياءه المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة[1]، ليُنَفِّرُوا الناس عنهم، مكرًا وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم

(١) لم يزل دأب أهل البدع من معطلة الصفات ونفاتها أنهم يصفون أهل السنة المثبتين لأسماء اللَّه وصفاته الواردة في كتابه والثابتة في سنة رسوله ﷺ على ما يليق به تعالى من غير تمثيل بأنهم مشبهة، وقد مضت عادة السلف باعتبار ذلك علامة على زندقتهم وتجهمهم وضلالهم، فلا يصف أهلَ السنة المثبتين للصفات بأنهم مشبهة إلا من قد ابتلي بمرض التعطيل وداء التحريف، ولذلك ساق الإمام اللالكائي رحمه الله (٣/ ٥٣٢) بإسناده إلى الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) رحمه الله أنه قال: (علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أُولعوا به من الكذب أنهم مشبهة، بل هم المعطلة)، وجاء في عقيدة الإمام أبي حاتم الرازي (ت٢٧٧ هـ) رحمه الله كما في اعتقاد أهل السنة - اللالكائي - (١/ ١٨٢) - أنه قال: (وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة)، ويقول أبو زرعة الرازي (ت٢٨٠) رحمه الله كما جاء في الحجة في بيان المحجة - (١/ ٢٠٢): (المعطلة النافية الذين ينكرون صفات اللَّه عز وجل التي وصف اللَّه بها نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، ويكذِّبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول اللَّه ﷺ في الصفات، ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة، وينسبون رواتها إلى التشبيه،=

= فمن نسب الواصفين ربهم -تبارك وتعالى- بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، من غير تمثيل ولا تشبيه إلى التشبيه فهو معطل نافٍ، ويُستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية)، أي يُستدل على كونهم معطلة نافين بنسبتهم أهل الإثبات إلى التشبيه.

ويشير الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٤٩هـ) - في كتابه اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ٣٧ - إلى عادة أهل البدع في ذلك فيقول: (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهرُ آياتهم وعلاماتهم شدةُ معاداتهم لحَمَلَة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم، وتسميتهم إياهم حَشَوِيَّة، وجهلة، وظاهرية، ومشبِّهة، اعتقادا منهم في أخبار رسول اللّه ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم الباطلة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾).

ثم يقول مدافعًا عن أهل السنة والإثبات: (قلت: أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقَّبوا بها أهل السنة - ولا يلحقهم شيء منها فضلًا من اللّه ومنَّة - سلكوا معهم مسلك المشركين -لعنهم اللّه - مع رسول اللّه ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحرًا، وبعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذابًا، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيدًا بريئًا، ولم يكن إلا رسولًا مصطفى نبيًا، قال اللّه ﷻ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾، وكذلك المبتدعة - خذلهم اللّه - اقتسموا القول في حَمَلَة أخباره، ونقَلَة آثاره، ورواة أحاديثه، المقتدين به، المهتدين بسنته، المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة (أي في عصمة) من هذه المعايب، بريئة، زكية، نقية، وليسوا إلا أهل السنة المُضِيَّة، والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، فقد وفقهم اللّه - جل جلاله - لاتباع كتابه ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره، التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته، =

= والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوما فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول اللَّه ﷺ: «المرء مع من أحب»).

ويبين الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب السنن (ت٢٧٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه (٣/ ٥٠) - وهو يعلق على حديث أخذ اللَّه للصدقة بيمينه - انحراف الجهمية عن منهج السلف في إثبات صفات اللَّه تعالى، وعدولهم عنه إلى التعطيل والتحريف، وتسميتهم إثبات الصفات - بعد ذلك - تشبيهًا، ثم يرد عليهم - في ذلك - فيقول: (وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث - وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب - تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا - قالوا: قد تثبت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال كيف؟ هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد اللَّه بن المبارك: أنهم قالوا: - في هذه الأحاديث - أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه!!، وقد ذكر اللَّه ﷻ - في غير موضع - من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن اللَّه لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ههنا: القوة، وقال إسحق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال اللَّه تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال اللَّه تعالى في كتابه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾)، ويبين ذلك الحافظ أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في التمهيد ٧/ ١٤٥فيقول: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحمْلها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يَحدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن مَن أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب اللَّه وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله).

ويقول إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه التوحيد - (١ / ٥٣): =

= (وزعمت الجهمية - عليهم لعائن اللَّه - أن أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم، المثبتين لله ﷻ من صفاته ما وصف اللَّه به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين، وعلى لسان نبيه المصطفى، بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه مشبهة، جهلًا منهم بكتاب ربنا، وسنة نبينا، وقلة معرفتهم بلغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا) وقال في موضع آخر (١ / ٦٥): (فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله: (ليس كمثله شيء) فمَن القائل: إن لخالقنا مثلًا؟! أو إن له شبيهًا؟! وهذا من التمويه على الرعاع والسَّفل، يموهون بمثل هذا على الجهال، يوهمونهم أن مَن وصف اللَّه بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه فقد شبه الخالق بالمخلوق، وكيف يكون - يا ذوى الحجا - خلقُه مثلَه).

ويبين رَحِمَهُ اللَّهُ لازم هذا اللقب الكاذب فيقول (١ / ٥٧): (فإن كان علماء الآثار الذين يصفون اللَّه بما وصف به نفسه وبما جاء على لسان نبيه مشبهة - على ما يزعم الجهمية المعطلة - فكلُّ أهل القبلة إذا قرؤا كتاب اللَّه فآمنوا به بإقرار باللسان وتصديق بالقلب وسموا اللَّه بهذه الأسامي - التي أخبر اللَّه بها أنها له أسامي، وسموا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سماهم اللَّه بها - هم مشبهة، فعوْد مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن، وترك الإيمان به، وتكذيب القرآن بالقلوب، والإنكار بالألسن، فأَقْذِرْ بهذا من مذهب، وأَقْبِحْ بهذه الوجوه عندهم - عليهم لعائن اللَّه - وعلى من ينكر جميع ما وصف اللَّه به نفسه في محكم تنزيله، والكفر بجميع ما ثبت عن نبينا المصطفى ﷺ بنقل أهل العدالة موصولًا إليه في صفات الخالق جل وعلا).

ويذهب الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان لوازم هذا اللقب الكاذب إلى أبعد من ذلك فيقول في النقض (١ / ٣٠٣): (فإن كنا مشبهة عندك أن وحَّدنا اللَّه إلهًا واحدًا، بصفات أخذناها عنه، وعن كتابه، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه، فاللَّه في دعواكم أولُ المشبهين بنفسه، ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه، فلا تظلموا أنفسكم، ولا تكابروا العلم إذ جهلتموه، فإن التسمية في التشبيه بعيدة)، وما كان لبغي أهل البدع على أهل السنة وعدوانهم عليهم بهذه الألقاب الكاذبة أن يحمل أهل السنة على أن يردُّوا شيئًا من صفات اللَّه تعالى التي وردت بها النصوص الصحيحة، ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في قول النبي ﷺ: «إن اللَّه ينزل إلى سماء الدنيا» أو «إن اللَّه يرى في القيامة» وما أشبه=

المخدوع بمكرهم حائرًا مخذولًا، لأنهم لما عزلوا كتاب اللَّه عن البيان، وحكَّمُوا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان، لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات، التي منحه اللَّه إياها، ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتَّصف بها من هو؟، فلذلك نفوها عن اللَّه ﷿، لئلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشَبَّهوا أولًا، وعطَّلوا ثانيًا، فلما نفوا عن اللَّه صفات كماله، لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص، فمن نفى عن اللَّه كونه سميعًا بصيرًا، فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا، وكذلك سائر الصفات، وماذا عليهم لو أثبتوا لله ﷿ ما أثبته

= هذه الأحاديث: (نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف، ولا معنى، ولا نرد منها شيئا، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على رسول اللَّه قوله، ولا يوصف اللَّه تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، بلا حدٍّ، ولا غاية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت) كما في ذم التأويل ٢٢ لأبي محمد عبد اللَّه بن قدامة المقدسي.

ولله ما أروع عبارات الإمام ابن قيم الجوزية ﵀ إذ يقول في الصواعق المرسلة - (١/ ٢٦٢): (فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا اللَّه بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله، وردوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على اللَّه وفي اللَّه بغير علم، فردُّوا باطلهم، وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، ونافحوا عن اللَّه ورسوله، فلم يقدروا على أخذ الثأر منهم إلا بأن سموهم مشبهة، ممثلة، مجسمة، حشوية، ولو كان لهؤلاء عقول لعلموا أن التلقيب بهذه الألقاب ليس لهم، وإنما هو لمن جاء بهذه النصوص، وتكلم بها، ودعا الأمة إلى الإيمان بها، ومعرفتها، ونهاهم عن تحريفها وتبديلها، فدعُوا التشنيع بما تعلمون أنتم وكل عاقل منصف أنه كذب ظاهر، وإفك مفترى لا يعلم به قائل).

لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، كما شاء اللَّه تعالى، وعلى الوجه الذي أراد.

* فجميعُ صفاته صفات كمال وجلال، تليق بعظمة ذاته، ونفيُها ضد ذلك، ولا يَلزمُ من اتِّفاقِ التَّسمية اتفاقُ المسميات، فإن اللَّه تعالى قد سمَّى نفسه سميعًا بصيرًا، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعًا بصيرًا، وسمَّى نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، وسمَّى نفسه الملك، فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، وسمَّى بعض خلقه ملِكا، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يوسف: ٥٤]، وهو العزيز، وسمَّى بعض عباده عزيزًا، وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التَّسميةِ اتفاقُ الأسماء ومقتضياتها، فليس السمعُ كالسمع، ولا البصرُ كالبصر، ولا الرأفة كالرأفة، ولا الرحمةُ كالرحمة، ولا العِزَّةُ كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق، ولا المحدَثُ الكائن بعد أن لم يكن، كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم، الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، فصفاتُ الخالق الحي القيوم قائمةٌ به، لائقةٌ بجلالِهِ، أَزَلِيَّةٌ بأزليَّتِه، دائمةٌ بديموميته، لم يزل متصفًا بها، ولا يزال كذلك، لم تُسبق بضدٍّ، ولم تُعقَّب به، بل له - تعالى- الكمال المطلق أولًا وأبدًا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فمَنْ شَبَّهَ اللَّه تعالى بخلقه فقد كَفَر، ومن نَفَى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ورسوله تشبيه[1] **(لا تبلغ الأوهامُ كُنْهَ ذاتِه)** أي: نهاية حقيقتها، كما قال تعالى:

---

(١) هذه الجمل الثلاث للإمام الكبير نعيم بن حماد الخزاعي ت سنة ٢٢٨ -رحمه اللَّه تعالى-، رواها الذهبي في العلو -مختصره- ١٨٤، قال الألباني: إسناده صحيح،=

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وإنما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه، في كتبه المنزلة على رسله (ولا يُكَيِّفُ الحِجَا) أي العقل (صفاتِه) لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

* **فالواجب علينا** - أيها العبيد - الإيمانُ باللَّه، وأسمائه وصفاته، وإمرارُها كما جاءت، واعتقادُ أنها حق كما أخبر اللَّه ﷻ وأخبر رسولُه ﷺ، وعدمُ التَّكييف والتَّمثيل، لأن اللَّه ﷻ أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولم يُبَيِّنْ كيفيتَها، فنُصدقُ الخبر، ونُؤمن به، ونَكِلُ الكيفية إلى اللَّه ﷻ، فصفاتُ ذاتِه تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها، وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء لفصل القضاء بين عباده، وغير ذلك، كلُّها حقٌّ على حقيقتها، عَلِمْنَا اتِّصافَه تعالى بها، بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتُها، ولم يحيطوا بها علمًا، كما قالت أم سلمة ﵂، وربيعة الرأي[1]، ومالك بن أنس، وغيرهم[2]

= ورواه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٦ من رواية البخاري عنه، وذكره شارح العقيدة الطحاوية ص ١٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠): «وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن...» ثم ذكره، وأخرجه الذهبي في العلو (ص٩٨)، وصححه في كتاب العرش ٢٠، وصححه الألباني في اختصاره للعلو.

(٢) قال الحافظ الذهبى فى «العلو» ١ / ٦٥: (هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح).

-رحمهم اللَّه تعالى-: الاستواءُ غيرُ مجهول، والكيف غيرُ معقول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعة(١)، ومن اللَّه الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق والتسليم. وكذلك القولُ في جميع صفاته ﷻ.

(١) يقول العلامة مرعي بن يوسف الكرمي شارحًا عبارة الإمام مالك -رحمهما اللَّه تعالى- كما في كتابه أقاويل الثقات ص١٢٢: (والذي يقتضيه صريح اللفظ أن المراد بقولهم الإستواء معلوم: أي وصفه تعالى بأنه على العرش استوى معلوم بطريق القطع الثابت بالتواتر، فالوقوف على حقيقته أمر يعود إلى الكيفية، وهو الذي قيل فيه: والكيف مجهول، والجهالة فيه من جهة أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الكيفية، فإن الكيفية تبع للماهية، وقولهم: والسؤال عنه بدعة لأن الصحابة لم يسألوا عنه رسول اللَّه ﷺ، والتابعين لم يسألوا الصحابة، ولأن جوابه يتضمن الكيفية، ولهذا قيل - في الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين بسؤالهم التكييف-: والكيف مجهول، فالذي ثبت نفيُه بالشرع والعقل واتفاق السلف إنما هو علم العباد بالكيفية، فعندها تنقطع الأطماع، وعن دركها تقصر العقول، بل هي قاصرة عما هو دون ذلك، هذه الروح من المعلوم لكل أحد خروجها من الجسد، وأن الملك يقبضها، وهذا المعلوم لكل أحد كيفيته مجهولة لكل أحد، بل كيفية نزول الطعام والشراب إلى الجوف، واستقرار كلٍ في محل، وتفريق خاصيته في الجسد مجهولة، أفلا يعتبر العقل القاصر بذلك عن تعلقه بإدراك كيفية استواء ربه على عرشه ﷻ)، وقال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» -بعدما ساق أثر مالك- ما نصه: (وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم، كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، لا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف، كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل، لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره، والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن اللَّه جل جلاله، لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، ﷻ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا).

* وإنا -واللَّه- لكالُّون حائرون في كيفية سرايةِ الدَّم في أعضائنا، وجريان الطعام والشراب فينا، وكيف يدبِّر اللَّه تعالى قُوتَ كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا، وكيف يتوفاها اللَّه في منامها، وتعرج إلى حيث شاء اللَّه ﷻ، ويَرُدُّها إذا شاء، وكيفية إقعادِ الميت في القبر، وعذابِه ونعيمِه، وكيفيةِ قيام الأموات من القبور، حفاةً عراةٍ غُرْلًا، وكيفيةِ الملائكة، وعِظَمِ خلقهم، فكيف العرشِ الذي لا يقدر قدره إلا اللَّه ﷻ كل ذلك نجهل كيفيته، ونحن مؤمنون به كما أخبرنا اللَّه ﷻ عنه، على ألسنة رسله - عليهم الصلاة والسلام - إيمانًا بالغيب، وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق ﷻ، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولله المَثَلُ الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، آمنا باللَّه، وأشهد بأنا مسلمون، آمنا به كل من عند ربنا ربنا، آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

انفراده ﷻ بالإرادة والمشيئة

٣٨) باقٍ فَلَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَكُونُ غَيْرُ مَا يُرِيدُ
٣٩) مُنفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ وَحَاكِمٌ جَلَّ بِمَا أَرَادَهْ

(باق) كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، كما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته (فلا يفنى ولا يبيد) بل هو المفني المبيد، وهو المبدئ المعيد، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال

تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] (ولا يكون) في الكون (غير ما يريد) والمراد بالإرادة هنا: الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها، ولا محيص ولا محيد لأحد عنها، وهي مشيئة اللَّه الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء اللَّه تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم، كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٤١] وقول نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ﴾ [الرعد: ١١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ٧١]: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ﴾ [الأحزاب: ١٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ [الفتح: ١١] وقول صاحب يس: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣].

وقول النبي ﷺ: «من يرد اللَّه به خيرا يفقهه في الدين»(١).

«إذا أراد اللَّه رحمةَ أمةٍ قبض نبيها قبلها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأَقَرَّ عينَه بهلاكها»(٢).

«إذا أراد اللَّه بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد اللَّه بعبد شرا أمسك عنه بذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة»(٣).

«إذا أراد اللَّه قَبْضَ عبد بأرض جعل له إليها حاجة»(٤).

«إذا أراد اللَّه بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم باب الرفق»(٥).

---

(١) الحديث في الصحيحين البخاري في مواضع منها (٧١، ٢٩٤٨، ٦٨٨٢)، ومسلم برقم (١٠٣٧)من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) الحديث رواه مسلم (٢٢٨٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦) وحسنه، ومستدرك الحاكم برقم (٨٧٩٩) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وصححه الحافظان ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٢٤، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٠٣٠. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩١: رواه أحمد والطبراني.. ورجال أحمد رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي الطبراني، وحسنه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢/ ١٧٩ والألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٥٦٥).

(٤) رواه أحمد في المسند برقم (٢١٩٨٣) وصححه محققه الأرناؤوط، والترمذي برقم (٢١٤٧) من حديث أبي عزة الهذلي رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وأبو عَزَّةَ له صُحْبَةٌ، وَاسْمُهُ يَسَارُ بن عَبْدٍ، ووافقه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٥٢، ورواه أيضًا الترمذي من حديث مطر بن كعامس رضي الله عنه برقم (٢١٤٦) وحسنه، والحاكم في المستدرك برقم (١٢٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَرُوَاتُهُ عَنْ آخِرِهِمْ ثِقَات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢١).

(٥) مسند أحمد برقم (٢٤٤٢٧)، ومسند ابن الجعد برقم (٣٤٥٣)، ومكارم الأخلاق=

«إذا أراد اللَّه بقوم عذابا أصاب مَن كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم»[1]، والآثار النبوية في ذلك كثيرة، وكذلك لفظ المشيئة في الكتاب والسنة وروده معلوم كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم، هذا وغير ذلك من الآيات.

* قال العلامة ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- بعد أن ساق نحوًا من هذه الآيات: «فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، وهو معنى كونه رب العالمين، وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده، فلا خلْق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكلٌّ ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالكَ غيرُه، ولا مدبِّر سواه، ولا رب غيره» اهـ[2].

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرة جدًّا، منها قوله ﷺ في شأن الجنين: «فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك»[3].

= للخرائطي برقم (٦٩٣)، وشعب الإيمان للبيهقي برقم (٨٠٦٠) من حديث عائشة ﵂، وقال المنذري الترغيب والترهيب ٣/ ٢٧٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٣: رواته رواة الصحيح، ورمز السيوطي له بالحُسْن فتعقبه المناوي كما في فيض القدير ١/ ٢٦٣ بقوله: اقتصار المصنف على رمزه لحسنه غير حسن، وكان حقه الرمز لصحته. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٣٠٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٩١)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٩) من حديث ابن عمر ﵄.

(٢) انظر شفاء العليل ص٤٤.

(٣) رواه مسلم (٣٠٦٣) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﵁.

«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفها كيف يشاء»[1].

«ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»[2].

وفي حديث احتجاج الجنة والنار قوله تعالى للجنة: «أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء، وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء»[3].

وقوله: «ولكن قل قدر اللَّه وما شاء فعل»[4] وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

---

(١) الحديث في صحيح مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٦٣٠) وصححه محققه الأرناؤوط، والنسائي في الكبرى برقم (٧٦٩١)، وابن ماجه برقم (١٩٩) والحاكم في المستدرك برقم (١٩٢٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، كلهم عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه، وصححه أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء في طبقات الحنابلة ١/ ٣١٣، وابن القيم في الوابل الصيب ص ٢٣١، والكناني في مصباح الزجاجة ١/ ٢٥، وجود إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٧٢٦، وحسنه أبو المحاسن الحسيني الدمشقي في ذيل تذكرة الحفاظ ١/ ٥٥ لشيخه الذهبي من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن عامر رضي الله عنه، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٢٥٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٩٩) والصحيحة برقم (٢٠٩١) وقال في ظلال الجنة برقم (٢١٩): صحيح على شرط الشيخين.

(٣) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٦٩، ٧٠١١)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(منفرد) ربنا ﷻ (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرض إلا الله خالقُه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، فهو خالق كلِّ صانع وصنعتِه، وخالق الكافرِ وكفرِه، والمؤمنِ وإيمانِه، والمتحركِ وحركتِه، والساكنِ وسكونِه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٨-٧٤]، وفي الصحيح من حديث المصورين: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرَّة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرًا**»[١]، وفيه: «**من صوَّر صورة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٠٩، ٧١٢٠)، ومسلم برقم (٢١١١).

كلف الله أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[1]، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة، فلله الخلق والأمر، وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (والإرادة) أي ومنفرد بالإرادة، فلا مُراد لأحد معه، ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته ﷻ ومشيئته كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٢٩- ٣١]، فللعباد قُدرةٌ على أعمالهم، ولهم مشيئة، والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله ﷻ لهم إذا شاء وأراد.

(وحاكم جلَّ بما أراده) فلا مُعقب لحكمه، ولا رادَّ لإرادته، ولا مناقض لقضائه وقدره، بل هو فعَّال لما يريد ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ويفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، لا ناقضَ لما أبرم، ولا معارضَ لما حكم، ولا يقال لم فعَل كذا؟! وهلا كان كذا؟! لأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٤٠) فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ وَمَن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ

٤١) فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ والسَّعِيدُ وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ

قال الله ﷻ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢١١٢، ٥٦١٨، ٦٦٣٥) ومسلم برقم (٢١١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، وقال النبي ﷺ خطبته: «**من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»[1]، وقال ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها، زكِّها أنت خير من زكاها، إنك أنت وَليُّها ومولاها**»[2].

(فمنهم) أي من عباده (الشقي) وهو من أضَّله بعدله (و) منهم (السعيد) وهو من وفقه وهداه بفضله، فالسعيد من سعِد بقضاء اللَّه، والشقي من شقِي بقضاء اللَّه، فلله الحمد على فضله وعدله (وذا مقرب) بتقريب اللَّه إياه، وهو السعيد (وذا طريد) بإبعاد اللَّه إياه، وهو الشقي البعيد، فبِيَدِهِ تعالى الهداية والإضلال، والإشقاء والإسعاد، فهدايتُه العبدَ وإسعادُه فضلٌ ورحمةٌ، وإضلالُه وإبعادُه عدلٌ منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشياء مواضعها، وهو أعلم بمن هو محلُّ الهداية فيهديه، ومَن هو محلُّ الإضلال فيُضلُّه وهو أحكم

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

الحاكمين، وهو عليمٌ بالمتقين، وعليمٌ بالظالمين، وعليمٌ بالمهتدين، وهو أعلم بالشاكرين، وأعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولذا نقول:

٤٢) لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

أي: أن جميع أفعاله من هدايتِهِ مَن يشاء، وإضلالِهِ مَن يشاء، وإسعادِ مَن يشاء، وإشقاءِ مَن يشاء، وجعْلِهِ أئمةَ الهدى يهدون إلى الحق بأمره، وأئمةَ الضلالة يهدون إلى النار، وإلهامه كل نفس فجورَها وتقواها، وجعله المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا عاصيًا، مع قدرته التامة الشاملة، وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن مَن في الأرض كلهم جميعًا، ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد، وشقي وسعيد، ومقرب وطريد، وطائع وعاص، ومؤمن وكافر وغير ذلك، هو مقتضى حكمته، وموجبُ ربوبيته وحكمته، حكمةُ حق، وهي صفته القائمةُ به كسائر الصفات، وهي متضَمَّن اسمه الحكيم، وهي الغاية المحبوبة له، ولأجلها خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السموات والأرض والآخرة والأولى، فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه، الحكيم في قضائه وقدره، الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه، فإن أسمائه وصفاته صفاتُ كمالٍ وجلال، وأفعالُه كلُّها عدلٌ وحكمةٌ، والفعل لغير حكمةٍ عبثٌ، والعبث من صفات النقص، واللَّه تعالى منزه - بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله - عن جميع النقائص، فجميعُ ما خلَقه وقضاه وقدَّره خيرٌ

وحكمةٌ من جهة إضافته إليه ﷻ، وكذلك جميع ما شرعه وأَمَر به كلُّه حكمةٌ وعدلٌ، وما كان من شرٍّ في قضائه وقدَرِه فمن جهة إضافته إلى فعل العبد، لأنها معصيةٌ مذمومةٌ مكروهةٌ للربِّ غيرُ محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الربِّ ﷻ فخيرٌ محضٌ، ولحكمةٍ بالغةٍ، وعدلٍ تام، وغايةٍ محمودةٍ لا شرَّ فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصَّه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]، فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شرَّ في حقه تعالى، وقال النبي ﷺ - في دعاء الافتتاح في صلاة الليل-: «**لبيك اللهم وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك**»[(١)]، فنفى أن يُضاف الشرُّ إلى اللَّه بوجه من الوجوه، وإن كان هو خالقُه، لأنه ليس شرًّا من جهة إضافته إليه ﷻ، وإنما كان شرًّا من جهة إضافته إلى العبد، وذلك لأن الشر ليس إلا السيئات وعقوبتُها، وموجبُ السيئات شرُّ النفس وجهلُها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئاتِ أعمالنا**»[(٢)]، وقال ﷺ -في سيد الاستغفار الذي علمه أمتَّه-: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٩٤٧، ٥٩٦٤)، والأربعة من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

* فأفعال اللَّه ﷻ كلُّها خيرٌ، بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخيرَ أعطاه من فضله علمًا وعدلًا وحكمةً، فيصدر منه الإحسانُ والطاعةُ والبرُّ والخيرُ، وإذا أراد به شرًّا أمسكه عنه وخلَّاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شرٍّ وقبيح، وليس منْعُه لذلك ظلمًا منه سبحانه، فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس مَن مَنَعَ فضله ظالمًا، ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به، وأيضًا فإن هذا الفضل هو توفيقُه وإرادتُه تعالى أن يلطفَ بعبده، ويعينَه ويوفِّقَه، ولا يُخلي بينه وبين نفسه، وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣، ٧٤].

(يستوجب) يستحق الحمد **(على اقتضاها)** الضمير للحكمة، فله الحمدُ على مقتضى حكمتِه في جميعِ خلقِه وأمرِه، فجميعُ ما يفعلُه ويأمرُ به هو موجبُ ربوبيته ومقتضى أسمائِه وصفاتِه، وله الحمدُ على جميع أفعاله، وله الحمدُ على خلقه وأمره، وهو المحمودُ على طاعة العباد ومعاصيهم، وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرارَ والفجارَ، وعلى خلقه الملائكةَ والشياطين، وعلى خلقه الرسلَ وأعداءَهم، وهو المحمودُ على عدله وحكمته في أعدائه، كما هو المحمودُ على فضله ورحمته على أوليائه، وكلٌّ ذرَّة من ذرَّات الكون شاهدةٌ بحكمته وحمده، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٨- ٧٠]، وفي الدعاء المأثور: «**اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله**»[١]، وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٠٨٨) مرفوعًا إلى النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري وحكم عليه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥١٣٨) بالوضع، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: علمني دعاء لعل الله أن ينفعني به، قال: (قل اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله) دون باقيه، وذكره الحافظ ابن حجر في إتحاف الخيرة برقم (١٢٤٩) بتمامه موقوفًا على رفاعة بن رافع رضي الله عنه، ونقل تصحيح شيخه أبي الفضل المزي له وقوله: وهو هنا غير مرفوع، وأظن أن حكمه الرفع، وصححه ابن حجر أيضًا في المطالب العالية برقم (٤٤٧) موقوفًا.

«اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن»[١] الحديث، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، والمقصود أن الرب ﷻ لا يكون إلا محمودًا، كما لا يكون إلا ربًّا وإلهًا.

* مسألة: فإن قيل: قد أخبرنا اللَّه ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يحب الظالمين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، مع كون ذلك بمشيئته وإرادته، وأنه لو شاء لم يكن ذلك، فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد فما الجواب؟؟!

قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كوني وشرعي:

١) فالكوني من الإرادة والقضاء والأمر هو: مشيئته الشاملة وقدرته النافذة، وليس لأحد خروجٌ منها، ولا محيدٌ عنها، ولا ملازمةَ بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفرُ والإيمانُ، والسيئاتُ والطاعاتُ، والمحبوبُ المرضِيُّ له والمكروهُ المبغَضُ، كلُّ ذلك بمشيئته وقدَره وخلقه وتكوينه، ولا سبيلَ إلى مخالفتها، ولا يخرج عنها مثقال ذرة.

٢) وأما الإرادة والقضاء والأمر الشرعي فهو: المستلزم لمحبة اللَّه تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه، ولا ينهى إلا عما يكرهه

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

ويأباه، ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فاللَّه ﷻ يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته، ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدَر هدايتَه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥] فعمم الدعوة إلى جنته وهي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجب وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

* **مسألة:** فإن قيل: أليس بممكنٍ في قدرتِهِ تعالى أن يجعلهم كلَّهم طائعين مؤمنين مهتدين؟! قلنا: بلى، وقد قدَّمنا لك جملةً وافيةً من الآيات والآحاديث في ذلك، ولكن قدَّمنا لك - أيضًا - أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته، وموجبُ ربوبيته وإلهيته، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قول القائل: لمَ كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول مَن قال: لم كان من أسمائه الضار النافع؟! والمعطي المانع؟! والخافض الرافع؟! والمنعم المنتقم؟! ونحو ذلك، إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثارُ صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراضٌ على أسمائه وصفاته، بل وعلى إلهيتِه وربوبيتِه، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢-٢٣].

* **مسألة:** واعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول: ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة اللَّه تعالى إياها؟! وهل يأتي المكروه بمحبوب؟! فنقول: الحمد لله إيمانًا بإلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته،

واستسلامًا لأقداره وإرادته وتسليمًا لعدله وحكمته؟!

* اعلم -يا أخي وفقنا اللَّه وإياك- أن الواجب على العبد أمرٌ أهمُّ من ذلك البحث وهو: الإيمان باللَّه وأسمائه وصفاته، والتسليم لأقداره، واليقين بعدله وحكمته، والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة اللَّه وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علَّمناه، ولا يُحيط بكُنْهِ شيءٍ منها ونهايتِه إلا الذي اتصف بها، وهو اللَّه الذي لا إله إلا هو.

* ومما علِمْناه من ذلك بما علَّمنا اللَّه تبارك وتعالى: أن السيئة لذاتها ليست محبوبةً لله، ولا مرضيَّةً، كما قال تعالى- بعد أن نهى عبادَه عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء-: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، ولكن يترتب عليها من محابِّه ومرضاته ما هو أعلم به، إما في حق فاعلها، من التوبة والإنابة، والإذعان والاعتراف بقدرة اللَّه عليه، والخوف من عقابه، ورجاء مغفرته، ونفي العُجب المحبط للحسنات عنه، ودوام الذُّل والانكسار، وتمحُّضِ الافتقار، وملازمة الاستغفار، وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب ﷻ، التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء، وفي الصحيحين: «**لله أشدُّ فرحا بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانْفلتَتْ منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها فقال -من شدة الفرح-: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**» أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ[١].

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

* فالواجبُ على العبد كراهةُ ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات، وعدم محبتها، والنفرةُ منها، والاجتهاد في كفِّ النفس عنها، وأَطْرِها على محابِّ اللَّه، وأن لا يَصدر عنها شيء يكرهه اللَّه ﷻ، فإن غلبتْهُ نفسه بجهلها وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك، وليتداركه بمحابِّ اللَّه ﷻ ومرضاته من التوبة والإنابة، والاستغفار والادِّكار وعدم الإصرار، فإن اللَّه تعالى قد أرشد إلى ذلك، وأثنى على من اتصف به قال اللَّه ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٦]، وغير ذلك من الآيات، وفي الحديث: «**لو لم تذنبوا لأتى اللَّه بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**»[(١)] أو كما قال.

* فإن ترتَّب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب ﷻ فذلك غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فلِخُبثِ نفسه، وعدم صلاحيتها للملأ الأعلى ومجاورة المولى، واللَّه أعلم بالمهتدين، وحينئذ يترتب عليها فرائضُ اللَّه ﷻ على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى اللَّه ﷻ، التي هي من وظائف الرسل ﵈، والأمر بالمعروف

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة ﵁.

والنهي عن المنكر، الذي هو من أعظم فرائض اللَّه تعالى، والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة، ونحن نستغفر اللَّه العظيم من الخوض في هذا الباب ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء اللَّه مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر، وهناك نذكر مراتبه ومذاهبَ من خالف فيه أهلَ السنة والجماعة إن شاء اللَّه تعالى، واللَّه المستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

إِثْبَاتُ البَصَرِ والسَّمْعِ لِلَّهِ ﷻ

٤٣) وهْوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ

٤٤) وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإخفاتِ بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ

في هذين البيتين إثباتُ البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصَرات، وإثباتُ السمع له المحيط بجميع المسموعات، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى، وهما متضمَّنُ اسميه السميع البصير، قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٦]، قال ابن جرير: وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أَبْصَرَهُ وأَسْمَعَهُ، وتأويل الكلام ما أَبْصَرَ اللَّه لكل موجود، وما أَسْمَعَهُ لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

ثم روى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾: فلا أحدَ أبصرُ من اللَّه، ولا أسمع، وقال ابن زيد: أبصر به وأسمع: يرى أعمالهم، ويسمع ذلك منهم، إنه كان سميعًا بصيرًا.

وقال البغوي -رحمه اللَّه تعالى-: أي ما أَبْصَرَ اللَّه بكل موجود، وأسمعَه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء. وقال تعالى- لموسى وهرون عليهما السلام-: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمعُ دعاءكما فأجيبُه، وأرى ما يُراد بكما فأمنعُه، لست بغافل عنكما فلا تهتمَّا. وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨- ٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا[1]، وأخرجه النسائي،

(١) هو في صحيح البخاري ٦/ ٢٦٨٣ معلقًا مجزومًا به، وقاعدة الإمام البخاري -رحمه=

وابن ماجه، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

وقال البخاري -رحمه اللَّه تعالى- في كتاب التوحيد: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وذَكَرَ خبر عائشة هذا معلقا، وروَى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبَّرنا، فقال: «**ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا**»، ثم أتى عليَّ وأنا أقول - في نفسي-: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فقال: «**يا عبد اللَّه بن قيس قل: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فإنها كنز من كنوز الجنة**»[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن اللَّه سمع قول قومك، وما ردُّوا عليك**»[2]، وروَى في باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]، عن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقفيَّان وقُرشي أو

= اللَّه تعالى- المعروفة عند العلماء - باستقراء صنيعه في كتابه الصحيح - أنه لا يَجزم من معلقاته إلا بما صح عنده، لكنه لا يرتقي إلى مرتبة شرطه فيه، فلا يمنعه من إيراده موصولًا في الصحيح إلا أنه ليس على شرطه فيه، وقد وصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٥ / ٣٣٩) وقال: هذا حديث حديث صَحِيح، والحديث في مسند أحمد وصححه محققه الأرناؤوط برقم (٢٤١٩٥)، وسنن النسائي برقم (٣٤٦٠)، وسنن ابن ماجه (١٨٨)، والمستدرك برقم (٣٧٩١) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقد صحح الحديث - أيضًا - ابنُ الملقن في البدر المنير ٨/ ١٤٥، وابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٠٥، والألباني في ظلال الجنة برقم (٦٢٥) وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم(١٨٨).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٢١، ٢٨٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٩)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

قُرشيان وثقفي، كثيرة الشحم بطونهم، قليلة الفهم قلوبُهم، فقال أحدهم: أترون أن اللَّه يسمع ما نقول؟! قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية[1]، وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه رأيت رسول اللَّه ﷺ يقرأها، ويضع إصبعيه[2]. قال ابن يونس: قال المقري: يعني إن اللَّه سميع بصير: يعني أن لله سمعًا وبصرًا، قال أبو داود -رحمه اللَّه تعالى- وهذا رد على الجهمية اهـ.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٩، ٧٠٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٧٢٨)، وقال الحافظ في فتح الباري١٣/ ٣٧٣: أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود بنفس ترقيم السنن، وفي الصحيحة برقم (٣٠٨١)، وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٤١٥ خبر أبي هريرة هذا وأردفه بقوله: (قلت: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله تعالى بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا، لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال: قبض فلان على مال فلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر، لا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ عَلِيمٌ، إِذْ لَوْ كَانَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ لأَشَارَ فِي تَحْقِيقِهِ إِلَى الْقَلْبِ، لأَنَّهُ مَحَلُّ الْعُلُومِ مِنَّا)، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى - في العقيدة الأصفهانية ص ١٠٤: (ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بالمخلوق، فلو كان السمعُ والبصرُ العلمَ لم يصح ذلك).

قلت: يعني أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسمًا ولا صفة، مما سمى ووصف نفسه تعالى به، وأثبته له رسول اللَّه ﷺ، فلا يُثبتون أن اللَّه هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى ويبصر، فرارًا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين، فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه !!، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبَّهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر !!، قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته أباه إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، وقد أثبت الجهمية - قبحهم اللَّه - حجةً لعُبَّاد الأصنام، وجوابًا لإنكار خليل اللَّه وجميع رسله عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم - أيضًا - لا يسمع ولا يبصر !! تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، وهَدَى اللَّه تعالى بفضله أهلَ السنة لفهم كتابه، وآمنوا بما وصف به نفسه، وأقرُّوا به كما أخبر، ونَفَوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الْعِلْمُ الإِلَهِيُّ

٤٥) وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي ... أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِي

أي: ومما أثبته اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، أنه عليمٌ بعلم، وأن علمَه محيطٌ بجميع الأشياء من الكليَّات والجزئيات، وهو من صفاته الذاتية، وعلمُه أزليٌ بأزليته، وكذلك جميعُ صفاته، فقد عَلم - تعالى - في الأزل جميعَ ما هو خالق، وعلم جميع أحوال خلقه، وأرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل

الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وعَلمَ عدد أنفاسهم ولحظاتهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، أين تقع؟ ومتى تقع؟ وكيف تقع؟، كلٌّ ذلك بعلمه، وبمرأىً منه ومسمع، لا تخفى عليه منهم خافية، سواءٌ في علمه الغيبُ والشهادةُ، والسِّرُّ والجهر، والجليل والحقير، لا يعزب عن علمه مثقالُ ذرَّة في السموات ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨- ١٠]، وقال - عن نبيه شعيب -: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال تعالى - عن خليله -: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٤- ٧٥، سبأ: ٣]، ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم اللَّه ﷻ لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية.

وفي الصحيحين[١] عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلِّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلم السورة من القرآن، وفيه يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم يسمِّيه بعينِه - خيرًا لي في عاجل أمري وآجله (أو قال)** في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي، ويسرِّه لي، ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - في عاجل أمري وآجله فأصرفني عنه، وأقدُر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به».

وفيهما من حديث قصة موسى والخضر، وفيه قول الخضر عليه السلام: «**يا موسى إنك على علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمه، وأنا على علم من علم اللَّه علمنيه اللَّه لا تعلمه، - إلى أن قال - فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرْف السفينة، فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما عِلْمُك وعلمي وعلم الخلائق في علم اللَّه إلا مقدار ما غَمَس هذا العصفور منقارَه**»[٢]، وفي رواية: «**إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»[٣]، وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه قال ﷺ: «**مفاتيح الغيب**

(١) الحديث في صحيح البخاري برقم (٦٩٥٥) والسنن الأربع، وهو من أفراد البخاري على مسلم كما أشار إليه الحميدي في الجمع بين الصحيحين برقم (١٥٩١).
(٢) صحيح البخاري في مواضع منها رقم (٤٤٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٨٠).
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٨).

خمس لا يعلمها إلا اللَّه، لا يعلم ما في غد إلا اللَّه، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا اللَّه، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلا اللَّه، ولا تدري نفس بأيِّ أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»(١)، وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني»(٢)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

* وكما أخبر اللَّه تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون، فقال تعالى - في الممكن على تقدير وقوعه -: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت: ٤٤] الآية وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩] إلى غير ذلك، وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤١-٤٣] إلى غير ذلك.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٠٠، ٦٩٤٤، ٩٩٢) وهو من أفراد البخاري على مسلم.
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧١٩).

٤٦) وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَانُهُ
٤٧) وكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ

وهو (الغني بذاته) فله الغنى المطلق، فلا يحتاج إلى شيء (سبحانه) وبحمده تنزيهًا له وتحميدًا (جل ثناؤه تعالى شانه) تعظيما له وتمجيدًا (وكل شيء رزقه عليه) لا رازق له سواه، ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء اللَّه (وكلُّنا) معشر المخلوقات (مفتقرٌ إليه) لا غنى لنا عنه طَرفةَ عينٍ، فكما أن جميع المخلوقات مفتقرةٌ إليه - تعالى- في وجودها فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرة إليه في قيامها، فلا قوام لها إلا به، فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه، فهو الحي القيوم القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى شيء، القيِّم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلقُ الغنى وكمالُه، وللمخلوق مطلقُ الفقر إلى اللَّه وكمالُه، قال اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٥- ١٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [التغابن: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذريات: ٥٦- ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء: ١٣١]، وقال تعالى - ردًا على اليهود -: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال تعالى - ردًا على المنافقين -: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا، يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه، وأنه لا يزيد في غناه طاعةُ من أطاع، ولا يُنقصه معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلقَ لحاجة إليهم، وأنه لو شاء لم يخلقهم، ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم، ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه، لا غنى لهم عنه في نَفَس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرةَ لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد.

وقال تعالى- فيما رواه عنه رسوله محمد ﷺ: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُه، فاستهدوني اهدِكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسوني أكْسِكُم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أَوَّلكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على**

أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخرَكم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، ولو أن أوَّلَكم وآخرَكم وحيَّكم و ميتَكم ورطبَكم و يابسَكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وَجَدَ خيرا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» رواه مسلم[١] عن أبي ذر عن النبي ﷺ - فيما يرويه عن ربه -، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدُ اللَّه ملأى، لا تغيضُها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغِض ما في يمينه»[٢]، وروى أبو داود - بإسناد جيد - من حديث عائشة رضي الله عنها في الاستسقاء وفيه قول رسول اللَّه ﷺ: «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، لا إله إلا اللَّه، يفعل ما يريد، اللهم أنت اللَّه لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت علينا قوةً وبلاغًا إلى حين»[٣]، وجاء في بعض ألفاظ حديث النزول: ««من يقرض

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) باختلاف يسير في اللفظ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سنن أبي داود برقم (١١٧٣) وقال: (هذا حديث غريب إسناده جيد)، ومستدرك الحاكم (١٢٢٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وصححه النووي في الأذكار ١/ ١٣٢، وابن الملقن في البدر المنير ٥/ ١٥٢، وصححه أيضًا صديق حسن خان في الروضة الندية ١/ ٤١٧ وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٥٠٨).

غير عديم ولا ظلوم»(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، لو أردنا استقصاءها لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية، فسبحان من وَسِعَ خلقَه بغناه، وافتقر كل شيء إليه، وهو الغني عما سواه، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

٤٨) كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

أي: ومما أثبته ربنا عَزَّ وَجَلَّ لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمُه عبدَه ورسولَه موسى بن عمران بدون واسطةِ رسولٍ بينه وبينه، بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فأكّدَه بالمصدر مبالغةً في البيان والتوضيح، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣- ١٤٥]، وقال تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١- ٥٣]، وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٩- ٢١] إلى آخر الآيات، وقال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٢٩- ٣٢] الآيات، والقرآن ممتلئ بذلك.

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى: **«أنت موسى الذي اصطفاك اللَّه تعالى برسالاته**

وبكلامه»[١] الحديث.

وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام: «ولكن عليكم بموسى فإنه كليمُ الله»[٢]، وفي رواية: «ولكن ائتُوا موسى، عبدًا آتاه اللَّه التوراة، وكلمه تكليمًا»[٣]، وفي رواية: «ولكن ائتوا موسى، عبدًا آتاه اللَّه التوراة، وكلمه وقربه نجيًّا»[٤].

* فقد أخبرنا اللَّه عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه، واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة، وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليمًا، وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسولُه محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأيُّ كلام أفصح من كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ؟! وأيُّ بيانٍ أوضح من بيان اللَّه ورسوله؟! وبأيِّ برهانٍ يَقْنَع مَن لم يقنع بذلك؟! ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

* وفي هذا أعلى دلالةٍ وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل، وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء، بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد، وقد ثبت بالكتاب

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي لفظ مسلم: (وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٥) من حديث أنس، وفي صحيح مسلم برقم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما: (اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٠٠٢).

والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأن الملائكة تسمع كلام اللَّه بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي اللَّه ﷺ قال: «**إذا قضى اللَّه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**» الحديث[1].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه - تبارك وتعالى- إذا أحبَّ عبدا نادى جبريل: إن اللَّه قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل**»[2] الحديث.

* وثبت بالكتاب والسنة كلامُه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا

---

(١) الحديث في صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢)، وهو في مسلم برقم (١٢٤) من حديث ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النحل: ٨٣- ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، وأنه يقول لأهل النار: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] والقرآن ممتلئ بذلك.

وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»**(١) الحديث.

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادِي بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بَعْثا إلى النار»**(٢).

وفيه تعليقًا عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يَحشُرُ اللهُ العبادَ فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان»**(٣).

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة الله تعالى.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٤، ٧٠٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٦٠٤٢)، والبخاري في الأدب المفرد موصولًا برقم (٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد ص ٩٨، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥١٤)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق برقم (٦٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٣١)، ورواه الضياء في المختارة ٩ / ٢٦، وحسنه الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٥١، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢١٨ ، ووافقه الألباني في تحقيقه له برقم (٣٦٠٨) ، وصححه المقدسي في المناظرة في القرآن ص ٤١، والهيتمي في الزواجر ٢/ ٩٧١. =

= * قلت: إثباتُ الصوت لله تعالى وأنه تعالى يتكلم كلامًا حقيقيًا بصوت يختص به ويليق بجلاله وعظمته مسموعٍ منه تعالى يسمعه منه من شاء من خلقه من مسلَّمات عقيدة المسلمين، التي أجمعوا عليها، ولم يخالفهم فيها إلا الخلوف المتأخرون من أهل البدع، القائلين بتعطيل حقيقة صفة الكلام، وإلا فأئمة المسلمين في قرون الخيرية فما بعدها لا يختلفون في إثبات الصوت لله، لأنه لا يكون كلامٌ على الحقيقة إلا بصوت، والله تعالى أخبرنا بتكلمه مع عبده موسى عليه السلام بلا واسطة، وهذا يقتضي سماع موسى كلام الله تعالى، وهذا السماع لا يحصل إلا أن يكون كلام الله تعالى بصوت مسموع، قال الإمام أبو محمد المقدسي في المناظرة في القرآن ص ٤١: (ولا خلاف بيننا أن موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة، ولا يُسمع إلا الصوت، فإن الصوت هو ما يتأتى سماعه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله يجمع الخلائق فيناديهم بصوت، يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قرُب، أنا الملك، أنا الديان) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد نص أئمة المسلمين على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله تبارك وتعال ينادي بصوت)، وذكر عبد الله بن أحمد أنه قال: سألت أبي فقلت: يا أبه إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت؟! فقال: كذبوا، إنما يدورون على التعطيل)، ويقول الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني اليمني (ت٥٥٨هـ) في كتابه الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/ ٥٦١: (واستماع البشر في الحقيقة لا يقع إلا للصوت، ومن زعم أن غير الصوت يجوز في المعقول أن يسمعه مَن كان على هذه البِنية يحتاج إلى دليل) ثم ذكر الأدلة على إثبات تكلم الرب تعالى بصوت ثم قال: (وحدُّ الصوت عندنا: هو ما يتحقق سماعه، فكل ما يتحقق سماعه صوت، وما لا يتأتى سماعه فليس بصوت. .).

وقد أخبرنا تعالى بمناداته ومناجاته في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وأخبر نبيه ﷺ بذلك في أحاديث كثيرة من السنة الصحيحة، ومعلوم لدى جميع العقلاء أنه لا يكون نداء إلا بصوت، كما قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: (والنداء - عند جميع أهل اللغة - لا يكون إلا بحرف وصوت). كما في كتابه الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٣١. وأئمة المسلمين على هذا، قال أبو عبد الله البخاري في كتابه خلق أفعال العباد ص ٩٨ - بعد أن ذكر الأدلة على إثبات الصوت لله تعالى-: (وفي هذا دليل أن صوت الله=

= لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت اللَّه - جل ذكره - يُسمع من بُعد كما يُسمع من قُرب، وأن الملائكة يُصعقون من صوته، فإذا تَنَادى الملائكة لم يُصعقوا، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، فليس لصفة اللَّه نِدٌّ، ولا مِثْل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين). وقال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة له ١/ ٢٨٠: (سألت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوم يقولون: لما كلم اللَّه ﷻ موسى لم يتكلم بصوت؟! فقال أبي: بلى، إن ربك ﷻ تكلم بصوت، هذه الاحاديث نرويها كما جاءت).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مجموع الفتاوى - (١٢/ ٢٤٤): (والصواب الذي عليه سلف الأمة، كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد، وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم - اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام اللَّه، حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلاما لغيره... وأن اللَّه يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح).

وإذا أردنا أن نعرف قدْر هذه المسألة العظيمة فإن إثبات الصوت لله تعالى هو الفرقان والفيصل - على الحقيقة - بين من يُثبت صفة الكلام لله تعالى وبين من يعطلها، وإلا فأيُّ تكلم لله تعالى يُثبتُه من يقول إن كلام اللَّه تعالى ليس بحرف ولا صوت، وأنه تعالى يتكلم بكلام لا يُسمعْ، ولذلك قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل في كتابه السنة (١/ ٢٨١): (قال أبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا تكلم اللَّه ﷻ سمع له صوت كجرِّ السلسلة على الصفوان» قال أبي: وهذا الجهمية تنكرُه، وقال أبي: هؤلاء كفار، يريدون أن يموِّهوا على الناس، من زعم أن اللَّه ﷻ لم يتكلم فهو كافر، ألا إنَّا نروي هذه الاحاديث كما جاءت)، فتأمل كيف نسب الإمام أحمد -رحمه اللَّه تعالى- منكر الصوت لله تعالى إلى الجهمية الذين أنكروا تكلُّمَ اللَّه أصلًا، وما ذاك إلا أن إنكار الصوت لله تعالى هو -في حقيقته- إنكار لتكلم اللَّه تعالى، ولذلك قال الإمام السجزي -رحمه اللَّه تعالى - في أول رده على من أنكر الحرف والصوت: (فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفًا وصوتًا) ثم قال: (الكلام لن يعرى عن حرف وصوت البتة، وأن ما عري عنهما لم يكن كلاما في الحقيقة).

كما نقل رَحِمَهُ اللَّهُ القولَ بأن تكلم اللَّه بحرف وصوت عن جميع السلف فقال ص٣٥: (فقول خصومنا إن أحدًا لم يقل إن القرآنَ كلامَ اللَّه حرفٌ وصوتٌ كذبٌ=

= وزورٌ، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة - مِن غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك - صار كالإجماع ، ولم أجد أحدًا يُعتد به ولا يعرف ببدعة نَفَر من ذكر الصوت، إلا البويطي إن صح عنه ذلك فإن عند أهل مصر رسالة يزعمون أنها عنه وفيها: لا أقول إن كلام اللَّه حرف وصوت ولا أقول إنه ليس بحرف وصوت، وهذا إن صح عنه فليس فيه أكثر من أعلامنا أنه لم يتبين هذه المسألة ولم يقف على الصواب فيها، وأما غيره ممن نفى الحرف والصوت فمبتدع ظاهر البدعة، أو مقروف بها، مهجور على ما جرى منه، واللَّه الموفق للصواب).

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- كما في مجموع الفتاوى ٦ / ٥٢٨: (وليس في الأئمة والسلف من قال: إن اللَّه لا يتكلم بصوت، بل قد ثبت عن غير واحد من السلف والأئمة أن اللَّه يتكلم بصوت، وجاء ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة، وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التى فيها ذكر تكلم اللَّه بالصوت، ولا ينكرها منهم أحد، حتى قال عبد اللَّه بن أحمد: قلت لأبى: إن قوما يقولون: إن اللَّه لا يتكلم بصوت؟ فقال: يا بنى هؤلاء جهمية، انما يدورون على التعطيل، ثم ذكر بعض الآثار المروية في ذلك، وكما أنه المعروف عند أهل السنة والحديث، فهو قول جماهير فرق الأمة، فان جماهير الطوائف يقولون: ان اللَّه يتكلم بصوت. . وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن اللَّه يتكلم بصوت الا ابن كُلَّاب ومن اتبعه).

وينبغي ألا يخفى على بصير أن مُنطلق أهل الأهواء في رد أحاديث الصوت وغيرها من أحاديث الصفات - التي لا يروق لهم إثباتها - ليس هو أسانيد تلك الأحاديث، التي ينبغي أن يقال فيها ما تقتضيه أسانيدها بعلم وعدل، وإنما منطلقهم في ردهم لها وتنكرهم لمدلولاتها ما قام بقلوبهم من الاستحالة العقلية لأن يكون الباري ﷻ موصوفًا بهذه الصفات !! فحقيقة الأمر أن القوم قد حاكموا الرب تعالى سلفًا - فيما يتصف به وما لا يتصف به - إلى عقولهم الملوثة بعلم الكلام المذموم، فيثبتون له من الصفات ما أذنت به !! وينفون عنه ما تستبعده !! ثم بعد ذلك تُحاكم الآيات والأحاديث إلى مقررات تلك العقول السقيمة. فلما لم يُسلِّموا لكلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ في هذا الباب لم يَسْلَموا من الزيغ والضلالة وصدق الله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، ولو لم يكن القوم على هذا لكان لهم في نصوص الكتاب والسنة في هذا=

= الباب هدى وشفاء، ولانتفعوا بكلام أئمة السلف المرضيين في تقرير ذلك.
وما أَسَدَّ موقف الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي المتوفى (٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عندما قال - في كتابه التحبير شرح التحرير (٣/ ١٣٥٠) - عن أحاديث الصوت: (وقد صحت الأحاديث بحمد اللَّه تعالى، وصححها الأئمة الكبار المعتمد عليهم: كالإمام أحمد، والإمام عبد اللَّه بن المبارك، والإمام محمد ابن إسماعيل البخاري، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم، حتى الحافظ العلامة ابن حجر في زمننا قال: (قد صحت الأحاديث في ذلك) - كما تقدم عنه - وكذلك صححها غيره من المحدثين، وفي ذلك كفاية وهداية، ولولا أن الصادق المصدوق المعصوم قال ذلك لما قلناه، ولا حُمْنَا حولَه.. فإن صفات اللَّه ﷻ لا تعرف إلا بالنقل المحض من الكتاب العزيز، أو من صاحب الشريعة - صلوات اللَّه وسلامه عليه -، وتصحيحُ هؤلاء وإثباتهم للأحاديث بذكر الصوت، أولى مِن نفي مَن نفى أنه لم يأتِ في حديث واحد ذكرُ الصوت، من وجوه عديدة منها: أن المثبِت مقدمٌ على النافي. ومنها: عِظَمُ المصحِّح، وجلالةُ قدره، وكثرة اطِّلاعه، لا سيما في إثبات صفةٍ لله تعالى، مع الزهد العظيم والورع المتين.
أَفَيَلِيْقُ بالإمام أحمد، والإمام عبد اللَّه بن المبارك، أو البخاري، أو غيرهم من السلف الصالح، أن يُثبتوا لله تعالى صفة من صفاته من غير دليل؟! ويدينون اللهَ بها، ويعتقدونها، ويهجرون من يخالفها، من غير دليل صح عندهم، وهل يعتقد هذا مسلم يؤمن باللَّه وباليوم الآخر؟ فضلا عن إمامٍ من أئمة الإسلام المقتدى بأقواله وأفعاله؟!
.. وإنما أطلت الكلام في هذه المسألة، ونقلت كلام العلماء المعتبرين ليُعلم ذلك، ويُعلم أقوال العلماء، والقائل بكل قول، ويُعرف قائله، وقدره ومكانته في العلم، وعند العلماء.. فهذا الإمام أحمد -رحمه اللَّه ورضي عنه - قد صرح - في غير رواية-: بأن اللَّه يتكلم بصوت، بقدرته ومشيئته، إذا شاء، وكيف شاء، وهَجَرَ من قال: إنه لا يتكلم بصوت، وبدَّعَهُ. وهذا الإمام الكبير عبد اللَّه بن المبارك، إمام الدنيا على الإطلاق، الذي اجتمع فيه من خصال الخير ما لا يجتمع غالبا في غيره، قد قال: (إن اللَّه يتكلم بقدرته ومشيئته بصوت، كيف شاء، ومتى شاء، وإذا شاء بلا كيف).
وهذا الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري، من أعظم أئمة المسلمين=

وفيه من حديث آخر أهل الجنة دخولًا الجنة: «**فيقول اللَّه تعالى: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالها**»(١)، وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «**لتتَّبعْ كلُّ أمة ما كانت تعبد**»، وقوله ﷻ للمؤمنين: «**أنا ربكم**»(٢).

وفيه في باب كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(٣).

وفيه من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه في ذكر طيِّ اللَّه تعالى

= بلا مدافعة في ذلك، قد قال في كتابه: «خلق أفعال العباد»: (إن اللَّه يتكلم بصوت، وإن صوته لا يشابه صوت المخلوقين، وإنه يتكلم كيف شاء ومتى شاء)، واستدل على ذلك بحديث أم سلمة.

فإذا نظر الإنسان المُنْصِف في كلام العلماء الأئمة الأعلام المقتدى بهم، واطَّلع على ما قالوه في هذه المسألة، عَلِمَ الحق، وعَذَرَ القائل، وأَحْجَم عن المقالات التي لا تليق بمسلم يؤمن باللَّه واليوم الآخر، وعَلِم أن هذه المسألة من جملة مسائل الصفات).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٠٢)، وصحيح مسلم برقم (١٨٦) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٠٥)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٨٣، ٧٠٨٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٩).

السموات والأرض وفيه: «ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك»(١) الحديث.

وفيه من حديث عبد اللَّه عن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأله كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدُكم من ربه حتى يضع عليه كَنَفَه فيقول تعالى: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيُقرِّرُه ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»(٢)، ولو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال اللَّه ويقول ويتكلم وينادي ونحو ذلك لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية.

* وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلُّها شاهدةٌ بأن اللَّه تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء، كيف شاء، متى شاء، بكلام حقيقة، يسمعه من يشاء من خلقه، وأن كلامَه قولٌ حقيقة كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك، وسيأتي - إن شاء اللَّه تعالى- بحثه قريبًا، وكلامُه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته، والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري -تبارك وتعالى- قائمةٌ به أزلية باقية ببقائه، لم يَزَلْ متصفًا بها ولا يزال كذلك، لم تُجدَّد له صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٠٨، ٥٧٢٢، ٧٠٧٦)، وصحيح مسلم (٢٧٦٨).

وهو بكل شيء عليم.

٤٩) جَلَّ كَلامُهُ عَنِ الإِحْصَاءِ وَالحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ

٥٠) لَوْ صَارَ أَقلامًا جَميعُ الشَّجَرِ وَالبَحْرُ تُلقَى فِيهِ سَبْعَةُ أبْحُرِ

٥١) وَالْخَلْقُ تَكتُبُهُ بِكُلِّ آنِ فَنَتْ وَلَيْسَ القَوْلُ مِنهُ فَانِ

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-: يقول اللَّه تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التَّامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] - فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا، وجُعل البحر مدادًا، وأمدَّه سبعةُ أبحر معه، فكُتبت بها كلماتُ اللَّه تعالى الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء أمثالها مددًا، وإنما ذُكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يُرد الحصر، كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم

---

(١) صحيح مسلم برقم (٤٨٦) من حديث أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها.

بمثله ثم هلم جرًا، لأنه لا حصرَ لآيات اللَّه وكلماته، قال الحسن البصري: لو جُعل شجر الأرض أقلامًا وجعل البحر مدادًا وقال اللَّه تعالى: إنَّ من أمري كذا.. ومن أمري كذا.. لنفِدَ ماءُ البحر، وتكسرت الأقلام. انتهى، وعن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة فقال: «**ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها؟**» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ - بعدَكِ - أربعَ كلمات - ثلاث مرات - لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان اللَّه وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومدادَ كلماته**» رواه مسلم والأربعة[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة، قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر**»[2]، والأحاديث في الباب كثيرة.

* والمقصود: أن كلمات اللَّه باقيةٌ لا تنفد أبدًا، تامةٌ لا تنقص أبدًا، وذلك لأن كلامه صفتُه وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلامًا والبحار وأضعافها مدادًا يكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة، والمخلوقات من لازمها النفاد والفناء، وكلمات اللَّه صفته، وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلًا وأبدًا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٠٩) بدون زيادة: (التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر).

كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي فِي كِتَابِهِ عَيْنُ كَلَامِهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ

٥٢) وَالْقَوْلُ في كِتَابِهِ المُفَصَّلْ بِأَنَّهُ كَلامُهُ الْمُنَزَّلْ

٥٣) عَلَى الرَّسُولِ المُصْطَفَى خَيْرِ الوَرَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ولا بِمُفْتَرَى

(والقول) الذي نعتقد وندين اللَّه به في شأن (كتابه المفصلْ) بسكون اللام للرَّوي، وهو القرآن وَصَفَه اللَّه تعالى بذلك، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وغير ذلك من الآيات، (بأنه كلامه) حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول الرب تبارك وتعالى: من شَغَلَه القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضْلُ كلام اللَّه على سائر الكلام كفضل اللَّه على خلقه**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

---

(١) سنن الترمذي برقم (٢٩٢٦)، وقيام الليل للمروزي (ص: ١٧٢)، والسنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١٢٨)، وسنن الدارمي برقم (٣٣٩٩)، والرد على الجهمية للدارمي برقم (٢٨٦)، قال الحافظ في فتح الباري ٩/ ٦٦: ورجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف ثم ذكر له طرقًا ثم قال: وأشار في خلق أفعال العباد إلى أنه لا يصح مرفوعًا.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يُقبِّل المصحف ويقول: كلام ربي كلام ربي[١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن كلام اللَّه فضعُوه على مواضعه[٢].

وقال خباب - صاحب رسول اللَّه ﷺ -: تقرَّب إلى اللَّه ما استطعت، فإنك لن تقرب إلى اللَّه بشيء أحب إليه من كلامه[٣].

وقال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: القرآن كلام اللَّه، فمن ردَّ منه شيئا فإنما يرد على الله[٤]، وعنه رضي الله عنه قال: إن أحسن الكلام كلام الله[٥]، ويروى ذلك عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح[٦].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة ولا أنظر في كلام اللَّه، يعني القراءة في المصحف[٧].

---

(١) أخرج ذلك عبد اللَّه بن أحمد في السنة (١١٠) لكن من فعل عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، وهو في المعجم الكبير للطبراني برقم (١٠١٨)، والمستدرك للحاكم برقم (٥٠٦٢).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل برقم (١٩١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٠٠٩٨)، والسنة لعبد اللَّه بن أحمد (١١١)، والرد على الجهمية للدارمي برقم (٣١٠)، والشريعة للآجري برقم (١٥٧)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٢٠)، والمستدرك للحاكم برقم (٣٦٥٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصححه بدر البدر في تحقيقه للرد على الجهمية للدارمي ص ١٦٧.

(٤) السنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١١٩).

(٥) جامع معمر بن راشد برقم (٢٠٠٧٦)، والسنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١٢٠)، والرد على الجهمية للدارمي برقم (٣٠٥).

(٦) هو في سنن النسائي برقم (١٣١١) من حديث جابر الانصاري رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه للنسائي بنفس الترقيم.

(٧) الزهد لأحمد بن حنبل برقم (٦٨١)، وفضائل عثمان بن عفان لعبد اللَّه بن أحمد برقم (٦٥)، وشعب الإيمان برقم (٢٠٣٠).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان يحب أن يعلم أنه يحب اللَّه فليعرض نفسه على القرآن فإن أحب القرآن فهو يحب اللَّه فإنما القرآن كلام الله[1].

* فهذا النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام اللَّه، تكلم به حقيقة، وأنه هو الذي قال -تبارك وتعالى-: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿الٓمٓر﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿طه﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿عٓسٓقٓ﴾، وليس كلام اللَّه المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عينُ كلام اللَّه (المنزَّل) من عند اللَّه عز وجل (على الرسول المصطفى خير الورى) محمد ﷺ قال اللَّه -تبارك تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ

(١) السنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١٢٥).

يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١، ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢] الآيات وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحديد: ٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٣]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: يعني به محمدًا ﷺ وفي سورة التكوير يعني به جبريل، ومعنى الإضافة في كلا الآيتين إنما هو التبليغ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل لا أن القرآن كلام الرسول

الملكي ولا البشري كما بين تعالى ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا، بل القرآن كلُّه من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلامُ اللَّه وتنزيله، وقصصه وتعليمه، وألفاظه ومعانيه، وإيجازه وإعجازه، يرشد إلى أنه كلام الخالق ﷻ وصفته، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقرَّ بذلك كلُّ عاقل حتى المشركون، كما قال أكفرُ قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول اللَّه ﷺ القرآن فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قلْ فيه قولا يبلغ قومك أنك منكرٌ له، قال: وماذا أقول فيه؟! فواللَّه ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلمُ برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، واللَّه ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، وواللَّه إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو ولا يُعلى، وإنه ليحطِم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقول فيه، قال: قف حتى أفكِّر فيه، فلما فكَّر، قال: إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، يَأثُره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١١، ١٢] الآيات رواه البيهقي وغيره[1]، ويُروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول اللَّه ﷺ حم

(١) شعب الإيمان للبيهقي برقم (١٣٣)، والمستدرك للحاكم (٣٨٧٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاه ووافقه الذهبي، وجود إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: ٣٢٤)، قال السيوطي في لباب النقول ١/ ٢٢٤: إسناده صحيح على شرط البخاري. وذكره الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ١٥٨).

السجدة نحو ذلك، وكذا أبو جهل قبحهم اللَّه، فتبين بهذا أن قولهم فيه سحر شعر كهانة وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عنادا ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طَوْق أحد من البشر.

*** ونحن وجميعُ أهل السنة والجماعة نُشهد اللَّه الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونُشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونُشهد رسولَه الذي أُنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونُشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به، أنَّا مؤمنون مصدِّقون شاهدون بأنه كلام اللَّه ﷻ وتنزيله، وأنه تكلم به قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، ولا نقول: إنه حكاية عن كلام اللَّه ﷻ أو عبارة[1]، بل هو عين كلام اللَّه حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح**

(١) القول بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كلام اللَّه تعالى بل هو عبارةٌ عنه !! كما تقوله الأشعرية، أو حكايةٌ عنه !! كما تقوله الماتريدية إحدى مخازي هاتين الطائفتين الحائرتين في ربها وكتابها، حيث لم يستحيوا من اللَّه تعالى ولا من أهل دينه في القول بها، وهي مبنية عندهم على أنه ليس لله تعالى في الأرض كلام يُتلى، وإنما الموجود المتلو تعبيرٌ مخلوق عنه، عبَّر به عنه رسوله محمد ﷺ أو غيرُه، ولذلك صرحوا بأن المتكلم على الحقيقة بهذا الكلام الذي نتلوه إما هو جبريل أو محمد ﷺ، وهذا القول زندقة ظاهرة، وقد أدَّى في مرحلة من التاريخ إلى استهانة ظاهرة بالمصحف من بعض أتباع هاتين الطائفتين كما أشار إلى شيء من ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر ص ٥٩ وأشار إلى ما يقشعر له القلب من ذلك ابنُ قيم الجوزية -رحمه اللَّه تعالى- في الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٢٧، كل ذلك بناءًا منهم على أن الذي في المصحف ليس كلام اللَّه أصلًا، وبالجملة فهذا القول وصمة عار كبرى في جبين هاتين الطائفتين الحائرتين، ينبغي أن تقوم لأجله قائمة أهل الإسلام، لكنه دُس في كتب العقائد المنحرفة فظنه من نشأ عليها قولَ أهل الإسلام وعقيدتهم !! وهو قول لا يعرفه المسلمون في قرون الخيرية، ولا يمتُّ إلى عقيدة الإسلام الربانية الناصعة بصلة يقول=

= الإمام أبو محمد المقدسي في المناظرة في القرآن ص ٤٦ : (ولم يزل السلف الصالح من الصحابة ﭫ والأئمة بعدهم يعظمون هذا القرآن ويعتقدون أنه كلام اللَّه ويتقربون إلى اللَّه بقراءته ويقولون إنه غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر ولما وقعت الفتنة وظهرت المعتزلة ودعوا إلى القول بخلق القرآن ثبت أهل الحق حتى قتل بعضهم وحبس بعضهم وضرب بعضهم فمنهم من ضعف فأجاب تقية وخوفا على نفسه ومنهم من قوي إيمانه وبذل نفسه لله واحتسب ما يصيبه في جنب اللَّه ولم يزل على السنة إلى أن كشف اللَّه تعالى تلك الفتنة وأزال تلك المحنة وقمع أهل البدعة، واتفق أهل السنة على أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق ولم يكن القرآن الذي دُعوا إلى القول بخلقه سوى هذه السور التي سماها اللَّه قرآنا عربيا وأنزلها على رسوله ﷺ ولم يقع الخلاف في غيرها البتة وعند الأشعري أنها مخلوقة فقوله قول المعتزلة لا محالة إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولا يوافق أهل الحق ثم يفسره بقول المعتزلة فمن ذلك أنه يقول القرآن مقروء متلو محفوظ مكتوب مسموع ثم يقول القرآن في نفس الباري قائم به ليس هو سورًا ولا آيات ولا حروفًا ولا كلمات فكيف يتصور إذًا قراءته وسماعه وكتابته ويقولون إن موسى سمع كلام اللَّه من اللَّه ثم يقولون ليس بصوت ويقولون إن القرآن مكتوب في المصاحف ثم يقولون ليس فيها إلا الحبر والورق، فإن كانت كما زعموا فلم لا يمسها إلا المطهرون وما رأينا المحدث يمنع من مس حبر ولا ورق. . ثم كيف يحل أن يوهموا العامة ما يقوى به اعتقادهم الذي يزعمون أنه بدعة من تعظيمهم للمصاحف في الظاهر واحترامها عند الناس وربما قاموا عند مجيئها وقبَّلوها ووضعوها على رؤوسهم ليوهموا الناس أنهم يعتقدون فيها القرآن وربما أمروا من توجبت عليه يمين في الحكم بالحلف بالمصحف إيهاما له أن الذي يحلف به هو القرآن العظيم والكتاب الكريم وهذا عندهم اعتقاد باطل فكيف يحل لهم أن يتظاهروا به ويضمرون خلافه وهذا هو النفاق في عهد رسول اللَّه ﷺ وهو الزندقة اليوم وهو أن يظهر موافقة المسلمين في اعتقادهم ويضمر خلاف ذلك وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة فهم زنادقة بغير شك فإنه لا شك في أنهم يظهرون تعظيم المصاحف إيهاما أن فيها القرآن ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلا الورق والمداد ويظهرون تعظيم القرآن ويجتمعون لقراءته في المحافل والأعرية ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته ويظهرون أن موسى سمع كلام اللَّه من اللَّه ثم يقولون ليس بصوت).

الأمين على محمد خاتم المرسلين، وكلٌّ منهما مبلغ عن اللَّه ﷻ، والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٧٦]، والآيات في هذا كثيرةٌ جدًّا، يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه، مؤدٍّ لما أرسله به، وهذا يعرفه كلُّ أحد يعقل لفظة رسول، فإن الرسول لا بد له من مُرسِلٍ برسالاته، فالمُرسِل اللَّه ﷻ، والرسالة هي القرآن، والمرسَل محمد ﷺ المبلِّغُ رسالةَ ربه.

قال المغيرة ﵁: أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة[١].

وعن عائشة ﵂ قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه، إن اللَّه تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[٢].

وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال ﷺ: «**وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، وفيها إشارته بيده إلى السماء قائلًا: «**اللهم هل بلغت اللهم اشهد**» قالها مرارًا[٣].

وكان ﷺ يعْرِض نفسه على القبائل في المواسم ويقول: «**إني رسول اللَّه، وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي**»[٤] وغير ذلك من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٣٠، ٢٩٨٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٥٣١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مسند أحمد برقم (١٥١٩٢) من حديث جابر الأنصاري ﵁ وصححه محققه=

الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن اللَّه ومبلغ رسالته، وأنَّ ما أُمر به ونَهى عنه وأخبر به هو تبليغٌ لأمر اللَّه ونهيه وخبره، وأنه لم يقل شيئًا من عند نفسه فيقول هو من عند اللَّه، ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حِزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملئهم، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٥٢].

(ليس بمخلوق) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة[1] وغيرهم تعالى اللَّه ﷻ عن أن يكون شيئًا من صفاته مخلوقًا،

= الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٤٧٣٤)، وسنن الترمذي ت برقم (٢٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والسنن الكبرى للنسائي برقم (٧٦٨٠)، وسنن ابن ماجه برقم (٢٠١)، والمستدرك للحاكم برقم (٤٢٢٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٩٤٧).

(١) والأشعرية والماتريدية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وإن كانوا يتظاهرون بخلاف ذلك خوفًا من خزي الفضيحة بين العامة من أهل الإسلام لشناعة قولهم وقبح مذهبهم!! يقول الإمام أبو محمد المقدسي -رحمه اللَّه تعالى- في رسالته القيمة المناظرة في القرآن ص ٣٦: (ومدار القوم على القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة ولكن أحبوا أن لا يُعلم بهم فارتكبوا مكابرة العيان وجحْد الحقائق ومخالفة الإجماع ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلم ولا كافر، ومن العجب أنهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم ولا التصريح به إلا في الخلوات ولو أنهم ولاةُ الأمر وأرباب الدولة وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كرهوا ذلك وأنكروا وكابروا عليه ولا يتظاهرون إلا بتعظيم القرآن وتبجيل المصاحف والقيام لها عند رؤيتها وفي الخلوات يقولون ما فيها إلا الورق والمداد وأي شيء فيها وهذا فعل الزنادقة ولقد=

= حكيت عن الذي جرت المناظرة بيني وبينه بعض ما قاله فنقل إليه ذلك فغضب وشق عليه وهو من أكبر ولاة البلد وما أفصح لي بمقالته حتى خلوت معه وقال أريد ان أقول لك أقصى ما في نفسي وتقول لي اقصى ما في نفسك وصرح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم ولما الزمته بعض الآيات الدالة على ان القرآن هو هذه السور قال وأنا أقول إن هذا قرآن ولكن ليس هو القرآن القديم قلت ولنا قرآنان قال نعم وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان ثم غضب لما حكيت عنه هذا القول وقال له بعض أصحابنا أنتم ولاة الأمر وأرباب الدولة فما الذي يمنعكم من إظهار مقالتكم لعامة الناس ودعاء الناس إلى القول بها بينهم؟! فبهت، ولم يجب إلي، ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم ولا يتجاسرون على إظهارها الا الزنادقة والأشعرية وقد أمر اللّه تعالى رسوله ﷺ بإظهار الدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه فقال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللّه يعصمك من الناس) المائدة ٦٧ فإن كانت مقالتهم كما يزعمون هي الحق فهلا أظهروها ودعوا الناس إليها وكيف حل لهم كتمانها وإخفاؤها والتظاهر بخلافها وإيهام العامة اعتقاد ما سواها بل لو كانت مقالتهم هي الحق الذي كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه والأئمة الذين بعدهم كيف لم يظهرها أحد منهم وكيف تواطؤوا على كتمانها أم كيف حل للنبي ﷺ كتمانها عن أمته وقد أمر بتبليغ ما انزل إليه وتوعد على إخفاء شيء منه بقوله: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)، أم كيف وسعه ان يوهم الخلق خلاف الحق ثم هو ﷺ اشفق على أمته من أن يعلمه اللّه حقا ويأمره بتبليغه إلى أمته فيكتمه عنهم حتى يضلوا عنه ثم إذا كتمه فمن الذي بلغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا به وكيف تصور منهم ان يدينوا به ويتواطأوا على كتمانه حتى لا ينقل عن أحد منهم مع كثرتهم وتفرقهم في البلدان فإن تصور ذلك منهم فمن الذي نقله إلى التابعين حتى اعتقدوه فكل هذا من المستحيل الذي يقطع كل ذي لب بفساده ويعلم يقينا أن رسول اللّه ﷺ وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقادا سوى اعتقاد المسلمين وانه هذا القرآن العربي الذي هو سور وآيات وهذا أمر لا يخفى على غير من أضله اللّه وإن تصور في عقولهم أن الحق خفي على رسول اللّه ﷺ وعلى أصحابه والتابعين بعدهم وعلى الأئمة الذين مهدوا الدين واقتدوا بسلفهم واقتدوا بهم من بعدهم وغطي عنهم الصواب ولم يتبين لهم الصحيح إلى أن جاء=

قال اللَّه ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٣٨] فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق والشيء المراد المقول له كن مخلوق وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٩] فعيسى وآدم مخلوقان بكن، وكن قول اللَّه، صفةٌ من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول اللَّه له كن.

* وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن(١).

= الأشعري فبينه وأوضح ما خفي على النبي ﷺ وأمته وكشفه فهذه عقول سخيفة وآراء ضعيفة إذ يتصور فيها أن يضيع الحق عن النبي ﷺ ويجده الأشعري ويغفل عنه كل الأمة وينتبه له دونهم).

(١) يقول الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه العلو للعلي الغفار ص ١٦١: (أما تكفير من قال بخلق القرآن فقد ورد عن سائر أئمة السلف في عصر مالك والثوري ثم عصر ابن المبارك ووكيع ثم عصر الشافعي وعفان والقعنبي ثم عصر أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ثم عصر البخاري وأبي زرعة الرازي ثم عصر محمد بن نصر المروزي والنسائي ومحمد بن جرير وابن خزيمة وكان الناس في هذه الأزمنة إما قائلا بأنه كلام اللَّه ووحيه وتنزيله غير مخلوق وإما قائلا بأنه كلام اللَّه وتنزيله وأنه مخلوق) قلت: وذلك قبل ظهور مذهب ابن كلاُّب الذي انتحله الأشعري وشَهَرَه، والذي اخترع فيه القول بأن كلام اللَّه كلام نفسي لا غير!! وآل به قوله ذلك إلى موافقة الجهمية والمعتزلة في أن هذا القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، ورحم اللَّه الإمام الكبير يحيى بن أبي الخير=

أَصْلُ القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ

* وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان شقيق إبليس لعنهما اللَّه، وكان ملحدًا عنيدًا، وزنديقًا زائغًا مبتغيًا غير سبيل المؤمنين، لم يُثبت أن في السماء ربًا، ولا يصف اللَّه تعالى بشيء مما وصف به نفسه، وينتهي قوله إلى جحود الخالق ﷻ، تَرَكَ الصلاة أربعين يوما يزعم أنه يرتاد دينًا !!، ولما ناظره بعض السَّمْنِية في معبوده قال - قبحه الله-: هو هذا الهواء في كل مكان، وقد رُوي عنه غير هذا من الكفريات، وهو أذلُّ وأحقر من أن نشتغل بترجمته، وقد يسر اللَّه تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان، وقيل بمرو وهو يومئذ نائبها -رحمه اللَّه تعالى وجزاه عن المسلمين خيرًا-(١).

= العمراني اليمني حين قال: (والأشعرية قدموا رِجْلًا إلى الاعتزال ووضعوها حيث وضعت المعتزلة أرجلهم، وأمُّوا بالرِّجل الأخرى إلى حيث وضع أهل الحديث أرجلهم، وهذا مثال عقلي يفقهه من فهم قولهم). الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/ ٥٩٦.

(١) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٢١: (جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم أُسُّ الضلالة ورأس الجهمية.. وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه !! ويقول بخلق القرآن، ويقول إن اللَّه في الأمكنة كلها !!). وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٣٤٦: (وأخرج بن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال: قال سَلْمٌ - حين أَخَذَه-: يا جهم إني لست أقتلك لأنك قاتلتني، أنتَ عندي أحقر من ذلك، ولكني سمعتك تتكلم بكلام أعطيت اللَّه عهدا أن لا أملكك إلا قتلتك فقتله، ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي بلغ سَلْمَ بن أحوز - وكان على شرطة خراسان - أن جهم بن صفوان ينكر أن اللَّه كلم موسى تكليما فقتله).

* وقد تلَقَّى هذا القول عن الجعد بن درهم لكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم، فإن الجعد لما أظهر القول بخلق القرآن تَطَلَّبَه بنو أمية، فهرب منهم فسكن الكوفة، فلقيَه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه، ولم يكن له كثير أتباع غيره، ثم يسر اللَّه تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد اللَّه القسري الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالدًا خطب الناس فقال - في خطبته تلك-: أيها الناس ضحوا تقبل اللَّه ضحاياكم، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسى تكليمًا - تعالى اللَّه عما يقوله الجعد علوًّا كبيرًا -، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. روى ذلك البخاريُّ في كتابه خلق أفعال العباد، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما، وهو مشهور في كتب التواريخ وذلك سنة أربع وعشرين ومائة[1].

* وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بَيَان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وأنزل اللَّه تعالى في ذلك سورة المعوذتين.

---

(١) قال الإمام الدارمي -رحمه اللَّه تعالى- في الرد على الجهمية ٢١:
(وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد اللَّه القسري فذبحه ذبحا بواسط في يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين لا يعيبه به عائب ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه)، وقال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢٩: (وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم فجزاه اللَّه عن الدين وأهله خيرًا).

* ثم تقلَّد هذا المذهبَ المخذول عن الجهم بشرُ بن غياث بن أبي كريمة المريسي، المتكلم، شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون، وجدَّد القول بخلق القرآن، ويقال: إن أباه كان يهوديًا صبَّاغًا بالكوفة، ورُوي عنه أقاول شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثماني عشرة ومائتين(١).

* ثم تقلد عن بِشْرٍ ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي دؤاد، وأعلن بمذهب الجهمية، وحَمَل السلطانَ على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن، وعلى أن اللَّه لا يُرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد

---

(١) وقد قال عنه الإمام السمعاني -رحمه اللَّه تعالى- في الأنساب ٥/ ٢٦٧: (اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحُكي عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة أساء أهلُ العلم قولهم فيه بسببها وأكفره أكثرهم لأجلها.. وكانت بينه وبين الشافعي مناظرات وكان الشافعي يقول - بعدها-: لا يفلح هذا الرجل).
وقال الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- في تاريخ الإسلام ١٥/ ٢٦٧: (وكان رأس الجهمية.. وقد رماه بالكفر غير واحد من الأئمة. ساق الخطيب أقوالهم في تاريخه.. وقد كان المريسي أُخذ في دولة الرشيد وأوذي لأجل مقالته. قال أحمد بن حنبل فيما رواه عنه أبو داوود في المسائل: سمعت عبد الرحمن بن مهدي أيام صُنع ببشر ما صنع يقول: من زعم أن اللَّه لم يكلم موسى ﷺ يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه. قال أبو عبد اللَّه فيما رواه عنه الأثرم أنه سئل عن الصلاة خلف بشر المريسي، قال: لايُصلى خلفه) ويكفي في بيان حاله ما قاله الإمام الحجة عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه اللَّه وأعلى منزلته في عليين - في نقض الإمام عثمان الدارمي على المريسي الجهمي - (١ / ٢٢٩): (الكلمة قد اجتمعت من عامة الفقهاء في كفره، وهتوك ستره، وافتضاحه في مصره، وفي سائر الأمصار الذين سمعوا بذكره).

ابتلاه اللَّه تعالى بالفالج قبل موته[1] بأربع سنين، حتى أهلكه اللَّه تعالى سنة أربعين ومائتين، ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ يَرَ العَجَب.

ذِكْرُ مَا قَالَهُ أَئِمَّةُ السُّنَّة فِي مَسْأَلَةِ القُرْآن وحُكْمِ الجَهْمِيَّة

قال إمام السنة أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه تعالى-: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، لأن القرآن من عِلْمِ اللَّه وفيه أسماء اللَّه.

وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال القرآن مخلوق يُوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: من زعم أن قولَ اللَّه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم، وقال - أيضًا -: من قال إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مخلوق فهو كافر.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- في البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٢- ٣٤٢: (وقد دخل عليه بعضهم فقال: واللَّه ما جئتك عائدًا، وإنما جئتك لأعزيِّك في نفسك، وأَحْمَدَ اللهَ الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبةً من سجن، ثم خرج من عنده داعيًا عليه بأن يَزيده اللَّه ولا ينقصه مما هو فيه، فازداد مرضًا إلى مرضه، وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة جدًا، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل).. ثم ذكر الحافظ ابن كثير عن عبد اللَّه بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تَمُرُّ، قال الحافظ: (وقد صدَّق اللَّه قولُ أحمد في هذا، فإنه كان إمام السنة في زمانه، وعيونُ مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحدٌ بموته، ولم يُلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليلٌ من أعوان السلطان، وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يُصلِّ عليه إلا طائفة يسيرة جدًا فلله الأمر من قبل ومن بعد).

وقال عبد اللَّه بن المبارك: ليس تَعبد الجهمية شيئًا، وقال: إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية، وقال: من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يُصلب على ذياب، يعني: جبل.

وقال وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن كلام اللَّه أنزله جبريل على محمد ﷺ، كلٌّ صاحب هوى يعرف اللَّه ويعرف مَن يعبد إلا الجهمية، لا يدرون مَن يعبدون، بشرٌ المريسي وأصحابه، وقال: من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر، وقال: من قال إن منه شيئًا مخلوقًا فقد كفر.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: من زعم أن اللَّه لم يكلم موسى يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقُه.

وقال أبو يوسف القاضي: جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، واللَّه لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن يعني: مخلوق.

وقال عبَّاد بن العوام: كلَّمتُ بشر المريسي وأصحابه فرأيتُ آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء[1].

---

(١) قلتُ: وما ينتهي إليه قول بشر المريسي وأصحابه الزائغين من نفي علو اللَّه تعالى على خلقه، وأنه ليس في السماء شيء!! -وهو ما ذمَّهم به السلف الصالح من الأئمة الأربعة وغيرهم وضلَّلوهم وبدعوهم وهجروهم لأجله بل وأطلقوا فيهم عبارات عظيمة - هو بعينه ما يقوله المنتسبون إلى مذهب الأشعري والماتريدي من نفي علو اللَّه تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته. وبهذا تعرف أن ما عليه الأشعرية من نفي العلو وتعطيل ما عطلوه من صفات الرب مأخوذ أصلًا من هؤلاء الزائغين المنبوذين المطعون عليهم في دينهم كجهم بن صفوان وبشر المريسي وأشباههم من الضالين، وأن هؤلاء متابعون لهم في ذلك!! سائرون على ما ابتدعوه=

وقال هارون بن معروف : من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنمًا .

وقال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال أبو عبيد : من قال القرآن مخلوق فقد افترى على اللَّه ، وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى .

وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة – وذكروا القرآن – فقالوا : القرآن كلام اللَّه ، وهو منه ، وليس من اللَّه شيء مخلوق .

وقال وكيع : القرآن من اللَّه ، منه خرج وإليه يعود .

وقال الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- في وصيته- : القرآن كلام اللَّه غير مخلوق .

وقال هشام بن عبيد الله : القرآن كلام اللَّه غير مخلوق ، فقال له رجل : أليس اللَّه تعالى يقول : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]؟! فقال : محدث إلينا ، وليس عند اللَّه بمحدث .

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس بين أهل العلم اختلاف

= من ضلالة النفي والتعطيل !! وفي ذات الوقت مجانبون لمذهب السلف في إثبات عامة صفات الرب !! والإقرار بها !! وعدم تحريفها وتعطيلها ، ورحم اللَّه الإمام الكبير عثمان بن سعيد الدارمي حينما قال – في كتابه العظيم الذي سماه (نقض عثمان ابن سعيد على المريسي الجهمي العنيد) ١٤٠ : (فحسب امرئ من الخيبة والحرمان وفضحه في الكور والبلدان أن يكون إمامه في توحيد اللَّه تعالى بشر بن غياث المريسي الملحد في أسماء اللَّه المفتري المعطل لصفات ربه الجهمي) فليعرف طالب الحق أصل المقالتين والمذهبين وليختر لنفسه بعد ذلك .

أن القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق، فكيف يكون شيءٌ خرج من الرب ﷻ مخلوقًا؟!.

قلت: والمعتزلة يقولون إن كلام اللَّه لموسى خلقه في الشجرة، فعلى هذا تكون الشجرة هي القائلة: إنني أنا اللَّه لا إله إلا أنا فاعبدني، قبحهم اللَّه في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام اللَّه غير مخلوق بجميع صفاته، وحيث تصرَّف.

وأما كلام البخاري -رحمه اللَّه تعالى- ومَتَانَتِه في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف، وله في ذلك كتاب (**خلق أفعال العباد**)، وقد بوب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمه وجلالة شأنه.

وقال أبو حاتم وأبو زرعة: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، فكان من مذاهبم: أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام اللَّه غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من اللَّه تعالى، وأن اللَّه تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، أينما تُلي، وحيثما كُتب، لا يتغير، ولا يتحول، ولا يتبدل أ هـ. من العلو للذهبي.

وذُكر عند أبي نعيم - هو الفضل بن دكين - من يقول القرآن مخلوق فقال: واللَّه واللَّه ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم.

* وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره، ولو أردنا استيعابه لطال الفصل، وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت اللَّه ﷻ لنفسه، وأثبته رسوله ﷺ، والصحابة فمَن بعدهم، ونفي التكييف عنها، لا سيما في مسألة العلو، وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم اللَّه تعالى موسى، لأنها أولُ ما جحده الزنادقة - قبحهم اللَّه تعالى -، وفي ذكر من سمينا كفاية، ومَن لم نسمِّ منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآن كلام اللَّه تعالى ليس بمخلوق، من اللَّه بدأ وإليه يعود، وتقلَّدوا كفرَ من قال بخلق القرآن، ومنعوا الصلاة خلفه، وأفتوا بضرب عنقه، وبتحريم ميراثه على المسلمين، وحرموا ذبيحته، وجزموا أنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين.

* فانظر - أيها المنصف - أقوالَهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة، هل تجدهم حادُوا عنها قيد شبر، أو قدَّموا عليها قولَ أحدٍ من الناس كائنا من كان؟! حاشا وكلا ومَعَاذَ اللَّه، بل بها اقتدوا، ومنها تَضَلَّعوا، وبنورها استضاءوا، وإياها اتبعوا، فهداهم اللَّه بذلك لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هَذَا مَقَالُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعُهُمْ ... وَعِصَابَةِ التَّوْحِيدِ أَعْلَامِ الْهُدَى
الْكَاشِفِينَ عَوارَ كُلِّ مُشَبِّهٍ ... وَالْقَامِعِينَ لِكُلِّ مَنْ قَدْ أَلْحَدَا
زِنْ قَوْلَهُمْ بِالْوَحْيِ وَانْظُرْ هَلْ تَرَى ... مَيْلًا لَهُمْ عَمَّا إِلَيْهِ أَرْشَدَا
حَاشَاهُمْ عَنْ أَنْ يَمِيلُوا خُطْوَةً ... عَمَّا إِلَيْهِ اللَّهُ إِيَّاهُمْ هَدَى
بَلْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ مَا قَدْ أَثْبَتَتْ ... آيُ الْكِتَابِ وَكُلُّ نَصٍّ أَسْنَدَا
وَمِنَ النُّفَاةِ تَبَرَّأُوا وَكَذَاكَ مِنْ ... قَوْلِ الْمُمَثِّلِ إِذْ تَغَالَى وَاعْتَدَى

جَعَلُوا إِمَامَهُمُ الْكِتَابَ وَسُنَّةَ الْـ مُخْتَارِ يَا طُوبَى لِمَنْ بِهِمَا اهْتَدَى
وَلِذَاكَ أَعْلَى اللَّهُ جَلَّ مَنَارَهُمْ وَالْمُلْحِدُونَ بِنَاءُهُمْ قَدْ هُدِّدَا
وَأَتَمَّ نُورَهُمُ الْإِلَهُ وَغَيْرُهُمْ فِي ظُلْمَةٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ بِهِمُ اقْتَدَى
يَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِهِمْ وَاجْعَلْ لَنَا نُورًا نَمِيزُ بِهِ الضَّلَالَ مِنَ الْهُدَى

(ولا بمفترى) أي وليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء اللَّه تعالى.

وقد كشف اللَّه تعالى شبههم، وأدحض حججهم، وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رءوس الأشهاد، وبيَّن عجزهم، وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا، فقال تعالى- لمن قال: إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر - قال اللَّه تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠] إلى آخر الآيات.

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ فرد اللَّه ذلك عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فرد اللَّه ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤-٦].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ﴾ فرد اللَّه ذلك عليهم بقوله ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١- ١٠٢].

* ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ قال المفسرون: إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين ظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل اسمه بلعام وقيل يعيش وقيل عائش وقيل جبر وقيل يسار وقيل غير ذلك، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء فرد الله ﷻ عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل.

* وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٢٩- ٣٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤١- ٤٨] إلى آخر الآيات.

ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ بقوله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا

بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، وقال -تعالى وتقدس-: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤] فعجزوا عن ذلك كله، ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فُحُول اللغة، وفُرسان الفصاحة، وأهل البلاغة، وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه، وهجزه ورجزه، مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به، وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به، وأتاهم مالا يطيقون، كلام ذي الملكوت والجبروت، والعظمة والكبرياء، والعزة والجلال والكمال، رب الأرض والسماء، ورب الآخرة والأولى، مَن له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سَمِيَّ له، ولا كُفُو له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلما رأوا وجوهَ إيجازه وإعجازه، ومَبَانِيْه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخبارَه عن الأمم الماضية، والغيوب المستقبلة، والأحكام الواقعة، ونبأ الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب والتهديد وغير ذلك، على أكمل وجه وأوضح بيان، وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس كلامَ المخلوقين، ولا يشبه كلام المخلوقين، وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالافك والبهتان بقولهم: كاهن شاعر مجنون وغير ذلك، إنما هو مكابرةٌ وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم، كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل - قبحهم الله - وغيرهم، ولو كان تقوَّله - كما زعموا هم-

لاستطاعوا معارضته، ولم ينقطعوا عن مقاومته، لأنهم عربٌ فصحاءُ مثله، عارفون بوجوه البلاغة كلها، لا يجهلون منها شيئًا، ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد خاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، هدىً وبشرى للمسلمين، وتبيانًا لكل شيء، وتفصيل كل شيء، وذكرى للمؤمنين، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلا يأتي مُبْطِلٌ بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

٥٤) يُـحْـفَـظُ بِـالـقَـلْـبِ وَبِـالـلِّـسَـانِ ... يُـتْـلَـى كَـمَـا يُـسْـمَـعُ بـالآذَانِ
٥٥) كَـذَا بِـالأَبْـصَـارِ إِلَـيْـهِ يُـنْـظَـرْ ... وَبِـالأَيَـادِي خَـطُّـهُ يُـسَـطَّـرْ
٥٦) وَكُـلُّ ذِي مَـخْـلُـوقَـةٌ حَـقِـيـقَـهْ ... دُونَ كَـلامِ بَـارِئِ الْـخَـلِـيـقَـهْ
٥٧) جَـلَّـتْ صِـفَـاتُ رَبِّـنَـا الـرَّحْـمَـنِ ... عَـنْ وَصْـفِـهَـا بِـالْـخَـلْـقِ وَالْـحِـدْثَـانِ
٥٨) فَالصَّوْتُ والأَلْحَانُ صَوتُ الْقَارِي ... لـكـنَّـمَـا الْـمَـتـلُـوُّ قَـوْلُ الْـبَـارِي
٥٩) مَـا قَـالَـهُ لَا يَـقـبَـلُ الـتَّـبْـدِيـلَا ... كَـلَّا وَلَا أَصْـدَقُ مِـنْـهُ قِـيـلَا

(يُحفظ) بالبناء للمفعول، أي: القرآن (بالقلب) كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه

شيء من القرآن كالبيت الخراب» قال الترمذي: هذا حديث صحيح[١].

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه - المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها - وفيه قال: «ما معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا، وسورة كذا عدَّدَها، فقال: «تقرأُهنَّ عن ظهر قلبك؟» قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملَّكْتُكها بما معك من القرآن»[٢].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول اللَّه ﷺ رجلًا يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه اللَّه، لقد أذكرني كذا وكذا آية، كنت أُنسيتها من سورة كذا وكذا»[٣] والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا.

(وباللسان يُتلى) قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الاسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ

---

(١) مسند أحمد برقم (١٩٤٧)، وسنن الترمذي برقم (٢٩١٣) وقال: حديث حسن صحيح، وسنن الدارمي برقم (٣٣٤٩)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٢٦١٩)، والمستدرك للحاكم برقم (٢٠٣٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة ٩/ ٥٣٧ وهي الأحاديث التي تصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين كما قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٤٧/ ٢١٢. ونص ابن تيمية والعراقي وغيرهما على أنها أقوى وأصح مما في مستدرك الحاكم وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي بنفس الترقيم..

(٢) صحيح البخاري في مواضع منها رقم (٤٧٤٢، ٢١٨٦، ٤٧٩٩)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢٥).

(٣) صحيح البخاري في مواضع منها رقم (٤٧٥١، ٢٥١٢)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٨).

﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩] وغير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين، رجلٌ علَّمه اللَّه القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنهار، فسمعه جار له..»[1] إلى آخر الحديث رواه البخاري.

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «لله أشد أَذَنًا[2] إلى الرجل الحسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القَيْنة إلى قينته» ورواه ابن ماجه[3]، والأحاديث في هذا كثيرة جدًا، سيأتي ما تيسر

(١) صحيح البخاري في مواضع منها (٤٧٣٨، ٦٨٠٥، ٧٠٩٠) وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه من أفراد البخاري، واتفقا عليه من حديث عبد اللَّه بن مسعود وعبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، فأما حديث ابن مسعود ففي صحيح البخاري برقم (١٣٤٣، ٦٧٢٢، ٦٨٨٦)، وصحيح مسلم برقم (٨١٦)، وأما حديث ابن عمر ففي صحيح البخاري (٧٠٩١، ٤٧٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٨١٥).

(٢) أَذَنًا: بفتح الذال أي: استماعًا، وأَذِنَ بفتح الألف وكسر الذال: استمع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: أي استمعت، وفي الحديث المتفق عليه: (ما أَذِن اللَّه لشيء ما أَذِن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن) أي: ما استمع اللَّه لشيء كاستماعه لذلك. وقد نقل النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ٤/ ١٤٠: عن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي -رحمه اللَّه تعالى- قوله: (أثبت ﷺ أن اللَّه تعالى يستمع إلى حسن الصوت بالقرآن كما يستمع صاحب القينة إلى قينته) قلت: بل أشد كما قال: لله أشد أَذَنًا. ومنه قول الشاعر:

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني وما أذنوا من صالح دفنوا
صُمٌّ إذا سَمِعوا خيْرًا ذُكِرتُ به ... وإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عندهم أَذِنوا

فالأذن فيها جميعًا: الاستماع.

(٣) مسند أحمد برقم (٢٣٩٤٧)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٠)، وصحيح ابن حبان برقم=

منها في ذكر الصوت.

(كما يُسمع بالآذان) قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠] الآيات وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١- ١٢] الآيات، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] وغير ذلك من الآيات.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقْرأْ عليَّ القرآن**» قلتُ: أقرأُ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» الحديث متفق عليه[1].

= (٧٥٤)، والمعجم الكبير للطبراني (٧٧٢)، والمستدرك للحاكم برقم (٢٠٩٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ١٥٨، وجود إسناده المؤلف فيما يأتي قريبًا، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه بنفس الترقيم.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٠٦، ٤٧٦٢، ٤٧٦٣، ٤٧٦٨، ٤٧٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

وعن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**» فقال: أما والله لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبرتُها لك تحبيرًا. مسلم[١].

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ثم جئت، فقال: أين كنتِ؟ قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثلَ قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام رسول الله ﷺ وقمتُ معه حتى استمع له، ثم التفتَ إليَّ فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**» إسناده جيد[٢]، والأحاديث في هذا كثيرة. **(كذا بالابصار إليه)** متعلقان بـ**(يُنظر)** أي إلى القرآن في المصحف، وهو من أفضل العبادات وأجلها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف[٣].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه: إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا

---

(١) صحيح مسلم برقم (٧٩٣).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (١٣٣٨)، وقيام الليل للمروزي (ص: ١٣٨)، والمستدرك للحاكم برقم (٥٠٠١) وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ هَكَذَا، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ١٥٨، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٢٩: ورجال إسناده ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٣٣٤٢.

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني برقم (٥٩٧٩)، ومصنف ابن أبي شيبة برقم (٨٥٥٨)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٨٦٨٧)، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٧٤ والبدر العيني في عمدة القاري ٢٠/ ٤٥ والسيوطي في إتمام الدراية لقراء النقاية ١/ ١٨١.

وفسر لهم[١].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينْشُر المصحف وليقرأ.

* وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب، لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه.

(وبالأيادي خطه يسطر) كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧- ٧٩]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١١ - ١٤].

* وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان وإلى الآن يكتبه المسلمون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين[٢]، وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك، وقال أبو بكر رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحدٌ خلافه.

* ولو لم يكن الذي في المصحف كلام اللَّه لم يَحرُم مسُّه على أحد، ولم يكن من شأنه أن لا يمسه إلا المطهرون، بل ولا كان يَحرم توسُّده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب اللَّه!! وهذا من أسفل

(١) صححه الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن ١٢٨.
(٢) صحيح البخاري (٥٠١٩).

دركات الكفر - قبحهم الله -(١).

(١) وقد أشار العلماء إلى شيء من ذلك فقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر - (١ / ٣٧): (ثم إن هؤلاء القوم عادُوا إلى القرآن الذي هو المعجز الأكبر. وقد قصد الشرع تقرير وجوده فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وأثبته في القلوب بقوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وفي المصاحف بقوله تعالى: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ وقول الرسول ﷺ: (لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو)، فقال قوم من هؤلاء: مخلوق، فأسقطوا حرمته من النفوس، وقالوا: لم ينزل ولا يتصور نزوله!!، وكيف تنفصل الصفة عن الموصوف؟!، وليس في المصحف إلا حبر وورق؟! فعادُوا على ما تعب الشارع في إثباته بالمحو).
ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الصواعق المرسلة (٤ / ١٤٢٦): (ولما أصَّلوا أن الصفات أعراض لا تقوم إلا بأجسام لزمهم إنكارها رأسا، ومن أثبت منهم صفةً ونفى غيرَها أضحك أهل العقل والنقل على عقله، ولما أصَّلوا هذا الأصل لزمهم عنه أن الله لم يتكلم، ولا يكلم أحدا من خلقه، ولم ينزل له إلى الأرض كلام تكلم به، وإنما خلق أصواتا وحروفا في الريح سميت كلامه مجازا لا حقيقة، فلما فهم سفهاؤهم هذا وأنه ليس لله في الأرض كلام، وأنه ليس في المصحف إلا صفة المخلوقين ومدادهم، وما عملت أيديهم، صار فيهم من يكتب قل هو الله أحد بما يُستحيى من ذكره، ومنهم من يلقي المصحف في المكان الذي يُرغب عن ذكره، ويقول: إنما ألقيت كاغدا ومدادا!! ومنهم من يجعله كرسيا له يضعه تحت رجليه ويرقى عليه ويتناول به حاجته!! ومنهم من يكون له وعاءٌ يضع فيه المصحف ونعله وغيره!! ومنهم من يتوسده!! إلى غير ذلك من الأنواع التي فيها من الاستخفاف بالمصحف والإهانة له ما يدل على براءة فاعله من الله ورسوله وكتابه ودينه.
وأما إطلاقهم العبارات القبيحة الدالة على الاستهانة فهم لا يتحاشون منها، بل يصرحون بقولهم: أيُّ شيء في المصحف سوى المداد والورق؟! ويقولون: ليس في المصحف كلام الله، ولم ينزل إلى الأرض لله كلام، وهذا الذي يقرأه المسلمون ليس بكلام الله حقيقة!! وقد رأينا نحن وغيرنا هؤلاء مشاهدة، وسمعنا بعض أقوالهم التي حكيناها وهذه الفروع واللوازم فروع ذلك الأصل الباطل).

(وكلٌّ ذي) المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته، واللسان وحركته، والآذان واستماعها، والأبصار ونظرها، والأيادي وكتابتها، وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد كلها (مخلوقة حقيقة) ليس في ذلك توقُّف (دون) القرآن الذي هو (كلام) اللَّه تعالى (بارئ الخليقة).

* قال الإمام أحمد -رحمه اللَّه تعالى-: يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن على خمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق، حفظٌ بقلب، وتلاوةٌ بلسان، وسمعٌ بأذن، ونظرةٌ ببصر، وخطٌّ بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق انتهى.

* فأعمال العباد مخلوقة، والقرآن حيثما تَصرَّف وأين كُتب وحيث تُلي كلام اللَّه تعالى غير مخلوق[1].

---

(١) قلت: ذلك هو قول أهل السنة سلفًا وخلفًا لا يختلفون على ذلك، أما الأشاعرة والماتريدية فليس هذا القرآن العظيم - الذي أنزله اللَّه تعالى على رسول محمد ﷺ ويقرأه المسلمون ويعظمونه ويتعبدون لربهم به - من كلام اللَّه تعالى على الحقيقة، بل كلام اللَّه عندهم هو الكلام النفسي القديم القائم بذات الباري الذي ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل التعاقب ولا التعدد.. إلى آخر هذيانهم، وأما القرآن الذي بين أظهرنا نتلوه ونحفظه فهو عندهم مخلوق محدث بلا نزاع لم يتكلم الرب بحروفه وكلماته، وليس هو عندهم كلامًا لله على الحقيقة وإن شققوا عباراتهم وقعروها ولفوا وداروا، ولذلك لما ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه اللَّه تعالى- في فتح الباري ١٣/ ٤٩٣ قولهم بالكلام النفسي وتوابعه قال عقيبه: (ويلزم من أثبت ذلك أن يقول بخلق القرآن) وقد التزموا واللَّه هذا اللازم لكنهم يستَخْفُون به من الناس ولا يستخفون من=

= اللَّه إذ يبيتون ما لا يرضى من القول الذي أجمع السلف على تكفير قائله فإن السلف إنما كفروا من قال بخلق هذا القرآن الذي بين أيدينا، يقول الإمام أبو محمد المقدسي - رحمه اللَّه تعالى- في المناظرة في القرآن الكريم ص٣٠: (ولما اختلف أهل الحق والمعتزلة فقال أهل الحق القرآن كلام اللَّه غير مخلوق وقالت المعتزلة هو مخلوق لم يكن اختلافهم إلا في هذا الموجود دون ما في نفس الباري مما لا يُدرى ما هو ولا نعرفه. وإنما يتعلق ذلك بهذا القرآن وهو هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون وكفر به الكافرون وزعمت المعتزلة أنه مخلوق وأقر الاشعري أنهم مخطئون ثم عاد فقال هو مخلوق وليس بقرآن فزاد عليهم) ويقول الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام ١٧/ ٤٢٩ في ترجمة عبد اللَّه بن سعيد بن كلاب الذي تقلد الأشعري قوله بالكلام النفسي: (فلما أظهروا القول بخلق القرآن - أي المعتزلة -، وقال أئمة السنة بل هو كلام اللَّه غير مخلوق، فأحدث ابن كلاب القول بأنه كلام قائم بذات الرب، بلا قدرة ولا مشيئة. فهذا لم يكن يتصوره عاقل، ولا خطر ببال الجمهور، حتى أحدث القول به ابن كلاب).

قلت: وبذلك يكونون قد وافقوا أساتذتهم من المعتزلة المصرحين بخلق القرآن موافقة تامة، وإن كانوا يتظاهرون بمخالفتهم في ذلك والرد عليهم فقاتل اللَّه التلبيس حين يُتخذ دينًا، وقد صرح بخلق القرآن وحدوثه من الأشاعرة، والماتريدية: الغزالي، والفخر الرازي، والسعد التفتزاني، والشهرستاني، والعضد الإيجي، وابن نجيم الحنفي، ونظام الدين القمي النيسابوري، وابن عابدين الحنفي، والصعيدي العدوي المالكي، والشرواني، والنسفي، والتاج السبكي، وعلي القاري، والسنوسي، والبيجوري، والألوسي، والأستاذ محمد عبده، ومحمد الطاهر عاشور، والكوثري، والنقل عنهم بذلك محفوظ.

وممن صرح من علماء السنة بأن الأشاعرة والماتريدية قائلون بخلق القرآن على الحقيقة موافقون للمعتزلة والجهمية في ذلك الإمامُ أبو نصر السجزي والإمام يحيى ابن أبي الخير العمراني اليمني والإمام أبو محمد المقدسي وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم اللَّه تعالى وغيرهم.

بل بلغ الأمر بهاتين الفرقتين الحائرتين إلى أن قالوا بأنه لا يجوز أن يقال: القرآن غير=

= مخلوق !! -كما أشار إليه الغزنوي في أصول الدين (١ / ١٠٤)- بل يقال القرآن الذي هو كلام اللَّه غير مخلوق، والقرآن الذي هو كلام اللَّه عندهم هو الكلام النفسي!!، أما هذا فمخلوق كما يبينه هذا القيد. ومن هنا قال الإمام الكبير يحيى بن أبي الخير العمراني الشافعي اليمني: (الأشعرية موافقة للمعتزلة في أن هذا القرآن المتلوَّ المسموع مخلوق)، وبهذا تَتَحَقَّقُ - بجلاء - قوله فيهم بعد ذلك: (فردُّهم على المعتزلة بخلق القرآن تمويه وتستر بقول أصحاب الحديث، وهو مذهب مسقَّفٌ باطنُه الاعتزال، وظاهرُه التَّستر). كما في كتابه النافع الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/ ٥٥٥، ويقول الإمام أبو محمد المقدسي في المناظرة في القرآن ص ٤٦: (واتفق أهل السنة على أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق ولم يكن القرآن الذي دُعوا إلى القول بخلقه سوى هذه السور التي سماها اللَّه قرآنا عربيا وأنزلها على رسوله ﷺ ولم يقع الخلاف في غيرها البتة وعند الأشعري أنها مخلوقة فقوله قول المعتزلة لا محالة إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولا يوافق أهل الحق ثم يفسره بقول المعتزلة)، وقد صار التلبيس والتستر بظاهر المذهب الحق وإخفاء شنيع المقالات عن العامة وراءه سمةً شملت غالب مقالات الأشعرية والماتريدية حتى قال الإمام الكبير أبو نصر السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أتباع هذا المذهب: (والمعتزلة مع سوء مذهبهم أقل ضررًا على عوام أهل السنة من هؤلاء، لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تستقف (الاستقفاء: الإتيان من القفا)، ولم تموِّه، بل قالت: إن اللَّه بذاته في كل مكان، وإنه غير مرئي، وإنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم، ولا قدرة ولا قوة، ولا إرادة، ولا كلام، ولا صفات مضافة إلى ذاته لازمة لها، بل هذه الأشياء أفعال له محدثة في غيره، وأن القرآن مخلوق، وأن من مات من غير توبة من أصحاب الكبائر خلد في النار مع الكفار، وأن الحوض والشفاعة والميزان لا أصل لها، وأن من زنا أو سرق أو ارتكب كبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وسمي فاسقًا، وأن الدار إذا لم يظهر فيها قولهم دار حرب، وأن من انتحل مذهب أهل الأثر واعتقد ما في الأحاديث على ظاهرها حشوي، وعند التحقيق كافر، فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنبوهم وعدُّوهم أعداء. والكلابية والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة، والذب عن السنة وأهلها، وقالوا في القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه، وقولهم في القرآن حيرة، يدَّعون=

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ عَنْ وَصْفِهَا بِالخَلْقِ والْحِدْثَانِ

* فليس من صفات اللَّه تعالى شيءٌ مخلوق - تعالى اللَّه عن ذلك -، وتعالى عن أن تكون ذاته محلًا للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يُسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يُعقب بالفناء - تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا -.

(فالصوت) مِن جَهْوَري وخفي (والألحان) من حسَن وغيره (صوت القاري لكنما المتلو) المؤدَّى بذلك الصوت هو (قول الباري) جل وعلا، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «لم يأذن اللَّه لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن»[1]، ولابن ماجه -

= قرآنا ليس بعربي، وأنه الصفة الأزلية، وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم. ويقولون: الإيمان: التصديق، وعلى أصلهم أن من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو مؤمن، لأمرين: أحدهما: أن أصل الإيمان عندهم المعرفة كما قال جهم، والثاني: أن الكلام معنى في النفس فهو إذا صدق بقلبه فقد تكلم على أصلهم به.. وعند المعتزلة أن الذي تحويه دفتا المصحف قرآن وكذلك ما وعته الصدور، وكذلك ما يتحرك به لسان القاريء وكل ذلك مخلوق، وعند أهل السنة أن ذلك قرآن غير مخلوق، وعند الأشعري أنه مخلوق وليس بقرآن وإنما هو عبارة عنه !!.
وكذلك كثير من مذهبه، يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملًا، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلى قول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يظهره، والعالم يجهره لما منه يخبره، والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق. نسأل اللّه السلامة من كلٍّ برحمته).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٣٦، ٧٠٤٤، ٧٠٨٩، ٧١٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٢).

بإسناد جيد - عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»**[(١)]، وفي الصحيحين[(٢)] عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه.. الحديث، وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«يا أبا موسى لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»**[(٣)].

* ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدَّى بذلك الصوت هو كلام اللَّه حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن والتَّتَعْتُع فيه هو فعل العبد وسعيُه، وهذا الفرق واضح ولله الحمد، وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما - رحمهم اللَّه تعالى-، ولو كان الصوت هو نفس المتلو المؤدَّى به - كما يقوله أهل الاتحاد - لكان كلُّ من سمع القرآن من أيٍّ تال وبأيٍّ صوت كليمَ الرحمن!! فلا مزيَّة لموسى عليه السلام على غيره!!، اللهم لك الحمد، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

* **مسألة**: اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث: أن اللفظية جهمية، واللفظية: هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة - رحمهم اللَّه تعالى-: ومن قال لفظي

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٦١)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٣).

بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعة الجهمية. وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين:

- أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن، وهو كلام اللَّه ليس فعلا للعبد ولا مقدورا له.

- والثاني: التَّلفظ، وهو فعل العبد وكسبه وسعيه.

فإذا أُطلق لفظُ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول، وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، شمل المعنى الثاني وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية[1]، وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تقول هذا لفظ سورة الإخلاص، وتقول هذا لفْظُ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد وبين الملفوظ به الذي هو كلام اللَّه ﷻ، نعم إذا سمع كلام اللَّه ﷻ منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى - عليه الصلاة والسلام -، وسماع جبريل عليه السلام، وسماع أهل الجنة

(١) وأيضًا فقد بدَّع السلف من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق لأنه يدخل في لفظه بالقرآن تلفُّظُه الذي هو فعله، وأفعال العبد مخلوقة لله ﷻ، ونفي أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله بدعةٌ من بدع المعتزلة التي ضللهم السلف لأجلها وهي قولهم بأن العبد يخلق فعل نفسه، فقول القائل لفظي بالقرآن غير مخلوق موافقة منه لهم في أن فعله غير مخلوق كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض ١/ ٢٦٢. قال الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد ص ٧٥: قال أبو عبد الله: (فالمقروء هو كلام الرب الذي قال لموسى إنني أنا اللَّه لا إله إلا انا فاعبدني إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل اللَّه (أي تَكَلُّمَه) مخلوق !! وأن أفعال العباد غير مخلوقة !! وهذا خلاف علم المسلمين).

كلامه منه ﷻ، فحينئذ التلاوة والمتلو صفة الباري ﷻ، ليس منها شيء مخلوق تعالى اللَّه علوًّا كبيرًا.

(ما قاله لا يقبل التبديلا) قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٤٦]، (كلا) أي لا يكون ذلك (ولا أصدق منه) أي من اللَّه تعالى: (قيلا) أي قولًا وهو تمييز محوَّل عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قيله، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١١٢] أي: من أصدق من اللَّه تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده؟! والجواب: لا أحد، وفي خطبة رسول اللَّه ﷺ قال: «إن **أصدق الحديث كلام اللَّه وخير الهدى هدى محمد ﷺ. .**»[1] الحديث.

٦٠) وَقَدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَن خَيْرِ المَلَا ... بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا
٦١) في ثُلُثِ اللَّيْلِ الأخِيرِ يَنْزِلْ ... يَقُولُ: هَلْ مِن تَائِبٍ فَيُقبَلْ
٦٢) هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طالِبٍ للْمَغْفِرَهْ ... يَجِدْ كَرِيمًا قَابِلًا لِلْمَعْذِرَهْ
٦٣) يَمُنُّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلْ ... وَيَسْتُرُ العَيْبَ ويُعْطِي السَّائِلْ

أي: ومما يجب الإيمان به وإثباتُه وإمراره كما جاء صفةُ النزول

---

(١) صحيح مسلم برقم (٨٦٧) من حديث جابر بلفظ: أَمَّا بَعْدُ فإن خَيْرَ الحديث كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ. . الحديث.

للرب ﷻ(١)، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء

---

(١) يقول الإمام محمد بن عبد الهادي -رحمه الله تعالى- في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٣٠٣: (واعلم أن السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف متفقون على إثبات نزول الرب -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى سماء الدنيا، وكذلك هم مجمعون على إثبات الإتيان والمجيء وسائر ما ورد من الصفات في الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من السلف أنه تأول شيئا من ذلك، وأما المعتزلة والجهمية فإنهم يردون ذلك ولا يقبلونه وحديث النزول متواتر عن رسول الله ﷺ قال عثمان بن سعيد الدارمي: هو أغيظ حديث للجهمية) قلت: والشأن نفسه تجده عند الأشاعرة والماتريدية فهم يردُّونه إما بلفظه أو بمعناه، ويبقى أنه بمعناه الظاهر منه الذي أجمع عليه السلف أغيظ ما يكون لهم، وما أعظم والله أن يكون في قلب المرء شيء من الغيظ أو الحرج والضيق من شيء من أحاديث النبي ﷺ سواء من ألفاظها أو معانيها، والله جل وعلا يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ورحم الله الإمام ابن القيم حين قال في كتابه الفوائد ص ٨٢: (ولا تجد مبتدعا في دينه قط إلا وفي قلب حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالما فاجرا إلا وفى صدره حرج من الآيات التي تحُول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا لمعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء)، ويقول - أعلى الله درجته في عليين - في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ١٣ وهو يبين عادة أهل البدع فيما يخالف أهواءهم من الأحاديث النبوية: (ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم مُوكلين بردِّ أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه وأحاديث صفاته القائمة به وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله إلى سمائه ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحي كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة إلى أمثال ذلك وكما ردت الخوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها وكما ردت الرافضة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكما ردت المعطلة أحاديث الصفات والأفعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسية=

الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن مسعود، وعمرو بن عبسة، ورفاعة الجهني، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبي الخطاب، وعمر ابن عامر السلمي، وغيرهم ﷺ.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»** أخرجاه في الصحيحين[(١)]، وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ أنهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«إن اللَّه يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السماء الدنيا، فنادى: هل من مذنب يتوب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟»**[(٢)]، وحديث أبي هريرة ﷺ في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقًا عن أبي هريرة ﷺ إلى النبي ﷺ[(٣)].

= أحاديث القضاء والقدر السابق، وكل من أصل أصلا لم يؤصله اللَّه ورسوله قَادَهُ قسْرًا إلى ردِّ السنة وتحريفها عن مواضعها، فلذلك لم يؤصل حزب اللَّه ورسوله أصلا غير ما جاء به الرسول فهو أصلهم الذي عليه يعولون وجنتهم التي إليها يرجعون).

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند أحمد برقم (٨٩٧٤)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨)، ومسند أبي داود الطيالسي برقم (٢٣٤٦).

(٣) يقول الإمام أبو عمر ابن عبد البر -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه التمهيد ٧/ ١٢٩ - بعد=

* وقد ثبت النزول أيضًا في عشية عرفة كما روى ابنُ أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إذا كان عرفة فإن اللَّه ينزل إلى سماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثًا غُبْرا !! أُشهدكم أني قد غفرت لهم»[1]، ورواه الخلال

= ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول-: (هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته) وقد جاء في الإبانة للعكبري ٣/ ٢٠٦ عن إسحاق بن منصور الكوسج قال: قلت لأحمد - يعني ابن حنبل-: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: قال إسحاق بن راهويه: (ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي)، وقد ذكر الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى - في سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٥١ عن الإمام المحدث حماد بن سلمة أنه حدَّث بحديث نزول الرب تبارك وتعالى فقال: (من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه). قلت: سواءٌ في ذلك من أنكر ثبوته وشكك في صحته لما في نفسه من التعطيل فقد مرَّ بك قريبًا قول الإمام الدارمي عن حديث النزول: (أنه أغيظ حديث للجهمية)، أو أقرَّ بصحة وثبوت لفظه وأنكر وعطل معناه الذي فهمه منه الصحابة والتابعون وتابعوهم فمؤدى السبيلين واحد، وقد روى اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٥٣): عن حنبل بن إسحاق قال سألت أبا عبد اللَّه أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ: (إن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا) فقال ابو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئًا منها إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على رسول اللَّه قوله، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، حتى قلت لأبي عبد الله: (ينزل اللَّه إلى سماء الدنيا) قال: قلت: نزوله بعلمه بماذا؟ فقال لي: اسكت عن هذا، مالَكَ ولهذا، امض الحديث على ما رُوي بلا كيف ولا حد، وإنما جاءت به الآثار وجاء به الكتاب، فتأمل كيف أنكر تأويله بالعلم وأمر بإمضائه والإيمان به على ظاهره.

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة برقم (١٧٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٥١)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ١/ ٣٢٧، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ١٥، ويدل أيضًا على ثبوت نزول=

في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر» قالوا: يا رسول اللَّه ولا مثلهن في سبيل الله؟! قال: «إلا من عفَّر وجهه في التراب، إن عشية عرفة ينزل اللَّه إلى سماء الدنيا، فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعثا غبرا جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي فلا يرى يوما أكثر عتيقا ولا عتيقة»(١).

* وقد رُوِيَ النزول في رمضان، وليس هو نافيًا له في غيره، فروى عبيد اللَّه بن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: ينزل اللَّه إلى السماء الدنيا في شهر رمضان، يدبِّر أمر السَنَة فيمحو ما يشاء، غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة. وإسناده حسن(٢)، وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين، لأنه

= الرب عشية عرفة حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (٨٨٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٣٥٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (١٣٦٠) ولفظه: (وأما وقوفك بعرفة فإن اللَّه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق!! يرجون رحمتي و يخافون عذابي ولم يروني!! فكيف لو رأوني؟! فلو كان عليك مثل رمْل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها اللَّه عنك..) الحديث.

(١) مسند أبي يعلى الموصلي برقم (٢٠٩٠)، وصحيح ابن خزيمة برقم (٢٨٤٠) وصحيح ابن حبان برقم (٣٨٥٣)، وصححه محققه الأرناؤوط، وترتيب الأمالي الخميسية للشجري برقم (١٦٥٨)، وشرح السنة للبغوي برقم (١٩٣١)، وقال المجد ابن تيمية في النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر ١/ ١٧٠: وإسناده حسن.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٣٣٩٤)، ومجلسان من أمالي أبي الحسين بن بشران برقم (١٩) وحسن ابن القيم إسناده كما في مختصر الصواعق (ص: ٤٦٢)، قلت: ومثله=

لا يقال من قبل الرأي.

* وقد ثبت النزول لفصل القضاء، وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء اللَّه تعالى في ذلك[1].

* ونحن نَشهد شهادة مقرٍّ بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا، من غير أن نَصِف الكيفية، لأن نبيَّنا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، واللَّه - جل وعلا - لم يترك ولا نبيه ﷺ بيانَ ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدِّقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته ﷻ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث سارت، ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها - إن شاء اللَّه تعالى- ولا نقصر عنها، وقد تكلفَتْ جماعة من مثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك، وفي ذلك الانتقال وعدمه، وفي خلو العرش منه وعدمه نفيًا وإثباتًا، وذلك تكلفٌ منهم، ودخولٌ فيما لا يعنيهم، وهو ضربٌ من التكييف لم يأت في لفظ النصوص، ولم يسأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ عن شيء

= ما أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٥١٣) عن ابْنَ عَبَّاسٍ ﭬ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَمْهِلُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأول وهبط إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ هَلْ مِنْ تائب يتاب عليه». قال الشيخ الألباني في تحقيقه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوزان وهو أبو محمد الرقي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره.

(١) في أحاديث صحيحة أورد بعضها المؤلف في الفصل الذي يلي هذا.

من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك، ونصدق به كما آمنوا وصدقوا[١].

(١) انظر كتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى- ١/ ٢٩٠، وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٥ عن أبي جعفر الترمذي المتوفى ٢٩٥هـ - شيخ الشافعية بالعراق في وقته - أنه سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث النزول؟ فقال: (النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) وقد قال الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- بعد إيراده لكلام أبي جعفر الترمذي هذا: (قلت: صدق فقيه بغداد وعالمها في زمانه، إذ السؤال عن النزول ما هو إلا عِيٌّ، لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة، وإلا فالنزول والكلام والسمع والبصر والعلم والإستواء عباراتٌ جليةٌ واضحةٌ للسامع، فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف، وكيفية ذلك مجهولةٌ عند البشر، وكان هذا الترمذي من بحور العلم ومن العُبَّادِ الورعين). العلو للعلي الغفار ص ٢١٤. وقال العلامة مرعي الكرمي -رحمه اللَّه تعالى- بعد ذكره لكلام الترمذي-: (فقد قال في النزول كما قال مالك في الإستواء وهكذا القول في سائر الصفات) كما في أقاويل الثقات ص ٢٠١.
وكما قال أبو عثمان الصابوني -رحمه اللَّه تعالى-في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ٤٢-: (فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ماقاله الرسول ﷺ، ولم يعتقدوا فيه تشبيهًا له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته إذ لا سبيل إليها بحال) اهـ.
ويقول الإمام الكبير عثمان بن سعيد الدارمي - بعد أن ذكر جملة من النصوص في إثبات نزول اللَّه تعالى- في كتابه العظيم الرد على الجهمية ص ٩٣: (فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب -تبارك وتعالى- في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول اللَّه ﷺ بِرَدٍّ، وتشمروا لدفعها بجِدٍّ، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نُكلَّف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلًا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول،=

= والإيمان بقول رسول اللَّه ﷺ في نزوله واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يُسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره اللَّه تعالى عليه كيف يصنع وكيف قدر، ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءًا إذ خلقها - كإيمان المصلين به - لقلنا لكم ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشدَّ عليه ولا بأعجبَ من استوائه عليها إذ خلقها بدءًا، فكما قدر على الأولى منهما كيف يشاء فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء، وليس قول رسول اللَّه ﷺ في نزوله بأعجب من قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ومن قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك، فهذا الناطق من قول اللَّه ﷻ وذاك المحفوظ من قول رسول اللَّه ﷺ بأخبار ليس عليها غبار، فإن كنتم من عباد اللَّه المؤمنين لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين). قلت: هذا هو الإمام الدارمي -رحمه اللَّه تعالى - وهذا احتجاجه، وهنا تدرك قدر وصية الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- بكتب هذا الإمام الكبير التي انتصب فيها لرد ضلالات الجهمية والمعطلة ومن سلك مسلكهما فقد قال في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٣: (وكتاباه - أي الرد على الجهمية والنقض على بشر المريسي - من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكلِ طالبِ سنةٍ مرادُه الوقوفُ على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية، ويعظمهما جدًا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما)اهـ، ومن أهم ما يبين قيمة كتب هذا الإمام أنه وثق لنا مقالات الجهمية في زمانه وأوجه تأويلاتهم لنصوص الصفات، وأورد الكثير من شبهاتهم، فعرفنا بذلك أن المتأخر من النفاة قد وطي عقب المتقدم منهم، وأن أشاعرة اليوم هم جهمية الأمس إلا قليلًا، ثم أتبعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنقضها وكشف مواطن المغالطة والزيغ فيها بالمنقول والمعقول فأظهر بذلك علو حجة أهل السنة على كل شبهة إذ قد جعلهم اللَّه منصورين بالحق إلى قيام الساعة.

* قال إسحق: قال لي ابنُ طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي تروونه: (ينزل ربنا كل ليلة)كيف ينزل؟ قلت: أعز اللَّه الأمير لا كيف، إنما ينزل بلا كيف.

* وقال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحق فسُئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض القُواد: كيف ينزل؟ فقال: أثبِتْه فَوْق حتى أَصِفَ لك النزول، فقال الرجل: أثبتُّه فوق، فقال إسحاق: قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة!! فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟! أ هـ من كتاب العلو، وهذا الذي قاله إسحاق -رحمه اللَّه تعالى- هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم، في جميع نصوص الصفات، وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف(١).

٦٤) وَأَنَّـهُ يَـجِـيءُ يَـوْمَ الـفَـصْـلِ كَـمَـا يَـشَـاءُ لِـلْـقَـضَـاءِ الْـعَـدْلِ

قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

---

(١) يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه العظيم اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ١٢٢: (ومراد السلف بقولهم بلا كيف: هو نفيٌ للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: ١/ نفي الحقيقة، ٢/ وإثبات التكييف بالتأويل، ٣/ وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته اللَّه تعالى لنفسه ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردًا عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه).

ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع اللَّه الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل اللَّه في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**» رواه ابن منده وقال الذهبي: إسناده حسن[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد**» رواه مسلم[٢]، وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**يجمع اللَّه الناسَ يوم القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع مَن كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أجده في مسلم، وقد نبه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص: ١١٠) لذلك فقال: قلت: عزوه لمسلم وهم، فإنه لم يخرجه بهذا اللفظ أصلا، . . وأما هذا فإنما أخرجه الترمذي وابن خزيمة والحاكم من طريق آخر عن أبي هريرة وصححوه. اهـ كلامه، وقد أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب، والنسائي في الكبرى برقم (١١٨٢٤)، وابن حبان (٤٠٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي بنفس الترقيم.

كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب -، فيأتيهم اللَّه تعالى فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فيتبعونه، ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم. . »(١) وذكر الحديث بطوله، والأحاديث في هذا كثيرة.

قال الذهبي -رحمه اللَّه تعالى-: أحاديث نزول الباري متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة.

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

٦٥) وأَنَّـهُ يُـرَى بِـلَا إنْـكَـارِ ... فـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ بِـالأبـصَـارِ

٦٦) كـلٌّ يَـرَاهُ رُؤيَـةَ الـعِـيَـانِ ... كَـمَـا أَتَـى فـي مُـحْـكَـمِ الـقُـرآنِ

٦٧) وَفـي حَـديـثِ سَـيِّـدِ الأنَـامِ ... مِـنْ غَـيْـرِ مَـا شَـكٍّ وَلا إيـهَـامِ

٦٨) رُؤْيَـةَ حَـقٍّ لَـيْـسَ يَـمْـتَـرُونَـهَـا ... كَالشَّمْسِ صَحْوًا لَا سَحَابَ دُونَهَا

٦٩) ووَخُـصَّ بـالـرُّؤيَـةِ أَوْلِـيَـاؤُهْ ... فَـضِـيـلَـةً وَحُـجِـبُـوا أَعْـدَاؤُهْ

قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإذا حجب أولياؤه

---

(١) سبق تخريجه.

فأيُّ فضيلة لهم على أعدائه؟! ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥- ٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢- ٢٣].

* وهذه الآيات صريحةُ الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى، لا تقبل تحريفًا ولا تأويلًا، ولا يردُّها إلا مكابر قد ختم اللَّه على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله؟!.

* وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات، رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلَّائهم، كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجرير بن عبد اللَّه، وصهيب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبداللَّه، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبداللَّه بن عمر، وعمار بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبداللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعدي بن أرطأة، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم ﭫ.

* فألق سمعك وأحضر قلبك لها وتأملها تأملَ طالبٍ للحق لا نافرٍ عنه، وكُن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام اللَّه وكلام رسوله فذلك الهلكة، وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة، واللَّه المستعان وعليه التكلان ولا حول

ولا قوة إلا به.

* ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: **«هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟»** قالوا: لا، قال: **«فإنكم ترونه كذلك، يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ومن كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا ﷻ، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه ﷻ في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه..»** الحديث[1]، وفيهما عن جرير بن عبد اللَّه ﷺ قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: **«إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامُّون[2] في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جاء في معاني القرآن للنحاس ج٦/ ص١٩٥: وهو يروى على أربعة أوجه لا تُضامون ولا تُضارون ولا تَضارون ولا تَضامُّون: فمعنى تضامون: لا يلحقكم ضيم كما يلحق في الدنيا في النظر إلى الملوك، ولا تضارون: لا يلحقكم ضير، ولا تَضَامون: لا ينضم بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه، ولا تُضارون لا يخالف بعضكم بعضا يقال ضاررته مضارة وضرارًا أي خالفته.

فافعلوا»[١]، وفي صحيح مسلم عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة الجنةَ يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم»**[٢] ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][٣]. وفي الصحيحين عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**[٤]، وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: **«يا عديُّ هل رأيت الحِيْرة؟»** قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: **«فإن طالت بك حياةٌ لترينَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ﷻ»**، قلتُ -

---

(١) صحيح البخاري في مواضع منها (٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٣٣)، ولفظة (عيانًا) تفرد بها البخاري دون مسلم وهي عنده برقم (٦٩٩٨).

(٢) ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية - كما في مجموع الفتاوى - (٨ / ٣٥٦)-: (فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا أُعْطُوهُ مِنْ النَّعِيم أَحَبَّ إلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إلَيْهِ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إلَيْهِمْ عَلِمَ أَنَّهُ نَفْسَهُ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إلَيْهِمْ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ النَّظَرُ أَحَبَّ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ إلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ الرُّؤْيَةِ تَتْبَعُ مَحَبَّةَ الْمَرْئِيِّ)، وقال - أيضًا - كما في مجموع الفتاوى - (١٠ / ٦٩٦): (وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَحَبَّ كَانَتْ اللَّذَّةُ بِنَيْلِهِ أَعْظَمَ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَمَشَايِخِ الطَّرِيقِ).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٥٩٧، ٣٠٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠).

فيما بيني وبين نفسي-: فأين دعار طيء[1] الذين سعَّروا البلاد-، «ولئن طالت بك حياة لتُفتحن كنوز كسرى»، قلت: كسرى بن هرمز؟؟!! قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقْبلُه منه فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقينَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟! فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالًا، وأفضل عليك؟! فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»، قال عدي بن حاتم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللَّه، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قاله النبي ﷺ[2]. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك»[3]،

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري ٦/ ٦١٣: قوله: فأين دعار طيئ: الدعار جمع داعر - وهو بمهملتين - وهو الشاطر الخبيث المفسد.. والمراد قُطَّاع الطريق، وطيئ: قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مرَّ عليهم بغير جواز، ولذلك تعجَّب عديٌّ كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة؟!! قوله: قد سعَّروا البلاد: أي: أوقدوا نار الفتنة، أي: ملؤوا الأرض شرًّا وفسادًا.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣).

وفي لفظ: «فيُلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا ﷻ حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم..» وذكر الحديث إلى قوله: «فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع له ساجدًا»، وفي رواية: «فأستأذن على ربي، فإذا رأيتُه وقعت له ساجدًا»، وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: «فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدًا»[1]، وللدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام وفي كفِّه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنُّكتة السوداء، فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: تكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعا لكم، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل اللهَ عبدٌ فيها شيئًا هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له قسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة التي فيها؟ قال: هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتَّخذ في الجنة واديا فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه، فيحف الكرسي بكراسي من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي، ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكلَّلة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى

---

(١) مسند البزار برقم (٦٢٢٣)، والتوحيد لابن خزيمةبرقم (٤٥٩).
وقد ذكرها ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في حادي الأرواح ٢١٨ وقال عقبها: ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا يقطع به أهل العلم بالحديث و السنة.

يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلَّى لهم ﷻ فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم في ذلك ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع على كرسيه ﷻ ويرتفع معه النبيون والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤة بيضاء، وزبرجدة خضراء، وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخُدَّامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم، ويزدادوا منه كرامة»[١]

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمَّل به الشافعي مسنده[٢]، وللإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول اللَّه أكلنا يرى ربه ﷻ يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قلت: وما

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٥٥١٧)، الرد على الجهمية للدارمي برقم (١٤٥)، المعجم الأوسط برقم (٢٠٨٤)، رؤية اللَّه للدارقطني برقم (٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه، قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٣١١: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي، وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح، ورواه الضياء المقدسي في المختارة برقم (٢٠٩١) وقال محققه الدهيش: إسناده صحيح، وحسنه البوصيري في إتحاف الخيرة برقم (١٤٦٨)، وقال الهيثمي في المجمع برقم (٢٩٩٦): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ ثِقَات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٩٤).

(٢) كما قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- كما في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٣١٣).

آية ذلك في خلقه؟ قال: «**أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟**» قلنا: نعم، قال: «**اللَّه أكبر وأعظم**»(١). وللإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه وقد سئل عن الورود؟ فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس، فتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: ومن تنتظرون؟! فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه..» الحديث، ورواه مسلم في صحيحه(٢). ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال - يحذرنا منه ويحدثنا عنه - حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ - وذكر الحديث - وفيه: «**وإنه يبدأ فيقول أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا**»(٣)، وللإمام أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن أبي مجلز قال: صلى

---

(١) مسند أحمد برقم (١٦١٩٢)، وسنن أبي داود برقم (٤٧٣١)، وسنن ابن ماجه برقم (١٨٠)، مسند أبي داود الطيالسي برقم (١١٩٠) والمستدرك للحاكم برقم (٨٦٨٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ووافقه الذهبي، وجود إسناده ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٤٩٧، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (١٨٠).

(٢) مسند أحمد برقم (١٥١١٥)، وصحيح مسلم برقم (١٩١).

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٤٠٧٧)، السنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (١٠٠٨)، والمستدرك للحاكم (٨٦٢٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في ظلال الجنة ١/ ٢٠٧.

بنا عمار رضي الله عنه صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتمَّ الركوع والسجود؟! قالوا: بلى، قال: أما إني دعوت فيها بدعاء كان رسول اللَّه ﷺ يدعو به: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك[1]، والشوقَ إلى لقائك، في غير ضَرَّاء**

(١) يقول الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى وأعلى درجته في عليين - في كتابه الصواعق المرسلة الذي ألفه شجى في حلوق المُحَرِّفين ٤/ ١٤٥٣: (فإن أصحاب رسول اللَّه ﷺ والتابعين كلهم وأهل السنة كلهم متفقون على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، ولكن زعم بعض أهل الكلام: أنه لا يحصل لهم بذلك لذة !! كما زعم أبو المعالي الجويني في رسالته النظامية أن نفس النظر إليه سبحانه لا لذة فيه !! إذ اللذة إنما تكون بالمناسب ولا مناسبة بين القديم والمحدث !! وزعم أن هذا من أسرار التوحيد !! وكذلك أبو الوفاء ابن عقيل سمع قائلا يقول: أسألك لذة النظر إلى وجهك، فقال: يا هذا هب أن له وجهًا، أفتلتذ بالنظر إليه؟؟!! وهذه نزعة اعتزالية، وإلا فأهل المعرفة باللَّه وخاصة أولياء اللَّه ليس عندهم شيء ألذ من النظر إلى وجهه الكريم، وليس بين هذه اللذة ولذة الأكل والشرب والنعيم المنفصل نسبة أصلًا، كما لا نسبةَ بين الرب جل جلاله وبين شيء من مخلوقاته، فالنسبة بين اللذتين لا تُدرك أصلًا، قال شيخنا: وعلى ذلك جميع أهل السنة وسلف الأمة وأئمة الإسلام، قال الحسن البصري - شيخ الإسلام في زمن التابعين-: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت نفوسهم في الدنيا شوقا إليه، وقال الشافعي رحمه الله: لو علم محمد بن إدريس - (يعني نفسه) - أنه لا يرى ربه في الآخرة لما عَبَدَه في الدنيا».

ويقول -رحمه اللَّه تعالى- في مدارج السالكين ٣/ ٢٤: (فقد اشتمل هذا الحديث الشريف على ثبوت لذة النظر إلى وجه اللَّه، وعلى ثبوت الشوق إلى لقائه، وعند الجهمية لا وجه له سبحانه، ولا يُنظر إليه، فضلا أن يحصل به لذة). ويقول أيضًا كما=

مُضرَّة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينًا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد(١)، وللترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: لما قُتل عبد اللَّه بن عمرو بن حرام - يوم أُحد - قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك ما قال اللَّه عز وجل لأبيك؟» قال: بلى، قال: «ما كلَّم اللَّه عز وجل أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلَّم أباك كفاحًا(٢)، فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أُعْطِك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩] قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، قلت: وإسناده صحيح(٣). ولابن مهدي عن حذيفة رضي الله عنه في قوله عز وجل: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى وجه اللَّه عز وجل. قال الحاكم -رحمه اللَّه تعالى-:

= في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٥٩): (ولذة النظر إلى وجه اللَّه الكريم أعظم أنواع اللذات التى ينعم بها أولياؤه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه).

(١) مسند أحمد برقم (١٨٣٢٥)، وسنن النسائي برقم (١٣٠٦)، وحكم بثبوته ابن القيم - رحمه اللَّه تعالى- في روضة المحبين ٣٠٧، وقال الشوكاني نيل الأوطار ٢ / ٣٣٢: رِجَالُ إسْنَادِهِ ثِقَاتٌ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ١/ ٢٠٥.

(٢) كفاحًا: أي مواجهه ليس بينهما حجاب ولا رسول «النهاية ٤/ ١٨٥».

(٣) مسند أحمد برقم (١٤٨٨١) وحسنه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٣٠١٠)، وسنن ابن ماجه برقم (١٩٠)، و المستدرك للحاكم برقم (٤٩١٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وصحح إسناده ابن القيم في حادي الأرواح ٢٢٢، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١).

وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع(١) .

---

(١) يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في طريق الهجرتين ١/ ٥٦٥ :
(وقد اختُلف في تفسير الصحابي هل له حكم المرفوع أو الموقوف؟ على قولين: الأول: اختيار أبي عبدالله الحاكم، والثاني: هو الصواب، ولا نقول على رسول الله ما لم نعلم أنه قاله). ويفصل الإمام الصنعاني -رحمه الله تعالى- القولَ في هذه المسألة فيقول - في توضيح الأفكار ١/ ٢٨٠- :
(الفرع الثالث: تفسير الصحابي أي: للقرآن، اختلف أهل العلم في تفسير الصحابي، فذكر زين الدين وابن الصلاح أنه إن كان أي: تفسير الصحابي في ذكر أسباب النزول فحكمه حكم المرفوع، وإلا فهو موقوف، وجعل أي كلٌّ واحد منهما هذا هو القول المعتمد، وإليه ذهب الخطيب وأبو منصور البغدادي وتبعهما ابن الصلاح والزين، قال الزين: والقائل برفع تفسير الصحابي مطلقا الحاكم وعزاه إلى الشيخين، فإنه قال في المستدرك: ليعلم طالب العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحيَ والتنزيل - عند الشيخين - حديث مسند، قال ابن الصلاح - تعقبا للحاكم-: إنما ذلك في تفسير متعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك.. قال الحافظ ابن حجر - بعد ذكر الخلاف-: والحق أن ضابط ما يُعَبِّره الصحابي إن كان مما لا مجال فيه للاجتهاد ولا منقولًا عن لسان العرب فحكمه الرفع، وإلا فلا كالأخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والأخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص فهذه أشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع، وأما إذا فسر الآية بحكم شرعي فيحتمل أن يكون مستفادًا من النبي ﷺ أو عن القواعد، فلا تَجزم برفعه، وكذا إذا فسر مفردا فقد= = يكون نقلًا عن اللسان فلا تجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري وأبي جعفر الطحاوي وابن مردويه في تفسيره المسند والبيهقي وابن عبد البر في آخرين إلا أنه يستثنى من ذلك إذا كان المفسر له من الصحابة ممن عرف بالنظر في الإسرائيليات كمُسلمة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام، وكعبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان حصل له في وقعة اليرموك كتب كثيرة من كتب أهل الكتاب فكان يخبر بما فيها من=

ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يرون ربهم -تبارك وتعالى- في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربُهم منه مجلسًا أسرعُهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدوًّا**»(١)، وللصنعاني عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خَلَقَ اللَّه الملائكة لعبادته أصنافًا، فإن منهم لَمَلائكةً قيامًا صافِّين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكةً ركوعًا خُشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكةً سجودًا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يومُ القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك(٢)، وقال الصاغاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى، ثم قال:

= الأمور المغيبة، حتى كان ربما قال له بعض أصحابه: حدثنا عن النبي ﷺ ولا تحدثنا عن الصحيفة !!.

ويلخص ذلك العلامة الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٤٠١ فيقول: المقرر في علوم الحديث: أن تفسير الصحابي إذا كان له تعلق بسبب النزول، أن له حكم الرفع كما أوضحناه في سورة البقرة، قال العلوي الشنقيطي في طلعة الأنوار:

تفسيرُ صاحبٍ له تَعَلُّقُ ... بالسببِ الرفعُ له محققُ

وقال العراقي في ألفيته:

وعُدَّ ما فسره الصحابي ... رفعًا فمحمول على الأسباب.

أي: على أسباب النزول.

(١) الشريعة للآجري برقم (٦١١)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٣٠)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٤١٧: وأما حديث بن عباس رضي الله عنه فروي عن غير وجه صحيح في كتاب الآجري وابن بطة وغيرهما.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٣٣) قال محققه: أثر عبد اللَّه بن عمرو إسناده حسن.

كونوا كرجل قال لابنه - وهو يعظه-: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال - يا بُني - نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكَرَّة، ولقد سمعت فلانًا - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول اللَّه ﷺ غيره فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن لله ملائكةً ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم مَلَك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح اللَّه تعالى، قال: وملائكةً سجودا منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافِّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه، قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك**»[1].

* **فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة: أن اللَّه ﷻ يُرى في الآخرة كما يشاء**، وأن الشهداء بعد موتهم يرونه، وأن الملائكة يرونه، وأن النبي ﷺ يراه عند استئذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برَّهم وفاجرَهم يرونه في عرصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاءٌ وامتحانٌ ونوع من العقوبة[2]، وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٦٠)، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني برقم (٥١٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٣٤)، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٤٧ عن أحد أسانيد المروزي له في تعظيم قدر الصلاة: وهذا إسناد لا بأس به، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٩٨٨)-.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: (فأما مسألة رؤية الكفار فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها - فيما بلغنا - بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها على=

وجه اللَّه ﷻ فهي خاصة لأوليائه المؤمنين، الذين يُؤذن لهم في السجود، ويُعطون النور التام على الصراط فيتبعونه، ثم يتجلى لهم في الجنة فيرونه كما يشاء، وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديث صحيحةٌ في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه اللَّه ﷻ[1]، ولابن جرير عن كعب بن عجرة ؓ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن ﷻ[2]. ورواه ابن حميد عنه بلفظ: الزيادة:

= ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المُظهر للكفر ولا المُسرُّ له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يَحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبى بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ﷻ لهم في الموقف والحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب كاللص إذا رأى السلطان، ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبى الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم)، . . ثم ذكر ما استدل به كل فريق لقوله . . ثم قال: (والمختلفون في هذه المسألة أعذر من غيرهم) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٠٥.

(١) منها حديث صهيب ؓ في مسلم الذي ذكره المؤلف قريبًا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره برقم (١٧٦٣١)، السنة لعبد اللَّه بن أحمد برقم (٤٨٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٨١)، قال الحافظ في الفتح ٨/ ٣٤٧: ولكن في إسناده ضعف.

النظر إلى وجه اللَّه -تبارك وتعالى-.

* وقد رُوي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه اللَّه ﷻ عن أبي بكر رضي الله عنه[١]، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعبد اللَّه بن عباس، وأبي موسى، وعن عبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وعن التابعين عن سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن ابن السباط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسُّدي، ومحمد بن إسحاق، ومقاتل وغيرهم -رحمهم الله- من السلف والخلف، ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدها، وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية وباللَّه التوفيق.

ذِكْرُ المَنْقُول عن أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ في هَذَا البَاب

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كلٌّ من دخل الجنة يرى ربه ﷻ؟! قال: نعم[٢].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت[٣].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن أدنى أهل الجنة منزلة مَن ينظر إلى ملكه ألفي عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه اللَّه ﷻ في كل يوم مرتين[٤].

---

(١) صححه الألباني في ظلال الجنة ص ٢٣٨.

(٢) الشريعة للآجري برقم (٥٨٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٨٦٥).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٤٠٠٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٨٦٦).

وكان أبو موسى رضي الله عنه يحدِّث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه اللَّه تعالى جهرة؟!(١).

ذِكْر أَقْوَالِ التَّابِعِينَ -رحمهم اللَّه تعالى- فِي ذَلِك

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عُمَّاله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى اللَّه عز وجل، ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمَّلك اللَّه من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى اللَّه عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نُضِّرت وجوهُهم، ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، ومن كرب يوم القيامة.

وقال الحسن -رحمه اللَّه تعالى-: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير -رحمهما الله-: إن أشرف أهل الجنة

(١) جزء ابن عرفة برقم (٥٥)، وفوائد الحنائي = الحنائيات برقم (١٣١)، جاء في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ٨/ ٤١٩: وقال إسماعيل بن إبراهيم المصيصي رأيت الحارث بن عطية في النوم فسألته (أي عن حاله) فقال غُفر لي قلت: فابن المبارك؟؟ قال بخ بخ !! ذاك في علين ممن يلج على اللَّه كل يوم مرتين. وجاء في الأنساب ٢/ ٢٦٣ للسمعاني: وقال محمد بن عوف الحمصي رأيت محمد بن المصفي في النوم - وكان مات بمكة - فقلت: أبا عبد اللَّه أليس قدمت إلى ما صرت؟! قال: إلى خير، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين، فقلت: يا أبا عبد اللَّه صاحب سنة في الدنيا !! وصاحب سنة في الآخرة !! قال: فتبسم.

لمن ينظر إلى اللَّه -تبارك وتعالى- غدوة وعشية.

وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية، ويخالفوا أهل السنة.

وقال علي بن المديني: سألت عبد اللَّه بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه اللَّه خالقِه فليعمل عملًا صالحًا، ولا يخبر به أحدًا.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب اللَّه ﷻ أحدًا عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥- ١٧] قال: بالرؤية.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد اللَّه منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبد اللَّه إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث **«إن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا»** و**«إن أهل الجنة يرون ربهم»**!! فحدَّثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أمَّا نحن فقد أخذْنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فهم عمَّن أخذوا؟؟!.

وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يومًا، فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب، فقال: حدَّثنا سفيان بن سعيد الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حيٍّ وحدثنا شريك بن عبد اللَّه النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول اللَّه ﷺ أن اللَّه -تبارك وتعالى- يُرى في الآخرة حتى جاء ابنُ يهودي صبَّاغ يزعم أن اللَّه تعالى لا يُرى!! يعني: بشر المريسي قبحه اللَّه.

ذِكْرُ أَقْوَالِ الأئمَّة الأربَعَة وطَبَقَاتِهِم وَمَشَايِخِهِمْ رحمهم اللَّه تعالى

قال مالك بن أنس الإمام -رحمه اللَّه تعالى-: الناس ينظرون إلى ربهم ﷻ يوم القيامة بأعينهم. وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] أتنظر إلى اللَّه ﷻ؟! قال: نعم. قال أشهب: فقلت: إن أقوامًا يقولون: تنظر ما عنده؟! قال: بل تنظر إليه نظرًا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وذكر الطبراني وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن اللَّه لا يرى؟! فقال مالك: السيف السيف.

وقال أبو صالح كاتب الليث: أملى عليَّ عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فقالوا لا يراه أحدٌ يوم القيامة!! فجحدوا - واللَّه - أفضلَ كرامةِ اللَّه التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة، من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلنَّ رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا، لينضِّر بها وجوهَهُم دون المجرمين، وتُفلج بها حجتهم على الجاحدين، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، لا يرونه كما يزعمون أنه لا يرى، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم.

وقال الأوزاعي -رحمه اللَّه تعالى-: إني لأرجو أن يَحجب اللَّه ﷻ جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده اللَّه أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ

﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فجحد جهمٌ وأصحابُه أفضلَ ثوابه الذي وعده اللَّه تعالى أولياءه.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا: تُمر بلا كيف.

وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل: إن القرآن كلام اللَّه، وأن اللَّه يُرى في الجنة فهو جهمي. ذكره الطبري، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يُصلى خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول: لا يَرى ربَّه يوم القيامة.

وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه اللَّه ﷻ، فأنكره رجل، فصاح به، وأخرجه من مجلسه.

وقال قتيبة بن سعيد -رحمه اللَّه تعالى-: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول اللَّه ﷺ في الرؤية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام - وقد ذُكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية-: هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا: فسروها لنا، قلنا: لا نفسر منها شيئا[1]، ولكن نمضيها

(١) قلت: مقصود السلف بعدم تفسير هذه النصوص أي: عدم صرفها عن ظواهرها التي تفهم منها بتحريفها وإعطائها معاني غير ما يتبادر منها كما بين ذلك الإمام=

كما جاءت.

وقال عبد الوهاب الوراق: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها أنها حق.

وقال محمد بن إدريس الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول اللَّه ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقال الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- لما أن حجب هؤلاء في السَّخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا. قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد اللَّه وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدينُ اللهَ ﷻ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى اللَّه لما عَبَدَ اللَّه ﷻ، رواه الحاكم عن الربيع عنه. وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد اللَّه - وبلغه عن رجل أنه قال: إن اللَّه لا يُرى في الآخرة - فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال: أن اللَّه لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة اللَّه وغضبه مَن كان مِن الناس، أليس يقول اللَّه ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؟! وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟![1].

= الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- في العلو ص٢٥١ فقال: (قراءتها تفسيرها يعني: أنها بينة واضحة في اللغة، لا يُبتغى بها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مبدأ السلف، مع اتفاقهم - أيضا - أنها لا تُشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته).

(١) أما موقف الأشعرية من رؤية المؤمنين ربهم فقولهم فيها في غاية التناقض بل إنه يعود على إثبات الرؤية بالإبطال فإنهم يقولون: يُرى لا في جهة ولا مقابلة ولا اتصال أشعة.. إلخ لاآتهم، وقولهم هذا في الرؤية مبنيٌّ على نفيهم عُلُوَّ اللَّه تعالى وفوقيته على خلقه، ويكفيك في رد هذا الهذيان الذي اخترعته عقولهم الحائرة أن تتأمل=

= كلمات الإمام ابن أبي العز الحنفي -رحمه اللَّه تعالى- وهو يقول في شرحه للعقيدة الطحاوية ١/ ٢١١: (ومن قال يُرى لا في جهة فليراجع عقله !! فإما أن يكون مكابرًا لعقله وفي عقله شيء، وإلا فإذا قال يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ردَّ عليه كلُ من سمعه بفطرته السليمة، ولهذا ألزم المعتزلةُ مَن نفى العلوَّ بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تُعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة.. وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه).
ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٤٣: (ولا ريب أن جمهور العقلاء من مثبتي الرؤية ونفاتها يقولون إن هذا القول معلوم الفساد بالضرورة ولهذا يذكر الرازي أن جميع فرق الأمة تخالفهم في ذلك).
ويقول أيضًا كما الفتاوى الكبرى ٥/ ٣١٤ مبينًا أن قول الأشاعرة في الرؤية مؤداه إلى موافقة المعتزلة في إبطال الرؤية ونفيها: (الفضلاء إذا تدبروا حقيقة قولكم الذي أظهرتم فيه خلاف المعتزلة وجدوكم قريبين منهم، أو موافقين لهم في المعنى، كما في مسألة الرؤية فإنكم تتظاهرون بإثبات الرؤية، والرد على المعتزلة، ثم تفسرونها بما لا ينازع المعتزلةُ في بيانه، ولهذا قال من قال من الفضلاء في الأشعري: إن قوله قول المعتزلة ولكنه عدل عن التصريح إلى التمويه).
قلت: وهذا شأن هذه الطائفة الحائرة في غالب أقوالها في العقائد فإنها تسلك في غالب مقولاتها في العقائد مسلكًا تلفيقيًا يقوم على لبس الحق الذي جاء به الوحي المعصوم ودرج عليه أهل الحق والسنة بالباطل الذي تقتضيه مقدمات علم الكلام المذموم لتتولد لهم عقائد مسخ هِّي مزيج من الحق والباطل والسنة والبدعة والضلالة والهدى، ومن تأمل مقالاتهم في العقائد أدرك واقع ذلك، ويكفيك هذه المسألة مثالًا على ذلك. وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- إلى هذا المسلك وما يتولد عنه في درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥) فقال: (ومن الناس من له خبرة بالعقليات المأخوذة عن الجهمية وغيرهم، وقد شاركهم في بعض أصولها، ورأى ما في قولهم من مخالفة الأمور المشهورة عند أهل السنة كمسألة القرآن والرؤية، فإنه قد اشتهر عند العامة والخاصة أن مذهب السلف وأهل السنة والحديث أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، وأن اللَّه يرى في الآخرة، فأراد هؤلاء أن يجمعوا بين نصر ما اشتهر عند اهل السنة=

= والحديث، وبين موافقة الجهمية في تلك الأصول العقلية التي ظنها صحيحة، ولم يكن لهم من الخبرة المفصلة بالقرآن ومعانيه والحديث وأقوال الصحابة ما لأئمة السنة والحديث، فذهب مذهبًا مركبًا من هذا وهذا، وكلا الطائفتين ينسبه إلى التناقض، وهذه طريقة الأشعري وأئمة أتباعه كالقاضي أبي بكر وأبي إسحاق الإسفراييني وأمثالهما)، قلت: وهم بذلك يفارقون منهج أهل السنة والجماعة الذين يصدرون في هذا الباب عن كلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ، ولا يأخذون ببعض الحق ويتركون البعض الآخر، بل يأخذون بالحق كله، ويجمعون بين ما تقتضيه الأدلة، ويفهمونها كما فهمها السلف، وصدق اللَّه الذي قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾، فلما كان منهج أهل السنة في العقائد وغيرها معتمدًا اعتمادًا تامًا على ما جاء به الوحي المعصوم بفهم خير القرون ﷺ كانت كلُّ قضاياه يصدق بعضها بعضًا، ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة من هذا الباب فلا تَنَافِيَ بينها وبين علوه تعالى على خلقه، بل هي مقتضيةٌ له، دالةٌ عليه، وهو أمر لا تمنعه العقول بل تؤيده كلها، حتى عقول أساتذة هذه الطائفة من المعتزلة، ومن هنا جاء إقرار الرازي بأن جميع فرق الأمة سنيَّهم وبدعيَّهم تخالف الأشاعرة في ذلك، وحسبك به شذوذا قبيحًا، يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه تعالى- مبينًا التلازم التام بين إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وبين إثبات علوه تعالى على خلقه كما في كتابه إعلام الموقعين ٢/ ٣٠٣: (وَالَّذِي تَفْهَمُهُ الْأُمَمُ على اخْتِلَافِ لُغَاتِهَا وَأَوْهَامِهَا من هذه الرُّؤْيَةِ رُؤْيَةَ الْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ التي تَكُونُ بين الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ، فيها مَسَافَةٌ مَحْدُودَةٌ، غير مُفْرِطَةٍ في الْبُعْدِ فَتَمْتَنِعُ الرُّؤْيَةُ، وَلَا في الْقُرْبِ فَلَا تُمْكِنُ الرُّؤْيَةُ، لا تَعْقِلُ الْأُمَمُ غير هذا، فَإِمَّا أَنْ يَرَوْهُ سُبْحَانَهُ من تَحْتِهِمْ تَعَالَى اللَّهُ، أو من خَلْفِهِمْ، أو من أَمَامِهِمْ، أو عن أَيْمَانِهِمْ، أو عن شَمَائِلِهِمْ، أو من فَوْقِهِمْ، ولابد من قِسْمٍ من هذه الْأَقْسَامِ إنْ كانت الرُّؤْيَةُ حَقًّا، وَكُلُّهَا بَاطِلٌ سِوَى رُؤْيَتِهِمْ له من فَوْقِهِمْ، كما في حديث جَابِرٍ الذي في الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ: (بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ في نَعِيمِهِمْ إذْ سَطَعَ لهم نُورٌ فَرَفَعُوا رؤوسهم فإذا الْجَبَّارُ قد أَشْرَفَ عليهم من فَوْقِهِمْ، وقال: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ: (سَلَامٌ قَوْلًا من رَبٍّ رَحِيمٍ)، ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ وَتَبْقَى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عليهم في دِيَارِهِمْ)، وَلَا يَتِمُّ إنْكَارُ الْفَوْقِيَّةِ إلَّا بِإِنْكَارِ الرُّؤْيَةِ، وَلِهَذَا طَرَدَ الْجَهْمِيَّةُ أَصْلَهُمْ وَصَرَّحُوا بِذَلِكَ وَرَكِبُوا النَّفْيَيْنِ مَعًا، وَصَدَّقَ أهل السُّنَّةِ بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا=

وقال أبو داود: سمعت أحمد -رحمه اللَّه تعالى- وذُكر له عن رجل شيءٌ في الرؤية فغضب، وقال: من قال إن اللَّه لا يُرى فهو كافر. وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد اللَّه يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، يُنكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم. قال حنبل وسمعت أبا عبد اللَّه يقول: من زعم أن اللَّه لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فقد كفر وردَّ على اللَّه وعلى الرسول، ومن زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلا فقد كفر وردَّ على اللَّه قوله، قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث، ونقرُّ بها، ونُمرُّها كما جاءت.

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية مَن كذَّب بها فهو زنديق. وقال حنبل: سمعت أبا عبداللَّه يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا، أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يُمرونها على حالها، غير منكرين لذلك، ولا مرتابين. قال حنبل: قلت لأبي عبد اللَّه في أحاديث الرؤية قال: هذه صحاح، نؤمن بها، ونقرُّ بها، وكلُّ ما رُوي عن النبي ﷺ أقررنا به، قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على اللَّه أمره !!، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال عبد اللَّه بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟!

= وَأَقَرُّوا بِهِمَا، وَصَارَ من أَثْبَتَ الرُّؤْيَةَ وَنَفَى عُلُوَّ الرَّبِّ على خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ على عَرْشِهِ مُذَبْذَبًا بين ذلك لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ !!).

فقال: رواها مَن روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء، فإن يكونوا في هذا عدولًا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك اللَّه كما شفيتني أو كما قال، ذكره الحاكم.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

وقال نعيم بن حماد للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول: إنه كلام اللَّه، فقال غير مخلوق؟، فقال: غير مخلوق قال: وتقول أن اللَّه يرى يوم القيامة؟ قال: نعم، فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد اللَّه شهرتني على رءوس الناس!! فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣- ٤٤] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار.

* قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكلُّ أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة: إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا[١]، وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم: «من أحب لقاء اللَّه أحب لقاءه»[٢]، وحديث أنس:

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.
(٢) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

«إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا اللَّه تعالى ورسوله ﷺ»(١)، وحديث أبي ذر رضي الله عنه: «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(٢)، وحديث أبي موسى: «من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»(٣)، وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد.

* فهذا كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسول اللَّه ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى كلُّها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم -تبارك وتعالى- في الجنة، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غاية النعيم، وأعلى الكرامات، وأفضل فضيلة، ولذا يَذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم، فنحن نؤمن بذلك كله، ونُشهِد اللَّه تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله والمؤمنين على ذلك، ونضرع إلى اللَّه تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن، وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون نعوذ باللَّه من ذلك.

* ومن جحد الرؤية فهو كاذب على اللَّه تعالى، مكذب بالصدق إذ جاءه، رادٌّ لكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، مخالفٌ لجماعة المؤمنين، كافرٌ بلقاء اللَّه عز وجل، متبعٌ غير سبيل المؤمنين، وسيولِّيه اللَّه ما تولى ويصليه جهنم إن مات مصرًا على جحوده، أليس في جهنم مثوى للكافرين، وقد

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٧٨)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٩).
(٢) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.
(٣) صحيح البخاري برقم (١٢٩)، وصحيح مسلم (٩٣).

وعد اللَّه ﷻ أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥-١٧]، وتقدم تفسير ابن المبارك قوله: تكذبون: بالرؤية. وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول اللَّه ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلْ ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والأبل وأذرْك ترأس وتربع؟! فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فُلْ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ها هنا إذًا، ثم يقال: الآن نبعث شاهدًا عليك!!، فيتفكر في نفسه: من الذي يشهد عليَّ؟! فيُختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط اللَّه عليه**»[1] ومن

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٨).

تراجم أئمة السنة على هذا الحديث (باب وعيد منكري الرؤية)، والدلالة منه واضحةٌ منطوقًا ومفهومًا ولله الحمد.

* ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم -تبارك وتعالى- في دار الآخرة، وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحدٌ قبل الموت، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء اللّٰه بحث ذلك في موضعه وباللّٰه التوفيق.

وُجُوبُ الإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ الوَارِدَةِ فِي القُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ وَإِمْرَارِهَا كَمَا أَتَتْ

٧٠) وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ ... أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ

٧١) أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ ... فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالقَبُولُ

(وكل ما) ثبت (له) أي لله ﷻ (من الصفات) الثابتة التي (أثبتها) هو سبحانه لنفسه وأخبرنا باتصافه بها (في محكم الآيات) من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ١٩-٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى

عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ٤٥]، وكقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وكقوله تعالى: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وكقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢] وكقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ

ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات صفات ذاته تعالى وأفعاله ﷻ.

(أو صح في ما قاله الرسول) من الأحاديث النبوية الصحيحة، كقوله ﷺ عن ربه ﷻ: «**يقول اللَّه تعالى أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**» متفق عليه من حديث أبي هريرة(١)، وقوله ﷺ: «**سبحان اللَّه العظيم وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه**» رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما(٢)، وقوله ﷺ: «**لما قضى اللَّه الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٣)، وعن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٥٦] قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» قال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» قال: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ فقال النبي ﷺ: «**هذا أيسر**» رواه البخاري وغيره(٤)، وقوله ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**» الحديث تقدم في الرؤية(٥)، وقوله ﷺ: «**مَثَلُ المجاهد في سبيل اللَّه - ابتغاء وجه**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٧١).

(٥) سبق تخريجه.

اللَّه - مثل القائم المصلي حتى يرجع المجاهد» متفق عليه من حديث أبي هريرة[١] رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن اللَّه يُقبل بوجهه إلى وجه عبده» رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث الحارث الأشعري[٢]، وقوله ﷺ في صفة الدجال: «ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» الحديث متفق عليه من حديث أنس[٣] وابن عمر[٤] وغيرهما، وقوله ﷺ: «يد اللَّه ملأى لا تغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٥]، وقوله ﷺ: «إن اللَّه تعالى يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك» متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما واللفظ للبخاري[٦]، وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمد إن اللَّه تعالى يمسك السموات على إصبع، والأرضين على

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٣٥)، صحيح مسلم برقم (١٨٧٨) بمعناه، وهو بلفظ المؤلف في التوحيد لابن خزيمة (١/ ٣٢) وغيره.

(٢) مسند أحمد برقم (١٧١٧٠) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٨٦٣) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيب، ومسند أبي داود الطيالسي برقم (١٢٥٧)، وصحيح ابن خزيمة برقم (١٨٩٥)، ومستدرك الحاكم (١٥٣٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٧٧) والألباني في الجامع الصغير وزيادته (٢٦٠٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٣٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤١٤١)، وصحيح مسلم برقم (١٦٩).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٨).

إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول اللَّه ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا له، متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[١]، وقوله ﷺ: **«إن اللَّه تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي، فيبسط يديه فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه»** الحديث تقدمت ألفاظه في إثبات النزول[٢]، وقوله ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى اللَّه إلا الطيب، فإن اللَّه يتقبلها بيمينه، ثم يربِّيْها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوَّه حتى تكون مثلُ الجبل»** متفق عليه من حديث أبي هريرة[٣]، وقوله ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى: **«فقال آدم: يا موسى اصطفاك اللَّه بكلامه وخط لك التوراة بيده»** الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة[٤]، وقوله ﷺ: **«إن يد اللَّه هي العليا، ويد المُعطي التي تليها، ويد السائل أسفل من ذلك»** رواه ابن خزيمة من حديث حكيم بن حزام[٥]، وأصله في الصحيح[٦]، وقوله ﷺ في قصة خلق آدم: **«فقال اللَّه -تبارك وتعالى- ويداه مقبوضتان-: اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم يبسطها فإذا فيها آدم**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٥)، صحيح مسلم برقم (٢٧٨٦).

(٢) هذا لفظ ابن خزيمة في التوحيد برقم (٤٢)، الرد على الجهمية للدارمي برقم (١٣٠)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢/ ١٩٩.

(٣) سبق تخريجه. (٤) سبق تخريجه.

(٥) مسند أحمد برقم (١٥٣٢١)، مسند أبي داود الطيالسي برقم (١٤١٤)، المعجم الكبير للطبراني (٣٠٨١)، مستدرك الحاكم (٦٠٤٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه ووافقه الذهبي، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٨/ ٥٣٥، والحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٩٧).

(٦) صحيح البخاري برقم (٢٩٧٤)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٤).

وذريته . . » الحديث أخرجه ابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة(١)، وقوله ﷺ: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به . . » الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه(٢)، وقوله ﷺ: «إذا أحب اللّه العبد نادى جبريل: إن اللّه يحب فلانا فأحبه، فيُحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن اللّه يحب فلانا فأحبوه» الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه(٣)، وقوله ﷺ: «وما أحد أصبر على أذى يسمعه من اللّه، يدَّعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم» رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه(٤)، وقوله ﷺ: «عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه(٥)»(٦) الحديث،

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٦٨)، ومسند أبي يعلى الموصلي برقم (٦٥٨٠)، مستدرك الحاكم (٢١٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٦/ ٣٧١. وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي بنفس الترقيم.

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) بل هو متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٤).

(٥) يقول الحافظ أبو الفرج ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: والمعنى: أنَّه سبحانه يعجب من قنوط عباده عندَ احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة، وقد اقترب وقتُ فرجه ورحمته لعباده، بإنزالِ الغيث عليهم، وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون. وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾.

(٦) مسند أحمد برقم (١٦٢٠١) وسنن ابن ماجه برقم (١٨١)، ومسند أبي داود الطيالسي برقم (١١٨٨) كلهم بلفظ (ضحك)، وحسنه ابن تيمية كما في الواسطية من مجموع الفتاوى٣/ ١٣٩، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨١٠) منبهًا إلى أن هذا اللفظ هو المعروف، وأنه لم يره بلفظ (عَجِب) وأن ذكر ابن كثير له بلفظ (عَجِب) لعله رواية منه للحديث بالمعنى، وقد روى الدارقطني في الصفات عن أبي عبيد القاسم بن=

وقوله ﷺ: «**عَجِبَ ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**» رواه أحمد والبخاري من حديث ابن مسعود[1]، وقوله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**»[2] متفق عليه من حديث

= سلام - وذَكَرَ الباب الذي يُروى فيه حديث الرؤية، والكرسي، وموضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث "أين كان ربنا»، فقال: هذه الأحاديث صحاح، حملها أهل الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمه؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره.

(١) هو بهذا اللفظ في، مسند أحمد برقم (٨٠١٣)، وسنن أبي داود برقم (٢٦٧٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٨٤٨) بلفظ: (عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ) وكلهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٩٠)، وقد عقد الإمام الآجري -رحمه الله تعالى- في كتابه (الشريعة) بابًا قال فيه: باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك ثم قال: (اعلموا - وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل - أن أهل الحق يصفُون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة ﷺ. وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله ﷻ يضحك، كذا رُوي عن النبي ﷺ وعن صحابته. ولا ينكر هذا إلا من لا يُحمد حاله عند أهل الحق. وسنذكر منه ما حضرنا ذكره، والله الموفق للصواب، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ثم ذكر جملة من الأحاديث في ذلك ثم قال رحمه الله: (هذه السنن كلها نؤمن بها ولا نقول فيها كيف؟ والذين نقلوا هذه السنن هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة، وفي الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يردُّ هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة، فمن عارض فيها أوردَّها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه). الشريعة ٢/ ١٠٥١- ١٠٦٩.

وقد قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري المتوفى ٣٨٧هـ في كتابه العظيم الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٣/ ١١٢: سألت أبا عمر محمد بن عبد الواحد - صاحب اللغة - عن قول النبي ﷺ: (ضحك ربنا من قنوط عباده وقُرب غِيَرِه) فقال: (الحديث معروف، وروايته سنة، والاعتراض بالطعن عليه بدعة، وتفسير=

أبي هريرة، وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله»[(١)]، وقوله ﷺ: «من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله» رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية: «من خاصم في باطل لم يزل في سخط اللَّه حتى ينزع»[(٢)]، وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها»[(٣)]، وقوله ﷺ: «وإذا أبغض عبدًا دعا جبرائيل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن اللَّه يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» رواه مسلم[(٤)]، وقوله ﷺ: «إن اللَّه ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده

= الضحك تكلف وإلحاد) قلت: ومعنى قوله: (وتفسير الضحك تكلف وإلحاد): أي تحريف معناه وصرفه عن ظاهره.

قال ابن بطة: فأما قوله: (وقرب غِيرَه): فسرعة رحمته لكم وتغيير ما بكم من ضر.

(١) سيأتي تخريجه - بمشيئة اللَّه تعالى - في كلام المؤلف عن الشفاعة.

(٢) مسند أحمد برقم (٥٣٨٥) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٣٥٩٧)، ومستدرك الحاكم برقم (٢٢٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ١/ ٥٨، والذهبي في الكبائر ٣٤، وقال الشوكاني في السيل الجرار ٤/ ٢٨٥: أخرجه أبو داود بإسناد لا مطعن، وجود إسناده ابن حجر الهيتمي في الزواجر ٢/ ٧٥٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٤٨) والسلسلة برقم (٤٣٧) وغيرها.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو بهذا اللفظ عند مسلم برقم (١٤٣٦) وأخرجه البخاري برقم (٣٠٦٥) بلفظ: (إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ).

(٤) سبق تخريجه.

عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم عن أنس[١] رضي الله عنه، وقوله ﷺ - في قصة أصحاب بئر معونة-: «بلغوا قومنا عنَّا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وهو في الصحيح من حديث أنس[٢] رضي الله عنه وهو من التنزيل المنسوخ تلاوةً، وقوله ﷺ - في قصة سبي هوازن-: «اللَّه أرحم بعباده من هذه بولدها» أخرجاه من حديث عمر رضي الله عنه[٣]، وقوله ﷺ: «جعل اللَّه الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٤]، ولمسلم معناه من حديث سلمان رضي الله عنه وفيه: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فإذا كان يوم القيامة كمَّلها بهذه الرحمة»[٥]، وقوله ﷺ: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون» أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٦]، وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: «وعزتك لا غنى بي عن بركتك» أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة[٧] رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» أخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٨]، وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٣٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٦٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٤).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٠٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٧٥٣).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) صحيح البخاري برقم (٢٧٩).

(٨) سبق تخريجه.

سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك) لمسلم والأربعة عن عائشة[١]، وقوله ﷺ: «إن اللَّه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه[٢]، وقوله ﷺ في حلِفِه: «لا ومقلب القلوب» أخرجاه من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما[٣]، وقوله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، فإذا أشاء أن يقيمه أقامه، وإن أشاء أن يزيغه أزاغه» رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها وفي صدره: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[٤]، وقوله ﷺ - في صفة الجنة والنار-: «لا يزال يُلقى فيها - يعني النار - وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العالمين قَدَمَه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قد قد بعزتك وكرمك» وفي رواية: «قط قط» بالطاء أخرجاه من حديث أنس[٥]، وقوله ﷺ: «لا شَخْص أغيرُ من الله» علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده[٦]، وقوله ﷺ: «أتعجبون من غَيرة سعد؟! واللَّه لأنا أَغْيَرُ منه، واللَّه أغير مني، ومن أجل غَيرة اللَّه حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣).

(٣) هو من أفراد البخاري دون مسلم وهو فيه برقم (٦٢٥٣)، كما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين برقم (١٤٢٥).

(٤) ليس هو في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٢٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٨).

(٦) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٨) معلقًا، وهو في مسلم برقم (١٤٩٩) موصولًا.

اللَّه، ومن أَجْلِ ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدح من اللَّه، ومن أجل ذلك وعد الجنة» رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة(١).

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل، وفيما ذكرنا كفاية، وما أشبه فسبيلُه سبيلُه.

(فحقُّه التسليم) له (والقبول) الفاء واقعة في جواب (كل ما)، فنقول في ذلك ما ذكره اللَّه تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال: (﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧، ٨]، ولا نضرب كتابَ اللَّه بعضَه ببعض، فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، كما يفعله الذين في قلوبهم زيغ، أعاذنا اللَّه وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله إنه سميع مجيب.

٧٢) نـمِـرُّهَـا صَـرِيـحَـةً كَـمَـا أَتَـتْ ... مَـعَ اعْـتِـقَـادِنَـا لـمَـا لَـهُ اقْـتَـضَـتْ

٧٣) مِنْ غَـيْـرِ تَـحْـرِيـفٍ وَلَا تَـعْـطِـيـلِ ... وغَـيْـرِ تَـكْـيِـيـفٍ وَلَا تَـمْـثِـيـلِ

٧٤) بَـلْ قَـوْلُـنَـا قَـوْلُ أَئِـمَّـةِ الـهُـدَى ... طُـوبَـى لِـمَـنْ بِـهَـدْيِـهِـمْ قَـدِ اهْـتَـدَى

أي جميع آيات الصفات وأحاديثها (نُمِرُّها صريحة) أي على ظواهرها (كما أتت) عن اللَّه تعالى وعن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل متصلًا إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب (مع اعتقادنا) إيمانًا وتسليمًا (لما له اقتضت) من أسماء ربنا -تبارك وتعالى- وصفات كماله

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٩).

ونعوت جلاله كما يليق بعظمته[١] وعلى الوجه الذي ذكره وأراده (من غير تحريف) لألفاظها، كمن قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أن التكليم من موسى !! وأن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فرارًا من إثبات الكلام !!، وروى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ[٢]: (وكلم اللهَ موسى تكليما) فقال له: يا ابن اللخناء

(١) وإليك هذه العبارات النورانية النافعة للإمام الكبير ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه الصواعق المرسلة ١/ ٢٢٩ حيث يقول:

(فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تُرد بالشبهات، فيكون ردُّها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يُترك تدبرها ومعرفتها، فيكون ذلك مشابهة للذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم خرُّوا عليها صمًا وعميانًا، ولا يقال هي ألفاظ لا تُعقل معانيها ولا يُعرف المراد منها، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، بل هي آيات بينات دالةٌ على أشرف المعاني وأجلها، قائمةٌ حقائقُها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك، فكان الباب عندهم بابًا واحدًا، قد اطمأنت به قلوبهم، وسكنت إليه نفوسهم، فأَنِسُوا من صفات كماله ونعوت جلاله بما استوحش منه الجاهلون المعطلون، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، فصفاتُه لا تشبه الصفات، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول، وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار، لعلمهم بأنه صفة من لا شبيه لذاته ولا لصفاته، قال الإمام أحمد: إنما التشبيه أن يقول: يدٌ كيد، أو وجهٌ كوجه، فأما إثبات يدٍ ليست كالأيدي، ووجهٍ ليس كالوجوه فهو كإثبات ذاتٍ ليست كالذوات، وحياةٍ ليست كغيرها من الحياة، وسمعٍ وبصرٍ ليس كالأسماع والأبصار، وليس إلا هذا المسلك أو مسلك التعطيل المحض، أو التناقض الذي لا يَثبت لصاحبه قدمٌ في النفي ولا في الإثبات، وبالله التوفيق).

(٢) هو أبو عمرو ابن العلاء كما ذكره ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٨٢.

كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٣٤]؟! يعني: أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل، كما قال جهم بن صفوان - لعنه اللَّه - في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] حيث قال: لو وجدت سبيلًا إلى حكها لحككتها ولأبدلتها استولى، وله في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه فكان جزاؤهم ما ذكره اللَّه تعالى حيث يقول: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وجعلهم اللَّه عبرة لمن بعدهم فمن فعل كمن فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة اللَّه بذلك: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٣٤].

و(من غير تحريف) لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضًا.

* كتأويلهم نفْسَه تعالى بالغير[1]، وأن إضافتها إليه كإضافة بيت اللَّه!! وناقة اللَّه!! فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- كما في مجموع الفتاوى ١٧ / ١٢٩: (ومن علم أن الرسول أعلم الخلق بالحق وأفصح الخلق في البيان وأنصح الخلق للخلق علم أنه قد اجتمع في حقه كمال العلم بالحق وكمال القدرة على بيانه وكمال الإرادة له ومع كمال العلم والقدرة والإرادة يجب وجود المطلوب على أكمل وجه فيعلم أن كلامه أبلغ ما يكون وأتم ما يكون وأعظم ما يكون بيانًا لما بيَّنه في الدين من الأمور الإلهية وغير ذلك، فمن وَقَر هذا في قلبه لم يقدر على تحريف النصوص بمثل هذه التأويلات التي إذا تُدبرت وُجد من أرادها بذلك القول من أبعد الناس عما يجب اتصاف الرسول به وعُلم أن من سلك هذا المسلك فإنما هو لنقص ما أوتيه من العلم والإيمان).

ويقول ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٣٠٢: (وأكثر هذه التأويلات - المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق - يتضمن من عبث=

[آل عمران: ٢٨] أي غيره، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي على غيره، ويكون قوله تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قوله تعالى لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] أراد: واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقوله إلا كافر.

* وكتأويلهم وجْهَه تعالى بالنَّفْس !! مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البيِّن !! وهذا يكفي حكايتُه عن رده، أما من أثبت النفس وأوَّل الوجه بذلك فيقال له: إن اللَّه تعالى قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] فذكر الوجه مرفرعًا على الفاعلية، ولفظ ربِّ مجرورٌ بالإضافة، وذكر ذو مرفوعا بالتبعية نعتًا لوجه، فلو كان الوجهُ هو الذات لكانت القراءة: ويبقى وجهُ ربِّك ذي الجلال والإكرام بالياء لا بالواو كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعا تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى أن تأويله به أولى،

= المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه وأهل النفاق والإلحاد، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال وكفر وضلال وتشبيه وتمثيل أو تخييل، ثم صرفها إلى معان يُعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قصده نصحٌ وبيان، فالمدافعة عن كلام اللَّه ورسوله والذب عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى اللَّه، وأنفعها للعبد، ومن رزقه اللَّه بصيرة نافذة علِمَ سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال المبين).

وأنه كما يقال: وجه الكلام ووجه الدار ووجه الثوب ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على اللَّه تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف، ثم نُكسوا على رءوسهم فوقعوا فيما فروا منه فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها؟!! وقد شبهتم وجه اللَّه تعالى بذلك؟!! فأين الفكاك والخلاص ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

* وكما أولوا اليد بالنعمة(١)، واستشهدوا بقول العرب: لك يد

---

(١) قلت: ومما ينبغي التفطن له أن عامة ما يوجد في كتب الأشاعرة والماتريدية من التأويلات الكاذبة لألفاظ نصوص الصفات التي تكلفوا غاية التكلف في حمل كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ عليها، وحرفوا بها نصوص الصفات، هي موروثةٌ في الأساس عن الجهم بن صفوان وبشر المريسي، الذَين أجمع المسلمون على تضليلهما، وذم مذهبهما الباطل، ومنقولةٌ عنهما في كتب العقائد والتاريخ والفرق، كما نقل جملةً كبيرة من تلك التأويلات الباطلة الإمامُ الكبير عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الذي ردَّ به على بشر المريسي والثلجي، وهذا يدل طالبَ الحق البصير على أصل القول بتأويل نصوص الصفات وتحريفها وصرفها عن ظواهرها، وأن منشأه من هؤلاء المنبوذين المارقين على عقيدة المسلمين، المخالفين لما عليه خيار الناس في خير القرون، وأن هؤلاء سائرون على أصل بدعة أسلافهم من الجهمية والمعتزلة المعطلين، وإن كانوا ينتسبون إلى مخالفتهم والرد عليهم، فهم معهم في أصل القول بتحريف نصوص الصفات، وإن اختلفوا في تفاصيل ذلك، فهما سبيلان لا ثالث لهما: إما موافقة هؤلاء المنبوذين المذمومين على لسان السلف في مسلك التحريف والتعطيل الذي خالفوا به الأمة أجمعين، أو اتباع سبيل المؤمنين الذي خالفه هؤلاء ونبذوه في إثبات صفات الرب والإيمان بها كما جاءت بها النصوص. ورحم اللَّه الإمام ابن قيم الجوزية حين قال في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية=

عندي: أي نعمة، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني: نعمتاه، فلم يثبتوا لله إلا نعمتين!!، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] ويكون قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أراد بنعمتي، فأيُّ فضيلةٍ لآدم على غيره على هذا التأويل؟! وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟! ويكون قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] أراد مطويات بنعمته فهل يقول هذا عاقل؟! وقال آخرون منهم: بقوته استشهادا بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي بقوة، فيقال لهم: أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة؟! فعلى هذا ما معنى قوله ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؟! وأي فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه الله بقوته؟! ومعنى قوله تعالى للملائكة: «**لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان**»(١) أفلم يخلق الملائكة بقوته؟! وأيُّ فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفته؟! نبئوني بعلم إن كنتم صادقين.

* وكما تألوا الاستواء بالاستيلاء!! واستشهدوا ببيت مجهول مروي

= (ص٩٦): (بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر الكفر وعسكر الإسلام).

(١) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٤٨: هذا حديث لا يصح.. قال الدارقطني وقد رواه سريج بن يونس عن عبدالمجيد فوَقَفَهُ والموقوف أصح، وقد قال ابن تيمية في بغية المرتاد ١/ ٢٢٥: وروى هذا عبد الله بن أحمد في كتاب السنة عن النبي ﷺ بإسناد مرسل، والمرسل يصلح للاعتضاد.

على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني:

قد استوى بِشْرٌ على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فعَدَلُوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل(١) إلى بيت يُنسب إلى بعض العلوج(٢) ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب!! فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام اللَّه ﷻ !! ويحملونه عليه(٣) مع إنكار عامة أهل اللغة

---

(١) أي في إثبات علو اللَّه تعالى على خلقه، وفوقيَّته على عباده بذاته، ومنها أدلة القرآن والسنة المتواترة في دلالتها التي أخبرت باستوائه تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله.

(٢) يقول الحافظ ابن كثير الدمشقي -رحمه اللَّه تعالى- في البداية والنهاية ٩/ ٢٦٢: (وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء!! وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجةٌ ولا دليلٌ على ذلك، ولا أراد اللَّه ﷻ باستوائه على عرشه استيلاءه عليه!! تعالى اللَّه عن قول الجهمية علوا كبيرا، فانه إنما يقال: استولى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصيا عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بِشْرٍ على العراق، واستيلاء عبد الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعا عليه نَفَسًا واحدا حتى يقال استولى عليه!! أو معنى الاستواء الاستيلاء!! ولا تجد أضعفَ من حجج الجهمية حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح، وليس فيه حجة واللَّه أعلم).

(٣) قلت: وإن المرء واللَّه ليكاد يقضي عجبًا من صنيع هؤلاء العابثين الخائضين في معاني الوحي المعصوم بالتحكم والهوى والضلالة، كيف أنهم يُحيلون استفادة الحق في هذا الباب من نصوص الوحي بما اشترطوه من الشروط التعجيزية التي لابد منها عندهم لأخذ المعنى من دليله، والتي لا يكاد يسلم منها دليل من أدلة الكتاب والسنة بدعوى أن هذا الباب لا يُقبل فيه إلا ما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة!! ثم إذا بهم يحكِّمون في معاني كلام اللَّه تعالى بيتًا لشاعر ليس على الإسلام أصلًا!! فهل ثمة صورة للتناقض أبشع وأقبح من هذه الصورة؟!! ثم كيف لا تستفاد العقائد من نصوص الكتاب والسنة الواضحة البينة وتُطلب في جاهليات الأمم، وموروثات الضالين، ورحم اللَّه الإمام=

لذلك !! وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة، وقد سُئل ابن الأعرابي - وهو إمام أهل اللغة في زمانه - فقال: العرب لا تقول للرجل: استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى، والله سبحانه لا مغالب له اهـ، وقد فسر السلف الاستواء بعدة معان بحسب أداته المقترنة به، وبحسب تجريده عن الأداة، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء، حتى انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع لا باشتقاق صغير ولا كبير !! بل باستنباط مختلق وافق الهوى المتَّبع !! وقد بسط القولَ في ردِّ ذلك ابنُ قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصواعق، وبيَّن بطلانه من نيف وأربعين وجهًا فليراجع.

* وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه: ينزل أمرُه(1) !!

= ابن القيم إذ يقول في الصواعق المرسلة ٣/ ١١٩٩: (هذا وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نورا أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب، وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جدا، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر، لا يلحقها إشكال، ولا يغير في وجه دلالتها إجمال، ولا يعارضها تجويز واحتمال، تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادي الظمآن، فضلها على أدلة أهل العقول والكلام كفضل الله على الأنام، لا يمكن أحدًا أن يقدح فيها قدحًا يوقع في اللبس، إلا إن أمكنه أن يقدح بالظهيرة صحوًا في طلوع الشمس).

(١) وتأويل نزول الرب تعالى بنزول أمره هو مما ورثه الأشاعرة والماتريدية عن الجهمية والمعتزلة الذين يتظاهرون بمخالفتهم والرد عليهم، مما يؤكد اتفاق المشرب، وقد تتابع قدماء أئمة السنة على نسبة هذا التأويل إلى الجهمية، ومن ذلك قول الإمام الدارمي في نقضه على المريسي (١ / ٢١٤): (فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته) ويقول أيضًا (١/ ٤٩٣): (ثم ذهبتَ تنكر النزول وتدفعه=

= بضروب من الأباطيل والأضاليل من كلام المريسي وابن الثلجي ونظرائهم من الجهمية)، ويقول الإمام الكبير ابن بطة العكبري - رحمه اللَّه تعالى - في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/ ٢٣٩: (فإذا قامت على الجهمي الحجة وعلم صحة هذه الأحاديث ولم يقدر على جحدها قال: الحديث صحيح وإنما معنى قول النبي ﷺ: (ينزل ربنا في كل ليلة) ينزل أمره، قلنا: إنما قال النبي ﷺ: (ينزل اللَّه ﷻ) و (ينزل ربنا)، ولو أراد أمره لقال: ينزل أمر ربنا، فيقول: إن قلنا ينزل فقد قلنا: إنه يزول؟! واللَّه لا يزول، ولو كان ينزل لزال! لأن كل نازل زائل!!، فقلنا: أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟! فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه وأشد الخلاف، لأنكم إن جحدتم الآثار وكذبتم بالحديث رددتم على رسول اللَّه ﷺ قوله وكذبتم خبره، وإن قلتم: لا ينزل إلا بزوال فقد شبهتموه بخلقه!، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان، لكنا نصدق نبينا ﷺ ونقبل ما جاء به، فإنا بذلك أمرنا، وإليه نُدبنا، فنقول كما قال: (ينزل ربنا ﷻ)، ولا نقول أنه يزول، بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحدُّه، ولا نقول إن نزوله زواله).

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - في العقيدة الحموية الكبرى - ١٥ أن تأويلات الأشعرية لنصوص الصفات هي بعينها تأويلات الجهمية التي ضللهم السلف بها فقال: (وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس - مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد اللَّه محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم - هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه؛ فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابًا سماه: (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على اللَّه في التوحيد) حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعدُ بها وأعلمُ بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت=

فيقال لهم: أليس أمر اللَّه تعالى نازلًا في كل و قت وحين؟! فلماذا يخص السَحَر بذلك؟! وقال آخرون: ينزل مَلَكٌ بأمره!! فنَسَب النزول إليه تعالى مجازًا!! فيقال لهم: فهل يجوز على اللَّه تعالى أن يُرسل من يدَّعي ربوبيتَه؟! وهل يمكن للملك أن يقول: لا أسأل عن عبادي غيري؟!، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟[1] فهل قَصُرَت عبارة النبي ﷺ عن أن يقول: ينزل ملك بأمر اللَّه فيقول: إن اللَّه تعالى يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقول لكم كذا؟!! حتى جاء بلفظ مجْمَل يوهم بزعمكم ربوبية المَلَك؟! لقد ظننتم باللَّه تعالى ورسوله ﷺ ظن السوء وكنتم قوما بورًا.

= إليهم من جهته وجهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم، وضعف حجة من خالفهم، ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية، وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي: تبين الهدى لمن يريد اللَّه هدايته، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه).

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن برقم (١٣٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٢٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٤٤٢٩)، والدارمي في السنن برقم (١٤٨١)، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير برقم (٢٧٩٨).

(٢) وقد عقد ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الصواعق المرسلة ١/ ٣١٤ فصلًا في (أن قصد المتكلم من المخاطَب حملَ كلامِه على خلاف ظاهره وحقيقته ينافي قصد البيان والإرشاد والهدى وأن القصدين متنافيان وأن تركه بدون ذلك الخطاب خير له وأقرب إلى الهدى) نقل فيه عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- لوازم تحريف كلام اللَّه تعالى ورسوله ﷺ في باب الصفات فقال: =

= قال شيخ الإسلام: إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم بل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة يوجد دالًّا على خلاف الحق عندهم إما نصًا وإما ظاهرًا بل دالًّا عندهم على الكفر والضلال لزم من ذلك لوازم باطلة منها:

الأول: أن يكون اللَّه سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره !! ويوقعهم في التشبيه والتمثيل !!.

الثاني: ومنها أن يكون قد نزل بيان الحق والصواب لهم ولم يفصح به !! بل رمز إليه رمزًا وألغزه إلغازًا لا يُفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد !!.

الثالث: ومنها أن يكون قد كلَّف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها !! وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه !! ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك !!.

الرابع: أن يكون دائمًا متكلمًا في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب !! تارة بأنه استوى على عرشه، وتارة بأنه فوق عباده، وتارة بأنه العلي الأعلى، وتارة بأن الملائكة تعرج إليه، وتارة بأن الأعمال الصالحة ترفع إليه، وتارة بأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده، وتارة بأنه رفيع الدرجات، وتارة بأنه في السماء، وتارة بأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وتارة بأنه فوق سمواته على عرشه، وتارة بأن الكتاب نزل من عنده، وتارة بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وتارة بأنه يُرى بالأبصار عيانًا، يراه المؤمنون فوق رؤوسهم، إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على ذلك، ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة يوافق ما يقوله النفاة !!، ولا يقول في مقام واحد فقط ما هو الصواب فيه لا نصًا ولا ظاهرًا ولا يبيِّنُه !!.

الخامس: أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان !! وذلك إما جهلٌ ينافي العلم !! وإما كتمانٌ ينافي البيان !! ولقد أساء الظنَّ بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك، ومعلومٌ أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما=

* وكما أوَّلوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا: يجيء أمره[1]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] فقالوا في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٢٠] فقالوا: هو من مجاز الحذف والتقدير: يأتي أمر اللَّه، فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا ﷻ غير مجيء أمره وملائكته؟! وأنه يجيء حقيقة ومجيء أمره حقيقة ومجيء ملائكته حقيقة؟! وقد فصَّل تعالى ذلك وقسَّمه ونوَّعه تنويعًا يمتنع معه الحمل على المجاز؟! فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة وكذا في آية

= يدل على التعطيل والنفي نصًا وظاهرًا، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصًا ولا ظاهرًا، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرفوه بأنواع التحريفات وطلبوا له مستكره التأويلات.

السادس: أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف، وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل، ولم تكن الحقائق من شأنهم !!.

السابع: أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفعَ لهم وأقربَ إلى الصواب، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال، ولم يستفيدوا منها يقينًا، ولا علمًا بما يجب لله ويمتنع عليه، إذ ذاك إنما يستفاد من عقول الرجال وآرائها !!

فإن قيل: استفدنا منها الثواب على تلاوتها وانعقاد الصلاة بها !! قيل: هذا تابع للمقصود بها بالقصد الأول وهو الهدى والإرشاد والدلالة على إثبات حقائقها ومعانيها والإيمان بها، فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاد الصلاة عليه، بل أنزل ليُتَدَبَّر ويعقل ويهتدى به علمًا وعملًا، ويبصر من العمى، ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم، وهذا القصد ينافي قصد تحريفه وتأويله بالتأويلات الباطلة المستكرهة التي هي من جنس الألغاز والأحاجي، فلا يجتمع قصد الهدى والبيان وقصد ما يضاده أبدًا وباللَّه التوفيق.

الفجر وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره؟! ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة أليس أمره آتيًا في كل وقت؟! متنزلًا بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نَفَس ولحظة؟! ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

* وتأولوا النظر إلى اللَّه ﷻ في الدار الآخرة بالانتظار قالوا: إنه كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا﴾؟! ألم يُضِف اللَّه تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار ويُعَدِّهِ بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة؟! ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، أولم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجلية عيانا بالأبصار في أكثر من خمسين حديثا صحيحا؟! حتى شبَّه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحوا ليس دونها سحاب تشبيها للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؟! ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك ويحدثون به من بعدهم من التابعين وينقله التابعون إلى من بعدهم وهلم جرا، فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة عن الصحابة عن النبي ﷺ فأنتم عمن أخذتم؟!.

* ومن شبهاتهم في نفي الرؤية: استدلالهم بقوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١١٣] وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران:

أولهما: لا يُرى في الدنيا، وهو مروي عن عائشة ﵂، وبذلك نَفَت أن يكون رسول اللَّه ﷺ رأى ربه ليلة المعراج.

ثانيهما: تفسير ابن عباس ﵄ لا تدركه: أي لا تحيط به، فالنفي للإحاطة لا للرؤية[1]، وهذا عام في الدنيا والآخرة، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة، فهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، هل بينهم من أحد فسر الآية بما افتريتموه؟!.

* **ومن إفكهم**: ادعاؤهم معنى التأبيد في النفي ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، حتى كذبوا على رسول اللَّه ﷺ حديثًا مختلقًا لفظه: **(لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة)**، وهو موضوع مكذوب على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربيةِ إن نفي لن للتأبيد مطلقًا إلا الزمخشري من المتأخرين، قال ذلك ترويجًا لمذهبه في الاعتزال، وجحود صفات الخالق جل وعلا، وقد ردَّه عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره، وردَّه ابنُ مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفي بلن مؤبدًا فقوله اردُدْ وسواه فاعضدًا

والقائل لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ هو المتجلي للجبل حتى اندكَّ، وهو الذي وعد المؤمنين الحسنى والزيادة، وهو الذي قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فاتضح بذلك أن قوله لموسى ﷺ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾: **إنما أراد عدم**

---

(١) يقول الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الوابل الصيب - ٧٢: (فالرب تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته، فالإدراك أمرٌ وراء الرؤية، وهذه الشمس- ولله المثل الأعلى - نراها ولا ندركها كما هي عليه ولا قريبًا من ذلك، ولذلك قال ابن عباس - لمن سأله وأورد عليه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ - فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى قال: أفتدركها؟ قال: لا قال: فاللَّه تعالى أعظم وأجل).

استطاعته رؤية اللَّه تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها عن ذلك كما قرر تعالى ذلك بقوله جَلَّ: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يثبت الجبل لتجلي اللَّه تعالى فكيف يثبت موسى لذلك وهو بشر خلق من ضعف، وأما في الآخرة فخلق اللَّه تعالى في أوليائه قوة مستعدة للنظر إلى وجهه عَزَّ، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما من اتبع هواه بغير هدى من اللَّه ونصب الخصام أو الجدال والمعارضة بين نصوص الكتاب والسنة واتبع ما تشابه منه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وضرب كتاب اللَّه بعضه ببعض وآمن ببعض وكفر ببعض وشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٣] أعاذنا اللَّه وجميع المؤمنين من ذلك.

* ولا يتأتى لأحد من أهل التأويل مرادُه ولا يستقيم له تأويلُه إلا بدفع النصوص بعضها ببعض لا محالة ولا بد، فإن كتاب اللَّه تعالى يصدِّق بعضُه بعضًا لا يكذبه، كما هو مصدِّق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، وكذلك سنة النبي ﷺ تبين الكتاب وتوضحه وتفسره، وتدل عليه وترشد إليه، ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه، وأدلى بشبهاته لغرض شهواته، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: ١٩-٢٠]، وهذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء والصفات، وإنما ذكرنا هذه الجملة مثالًا وتنبيهًا على ما وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد اللَّه فـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

(ولا تعطيل) أي: للنصوص، بنفي ما اقتضته من صفات كمال اللَّه تعالى ونعوت جلاله، فإن نفيَ ذلك مِن لازمه نفيُ الذات، ووصفه بالعدم المحض، إذ ما لا يُوصف بصفة هو العدم تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، ولهذا قال السلف الصالح - رحمهم اللَّه تعالى - في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله يُعبد، وذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على اللَّه كذبًا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٤].

(وغير تكييف) تفسير لِكُنْهِ شيء من صفات ربنا تعالى، كأن يقال: استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا، ونحو ذلك من الغلو في الدين، والافتراء على اللَّه ﷻ، واعتقادِ ما لم يأذن به اللَّه(١)، ولا يليق بجلاله وعظمته، ولم ينطق به كتاب

(١) كما أن موقف السلف الكرام من تمثيل صفات الرب بصفات غيره كان واضحًا فكذلك هو موقفهم من تكييفها الذي هو إعمال الفكر في تحديد كيفيتها وحقيقتها، ومن ذلك قول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه اللَّه تعالى- في رده على بشر المريسي (١/ ٢٢٠): (أما قولك إن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق خطأ، فإنا لا نقول إنه خطأ بل هو عندنا كفر، ونحن لتكييفها وتشبيهها بما هو موجود في الخلق أشد أنفًا منكم، غير أنا كما لا نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ولا نكذب بها ولا نبطلها بتأويل الضلال.. وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الرب فإنا=

= لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والأحكام التي نراها بأعيننا وتُسمع في آذاننا، فكيف في صفات اللَّه التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون؟!) - إلى أن قال- (فكما نحن لا نكيف هذه الصفات لا نكذب بها كتكذيبكم ولا نفسرها كتفسيركم) اهـ. ويقول - أيضًا (٢/ ٦٨٩): (فنقول - أي في الصفات - كما قال، ونعني بها كما عنى، والتكييف عنا مرفوع). ويقول الإمام أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان (٤٤٤هـ) -رحمه اللَّه تعالى- في الرسالة الوافية ص ١٣٨ معلقًا على قول الإمام الأوزاعي -رحمه اللَّه تعالى-: (كان مكحول والزهري يقولان: أمرَّ الأحاديث كما جاءت) قال أبو عمرو: (وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات أن تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها، وكيَّف شيئًا منها، ومثَّلها بشيء من جوارحنا وآلتنا، فقد ضل واعتدى، وابتدع في الدين ما ليس منه، وخرق إجماع المسلمين، وفارق أئمة الدين)، بل قد نقل ابو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر إجماع أهل السنة على رفض التكييف فقال: (وأجمعوا على وصف اللَّه تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه، من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم)، ويقول أبو عثمان الصابوني في مفتتح عقيدة السلف أصحاب الحديث: (أصحاب الحديث يعرفون ربهم ﷿ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله- عز من قائل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية، أهلكهم اللَّه، ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة، خذلهم اللَّه، وقد أعاذ اللَّه تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول اللَّه ﷿: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾). ويقول أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة - (٢/ ٥٤٩): (وأهل السنة يطلقون ما أطلق اللَّه في كتابه وما أطلقه=

ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه اللَّه تعالى ورسوله ﷺ، ولم يَدَعْ ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينَّه ووضَّحه، والعباد لا يعلمون عن اللَّه تعالى إلا ما علمهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فليؤمن العبد بما علمه اللَّه تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

(ولا تمثيل) أي ومن غير تشبيه لشيء من صفات اللَّه بصفات خلقه، فكما أنا نثبت له ذاتا لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات، ونعتقد تنزهه وتقدسه عن مماثلة المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

* وإذا كان القولُ على اللَّه بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبحُ المحرمات، فكيف بالقول على اللَّه بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته؟! مِن تشبيه خلقه به، أو تشبيهه لخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم؟! وإنَّ اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيهٌ

= رسوله في سنته مثل السمع والبصر والوجه والنفس والقدم والضحك من غير تكييف ولا تشبيه ولا ينفون صفاته كما نفت الجهمية)، قال شيخ الإسلام -رحمه اللَّه تعالى- تعليقًا على كلام مالك في الاستواء- كما في مجموع الفتاوى - (٥ / ٣٦٥): (وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته).

للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيهٌ للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفرٌ باللَّه ﷻ أقبح الكفر. وقد نزَّه اللَّه - تعالى- نفسه عن ذلك كله في كتابه، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وغير ذلك من الآيات بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى بل لم يرسل اللَّه تعالى رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

(بل قولنا) الذي نقوله ونعتقده وندين اللَّه به هو **(قول أئمة الهدى)** من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة، كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، والثوري، وابن عيينة، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وأصحاب الأمهات السِّتِّ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا[1] **(الذين قضوا**

(١) يقول الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب السنن رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه (٣/ ٥٠) - تعليقًا على حديث أخذ اللَّه للصدقة بيمينه-: (وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث- وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا - قالوا: قد تثبت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال كيف؟ هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد اللَّه بن المبارك: أنهم قالوا: - في هذه الأحاديث - أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه !!، وقد ذكر اللَّه ﷻ - في غير موضع من كتابه - اليدَ=

= والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فَسَّر أهلُ العلم، وقالوا: إن اللَّه لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ههنا القوة، وقال إسحق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال اللَّه تعالى يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، ولا يقول: كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

ويقول إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد (١/ ١٨): (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته اللَّه لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون لأن ما لا صفة له عدم تعالى اللَّه عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد).

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي -رحمه اللَّه تعالى- في لمعة الاعتقاد - ص ٥: (وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي اللَّه عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب اللَّه وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله. وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم).

ويقول الإمام أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان (٤٤٤ هـ) -رحمه اللَّه تعالى- في الرسالة الوافية ص ١٣٨ معلقًا على قول الإمام الأوزاعي -رحمه اللَّه تعالى-: (كان مكحول والزهري يقولان: أمرَّ الأحاديث كما جاءت) قال أبو عمرو: (وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات أن تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها، وكيَّف شيئًا منها، ومثَّلها بشيء من جوارحنا وآلتنا، فقد ضل واعتدى، وابتدع في الدين ما ليس منه، وخرق إجماع المسلمين، وفارق أئمة الدين)، ونقل أبو القاسم اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣٢) عن محمد بن الحسن يقول: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول اللَّه ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم=

= يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء).

ويقول الإمام أبو عمر ابن عبد البر النمري القرطبي -رحمه اللَّه تعالى- في التمهيد ٧/ ١٤٥ : (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدُّون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبِّه وهم عند من أثبتها نَافُون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب اللَّه وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله)، وقد علق الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- على هذا الكلام المتين لابن عبد البر بقوله كما في العلو ص ٢٥٠ : (صدق واللَّه فإن من تأول سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام أدَّاه ذلك السَّلب إلى تعطيل الرب وأن يُشابه المعدوم كما نُقل عن حماد بن زيد أنه قال: مثَل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سعف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كرَب؟ قالوا: لا، قيل: لها رطب وقنو؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة !!، قلت - الذهبي-: كذلك هؤلاء النفاة قالوا إلهنا اللَّه تعالى وهو لا في زمان ولا في مكان ولا يرى ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يرضى ولا يغضب ولا يريد ولا ولا وقالوا سبحان المنزه عن الصفات بل نقول سبحان اللَّه العلي العظيم السميع البصير المريد الذي كلم موسى تكليما واتخذ إبراهيم خليلا ويرى في الآخرة المتصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله المنزه عن سمات المخلوقين وعن جحد الجاحدين ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

ويقول الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته الغنية عن الكلام وأهله - ٧٩: (وعلى اعتقاد ما وصف اللَّه به نفسه أو وصفه رسوله بما أتى في القرآن والأحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة المعتبرين كالإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسيء وأبي داود والثوري وابن عيينة وغيرهم من المحدثين والفقهاء المعتبرين والصوفية المحقين كالجنيد والجيلاني وأبي نعيم واللغويين المحققين كالخليل بن أحمد وثعلب وغيرهما). =

بالحق وبه كانوا يعدلون) وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف وبلا تشبيه ولا تعطيل.

* والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين مَنفيٌّ عن اللَّه ﷻ، فإن اللَّه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بل الأمر كما قال الأئمة: تفسيرها قراءتها، وقال نعيم بن حماد الخزاعي - شيخ البخاري رحمهما اللَّه تعالى -: من شبَّه اللَّه بخلقه فقد كفر، ومن جحَد ما وصف اللَّه به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ولا رسوله تشبيه.

* فمن أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه، مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال اللَّه وعظمته، ونَفَى عن اللَّه النقائص، فقد سَلَك سبيل الهُدى، قال الإمام الشافعي -رحمه اللَّه تعالى-: آمنا باللَّه، وبما جاء عن اللَّه، على مراد اللَّه، وآمنا برسول اللَّه، وبما جاء عن رسول اللَّه، على مراد

= وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- في (الأربعين في صفات رب العالمين) بعد أن ذكر عددا من النقول عن الأئمة في إثبات الصفات ثم قال ص ٩٥: (ولو ذكرنا قول كل من له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لاتسع الخرق، وإذا كان المخالف لا يهتدي بمن ذكرنا أنه يقول: الإجماع على إثباتها من غير تأويلها، أو لا يصدقه في نقله، فلا هداه اللَّه، ولا خير - واللَّه - فيمن ردَّ على مثل الزهري ومكحول والأوزاعي والثوري والليث بن سعد ومالك وابن عيينة وابن المبارك ومحمد بن الحسن والشافعي والحميدي وأبي عبيد وأحمد بن حنبل وأبي عيسى الترمذي وابن سريج، وابن جرير الطبري وابن خزيمة وزكريا الساجي وأبي الحسن الأشعري أو يقول مثل قولهم من الإجماع مثل الخطابي وأبي بكر الإسماعيلي وأبي القاسم الطبراني وأبي أحمد العسال..)

رسول اللَّه ﷺ. وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسعُ أحدًا من خلق اللَّه قامت عليه الحجة ردُّها، لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول اللَّه ﷺ القول بها فيما رَوى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذورٌ بالجهل، لأن علْمَ ذلك لا يُدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.

* وتُثبَتُ هذه الصفات، ويُنفى عنها التشبيه، كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه: و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: نؤمن بالقرآن كلِّه محكمِه ومتشابهِهِ، ولا نُزيل عنه صفةً من صفاته بشناعة شُنِّعت، . . فهذه صفاتٌ وَصَف بها نفسه، لا تُدفع ولا تُرد. . لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى اللَّه عما يقول الجهمية والمشبهة، قلت له: والمشبِّه ما يقول؟ قال: من قال بصرٌ كبصري !! ويدٌ كيدي !! وقدمٌ كقدمي !! فقد شبَّه اللَّه تعالى بخلقه انتهى.

وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثير منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

(طوبى لمن بهديهم قد اهتدى) إذ هم خير القرون، وأعلم الأمة بشريعة الإسلام، وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول اللَّه ﷺ[1]،

---

(١) يقول الإمام الشوكاني -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه أدب الطلب ١٤٧: (وإني أقول بعد هذا إنه لا ينبغي لعالم أن يَدِيْن بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة وإبراز الصفات كما جاءت، وردِّ علم المتشابه إلى اللَّه سبحانه، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في=

= هذا العلم، المبنية على شَفَى جرف هار من أدلة العقل التي لا تُعقل، ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى، ولاسيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في الحديث والسنة، فإنها حينئذ حديث خرافة، ولعبة لاعب، فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه وبالوعد والوعيد والجنة والنار والمبدأ والمعاد إلا ما جاءت به الأنبياء -صلوات اللّه عليهم وسلامه- عن اللّه سبحانه، وليس للمعقول وصول إلى تلك الأمور، ومن زعم ذلك فقد كلف العقول ما أراحها اللّه منه، ولم يتعبدها به، بل غاية ما تدركه وجُلُّ ما تصل إليه هو ثبوت الخالق الباري، وأن هذه المصنوعات لها صانع، وهذه الموجودات لها موجد، وما عدا ذلك من التفاصيل التي جاءتنا في كتب اللّه ﷻ وعلى ألسن رسله فلا يستفاد من العقل، بل من ذلك النقل الذي منه جاءت وإلينا به وصلت، واعلم أني عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب والنحل لم أزدد بها إلا حيرة، ولا استفدت منها إلا العلم بأن تلك المقالات خزعبلات، فقلت إذ ذاك مشيرا إلى ما استفدته من هذا العلم:

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير
على أنني قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسي بدون التبحر

وعند هذا رميت بتلك القواعد من حالق، وطرحتها خلف الحائط، ورجعت إلى الطريقة المربوطة بأدلة الكتاب والسنة، المعمودة بالأعمدة التي هي أوثق ما يعتمد عليه عباد اللّه، وهم الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الأمة المقتدين بهم، السالكين مسالكهم، فطاحت الحيرة، وانجابت ظلمة العماية، وانقشعت وانكشفت ستور الغواية ولله الحمد على أني ولله الشكر لم أشتغل بهذا الفن إلا بعد رسوخ القدم في أدلة الكتاب والسنة فكنت إذا عرضت مسألة من مسائله مبنية على غير أساس رجعت إلى ما يدفعها من علم الشرع ويدمغ زائفها من أنوار الكتاب والسنة ولكنني كنت أقدر في نفسي أنه لو لم يكن لدي إلا تلك القواعد والمقالات فلا أجد حينئذ إلا حيرة ولا أمشي إلا في ظلمة ثم إذا ضربت بها وجه قائلها ودخلت إلى تلك المسائل من الباب الذي أمر اللّه بالدخول منه كنت حينئذ في راحة من تلك الحيرة وفي دعة من تلك الخزعبلات والحمد لله رب العالمين).

وبهم حفظ اللَّه الدين على من بعدهم، فرحمهم اللَّه، ورضي عنهم وأرضاهم، وألحقنا بهم سالمين غير مفتونين، إنه سميع الدعاء.

٧٥) وَسَمِّ ذَا النَّوْعَ مِنَ التَّوحِيدِ   تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ بِلا تَرْدِيدِ

٧٦) قَدْ أَفْصَحَ الوَحيُ المُبينُ عَنْهُ   فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ

(وسمِّ ذا النوع) والإشارة بـ(ذا) إلى ما تقدم من قوله: (إثبات ذات الرب) إلى هنا، وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسماء والصفات (من) نوعي (التوحيد) المشار إليهما بقول: وهو نوعان (توحيد إثبات) لاشتماله على إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، ومَن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته، ونفي ما يناقض ذلك، كما نفاه عن نفسه -تبارك وتعالى-، فنؤمن باللَّه تعالى، وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله، من صفات كماله ونعوت جلاله، بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأبيَن دليلًا من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاته، وكذَّبوا بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله، وبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، فبُعدًا لقوم لا يؤمنون.

(قد أفصح الوحي المبين) من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى (عنه) غاية الإفصاح، وشرحه اللَّه -تبارك وتعالى- أكثر من شرح بقية الأحكام، لعظم شأن متعلقه (فالتمس) اطلب (الهدى المنيرَ) أي من الوحي المبين، لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا (منه)، ومن خرج عن

الوحي مثقال ذرة ضلَّ وغوى ولا بد، فإنَّا لا نعلم من علم اللَّه - سبحانه - إلا ما علمنا هو، فنصدِّق بما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به رسله عنه، كما نقاد ونسلم ونمتثل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، آمنا باللَّه وأشهد بأنا مسلمون.

٧٧) لَا تَتَّبِعْ أقوَالَ كُلِّ مَارِدْ غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِق مُعَانِدْ

٧٨) فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ

(لا تتبع) أيها العبد (أقوالَ كل مارد) على بدعته وزندقته واتباع هواه (غاو) زائغ في دينه، مفتون في عقيدته (مضل) لغيره (مارق) من الإسلام (معاند) لنصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه، مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله (فليس) لله يبقى (بعد رد ذا التبيان) الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة، (مثقال ذرة من الإيمان) في قلب من رد ذلك، لأن اللَّه تعالى هو الحق، وقولُه الحق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ النَّوْعِ الثَّانِي مِنَ التَّوْحِيدِ: وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ وَأَنَّهُ هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهِ)

٧٩) هذا وَثَانِي نَوعَيِ التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ

٨٠) أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدَا مُعْتَرِفًا بِحَقِّهِ لَا جَاحِدَا

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفراد رب العرش عن نديد) شريك مساو قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ①

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١-١٧] إلى أخر السورة وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٩٢].

وتفسير ذلك هو (أن تعبد الله) ﷻ (إلهًا) حالٌ من لفظ الجلالة (واحدًا) لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

* **فإنَّ توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الإلهية، وبه احتج اللَّه تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلا من كان خالقًا، رازقًا، مالكًا، متصرفًا، مدبرا لجميع الأمور، حيًا قيومًا، سميعًا بصيرًا، عليمًا حكيمًا، موصوفًا بكل كمال، منزهًا عن كل نقص، غنيًّا عما سواه، مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه، فاعلًا مختارًا، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، ولا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات اللَّه ﷻ لا تنبغي إلا له، ولا يَشركه فيها غيره، فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو، ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرِّدًا بالخلق والإنشاء، والبدء والإعادة، لا يَشركُه في ذلك أحد، وجب إفرادُه بالعبادة دون من سواه، لا يُشرك معه في عبادته أحد، كما قال تعالى:**
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ إلى

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٤-١٦٥] إلى آخرها، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى

ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ١٥- ٣٢] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢] وغير ذلك من الآيات التي يقرر اللَّه تعالى فيها ربوبيته، ويمتنُّ بنعَمِه وتفرّده بأنواع التصرفات، وعُبَّادُ الأوثان يُقرُّون بها لله ﷻ، ويُقرُّون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة، لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئًا، ويُقرُّون أن اللَّه هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه

شركاء سوَّوهم به في استحقاق العبادة، وأنكروا أن يكون تفرَّد بها، وقالوا لمن قال لا إله إلا الله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فألزمهم اللَّه تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك، ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية، وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه، كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة، بل هم أقلُّ وأذلُّ وأحقر وأعجز عن أن يخلقوا ذبابًا، أو يستنقذوا منه شيئًا سلبه، ومن تدبَّر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حقَّ التدبر عَلِمَ يقينًا أن عُبَّاد الأوثان مقرُّون بتوحيد الربوبية، وشاهدون بتفرد اللَّه بذلك، وأنهم إنما أشركوا باللَّه تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر، وإلا فأنواعُ التوحيد متلازمةٌ، مَن أشرك غير اللَّه معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى بيانه في بيان الشرك، ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: «كم تعبد اليوم من إله؟!» قال: سبعة آلهة، ستةً في الأرض وواحدًا في السماء، قال ﷺ: «فمن تُعِدُّ لرهبتك ورغبتك؟» قال: الذي في السماء[1]. وتقدم أيضًا - في هذه الآية - أنهم إنما كان شركهم باللَّه في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لله!!، لعلمهم أنه لا يقْدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتَهم لا تضر ولا تنفع، ولا تستطيع شيئًا، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥-٦٦] وما في معانيها من الآيات مما

(١) سبق تخريجه.

ذكرنا ومما لم نذكر والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر وأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين تعالى اللّٰه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

(معترفًا) حال من فاعل تعبد (بحقه) تعالى عليك وعلى جميع عباده (لا جاحدا) وحقه عليك أن تعبده لا تشرك به شيئا كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وغيرها من الآيات، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حقُّ اللّٰه تعالى على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله؟**» قلت: اللّٰه و رسوله أعلم، قال: «**حقُّ اللّٰه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على اللّٰه أن لا يعذبَ من لا يشرك به شيئًا**»[(١)] الحديث.

٨١) وَهُوَ الَّذي بِهِ الإلهُ أرْسَلَا رُسْلَهُ يَدْعُونَ إلَيْهِ أوَّلَا

٨٢) وأنْزَلَ الْكِتَابَ والتِّبْيَانَا مِنْ أجْلِهِ وَفَرَّقَ الْفُرْقَانَا

(وهو) أي توحيد الإلهية (الذي به الإله) عز وجل (أرسلا رسله) من أولهم إلى آخرهم (يدعون إليه أولا) قبل كل أمر، فلم يدعُوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام، لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد اللّٰه سبحانه بتلك العبادات، لا يشرك

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٠١)، وصحيح مسلم برقم (٣٠).

معه فيها غيره، كما قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علاَّت، دِيننا واحد»(١).

وقد أخبر اللَّه ﷻ عن اتفاق دعوة رسله إجمالًا وتفصيلًا فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣] وهؤلاء هم أولوا العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

* وأما في مقامات التفصيل فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٦٥)، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٥٣: والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع ونَسخ بعضها بعضًا حتى انتهى الجميع إلى ما شرع اللَّه لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين، إلا أن كل نبي بعثه اللَّه فإنما دينه الإسلام، وهو التوحيد: أن يُعبد اللَّه وحده لا شريك له، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾، فأولاد العلات: أن يكون الأب واحدًا والأمهات متفرقات، فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد، والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾.

عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٥٦] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٤-٧٨] وهذا في مقام مناظرته عليه السلام لعباد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة اللَّه عز وجل المسخرة بقدرته وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل فلما أقام عليهم الحجة قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ

ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٨٢] أي الذين آمنوا: يعني صدقوا ووحدوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم: أي شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله ﷻ وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم نفسه؟! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1] فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تَشُبْهُ شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والإهتداء، باجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما، ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٣٧- ٤٠] الآيات وغيرها، وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢).

ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال الفصل، وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

(وأنزل) الله ﷻ (الكتاب) اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ﷻ على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ والإنجيل على عيسى ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أوبت معه الجبال والطير والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (والتبيانا) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعلم به وهو الكتاب ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها (من أجله) أي من أجل التوحيد (وفرق الفرقانا) إذ يقول تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] الآيات، وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وبالله التوفيق.

٨٣) وكَلَّفَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى ... قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى

٨٤) حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ ... سِرًّا وَجَهْرًا دِقُّهُ وَجِلُّهُ

٨٥) وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا ... بِذَا وَفي نصِّ الْكِتَابِ وُصِفُوا

(وكلف الله) تعالى أي أمر أمر افتراض (الرسول المجتبى) نبينا محمد ﷺ (قتال) مفعول كلَّف الثاني (من عنه) عن التوحيد (تولى و أبى) أي أعرض وامتنع (حتى) غاية للقتال (يكون الدين خالصًا له) أي الله ﷻ

(سرًّا و جهرًا) لا معارض له ولا مشاق (دقه وجله) أي قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٨-٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟﴾: يعني رجعوا عن الشرك بالتوحيد ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها، وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللَّه** ﷻ» الحديث في الصحيح[1] ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل، وليس هذا موضع بسطها.

(وهكذا) كما كلف ﷺ بجهاد الكفار (أمته) المستجيبون له (قد كلفوا بذا) أي الذي كلف به (و في نص الكتاب) القرآن (وصفوا) أي بذلك كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] لكانت هذه الآية كافية في نعش القلوب وتهييج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها والله المستعان.

فَضْلُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

٨٦) وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةْ فَهْيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةْ
٨٧) مَن قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا
٨٨) في القَوْلِ والفِعْلِ ومَاتَ مُؤمِنَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا

(وقد حوته) أي جمعته واشتملت عليه[1] (لفظة الشهادة) أي شهادة أن لا إله إلا الله (فهي) أي هذه الكلمة (سبيل الفوز) بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وهي سبيل (السعادة) في الدارين أي طريقهما لا وصول إليها إلا بهذه الكلمة فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه

(١) أي توحيد الألوهية والعبادة.

ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة وبها تأخذ الكتب باليمين أو الشمال ويثقل الميزان أو يخف وبها النجاة من النار بعد الورود وبعدم التزامها البقاء في النار وبها أخذ اللّه الميثاق وعليها الجزاء والمحاسبة وعنها السؤال يوم التلاق إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك، وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] وغير ذلك من الآيات.

* وهي أعظم نعمة أنعم اللّه ﷻ بها على عباده إن هداهم إليها، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقيةُ أركان الدين وفرائضه متفرعةٌ عنها، متشعبةٌ منها، مكملاتٌ لها، مقيَّدةٌ بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

* فهي العروة الوثقى التي قال اللّه ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك. وهي العهد الذي ذكر اللّه ﷻ إذ يقول:

---

(١) قال البخاري في صحيحه ١٨/١: وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ عن قول لا إله إلا اللّه وقال الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق ٢٨/٢: قلت روي ذلك عن أنس ومجاهد وابن عمر وغيرهم.

﴿لَا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٧٨] قال ذلك عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله والبراءة من الحول والقوة إلا بالله وأن لا يرجو إلا الله عز وجل.

* وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥] الآيات قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك ورواه عطية عن ابن عباس.

* وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] قال ذلك البغوي.

* وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: ٢٦] روى ذلك ابن جرير وعبد الله بن أحمد والترمذي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم[١].

* وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

* وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلًا قبل ذلك إذ يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] قاله علي بن طلحة عن ابن عباس: أصلها ثابت في قلب المؤمن

---

(١) مسند أحمد (٢١٢٥٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي بنفس الترقيم.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧١).

وفرعها العمل الصالح في السماء صاعدًا إلى اللَّه ﷻ وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد.

* وهي الحسنة التي ذكر اللَّه ﷻ إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي وعن أبي ذر مرفوعًا: «**هي أحسن الحسنات وهي تمحو الذنوب والخطايا**»(١).

* وهي المثل الأعلى الذي ذكر اللَّه ﷻ إذ يقول: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] قال ذلك قتادةُ ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر.

* وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه فقال ﷺ: «**خرجت من النار**»(٢) وفيه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه حرم اللَّه عليه النار**»(٣)، وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء اللَّه تعالى: «**أخرجوا من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»(٤).

---

(١) مسند أحمد برقم (٢١٤٨٧) وحسنه محققه الأرناؤوط، والدعاء للطبراني برقم (١٤٩٨)، والأسماء والصفات للبيهقي برقم (٢٠١) وحسنه الشيخ الألباني في تحقيق كلمة الإخلاص (ص: ٥٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٨٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩).

(٤) وهو حديث أنس في صحيح البخاري برقم (٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣) بلفظ (يخرج)، وهو بلفظ (أخرجوا) في مسند أحمد برقم (١٢٧٩٥) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٥٩٣)، والمستدرك للحاكم برقم (٢٣٤)=

* وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد اللَّه وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله اللَّه الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» وفي رواية: «أدخله اللَّه الجنة على ما كان من عمل»[1].

* وهي أفضل ما ذكر اللَّه عز وجل به وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا اللَّه فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا اللَّه في كفة لرجحت بهن لا إله إلا اللَّه ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله»[2]، وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن اللَّه سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سِجلًا، كلُّ سجلٍّ مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمك

= وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الأباني في صحيح ابن ماجه برقم (٤٣١٢).

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

(٢) مسند أحمد برقم (٦٥٨٣) وصححه محققه الأرناؤوط، والأدب المفرد للبخاري برقم (٥٤٨) وصححه فيه الشيخ الألباني، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٤٥٨٥)، وصحح إسناده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٤٩، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١١٤، والغزالي في الإحياء ١/ ٢٩١ وقال الهيثمي في المجمع برقم (٧١٢٣): ورجال أحمد ثقات، والألباني في الصحيحة أيضًا برقم (١٣٤).

كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلمَ عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا عبده و رسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال: فإنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم اللَّه تعالى شيء» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب(١).

* وهي التي لا يحجبها شيء دون اللَّه ﷻ كما في الترمذي عن عبد اللَّه ابن عمرو ﵄ قال: لا إله إلا اللَّه ليس لها دون اللَّه حجاب حتى تصل إليه(٢)، وفيه - أيضًا - عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من

---

(١) مسند أحمد برقم (٦٩٩٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٦٣٩)، ومستدرك الحاكم برقم (٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وصححه السيوطي في تدريب الراوي ٢/ ٤٠٩، وحسنه البغوي في شرح السنة ١٥/ ١٣١، والمناوي في فتح القدير ٢ / ١٩٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥) وغيرها.
وقد جاء في حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١٣/ ٧٠: قال أبو طاهر السلفي أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحراني قال: أنا حضرت رجلًا في المجلس وقد زعق عند هذا الحديث ومات وشهدت جنازته وصليت عليه، وفي معجم الذهبي ١/ ٤٠: قال الخلعي قال لنا ابن الحاج: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث في الجامع العتيق - وفي الناس رجل خباز - فلما سمع هذا الحديث صاح صيحة وتوفي ﵀.
(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥١٨) مرفوعًا، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ، والترغيب والترهيب لقوام السنة برقم (٧٤٩)، وضعفه الألباني، لكن المؤلف أورده موقوفًا على عبد اللَّه بن عمرو ﵁ ولم أقف عليه موقوفًا.

عبد قال لا إله إلا اللَّه مخلصًا إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش»[١].

* وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر، واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها وفيما ذكرنا كفاية وسنذكر إن شاء اللَّه تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة ويكفيك في فضل لا إله إلا اللَّه إخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»** الحديث[٢] و هذا لفظ مسلم.

(من قالها) أي قال هذه الكلمة حال كونه **(معتقدًا)** أي عالمًا ومتيقنا **(معناها)** الذي دلت عليه نفيًا وإثباتًا **(وكان)** مع ذلك **(عاملًا بمقتضاها)** على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم العمل به **(في القول والفعل)** أي قول القلب واللسان والجوارح قال اللَّه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣] **(ومات مؤمنا)** أي على ذلك وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال ﷺ: **«ما من عبد قال لا إله إلا اللَّه ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»** الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله[٣]، **(يبعث**

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٩٠) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٦٠١) وحسنه الألباني في تحقيقه للترمذي بنفس الترقيم.

(٢) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٤٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٩٤).

يوم الحشر) أي يوم الجمع (ناج) من النار (آمنا) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النحل: ٨٩].

مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

٨٩) فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ ... دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْهِ
٩٠) أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ يُعْبَدُ ... إِلَّا الإِلَهُ الوَاحِدُ المُنْفَرِدُ
٩١) بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبالتَّدْبِيرِ ... جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمة (الذي عليه) متعلق بقوله (دلت) بصريح لفظها (وهدَت) أي أرشدت (إليه) هو (أن ليس بالحق) متعلق بيُعبد (إله) هو اسم ليس ومنفيها، والنكرة في سياق النفي تعم، والحكم المنفي (يُعبد) الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق، فيخرج ما عُبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهًا فتسميته بذلك باطلةٌ فلا يستحق أن يُعبد.

* فمعنى لا إله إلا اللَّه لا معبودَ بحق إلا اللَّه، لا إله: نافيًا جميع ما يُعبد من دون اللَّه، فلا يستحق أن يُعبد، إلا اللَّه: مثبتًا العبادةَ لله، فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف: بحق، هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء اللَّه.

* وأما تقديره بموجود فيُفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا

قيل: لا معبود موجودٌ إلا اللَّه لزم منه أن كل معبود عُبد بحق أو باطل هو اللَّه !!، فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي اللَّه !!، فيكون ذلك كله توحيدًا !! فما عُبد على هذا التقدير إلا اللَّه إذ هي هو !! وهذا والعياذ باللَّه أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطالٌ لرسالات جميع الرسل، وكفرٌ بجميع الكتب، وجحودٌ لجميع الشرائع، وتكذيبٌ بكل ذلك، وتزكيةٌ لكل كافر من أن يكون كافرًا، إذ كل ما عبده من المخلوقات هو اللَّه، فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس، ويكون التقدير لا إله حقًّا موجود إلا اللَّه، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

(إلا الإله الواحد المنفرد بالخلق والرزق وبالتدبير.. الخ) وهو اللَّه سبحانه وتعالى أي هو الإله الحق، فكما تفرَّد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحدٌ في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقًّا فلا شريك له فيها، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ

ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥-٦٦].

شُرُوطُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

٩٢) وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

٩٣) فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا

(وبشروط سبعة) متعلقٌ بقيدت **(قد قيدت)** أي قُيِّدَ بها انتفاعُ قائلها بها في الدنيا والآخرة، من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار **(وفي نصوص الوحي)** من الكتاب والسنة **(حقًّا وردت)** صريحة صحيحة

(**فإنه لم ينتفع قائلها**) أي قائل لا إله إلا اللَّه (**بالنطق**) أي بنطقه بها مجردًا (**إلا حيث يستكملها**) أي هذه الشروط السبعة، ومعنى إستكمالها: اجتماعها في العبد، والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عَدُّ ألفاظها وحفظها، فكم من عاميٍّ اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعْدُدْها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها والتوفيق بيد اللَّه واللَّه المستعان.

٩٤) الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالقَبُولُ وَالانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ

٩٥) وَالصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّهْ وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهْ

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصغِ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعقلها، ثم اعمل على وفق ذلك تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء اللَّه ﷻ كما وعد اللَّه تعالى ذلك إنه لا يخلف الميعاد.

الأول (العلم) بمعناها المرادِ منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال اللَّه ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي بلا إله إلا اللَّه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[١].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦).

(واليقين) أي والثاني اليقين المنافي للشك: بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يُغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟! قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ٣]، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا: أي لم يَشُكُّوا فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله لا الله وأني رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة**» وفي رواية: «**لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما فيُحجب عن الجنة**»[١]، وفيه عنه ؓ من حديثٍ طويلٍ أن النبي ﷺ: بعث بنعليه فقال: «**من لقيتَ - من وراء هذا الحائط - يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه فبشره بالجنة**»[٢] الحديث، فاشترط في دخولِ قائلِها الجنةَ أن يكون مستيقنًا بها قلبه، غيرَ شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

(و) الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد أخبرنا الله ﷻ بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدَّه لمن ردَّها من العذاب كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧) (٢) صحيح مسلم برقم (٣١).

كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٢٢-٣٦] فجعل اللَّه تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا اللَّه وتكذيبهم من جاء بها فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته بل قالوا إنكارا واستكبارا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٥-٧]، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ فكذبهم اللَّه ﷻ ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٠- ٤٣] إلى آخر الآيات وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النحل: ٨٩]، وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع اللَّه بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين اللَّه ونفعه ما بعثني اللَّه به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللَّه الذي أرسلت به»[1].

(و) الرابع (الانقياد) لما دلَّتْ عليه، المنافي لترك ذلك قال اللَّه ﷻ:

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٨٢).

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] أي بلا إله إلا اللَّه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ ومن يسلم وجهه: أي ينقاد، وهو محسن: موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى اللَّه ولم يك محسنا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو المعنيُّ بقوله ﷻ بعد ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٣]، وفي حديث صحيح أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[1] هذا هو تمام الانقياد وغايته.

(و) الخامس (**الصدق**) فيها المنافي للكذب وهو: أن يقولها صدقًا من قلبه، يواطئ قلبُه لسانَه قال اللَّه ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ

---

(١) السنة لابن أبي عاصم برقم (١٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٢٧٩)، قال في تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٧: وقال ابن رجب: تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه ذكرها، وتعقبه بعضهم، قلت: قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٨٩: رجاله ثقات، وصححه النووي في آخر الأربعين، وحكم بثبوته ابن القيم في روضة المحبين ص ٤٧٣، وحسنه السيوطي في إتمام الدراية لقراء النقاية ص ١٦٧، وصححه المؤلف هنا وفيما يأتي.

ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠] وكم ذكر اللَّه تعالى من شأنهم، وأبدى وأعاد، وكشف أستارهم وهتكها، وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه، كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه اللَّه على النار**»[1] فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجردُ اللفظ بدون مواطأة القلب، وفيهما -أيضًا- من حديث أنس بن مالك[2] وطلحة بن عبيد الله[3] رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسولَ اللَّه ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره قال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**» قال: واللَّه لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أفلح إن صدق**» وفي بعض الروايات: «**إن صدق ليدخلن الجنة**» فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقًا.

(و) السادس (الإخلاص) وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية،

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٨) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٣٢) دون موضع الشاهد منه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣)، وصحيح مسلم برقم (١٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١١).

وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ١٤٦] وغير ذلك من الآيات، وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أسعدُ الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللَّه خالصًا من قلبه أو نفسه**»(١)، وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه** عز وجل»(٢).

(و) السابع (**المحبة**) لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلَّت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبُغض ما ناقض ذلك، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤] فأخبرنا اللَّه عز وجل أن عباده المؤمنين أشدُّ حبًّا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مُدَّعوا محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونه كحبه.

* وعلامةُ حبِّ العبد ربَّه: تقديمُ محابِّه وإن خالفت هواه، وبغضُ ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاةُ مَن والى اللهَ ورسولَه، ومعاداةُ من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٩٩، ٦٢٠١) وهو من أفراده على مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٥)، وصحيح مسلم برقم (٣٣).

عاداه، واتباعُ رسوله ﷺ، واقتفاءُ أثره، وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروطٌ في المحبة، لا يُتصور وجودُ المحبة مع عدم شرط منها، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] الآيات وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

* فكلُّ مَن عَبد مع اللَّه غيره فهو في الحقيقة عبدٌ لهواه، بل كلُّ ما عُصِيَ اللهُ به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر اللَّه ﷻ ونواهيه، وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الآية، وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا اللَّه وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار**» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه[1]، وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2]، وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عمرو بن

(١) صحيح البخاري في مواضع منها رقم (١٢، ١٦، ٥٦٩٤، ٦٥٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٢) متفق عليه من حديث أنس (: صحيح البخاري برقم (١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٤)، وتفرد به البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (١٤).

العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[١] وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله، والأمر بما يحبه الله ويرضاه، والنهي عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه - وإن كان ذلك مخالفًا لهواه - كان مؤمنًا حقًا، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك؟! وفي الحديث: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه**»[٢]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك وقد أصبح غالب مؤاخاة الناس اليوم على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا[٣]، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادعى قوم محبة الله ﷻ فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**قال كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٤]، وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**جاءت ملائكةٌ إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه**

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) مسند أحمد برقم (١٨٥٢٤)، ومسند أبي داود الطيالسي برقم (٧٨٣) من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه، والمعجم الأوسط (٤٤٧٩)، والصغير ٦٢٤، والكبير (١٠٥٣١) من حديث ابن مسعود، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٢٥٣٩) من حديثهما وحديث ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد برقم (٣٥٣)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٣٩٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٧٧٠)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٦٩١).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٥١).

نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. . » الحديث وفيه: «فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع اللَّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللَّه ومحمد ﷺ فرق بين الناس»[١].

* ومن هنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا اللَّه إلا بشهادة أن محمدًا رسولُ اللَّه ﷺ، فإذا عُلم أنه لا تتم محبة اللَّه ﷻ إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول اللَّه ﷺ، واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمةً لمحبة رسول اللَّه وتصديقه ومتابعته.

* وقد ذكر الحافظ ابن رجب -رحمه اللَّه تعالى- في هذا الباب كلامًا حسنًا فقال: وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: ما فيه أنَّ من أتى بالشهادتين دخل الجنة، ولم يحجب عنها وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحدٌ من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو اللَّه عنه فيدخله الجنه بلا عقاب قبل، وحديث أبي ذر[٢] معناه أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أن لا يعذب عليها مع التوحيد، وفي مسند البزار عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا:

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٥٢)، قال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ: (وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ) كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ فِعْلًا مَاضِيًا، وَلِغَيْرِهِ بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالتَّنْوِينِ وَكِلَاهُمَا مُتَّجَهٌ.

(٢) يعني بحديث أبي ذر ﷺ قول النبي ﷺ: (أتاني جبريل ﷺ فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك باللَّه شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زني وإن سرق؟! قال: وإن زني وإن سرق)، وسيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

«من قال لا إله إلا اللَّه نفعته يومًا من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه»[(١)].

الثاني: فيه أنه يحرم على النار، وقد حمله بعضهم على الخلود فيها، أو على ما يخلد فيها أهلها، وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار، فإن الدرك الأعلى يدخله كثيرٌ من عصاة الموحدين بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين، وفي الصحيحين: «**إن اللَّه تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله**»[(٢)].

* وقالت طائفةٌ من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا اللَّه سببٌ لدخول الجنة والنجاة من النار مقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي عمله لا يعمل إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر، وقال الحسن للفرزدق - وهو يَدفن امرأته - ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا اللَّه منذ سبعين سنة، قال الحسن: نِعْمَ العُدَّة لكنَّ للا إله إلا اللَّه شروطًا فإياكِ وقذف المحصنات، وقيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا اللَّه دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا اللَّه فأدَّى حقها وفرضها دخل الجنة، وقال وهب بن منبه لمن سأله:

---

(١) مسند البزار برقم (٨٢٩٢)، والمعجم الأوسط برقم (٣٤٨٦)، قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٦٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧: رواه البزار والطبراني ورواته رواة الصحيح، وصححه السيوطي في إتمام الدراية لقراء النقاية ١/ ١٧، وحسنه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٢٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٢٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنانٌ فإن أتيت بمفتاح له أسنان فَتح لك، وإلا لم يفتح لك، ويدلُّ على هذا كونُ النبي ﷺ رتَّب دخولَ الجنةِ على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه أخبرني بعمل يُدخلني الجنة، قال: «**تعبدُ اللَّه لا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصلُ الرحم**»[1]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه دُلَّني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة، قال: «**تعبد اللَّه لا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ: «**مَن سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[2] ومن هذا أن النبي ﷺ قال: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ**»[3]، ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى الشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك !!، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق رضي الله عنه أنه لا يمتنع قتالُه إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «**فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**» وقال: الزكاة حق المال[4]. وهذا الذي فهمه الصديق رضي الله عنه قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غيرُ

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٢)، وصحيح مسلم برقم (١٣).

(٢) بل هو متفق عليه: صحيح البخاري برقم (١٣٣٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤).

(٣) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

(٤) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى وما بعده جزء منه.

واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما ﷺ، وأنه قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ويقيمو الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، ولما قرر أبو بكر ﷺ هذا للصحابة رجعوا إلى قوله، ورأوه صوابًا، فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدَّى الشهادتين مطلقًا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة.

* وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدةً في أحاديثَ أُخَرَ، ففي بعضها: «**من قال لا إله إلا اللَّه مخلصًا دخل الجنة**»، وفي بعضها: «**مستيقنًا**»، وفي بعضها: «**مصدقًا بها قلبُه لسانَه**»، وفي بعضها: «**يقولها من قلبه**»[١]، وفي بعضها: «**قد ذلَّ بها لسانُه، واطمأنَّ بها قلبُه**»[٢]، وهذا كله إشارةٌ إلى عمل القلب، وتحقُّقِه بمعنى الشهادتين، فتحقُّقُه بمعنى شهادة أن لا إله إلا اللَّه أن لا يَأْلَهَ قلبُه غيرَ اللَّه حُبًّا ورجاءً وخوفًا وطمعًا وتوكلًا واستعانةً وخضوعًا وإنابةً وطلبًا، وتحقُّقُه بشهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ أن لا يَعبد اللَّه بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ.

* وتحقيق هذا المعنى وأيضاحُه أن قول العبد لا إله إلا اللَّه يقتضي أن لا إله غيرُ اللَّه، والإله: الذي يُطاع ولا يعصى، هيبةً وإجلالًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كلُّه لغير

---

(١) سبق تخريج الأحاديث المتضمنة لهذه الألفاظ -قريبًا- في أدلة شروط شهادة التوحيد.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٩)، والتاريخ الكبير للبخاري برقم (٢٣٨٧).

اللَّه ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله لا إله إلا اللَّه، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبوديةِ المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك.

* وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتَّبع قال تعالى: : ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٣٤] قال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئًا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ويشهد لهذا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»[1] فدل هذا على أن من أحب شيئا وأطاعه وكان من غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه، ويدل عليه أيضًا أن اللَّه تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبوديته للرحمن وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فهم الذين حقَّقُوا قول لا إله إلا اللَّه، وأخلصوا في قولها، وصدَّقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير اللَّه محبةً ورجاءً وخشيةً وطاعةً وتوكلًا، وهم الذين صدَّقوا قولَ لا إله إلا اللَّه، وهم عباد اللَّه حقًّا، فأمَّا من قال لا إله إلا اللَّه

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٠).

بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية اللَّه ومخالفته فقد كذَّب قولَه فعلُه، ونقص من كمال توحيده بقدر معصيته اللَّه في طاعة الشيطان والهوى. انتهي كلامه -رحمه اللَّه تعالى- بتصرف[1].

فَصْلٌ: فِي العِبَادَةِ، وَذِكْرِ بَعْضِ أَنْوَاعِهَا وَأَنَّ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ

قد عرفت مما قدَّمنا في معنى لا إله إلا اللَّه أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب، أي تعبده محبةً وتذلُّلًا وخوفًا ورجاءً ورَغَبًا ورَهَبًا وتوكُّلًا عليه واطِّراحًا بين يديه واستعانةً به والتجاءً إليه وافتقارًا إليه، وذلك لا ينبغي إلا لله ﷻ خالقِ كلِّ شيء ومصوِّره ومصرِّفه ومدبِّرِه، مبدئ الخلق ومعيده، ومحييه ومبيده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* والعبد إن أريد به المعبَّد أي المذلَّل المسخَّر دخل فيه جميعُ المخلوقات، من جميع العالم العلوي والسفلي، من عاقل وغيره، ومن رطب ويابس، ومتحرك وساكن، وظاهر وكامن، ومؤمن وكافر، وبَرٍّ وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله ﷻ مسخَّر بتسخيره، مدبَّر بتدبيره، ولكلٍ منها رسْمٌ يقف عليه، وحدٌّ ينتهي إليه، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]، لا يتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقديرُ العليم، وتدبير العدل الحكيم.

* وإن أريد به العابد خُص ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٥٢٥).

يعبدون اللَّه ﷻ ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع اللَّه غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباءً منثورًا، لكن المؤمنون هم عباده حقًّا، الذين أفردوه بإلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، ولم يشبِّهوه بشيء من خلقه، ولم يسوُّوا مَن خلقه به، تولوا اللَّه فملأ قلوبهم بنور معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، تعرفوا إلى اللَّه في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، نصروا اللَّه فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم، عرفوا ما خُلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة اللَّه من خلقه، والمصطَفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون، وحزبه الغالبون، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٩٦) ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعْ لِكُلِّ مَا يَرضَى الإِلهُ السَّامِعْ

(ثم العبادة) التي خَلق اللَّه لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرة، والجنةُ والنار (هي اسمٌ جامع) لكل ما يحب و (يرضى) مبني للمعروف فاعلُه (الإله السامع) وهو اللَّه ﷻ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والظاهرة كالتلفظ بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل اللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى اللَّه ﷻ وغير ذلك، والباطنة كالإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وخشية اللَّه

وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه والاستعانة به، والحب والبغض في اللَّه والموالاة والمعاداة فيه وغير ذلك.

* ثم اعلم أنها لا تُقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب، ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادةٌ بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال مَن قال من السلف: من عَبَدَ اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومَن عَبَدَهُ بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عَبَدَهُ بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَدَهُ بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد اهـ

* قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تذلُّلٍ ولا خوفٍ ولا رجاءٍ ولا خشيةٍ ولا رهبةٍ ولا خضوعٍ دعوى كاذبة، ولذا ترى من يدعي ذلك كثيرًا ما يقع في معاصي اللَّه ﷻ، ويرتكبها ولا يبالي، وإنما المحبة نَفْسُ وِفَاقِ العبدِ ربَّه، فيحب مايحبه ويرضاه، ويُبغض ما يكرهه ويأباه، وإنما تُتلقى معرفة محاب اللَّه ومعاصيه من طريق الشرع، وإنَّما تحصل بمتابعة الشارع، ولذا قال الحسن -رحمه اللَّه تعالى-: ادَّعى قومٌ محبة اللَّه فابتلاهم اللَّه بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن ادعى محبة اللَّه ولم يك متبعًا رسوله فهو كاذب، وقال الشافعي -رحمه اللَّه تعالى-: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته رسول اللَّه ﷺ.

* وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي اللَّه وأمن مكر اللَّه وقد قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمته ويئس من روحه وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٦٥].

* فالأمنُ من مكر اللَّه خسرانٌ، واليأسُ من رَوحه كفرانٌ، والقنوطُ من رحمة اللَّه ضلالٌ وطغيانٌ، وعبادة اللَّه ﷻ بالحبِّ والخوفِ والرجاءِ توحيدٌ وإيمانٌ.

* فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] وبين الرغبة والرهبة كما قال تعالى في آل زكرياء ﵇: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩]. فتارة يمدُّه الرجاءُ والرغبةُ فيكاد أن يطيرَ شوقًا إلى اللَّه، وطورًا يقبضه الخوفُ والرهبةُ فيكادُ أن يذوبَ من خشية اللَّه تعالى، فهو دائبٌ في طلب مرضاة ربه، مقبلٌ عليه، خائفٌ من عقوباته، ملتجئٌ منه إليه، عائذٌ به منه، راغبٌ فيما لديه.

* وللعبادةِ ركنان لا قوام لها إلا بهما وهما: الإخلاص والصدق.

١) وحقيقة الإخلاص: أن يكون قصدُ العبدِ وجهَ اللَّه ﷻ والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ

وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦]، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً؟ ويقاتل حميَّةً؟ ويقاتل رياءً؟ أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل الله**» متفق عليه[1].

٢) وأما الصدق: فهو بذل العبدِ جهدَه في امتثالِ ما أمر اللَّه به، واجتنابِ ما نهى اللَّه عنه، والاستعدادِ للقاء اللَّه، وتركِ العجز وتركِ التكاسل عن طاعة اللَّه، وإمساكِ النَّفْس بلجام التقوى عن محارم اللَّه، وطردِ الشيطان عنه بالمداومة على ذكر اللَّه، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع، قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] الآية وقال -تبارك وتعالى-: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ١١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤) والسياق له.

وَزُلْزِلُوا﴾ [البقره: ٢١٤] الآية وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن باللَّه، ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قلْ قدَّر اللَّه وما شاء فَعَل، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطان**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**الكيِّسُ من دَانَ نفسَه، وعمِلَ لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله**»(٢).

* وإذا اجتمعت النيةُ الصالحةُ والعزيمةُ الصادقةُ في هذا العبد قام بعبادة اللَّه عز وجل، ثم اعلم أنه لا يُقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ، فيَعبدُ اللَّه تعالى بوِفق ما شَرَع، وهو دين الاسلام الذي لا يَقبلُ اللَّه تعالى من أحدٍ سواه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢) مسند أحمد برقم (١٧١٢٣)، سنن الترمذي برقم (٢٤٥٩) وحسنه، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٦٠)، ومستدرك الحاكم برقم (٧٦٣٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وحسنه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠١، وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الخطب المنبرية ٤٥ وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٦.

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»(١)، وفي رواية لمسلم: «مَن عملَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ».

* فهذه الثلاثةُ الأركان شروطٌ في العبادة، لا قوام لها إلا بها، فالعزيمةُ الصادقةُ شرطٌ في صدورها، والنِّيَّةُ الخالصةُ وموافقةُ السُّنَّة شرطٌ في قبولها، فلا تكون عبادةٌ مقبولةٌ إلا باجتماعها.

* فإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوسٌ وتطويلُ أمل، وتَمَنٍ على اللَّه، وتسويفٌ في العمل وتفريطٌ فيه.

* وصدق العزيمة بدون إخلاصٍ فيه يكون شركًا أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص، فإن كان الباعثُ على العمل من أصله هو إرادةُ غيرِ اللَّه فنفاقٌ، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل وكان الباعث عليه أولا إرادة اللَّه والدار الآخرة كان شركًا أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه الْتَحَقَ بالأكبر.

* وإخلاصُ النِّيَّةِ مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السُّنَّة كان بدعةً وحدثًا في الدين، وشرعَ ما لم يأذنْ اللَّه به، فيكون ردًّا على صاحبه، ووبالًا عليه والعياذ باللَّه، فلا يصدر العملُ من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يُقبل منه ذلك إلا بإخلاصِ النية واتباع السُّنَّة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصُه وأصوبه، يعني: خالصًا من شوائب الشرك، موافقًا للسُّنَّة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

٩٧) وَفِي الْحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعَاءُ خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ
٩٨) وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعُ وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خُضُوعُ
٩٩) وَالاسْتِعَاذَةُ والاسْتِعَانَهْ كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَهْ
١٠٠) وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكْ فَافْهَمْ هُدِيْتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكْ
١٠١) وَصَرْفُ بَعْضِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ وَذَاكَ أَقْبَحُ الْمَنَاهِي

(و) ثبت (في الحديث) الذي في السنن[1] كما سنذكره (مُخُّها) أي مخ العبادة ولُبُّها (الدعاءُ) قال اللَّه ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦] وغير ذلك من الآيات، وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليس شيءٌ أكرمَ على اللَّه من الدعاء»[2]، وفيه عن

---

(١) يشير المؤلف بذلك إلى حديث أنس بن مالك ﷺ الذي أخرجه الترمذي في السنن برقم (٣٣٧١) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، والطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣١٩٦)، والدعاء برقم (٨) ورمز له السيوطي في الجامع الصغير برقم (٤٢٥٦) بالضعف، وضعفه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي بنفس الترقيم، ويغني عنه حديث النعمان بن بشير ﷺ الآتي قريبًا.

(٢) مسند أحمد برقم (٨٧٤٨)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٠)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٩)، ومستدرك الحاكم برقم (١٨٠١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وصحيح ابن حبان برقم (٨٧٠)، وحسنه محققه الأرناؤوط، وكذا حسنه=

النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠]، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(١)]، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنه مَن لم يسأل اللهَ يغضبْ عليه**»[(٢)]، وفيه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**إذا سألتَ فاسأل اللَّه**» وهو حديث حسن صحيح[(٣)].

(خوفٌ) أي ومن أنواع العبادة الخوفُ من اللَّه ﷻ قال اللَّه تعالى:

= ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢ / ٢٦١، وقال ابن القطان الفاسي في بيان الوهم والإيهام ٥/ ٨٢٩: وحسنه - أي عبد الحق الاشبيلي - وينبغي أن يقال فيه صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٩).

(١) مسند أحمد برقم (١٨٣٥٢) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وسنن الترمذي برقم (٢٩٦٩) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١١٤٠٠)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨)، ومستدرك الحاكم برقم (١٨٠٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وصححه النووي في الأذكار ص ٣٠٦، والمناوي في التيسير ٢/ ١١، وجود إسناده الحافظ في الفتح ١/ ٤٩، ونص على ثبوته الشوكاني في فتح القدير ١/ ١٨١وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢٧) وغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٣)، والأدب المفرد للبخاري (٦٥٨)، وحسنه ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٣٥٢، والألباني في صحيح الترمذي بنفس الترقيم.

(٣) مسند أحمد برقم (٢٧٦٣) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والتوحيد لابن منده برقم (٢٤٨) وقال: هَذَا إِسْنَادٌ مَشْهُورٌ، رَوَاهُ ثقاتٌ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة ٣٥، وحسنه وجود إسناده الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١٨٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي بنفس الترقيم، وغيرها من كتبه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وغيرها من الآيات، وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**والله لا أدري والله لا أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يُفعل بي ولا بكم**»[١]، وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل إلا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»[٢].

(توكل) أي: ومن أنواع العبادة التوكلُ على الله عز وجل وهو اعتمادُ القلب عليه، وثقتُه به، وأنه كافيه قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فجعله تعالى شرطا في الإيمان، كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [يونس: ٨٤] الآيات، وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١- ١٢]، وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٨٦).

(٢) سنن الترمذي (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، ومستدرك الحاكم برقم (٧٨٥١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي بنفس الترقيم وغيره.

يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩-٢]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه، والآيات في هذا الباب كثيرة، وفي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بلا حساب، هم الذين لايَسْتَرْقُون، ولايتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[١]، وفي السنن: «**الطيرة شرك الطيرة شرك**» قال ابن مسعود: وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل[٢]، وفي جامع الترمذي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[٣] وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتفرد به مسلم برقم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) مسند أحمد (٣٦٨٧) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود (٣٩١٠)، وسنن الترمذي (١٦١٤)، وقال: حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه (٣٥٣٨)، ومستدرك الحاكم برقم (٤٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ سَنَدُهُ، ثِقَاتٌ رُوَاتُهُ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وصحح إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣ / ٣٥٧، والألباني في تحقيقه للسنن الثلاث بنفس الترقيم وغيره.

(٣) مسند أحمد برقم (٣٧٠) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٣٤٤)، وسنن ابن ماجه برقم (٤١٦٤)، ومستدرك الحاكم (٧٨٩٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠١، وصحح إسناده الضياء المقدسي في المختارة ١ / ٣٠١، وجود إسناده ابن مفلح الحنبلي في الآداب الشرعية ٣ / ٢٦٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٥ / ٣٤٤ وابن ماجه برقم ٤١٦٤.

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادة الرجاء قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨] وغير ذلك من الآيات، وفي الحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[١]، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدةً، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار**»[٢]، وقال ﷺ في دعاء المكروب: «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكِلْني إلى نفسي، ولا إلى أحدٍ من خلقك طرفةَ عين**» الحديث رواه أبو داود عن أبي بكرة[٣].

(١) مسند أحمد برقم (١٦٠١٦) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الدارمي برقم (٢٧٧٣)، ومستدرك الحاكم (٧٦٠٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ١/ ٨٣، وابنُ الوزير اليماني في إيثار الحق على الخلق ٣٤٧، والمناوي في التيسير ٢/ ١٨٥، والألباني في السلسلة رقم (١٦٦٣)، وللتنبيه: فإن الجملة الأولى منه وهي قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (أنا عند ظن عبدي بي) متفق عليها: صحيح البخاري برقم (٦٩٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥)، وتتمتها فيهما: (وأنا معه إذا ذكرني . .) إلخ الحديث.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٠٤)، وأخرج صحيح مسلم آخره برقم (٢٧٥٥).

(٣) مسند أحمد برقم (٢٠٤٣٠) وحسنه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٥٠٩٠)، ومسند أبي داود الطيالسي (٩١٠)، وصححه المناوي في التيسير =

(ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ) أي ومن نواع العبادة الرغبةُ فيما عند اللَّه ﷻ من الثواب، وهي راجعةٌ إلى الرجاء، والرهبة مما عند اللَّه من العقاب، وهي راجعةٌ إلى معنى الخوف، والخشوعُ هو التَّذلُّل لله ﷻ، قال تعالى - في آل زكريا عليهم السلام -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الانشراح: ٧-٨] وغير ذلك من الآيات، وفي حديث الدعاء عند النوم: «**اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وألجأتُ ظهري إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، رغبةً ورهبةً إليك**» الحديث في الصحيحين[1]، وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود: «**خشع لك سمعي وبصري ومخي وعصبي**»[2] وغير ذلك من الأحاديث في الخشوع لله.

(وخشيةٌ) أي ومن أنواع العبادة الخشيةُ وهي مرادفةٌ للخوف، قال

= (٢/ ٦)، وحسنه ابنُ مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ١/ ١٦٧، والهيثمي في المجمع ١٠/ ١٣٧، والألباني في تحقيقه لأبي داود بنفس الترقيم.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

اللَّه ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] الآية، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣] الآيات وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣] الآية، وفي جامع الترمذي[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية اللَّه تعالى حتى يعود اللبن في الضرع**»، وفيه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس شيءٌ أحبَّ إلى اللَّه من قطرتين وأثرين، قطرة دموعٍ من خشية اللَّه، وقطرة دمٍ تُهراق في سبيل اللَّه، وأما الأثران فأثرٌ في سبيل اللَّه، وأثرُ فريضةٍ من فرائض اللَّه تعالى**» وقال: حديث حسن[2]، وفي الصحيح: «**إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا**»

---

(١) مسند أحمد برقم (١٠٥٦٠) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (١٦٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسنن النسائي برقم (٣١٠٨)، ومستدرك الحاكم برقم (٧٦٦٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تحقيقه للترمذي والنسائي بنفس الترقيم وفي غيرهما.

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٦٩) وحسنه، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٧٩١٨)، وحسنه الألباني في تحقيقه للترمذي بنفس الترقيم وغيره.

الحديث[1]، وغير ذلك من الأحاديث.

(إنابةٌ) أي ومن أنواع العبادة الإنابةُ، وهي التوبةُ النَّصوح والرجوع إلى اللَّه تعالى، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالى في ذكر شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وفي ذلك آياتٌ كثيرةٌ سنذكر - إن شاء اللَّه - ما تيسر منها في بابه.

(خضوعٌ) أي ومن أنواع العبادة الخضوعُ، وهو والخشوع والتَّذلُّل بمعنى، وتقدمت الآياتُ والأحاديثُ فيه.

(والإستعاذةُ) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذةُ، وهي الامتناع باللَّه ﷻ والالتجاء إليه، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢] السورة، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٠٨) واللفظ له.

ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٤] السورة، وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]، وقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]، وقال ﷺ: «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق**»(١)، وقال: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك**»(٢) وقال: «**تعوذوا باللَّه من الفتن**»(٣) واستعاذ ﷺ: من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال ومن الرد إلى أرذل العمر ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال إلى غير ذلك(٤).

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادةِ الاستعانةُ وهي: طلبُ العون من اللَّه عز وجل قال اللَّه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك، ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك، فلا حولَ لأحدٍ عن معصيتك، ولا قوةَ على طاعتك إلا بتوفيقك ومعونتك، وقال - عن نبيه يعقوب عليه السلام -: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وقال - لنبيه محمد ﷺ -: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وفي الترمذي من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) سيأتي تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧).

(٤) وعامة أحاديث استعاذته ﷺ من هذه الأمور ثابتة في الصحيحين أو أحدهما.

«إذا سألت فأسأل اللَّه وإذا استعنت فاستعن بالله» وقال فيه: حسن صحيح[١]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ وفيه: **«احرص على ما ينفعك واستعن بالله»**[٢]، وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﵁ عن النبي ﷺ: **«اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[٣]، وغير ذلك من الأحاديث.

(كذا استغاثةٌ به سبحانه) أي ومن أنواع العبادةِ الاستغاثةُ باللَّه ﷻ وهي: طلب الغوث منه تعالى من جلْبِ خيرٍ أو دفعِ شرٍ، قال اللَّه ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية، ومن دعاء النبي ﷺ: **«يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض برحمتك أستغيث»**[٤]، وفي الطبراني بإسناده من

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد برقم (٢٢١١٩) وصحح إسناده محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (١٥٢٢)، وسنن النسائي برقم (١٣٠٣)، ومستدرك الحاكم برقم (١٠١٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصححه النووي في الأذكار ص٥٢ والمجموع ٣/ ٤٤٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٩٥، وابن مري الحزامي في خلاصة الأحكام ١/ ٤٦٨، وحكم بثبوته كل من ابن القيم في عدة الصابرين ٩٧، والحافظ في فتح الباري ١١/ ١٣٢، والصالحي في سبل الهدى والرشاد ٨/ ١٧١، وقواه الصنعاني في سبل السلام ١/ ١٩٦ وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لأبي داود والنسائي بنفس الترقيم.

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٥٢٤)، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١٠٣٣٠)، ومستدرك=

حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»(١)، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسول اللَّه ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا**» وغير ذلك من الأحاديث.

(والذبح) أي ومن أنواع العبادةِ الذبحُ نُسكًا لله تعالى من هَدْيٍ وأضحيةٍ وعَقيقةٍ وغير ذلك، قال اللَّه عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] الآيات، وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات: «**لعن اللَّه من ذبح لغير الله**» الحديث(٢).

(والنذر) أي ومن أنواع العبادة النَّذرُ لله عز وجل، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾، وقال اللَّه تعالى:

= الحاكم برقم (٢٠٠٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الهيثمي في المجمع برقم (١٧٠٠٨): رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ. وحسنه الألباني في تحقيقه للترمذي بنفس الترقيم من حديث أنس رضي الله عنه، لكن دون قوله: (يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٩٧٨).

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من نَذَرَ أن يُطيعَ اللَّه فليطِعْهُ، ومن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يَعْصِهِ» رواه الجماعة إلا مسلمًا[(١)]، وعن عمر رضي الله عنه قال: نذرت نذرًا في الجاهلية فسألتُ النبيَّ ﷺ -بعدما أسلمت- «فأمرني أن أوفيَ بنذري» رواه ابن ماجه[(٢)]، وقال البخاري -رحمه اللَّه تعالى-: باب إثم من لا يفي بالنذر، وذكر حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثًا بعد قَرنه «ثم يجيىء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، ويظهر فيهم السمن»[(٣)]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر قال: يا رسول اللَّه إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال: «أوف بنذرك» وهو في الصحيح أيضًا[(٤)]، ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبهمًا فسَّرتْهُ رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وأنها ماتت؟ فقال النبي ﷺ: «لو كان عليها دينٌ أكنتَ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٩٦)، وسنن أبي داود برقم (٣٢٨٩)، وسنن الترمذي برقم (١٥٢٦)، وسنن النسائي برقم (٣٨٠٦)، وسنن ابن ماجه برقم (٢١٢٦).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢١٢٩)، وسنن الدارمي برقم (٢٣٧٨)، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٣٦٤) والألباني في صحيح ابن ماجه بنفس الترقيم.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٥٠٨، ٣٤٥٠، ٦٠٦٤، ٦٣١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٣٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٩٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٥٦).

قاضِيْهِ؟»، قال: نعم، قال: «فاقضِ اللهَ، فاللَّه أحق بالقضاء»[١] وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

* ومن شرْط النَّذر لله تعالى أن يكون طاعةً، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضعٍ كان يُعبد فيه غير اللَّه تعالى، أو ذريعةً إلى عبادة غير اللَّه تعالى، وإن كان معلقًا بحصول شيء فلا يَعتقد النَّاذر تأثيرَ النذر في حصوله.

* (وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرة والباطنة، والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة، ومحبةُ اللَّه ورسوله والمؤمنين، والحب في اللَّه والبغض فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تَخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادةَ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطَها الذي لا قوام لها إلا به هو كمالُ الحب وغايته مع غايةِ الذُّل، ولا تُسمى عبادةً إلا مع ذلك كله.

(وصرف بعضها) أي شيء منها قلَّ أو كَثُر (لغير الله) كائنًا من كان من مَلَكٍ أو نبي أو وليٍّ أو قبرٍ أو جني أو شجرٍ أو حَجَرٍ أو غيره كلُّ ذلك (شركٌ) أكبر (وذاك) إشارة إلى الشرك الذي هو(أقبح المناهي) على الإطلاق، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٦٣٢١)، وصحيح مسلم برقم (١١٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ للبخاري.

عَن دُعَآيِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيات أي: لا أحد أضل منه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

* فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلمًا من شكاية العبدِ ربَّه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضرٍّ أو فاتَهُ من خيرٍ إلى مَن لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه، ولا يملك لنفسه ولا لداعِيْهِ مِنْ ضرٍ ولا نفعٍ ولا موتٍ ولا حياةٍ ولا نشورٍ، ولا يُغني عنه مثقالَ ذرةٍ، وعدولِهِ عمَّن بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع في قضاء حوائجه إلى مَن لا قدرةَ له على شيء البتة، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] وصرفه عبادة خالقه الذي خلقه لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار لمخلوق مثله خلقه اللَّه بقدرته ولم يكن من قبل شيئا بل هو مسخر مدبر مربوب متصرف فيه اللَّه تعالى بما شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكا ولا ينفك من قبضه اللَّه ﷻ بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوها معبودا: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية، هذا - واللَّه - أظلم الظلم، وأقبح الجهل، وأكبر الكبائر.

* ولذا لم تدعُ الرُّسُل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنْهَ عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد اللَّه على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد، وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت: يا رسول اللَّه أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقك**»(١). وسنذكر إن شاء اللَّه من الآيات والأحاديث - قريبًا - ما تَقرُّ به أعينُ الموحدين، وتُدحض شبهةُ المعاندين، ويُدمغ باطلُ الملحدين، واللَّه المستعان وبه التوفيق.

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ ضِدِّ التَّوْحِيدِ وَهُوَ الشِّرْكُ وَأَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَصْغَرَ وَأَكْبَرَ، وَبَيَانِ كُلٍّ مِنْهُمَا

* إذا عرفت أن توحيد الربوبية هو: الإقرار بأن اللَّه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبِّرُ لجميع الأمور، المتصرف في كامل مخلوقاته، لا شريك له في ملكه، **فضدُّ ذلك هو: اعتقادُ العبدِ وجودَ متصرِّفٍ مع اللَّه غيرَه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه** عز وجل.

* وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو: **أن يُدعى اللَّه تعالى** بما سمى به نفسه، ويوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسولُه محمدٌ ﷺ، ويُنفى عنه التشبيه والتمثيل، **فضدُّ ذلك شيئان - ويعمهما اسم الإلحاد-**:

١) **أحدهما: نفيُ ذلك عن اللَّه** عز وجل، وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٦).

٢) ثانيهما : تشبيهُ صفات اللَّه تعالى بصفات خلقه، وقد قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

*** وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو: إفرادُ اللَّه تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادةِ عن كلِّ ما سوى اللَّه تبارك وتعالى، فضدُّ ذلك هو: صرفُ شيءٍ من أنواع العبادة لغير اللَّه ﷻ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومةُ بين جميع الرسل وأُمَمِها.**

أَوَّلُ ظُهُورِ الشِّرْكِ

* وأولُ ما ظهر الشركُ في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشَرةِ قرون، وبه قال ابنُ عباس وغيره.

* وذلك لأن الشيطان -لعنه الله- لم يزل دائبًا جادًّا مشمِّرًا في عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طينًا، فلما نفخ اللهُ فيه الروح وعلَّمه الأسماء كلها وأمرَ الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وزين الشيطانُ - لعنه اللَّه - لقومِ نوحٍ عبادةَ الأصنام، وكان أولُ ذلك أن زيَّن لهم تعظيمَ القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روى البخاري -رحمه اللَّه تعالى- عن ابن عباس قال - في ودٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر-: **هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنوسي العلم عبدت**[1] اهـ.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠)، وأخبار مكة للفاكهي (٧١).

* لو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يَقبلوا ولم يطيعوه، بل أَمَرَ الأَوَّلين بنصب الصور، لتكون ذريعةً للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادةُ اللَّه عندها ذريعةً إلى عبادتها ممن يخلُفُهم.

دُخُولُ الوَثَنِيَّةِ إِلَى بِلَادِ العَرَبِ عَلَى يَدِ عَمْرِو بن لُحَي الخُزَاعِي

* وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت عمرو بن لُحَيٍّ الخزاعي يجرُّ قُصُبَه في النار، وكان أول من سيَّب السوائب**»[1] وفي لفظ: «**وغيَّر دين إبراهيم**»[2]، قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء - وبها يومئذ العماليق - رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا فأسيرَ به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنمًا يقال له: هُبل، فقدم به مكةَ فنَصَبَه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنمًا.

* قال ابن إسحاق: واتخذ أهلُ كل دار في دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسَّح به، فيكون آخرَ عهده وأولَ عهده، فلما بعث اللَّه محمدًا ﷺ بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقال أبو عثمان النهدي: كنَّا في الجاهلية نعبدُ حَجَرًا،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٦).

(٢) هذه اللفظة ليست في الصحيح وإنما هي في الأوائل لابن أبي عاصم برقم (٨٣) بلفظ: (إنه كان أول من غير دين إسماعيل)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٧٧).

فسمعنا مناديًا ينادي يا أهل الرِّحال إن ربكم قد هلك، فالتمسوا ربًا، قال: فخرجنا على كل صَعْب وذَلُول، فبينما نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمنادٍ ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، فإذا حَجَرٌ فنحرنا عليه الجزور، وقال عمرو بن عبسة: كنتُ ممن يعبد الحجارة، فينزل الحيُّ ليس معهم إله، فيخرجُ الرجلُ منهم فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقِدْرِهِ، ويجعل أحسنها إلهًا يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره، ولما فتح رسول اللَّه ﷺ مكةَ وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا فجعل يطعن بسِيَةِ قوسه في وجوهها وعيونها، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، وهي تتساقط على وجوهها، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت.

أَسْبَابُ تَلَاعُبِ الشَّيْطَانِ بِالْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ

وقال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في خاتمة كتابه الإغاثة: **(فصل: وتَلاعُبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسبابٌ عديدةٌ، وتلاعبَ بكل قوم على قدر عقولهم:**

١) فطائفةٌ دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوَّروا تلك الأصنام على صورهم، ولهذا لعن النبيُّ ﷺ المتخذين على القبور المساجدَ والسُّرُجَ، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، وأَمَر بتسوية القبور، وطمس التماثيل[1].

---

(١) سيأتي تخريج هذه الأحاديث قريبًا - بمشيئة اللَّه تعالى- عند ذكر المؤلف لألفاظها.

٢) وأما خواصُّهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنةً وحُجَّابًا وحَجًّا وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا، وهذا مذهب قديم في العالم، وأهلُه طوائف شتى، فمنهم عُبَّاد الشمس زعموا أنها ملَك من الملائكة، لها نفسٌ وعقلٌ، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلُّها عندهم منها، وهي عندهم مَلِك الفلك، يستحق التعظيم والسجود والدعاء، وكلُّ هؤلاء مرجعُهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص، على شكل خاص، ينظرون إليه، ويعكفون عليه، ومن هنا اتَّخذ أصحابُ الرَّوحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورها.

*** فوضْعُ الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبودٍ غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبًا منابه، وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبةً أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.**

٣) ومن أسباب عبادتها - أيضًا -: أن الشياطين تدخل فيها، وتخاطبهم منها، وتُخبرهم ببعض المغيبات عنهم، وتدلُّهم على بعض ما يَخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطان، وكثيرٌ منهم لا يسأل عما عَهِد، بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهًا، ولا يسألُ عما وراءَ ذلك.

* وبالجملة فأكثرُ أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاءُ أتباعُ ملَّة إبراهيم عليه السلام، قال إمام الحنفاء: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، ولو لم تكن الفتنةُ بعبادةِ الأصنام عظيمةً لما أقدم عُبَّادُها على بذل

نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يُشاهدون مصارعَ إخوانهم وما حلَّ بهم ولا يزيدُهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضُهم بعضًا بالصبر عليها.

* والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحةٌ ببطلان هذا الدين، وكفرِ أهله، وأنهم أعداءُ اللَّه وأعداءُ رُسلِه، وأنهم أولياءُ الشيطان وعُبَّادُه، وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها، وهم الذين حلَّت بهم المثُلات، ونزلت بهم العقوبات، فهؤلاء في شِقٍ، ورسل اللَّه في شِقٍّ.

٤) ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعلوا فيه حظًّا من الإلهية، وشبَّهوه باللَّه تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم، وهو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوًّا فيمن يعظِّمونه ويحبونه، حتى شبهوه بالخالق، وأعطوه خصائص الإلهية) اهـ.

أَكْثَرُ شِرْكِ الأُمَمِ فِي الإِلَهِيَّةِ لا بِجُحُودِ الصَّانِعِ

*** والمقصودُ: أن أكثرَ شركِ الأمم التي بعث اللَّه إليها رسله وأنزل كتبه غالبُهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يُذكر جحودُ الصانع إلا عن الدهرية والثنوية، وأما غيرُهم ممن جحدها عنادًا كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم** مقرون بالربوبية باطنًا، قال اللَّه ﷻ عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤] وبقية المشركين يقرُّون بالربوبية باطنًا وظاهرًا كما صرَّح بذلك القرآن.

* هذا مع أن الشرك في الربوبية لازمٌ لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمةٌ لا ينفكُّ نوعٌ منها عن الآخر، وهكذا أضدادها، فمن ضادَّ نوعًا من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عُبَّاد القبور، إذا قال أحدهم: يا شيخ فلان - لذلك المقبور - أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك، يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب، وقد صار ترابًا، فدعاؤه إياه عبادةٌ صرفها له من دون اللَّه، لأن الدعاءَ مخُّ العبادة، فهذا شركٌ في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلبِ خيرٍ أو دفعِ ضرٍ أو ردِّ غائبٍ أو شفاءِ مريضٍ أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللَّه معتقدًا أنه قادرٌ على ذلك هذا شرك في الربوبية، حيث اعتقد أنه متصرفٌ مع اللَّه تعالى في ملكوته، ثم إنه لم يدْعُهُ هذا الدعاء إلا مع اعتقادِه أنه يسمعه على البعد والقرب، في أي وقتٍ كان، وفي أي مكانٍ، ويصرِّحون بذلك، وهذا شركٌ في الأسماء والصفات، حيث أثبت له سمعًا محيطًا بجميع المسموعات، لا يحجبه قربٌ ولا بُعْدٌ، فاستلزم هذا الشركُ في الإلهية الشركَ في الربوبية والأسماء والصفات.

الشِّرْكُ الأَكْبَرُ

١٠٢) وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بِـهِ خُـلُـودُ الـنَّـارِ إِذْ لَا يُـغْـفَـرُ

١٠٣) وَهْوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ ... نِـدًّا بِـهِ مُـسَـوِّيًـا مُـضَـاهِـي

(والشرك) الذي هو ضَدُّ التوحيد (نوعان) أي ينقسم إلى نوعين (فشركٌ أكبر) ينافي التوحيد بالكلية، ويَخرج صاحبُه من الإسلام (به خلود) فاعله

في (النار) أبدًا (إذ) تعليلٌ لأبدية الخلود، أي لكونه (لا يُغفر)، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

* فالشرك أعظمُ ذنبٍ عُصيَ اللَّه به، ولهذا أخبرنا - سبحانه - أنه لا يغفره، وأنه لا أضلَّ من فاعله، وأنه مخلدٌ في النار أبدًا، لا نصيرَ له ولا حميم، ولا شفيع يُطاع.

وفي الصحيح عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول اللَّه ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك باللَّه شيئًا دخل النار**»(١)، وفيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق**»(٢)، وفيه عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**» الحديث(٣)، وللترمذي - وقال: حسن صحيح - عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قال اللَّه تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني**

(١) صحيح مسلم برقم (٩٣).
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٩٤) واللفظ له.
(٣) سبق تخريجه قريبًا.

بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»[١].

* والمقصود: أن الشركَ أعظمُ ما نهى اللَّه عنه، كما أن التوحيد أعظمُ ما أمر اللَّه به، ولهذا كان أولُ دعوةِ الرُّسلِ كلِّهم إلى توحيد اللَّه ﷿ ونفي الشرك، ومن تتبع القرآن والسنة وتدبَّر نصوصَهما تبينُ له أنها لا تَخرج عن الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، وما يتعلق بذلك، ولم يخلق اللَّه الخلق إلا لذلك.

التَّعْرِيفُ بِالشِّرْكِ

(وهو) أي الشرك (اتِّخاذُ العبدِ غيرَ الله) من نبيٍ أو وليٍ أو مَلَكٍ أو قبر أو جنِّيٍ أو شَجَرٍ أو حَجر أو حيوانٍ أو نارٍ أو شمسٍ أو قمرٍ أو كوكب أو غير ذلك (نِدًّا) من دون اللَّه (مسويًا به) اللَّه، يحبه كحب اللَّه، ويخافه ويخشاه كخشية اللَّه، ويتبعه على غير مرضاة اللَّه، ويطيعه في معصية اللَّه، ويشركه في عبادة اللَّه (مضاهي) به اللَّه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وحكى عنهم في اختصامهم في النار: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦- ٩٨].

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٠)، الترغيب في فضائل الأعمال برقم (١٧٩)، والضياء في المختارة برقم (١٥٧١) وصححه، وصححه ابن القيم في هداية الحيارى ١ / ١٢٣، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٣٩١: وإسناده لا بأس به. وحسنه الألباني في الصحيحة حديث رقم ١٢٧. وقد وردت جملة الشاهد منه في مسلم برقم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «.. وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

* وقد أخبرنا اللَّه ﷻ أنهم لم يسووهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون لله تعالى بالربوبية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] ولكنهم سووهم باللَّه تعالى في حبهم إياهم وفي خوفهم منهم، وأشركوهم في عبادة اللَّه ولم يفردوا اللَّه بالعبادة دون من سواه، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالا بل زعموهم شفعاء لهم عند اللَّه ليقربوهم إلى اللَّه زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب مُلْكا للمخلوق ويطلبونه منه وأن له أن يشفع بدون إذن للَّه، ولهذا سمى اللَّه تعالى استشفاعهم ذلك شركا كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

* وأخبرنا اللَّه تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عُبَّادِ القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشِّدَةِ أضعافَ شِرْكهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولي في الرَّخاء ببعيرٍ أو تَبِيع أو شاةٍ أو دينارٍ أو درهمٍ أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضِعْفَ ذلك، فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك.

* وأيضًا فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية، وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وغلا بعضُهم حتى جعل منهم المتصرِّفَ في تدبير الكون على سبيل الاستقلال، ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرةٌ ولا تسكن إلا بإذن فلان !! تعالى اللَّه وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيرُه، أو يكون له شريكٌ في الملك أو وليٌ من الذُّل.

١٠٤) يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ

١٠٥) أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ

١٠٦) مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ

١٠٧) فِي الْغَيْبِ سُلْطَانًا بِهِ يَطَّلِعُ عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ

(يقصده) أي المتخذ ذلك النِّد من دون اللَّه، يقصد نِدَّهُ (عند نزول الضر) به من خيرٍ فاته أو شرٍ دَهَمَهُ (لجلبِ خيرٍ) له (أو لدفع الشر) عنه (أو عند) احتياج (أيِّ غرضٍ) من الأغراض، والحال أنه (لا يقدر عليه) أي على ذلك الغرض (إلا المالك المقتدر) وهو اللَّه ﷻ، (مع جعْله) أي العبد (لذلك المدعوِّ أو المعظَّمِ أو المرجوِّ) من مَلك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني (في الغيب سلطانًا) أي يعتقد أن له سلطانًا غيبيًا فوق طوقِ البشر (به يطلع) أي بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (على ضمير من إليه) إلى ذلك النِّدِّ (يفزع) في قضاء أي حاجة من شفاءِ مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه !!، ويرى مكانه!!، ويعلم حاجته !!ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع اللَّه !!.

* والمقصود: أنه يُثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة الربوبية، ويجعله مستحقًّا العبادةَ مع اللَّه، ومن هنا

يتبين لك ما قدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولابد.

ويتبينُ لك عِظَمُ ذَنَبِ الشركِ وأنه أقبح الذنوبِ وأظلمُ الظلمِ وأكبَرُ الكبائِرِ، وَأنَّ اللَّهَ تعالى لا يَغْفِرُهُ ولا يقبلُ لأحَدٍ معهُ عملًا وأنَّهُ لَا أشدَّ هلكةً منهُ، وما أرسلَ اللَّهُ الرسُلَ وأنزلَ الكتُبَ إلا بِالنِّذارةِ عن الشِّركِ والدَّعوةِ إلى التَّوحيدِ، وما هلكتِ الأُممُ الغابرةُ وأُعدَّتْ لهم النيرانُ فِي الآخرةِ إلا بِالشِّركِ والإبَاءِ عنِ التَّوحيدِ، ولا نجا الرُّسُلُ وَأتبَاعُهُمْ من خزيِ الدنيَا وعذابِ الآخرةِ إلا بالتزام التَّوحيدِ والبراءَةِ من الشِّركِ، فما هلكَ قومُ نُوحٍ بالطوفانِ ولا عادٌ بالريحِ العظيمِ ولا ثمودُ بالصَّيْحةِ ولا أَهلُ مدْينِ بِعذَابِ يومِ الظُّلَّةِ إلَّا بالشِّركِ وعبادةِ الأَصنامِ، وهكذا الأُممُ من بعدِهِمْ بأنواعِ العذابِ، ولم يَخرجْ عُصاةُ الْموحِّدينَ منَ النَّارِ في الآخرةِ إلَّا بالتَّوحيدِ ولمْ يُخَلَّدْ غيرُهمْ فيهَا أَبدًا مُؤبَّدًا إلا بالشِّركِ.

* ثم اعلم أن ما عُبد من دون اللَّه إما عاقلٌ أو غيرُ عاقلٍ:

١) فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن، وينقسمون إلى قسمين: راضٍ بالعبادة له، وغيرُ راضٍ بها، فالأول: كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم، والقسم الثاني: وهو من كان مطيعًا لله، وغيرَ راضٍ بالعبادة له من دون اللَّه كعيسى ومريم وعُزير والملائكة وغيرهم، فهم بُرآءُ ممن عبدَهم في الدنيا والآخرة.

٢) وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يَعقل فيشملها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا

خَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩] والله الأعلم.

الشِّرْكُ الأَصْغَرُ

١٠٨) وَالثَّانِ شِرِكٌ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّيَا فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا

(و) النوع (الثان) من نوعي الشرك (شركٌ أصغر) لا يُخرج من الملة، ولكنه يُنقص ثوابَ العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب (وهو الريا) اليسير في تحسين العمل (فسَّره به) أي فسَّرَ الشركَ الأصغر بالريا (ختامُ الأنبياء) محمد ﷺ في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء». وبذلك فُسِّر قول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟» قال: قلنا: بلى، قال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل» رواه أحمد، وفيه رواية: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه»(١)، وله عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يوم القيامة - إذا جزي الناس بأعمالهم - اذهبوا

---

(١) مسند أحمد برقم (١١٢٥٢)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٠٤)، ومستدرك الحاكم (٧٩٣٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٩٥، والكناني في مصباح الزجاجة ٤ / ٢٣٧، والألباني في صحيح الجامع حديث رقم: ٢٦٠٧.

إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدوهم عندهم جزاء»(١) ، ولأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «من يرائي يرائي اللَّه به ومن يسمع يسمع اللَّه به»(٢) .

الرِّيَاءُ والنِّفَاقُ

* ثم اعلم أن الرياء قد أُطلق في كتاب اللَّه كثيرًا ويُراد به النفاقُ الذي هو أعظمُ الكفر، وصاحبُه في الدَّرْكِ الأسفل من النار، والفرقُ بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركًا أصغر خفيًّا هو حديث الأعمال بالنيات وهو ما رواه الشيخان عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله فهجرته إلى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٣٦٣٠) وحسنه محققه الأرناؤوط، وصحح إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٩٣، والحافظ ابن حجر في بلوغ المرام برقم (١٤٨٤)، والرباعي في فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار (٤/ ٢١٠٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٣٤: ورواه أحمد بإسناد جيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٩٨: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وجود إسناده الشوكاني في قطر الولي ص٤٤٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٩٥١.

(٢) مسند أحمد برقم (١١٣٥٧)، وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٣٨١) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ من هذا الْوَجْهِ، وسنن ابن ماجه (٤٢٠٦)، وحسنه المناوي في التيسير (٢/ ٤٤٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٥/ ٣٨١، ولفظ الحديث في صحيح مسلم برقم (٢٩٨٧) من حديث جندب العلقي ﷺ.

فالنية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به:

* فإن كان الباعثُ على العملِ هو إرادةُ اللَّه والدارِ الآخرة، وسلم من الرياء في فعله، وكان موافقًا للشرع فذلك العمل الصالح المقبول.

* وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةُ غيرِ اللَّه ﷻ فذلك النفاق الأكبر، سواءٌ في ذلك من يريد به جاهًا ورئاسةً وطلبَ دنيًا، ومن يريد حقنَ دمهِ وعصمةَ مالهِ وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدُهما الآخرَ لا محالة.

* وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةُ اللَّه ﷻ والدارِ الآخرةِ ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبيُّ ﷺ الشركَ الأصغر، وفسَّره بالرياء العملي، وزاده إيضاحًا بقوله: «**يقومُ الرجل فيصلي فيزيِّنُ صلاتَه لما يرى من نظرِ رجلٍ إليه**»، وهذا لا يُخرج من الملة، ولكنه يُنقص من العمل بقدره، وقد يغلبُ على العمل فيحبطه كله، والعياذ باللَّه .

الحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ

١٠٩) وَمِنهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ البَاري كَمَا أَتَى في مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

أي ومن الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الملة (إقسامٌ) مصدرُ أَقْسَم أي الحلف (بغير الباري) كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك كما في الصحيح عن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «**ألا إن اللَّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلفْ باللَّه أو ليصمت**»، وفي رواية قال

عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا. متفق عليه[١]، وسمع ابنُ عمر رضي الله عنهما رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه[٢]، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من حلف بالأمانة»** رواه أبو داود[٣].

* وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»**[٤].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٧١، ٦٢٧٠)، وصحيح مسلم برقم (١٦٤٦).

(٢) مسند أحمد برقم (٦٠٧٢)، وسنن أبي داود برقم (٣٢٥١)، وسنن الترمذي (١٥٣٥)، مستدرك الحاكم برقم (٧٨١٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصحيح ابن حبان برقم (٤٣٥٨) وصححه محققه الأرناؤوط، وصححه ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٩٢)، والوابل الصيب (ص: ١٤١)، وابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٤٥٨)، والألباني في تحقيقه لأبي داود والترمذي بنفس ترقيمهما.

(٣) مسند أحمد برقم (٢٢٩٨٠)، وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٣٢٥٣)، ومستدرك الحاكم برقم (٧٨١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٥٩، والنووي في رياض الصالحين١/ ٢٢١٢، والألباني في تحقيقه لأبي داود، وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٩/ ١٢٦: وَحَدِيثُ بُرَيْدَةَ سَكَتَ عنه أبو دَاوُد وَالْمُنْذِرِيُّ وَرِجَالُ إسْنَادِهِ ثِقَاتٌ.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٧٥٦)، وصحيح مسلم برقم (١٦٤٧).

* ومن الشرك الأصغر قول: ما شاء اللَّه وشئت كما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء اللَّه وشئتَ، فقال: «أجعلتني لله ندًّا ما شاء اللَّه وحده»[1].

* والفرق بين الواو وثمَّ: أنه إذا عَطف بالواو كان مضاهيًا مشيئةَ اللَّه بمشيئةِ العبد إذ قَرَنَ بينهما، وإذا عطف بثُم فقد جعل مشيئةَ العبد تابعةً لمشيئة اللَّه عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

* ومثله قول: لولا اللَّه وفلان، هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول لولا اللَّه ثم فلان ذكره إبراهيم النخعي، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللَّه عز وجل ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: واللَّه وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللَّه وشئت، وقول الرجل: لولا اللَّه وفلان، لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك[2].

---

(١) مسند أحمد برقم (١٨٣٩) وصححه محققه الأرناؤوط، السنن الكبرى للنسائي برقم (١٠٧٥٩)، وصححه ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٣٤٤، والألباني في تخريج الظلال ١/ ١١، وحسن إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٨٣٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم برقم (٢٢٩)، وجود إسناده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما في تيسير العزيز الحميد.

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ أُمُورٍ يَفْعَلُهَا الْعَامَّةُ مِنْهَا مَا هُوَ شِرْكٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَبَيَانِ الْمَشْرُوعِ مِنَ الرُّقَى والمَمْنُوعِ مِنْهَا وَهَلْ تَجُوزُ التَّمَائِمُ

١١٠) وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ

١١١) أَوْ خَيْطٍ اوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ

١١٢) لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ ... وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ

* هذه الأمور غالبُها من الشرك الأصغر لكن إذا اعتمد العبدُ عليها بحيث يثقُ بها ويضيف النفعَ والضَّرَ إليها كان ذلك شركًا أكبر والعياذ بالله، لأنه حينئذٍ صار متوكلًا على سوى الله ملتجئًا إلى غيره.

(ومن يثقْ) هذا الشرط جوابُه (وَكَلَه) الآتي (بودْعَةٍ) قال في النهاية: هو شيءٌ أبيض يُجلب من البحر يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وإنما نُهي عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافةَ العين، (أو ناب) كما يفعله كثيرٌ من العامة يأخذون ناب الضَّبع ويعلقونه من العين (أو حلقة) وكثيرًا ما يعلقونها من العين، ويعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد (أو أعين الذئاب) وكثيرًا ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرُّ منها (أو خيط) وكثيرًا ما يعلقونه على المحموم ويعقدون فيه عُقَدًا، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه (أو عضو من النسور) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزًا، ويعلقونها على الصبيان، يزعمون أنها تدفع العين (أو وَتَرٍ) وكانوا في الجاهلية إذا عَتَقَ وترُ القوس أخذوه وعلَّقوه -يزعمون عن العين- على الصبيان والدواب (أو تربة القبور) وما أكثر ما يُستشفى بها لا شفاهم الله، فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلدَه، ومنهم من يتمرَّغُ على القبر تَمَرُّغَ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع

الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك، وهذا كلُّه ناشئٌ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عَدَّوْا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته!!، فزعموا أن فيها شفاءً وبركةً لدفنه فيها، هذا وغيره من تلاعبِ الشيطان بأهل هذه العصور زيادةً على ما تلاعبَ بمن قبلهم نسأل اللَّه العافية.

(**لأي أمر كائن تعلَّقه**) الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره (**وَكَلَهُ الله**) أي تركه (**إلى ما عَلَّقَه**) دعاءٌ عليه: أي لا حفظه اللَّه، ولا كلأه، بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون اللَّه ﷻ، ولأحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يديه حلْقة من صُفْرٍ فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[(١)(٢)]، ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحُمَّى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٠٠٠٠)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٥٣١)، ومستدرك الحاكم برقم (٧٥٠٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الكناني في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٤/ ٧٧، وقال في كنز العمال ١٠/ ٤٦: رواه ابن جرير وصححه، وقال الشقيري في السنن والمبتدعات ٣٠١: رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

(٢) قال ابن مفلح الآداب الشرعية ٣/ ٦٣: وبإسناده - أي وكيع - عن حذيفة أنه دخل على رجل مريض يعوده، فلمس عضده فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رُقي لي فيه. فقطعه، وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك، وهو في المصنف لابن أبي شيبة. برقم (٢٣٩٢٩).

أنه كان مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا: «**أن لا يبقينَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وتر، أو قلادةٌ إلا قُطعت**»[١].

وعن رويفع رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا رويفعُ لعلَّ الحياةَ تطولُ بك، فأخبر الناسَ أن مَن عَقَدَ لحيته، أو تقلَّدَ وَتَرًا، أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظمٍ، فإن محمدًا بريءٌ منه**» رواه أحمد[٢]، وله عن عبد اللَّه بن عُكيم مرفوعًا: «**من علَّق شيئًا وُكِلَ إليه**» ورواه الترمذي[٣]، وعن زينب امرأةِ عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبد اللَّه إذا جاء من حاجةٍ فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهةَ أن يهجم منَّا على أمرٍ يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوزٌ ترقيني من الحُمرة فأدخلتُها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلتُ: خيطٌ رُقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد اللَّه لأغنياءُ عن الشرك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شركٌ**»، قالت: قلتُ له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تَقْذِف فكنت أختلفُ إلى فلان اليهودي يرقيها فكان إذا رقاها سَكَنَتْ؟!

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١١٥)..

(٢) مسند أحمد برقم (١٦٩٩٥)، وسنن أبي داود برقم (٣٦)، وسنن النسائي برقم (٥٠٦٧)، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ١٤١: ومتن هذا الحديث صحيح، وجوَّد إسناده ابن الملقن في البدر المنير ٢/ ٣٤٨، والنووي في المجموع ١/ ٣٤٨، وصححه الألباني في تحقيقه لأبي داود بنفس الترقيم وغيره.

(٣) مسند أحمد برقم (١٨٧٨١) وحسنه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٠٧٢)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٩٦٠)، وحسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥٦).

فقال: إنما ذاك من الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «**أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادرُ سقمًا**» رواه أحمد[1].

* قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه اللَّه تعالى- في كتاب التوحيد: الرُّقى هي التي تُسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول اللَّه ﷺ من العين والحُمَة، والتمائم: شيء يعلقونه على الأولاد عن العين، والتِّولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبِّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته[2] اهـ.

وقوله في الرقى: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك الخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

الكَلَامُ عَنِ الرُّقَى

١١٣) ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ ... فَإِنْ تكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ

١١٤) فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وشِرْعَتِهْ ... وَذَاكَ لَا اخْتِلافَ فِي سُنِّيَّتِهْ

(ثم الرقى) إذا فُعلت (من حُمَةٍ) وهي تُطلق على لدْغِ ذات السُّموم

(١) مسند أحمد (٣٦١٥) وصححه محققه الأرناؤوط، سنن أبي داود برقم (٣٨٨٣)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٥٣٠)، والبيهقي في الكبرى ٩/ ٣٤٩، مستدرك الحاكم برقم (٧٥٠٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه ووافقه الذهبي، وصححه لشواهده ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٦٥، والألباني في تخريج الظلال ١/ ٥١٦.

(٢) قال البغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٨): وَالتِّوَلَةُ: ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ. قَالَ الأَصْمَعِيُّ: وَهُوَ الَّذِي يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَهُوَ بِكَسْرِ التَّاءِ.

كالحيَّة والعقرب وغيرها (أو عين) وهي من الإنس كالنَّفْس من الجن، وهي حقٌ ولها تأثيرٌ، لكن لا تأثير لها إلا بإذن اللَّه ﷻ، وقال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] الآية فسَّره بإصابة العين ابنُ عباس ومجاهد وغيرهما، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**العين حقٌّ، ولو كان شيء سابقَ القدرِ سبقت العين، وإذا استُغسِلتم فاغسلوا**»[١]، وغيره من الأحاديث المصرِّحة بأن العينَ حقٌّ.

(فإن تكن) أي الرُّقَى **(من خالص الوحيين)** الكتاب والسنة، والمعنى من الوحي الخالص بأن لا يَدخل فيه غيرُه من شعوذة المشعبذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها، والأحاديث كما رُويت، وعلى ما تُلقيَت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز **(فذاك)** أي الرقى من الكتاب والسنة هو **(من هدي النبي)** ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان **(و)** من **(شرعته)** التي جاء بها مؤديًا عن اللَّه ﷻ **(وذاك لا اختلاف في سُنِّيَتِه)** بين أهل العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره، فرقاه جبريل ﵇، ورقى هو ﷺ أصحابه، وأمر بها، وأقرَّ عليها، ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وباللَّه التوفيق.

قال البخاري -رحمه اللَّه تعالى-: باب الرقى بفاتحة الكتاب، ويُذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حيٍّ من أحياء العرب فلم يُقْرُوهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيدُ أولئك، فقالوا: هل معكم من دواءٍ أو راقٍ؟ فقالوا:

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٨٨).

إنكم لم تُقْرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأمِّ القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك، وقال: «**وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم**»[1]، ثم قال رحمه الله: باب رقية العين، وذكر حديث عائشة ﵂ قالت: أمرني رسول اللَّه ﷺ أو أمر أن استرقي من العين[2]. وحديث عائشة ﵂: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى، ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب الباس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا**»[3]، وعن أنس ﵁ قال: رخص رسول اللَّه ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة. رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه[4]. قال أبو البركات ابن تيمية: النملةُ قروحٌ تخرجُ في الجنبِ. وعن عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول اللَّه كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**» رواه مسلم وأبو داود[5]، ولمسلم عن أبي سعيد الخدري أن جبريل ﵇ أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: «**نعم**»، قال: بسم اللَّه أرقيك، من كل شيء

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٤٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٤٠٦)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٤١١)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩١).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢١٩٦)، وسنن الترمذي برقم (٢٠٥٦)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٥١٦).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٨٨٦).

يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ اللَّه يشفيك(١).

١١٥) أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي   فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
١١٦) وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهْ   شِرْكٌ بِلا مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّهْ
١١٧) إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لا يَدْرِي   لَعَلَّهُ يَكُونُ مَحْضَ الْكُفْرِ
١١٨) أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ   عَلَى الْعَوامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ
١١٩) فَحَذَرًا ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ   لا تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ

أي (**أما الرقى**) التي ليست بعربيةِ الألفاظ ولا مفهومةِ المعاني ولا مشهورةٍ ولا مأثورةٍ في الشرع البتة فليست من اللَّه في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظلٍ ولا فيء، بل هي وسواسٌ من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وعليه يُحمل قولُ النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «**إن الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك**»(٢).

* ولَعَمْرُ اللَّه لقد انْهَمَكَ غالبُ الناس في هذه البلوى غايةَ الإنهماك!! واستعملوه على أضربٍ كثيرةٍ وأنواعٍ مختلفة، منها أنهم يكتبون رموزًا من الأعداد العربية يزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب، وغير ذلك من الخرافات الباطلة والأكاذيب المفتعلة المختلقة، وغالبُها مأخوذٌ من الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٨٦).
(٢) سبق تخريجه قريبًا.

* فتَحَصَّل من هذا أن الرقى لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رقيةً شرعيةً، وإن اختلَّ منها شيءٌ كان بضدِّ ذلك:

١) الأول: أن تكون من الكتاب والسنة، فلا تجوز من غيرهما.

٢) الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية، محفوظةٌ ألفاظها، مفهومةٌ معانيها، فلا يجوز تغييرُها إلى لسان آخر.

٣) الثالث: أن يعتقد أنها سببٌ من الأسباب، لا تأثيرَ لها إلا بإذن اللَّه ﷻ، فلا يَعتقدُ النَّفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب، واللَّه هو المسبِّبُ إذا شاء.

التَّمَائِمُ وَالحُجُبُ

١٢٠) وفي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ إن تَكُ آياتٍ مُبَيِّنَاتِ
١٢١) فَالاخْتِلَافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ فَبَعْضُهُمْ أجَازَها والْبَعْضُ كَفْ

(وفي التمائم المعلَّقات) أي التي تُعلَّق على الصبيان والدواب ونحوها (إن تكُ) هي أي التمائم (آياتٍ) قرآنيةٍ (مبينات) وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات (فالاختلاف) في جوازها (واقع بين السلف) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (فبعضهم) أي بعض السلف (أجازها) يُروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف (والبعض) منهم (كفَّ) أي منع ذلك، وكرهه، ولم يره جائزًا، منهم عبدُ اللَّه بن عُكيم، وعبدُ اللَّه بن عمرو، وعقبةُ بن عامر، وعبد اللَّه بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمةَ ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم -رحمهم اللَّه تعالى-.

* ولا شكَّ أن منعَ ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثرُ الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمانُ في قلوبهم أكبرُ من الجبال فلأن يُكره في وقتنا هذا - وقت الفتن والمحن - أولى وأجدرُ بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرُّخص إلى محضِ المحرمات، وجعلوها حيلةً ووسيلةً إليها، فمن ذلك:

١) أنهم يكتبون في التعاويذ آيةً أو سورةً أو بسملةً أو نحو ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطَّلع على كتبهم.

٢) ومنها: أنهم يصرفون قلوبَ العامة عن التوكل على اللَّه ﷻ، إلى أن تتعلَّق قلوبُهم بما كتبوه، بل أكثرهم يُرْجِفُون بهم ولم يكن قد أصابهم شيءٌ.

٣) ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئًا من القرآن، ويتعلقه على غير طهارة، ويُحدث الحدثَ الأصغر والأكبر وهو معه أبدًا، لا يقدِّسه عن شيءٍ من الأشياء.

* واللَّه ما نزَّل القرآنَ إلا لتلاوتِه، والعملِ به، وتصديقِ خبره، والاتِّعاظِ بقصصه، والإيمانِ به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطَّلوا ذلك كلَّه، ونبذوه وراءَ ظهورهم، ولم يحفظوا إلا رسمه، كي يتأكَّلوا به ويكتسبوا، كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال.

١٢٢) وإنْ تَكُنْ مِمَّا سوَى الوَحْيَيْنِ فـإنَّـهَـا شِـرْكٌ بِـغَـيْـرِ مَـيْـنِ
١٢٣) بَـلْ إنَّـهَـا قَـسِـيـمَـةُ الأزْلَامِ في الْبُعدِ عَن سِيمَا أُولِي الإِسْلَامِ

(وإن تكن) أي التمائم (مما سوى الوحيين) بل من طلاسم اليهود

وعُبَّاد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم، أو من الخرز أو الأوتار أو الحِلَق من الحديد وغيره (**فإنها شركٌ**) أي تعلقها شرك (**بدون مين**) أي شك، إذ ليست من الأسباب المباحة، والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقادًا محضًا أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها، لخصوصية زعموا فيها، كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم (**بل إنها قسيمةُ**) أي شبيهة (**الأزلام**) التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم، ويستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا، وهي ثلاثة قداح: مكتوبٌ على أحدِها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث غُفْلٌ، فإن خرج في يده الذي فيه: افعل مضى لأمره، أو الذي فيه: لا تفعل ترك ذلك، أو الغفل أعاد استقسامه، وقد أبدلنا اللَّه تعالى- وله الحمد - خيرًا من ذلك صلاة الاستخارة ودعاءَها.

* والمقصود أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكةٌ للأزلام، وشبيهةٌ بها من حيث الاعتقاد الفاسد، والمخالفة للشرع (**في البعد عن سيما أولي الإسلام**) أي عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعدِ ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظمُ من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجلُّ شأنًا وأقوى يقينًا من أن يتوكلوا على غير اللَّه، أو يثقوا بغيره وباللَّه التوفيق.

فَصْلٌ: مِنَ الشِّرْكِ: فِعْلُ مَنْ يَتَبَرَّكُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ بُقْعَةٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ نَحْوِهَا، يَتَّخِذُ ذَلِكَ المَكَانِ عِيدًا. وَبَيَانُ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى: (سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشِرْكِيَّةٍ)

١٢٤- هَذَا ومِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ ... مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ

١٢٥- مَا يَقْصِدُ الجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا ... لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ بِأَنْ يُعَظَّمَا

١٢٦- كَمَنْ يَلُذْ بِبقعَةٍ أَوْ حَجَرِ ... أَوْ قَبْرِ مَيْتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ

١٢٧- مُتَّخِذًا لِذَلِكَ المَكَانِ ... عِيدًا كَفِعْلِ عَابِدِي الأَوْثَانِ

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم (ومن أعمال أهل الشرك) التي لا يفعلها غيرهم، ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفة (ما) أي الذي (لم يأذن الله) ﷻ في كتابه ولا سنة نبيه (بأن يعظَّما) بألف الإطلاق، وأنَّ ومدخولُها في تأويل مصدر، أي لم يأذن اللَّه بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه مَنْ لم يفرقْ بين حقِّ اللَّه تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم (كمن يَلُذْ ببُقْعَةٍ) أي يعوذ بها، ويختلف إليها، ويتبرَّك بها، ولو بعبادةِ اللَّه تعالى عندها، وتقييد ذلك بـ(ما لم يأذن الله) يَخرج به ما أذن اللَّه تعالى بتعظيمه، كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه، وتعظيم شعائر اللَّه من المشاعر والمواقف وغيرها، فإن ذلك تعظيم لله ﷻ الذي أمر بذلك، لا لتلك البقعة ذاتها، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لما استلم الحجر الأسود -: أما واللَّه إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُ ولا تنفعُ، ولولا أني رأيت رسولَ اللَّه ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُك[1].

---

(١) الأثر متفق عليه: صحيح البخاري برقم (١٥٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١٢٧٠).

* واللهُ تعالى قد أمر بتعظيم الرسل بأن يُطاعوا فلا يُعصوا، ويُحبُّوا ويتبعوا، فهذا تعظيمٌ لا يتم الإيمان باللَّه إلا به، إذ هو عينُ تعظيم اللَّه تعالى، فإنهم إنما عُظِّموا لأجل عظمةِ المرسِل ﷻ، فلو أن أحدًا عظَّم رسولًا من الرسل بما لم يأذن اللَّه به، ورفعَهُ فوق منزلته التي أنزله اللَّه ﷻ، وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئًا من الإلهية لانعكس الأمر، وصارَ عينَ التَنَقُّص والاستهانة باللَّه وبرسله **(أو حَجَرٍ أو قبر ميْتٍ أو ببعض الشَّجرِ)** أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة اللَّه عندها فإن ذلك ذريعةٌ إلى عبادتها ذاتها، كما فعل إبليس - لعنه اللَّه - بقوم نوح **(متَّخِذًا لذلك المكان)** من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها **(عيدًا)** أي ينتابها ويعتاد الاختلاف إليها **(كفعل عابدي الأوثان)** في تعظيمهم أوثانهم واعتيادهم إليها.

* ولهذا سمَّى النبيُّ ﷺ العكوفَ على الأشجار وتعليقَ الأسلحة بها على جهة التَّعظيم تألُّهًا، كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى حنينٍ، ونحن حدثاءُ عَهْدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول اللَّه اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«اللَّه أكبر، إنها السُّنَنُ، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من قبلكم»**[1].

---

(١) مسند أحمد (٢١٨٩٧) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن الترمذي (٢١٨٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١١١٢١)، ومسند=

* ولقد عمَّت البلوى بذلك وطمَّتْ في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لاسيما زماننا هذا، ما من قبرٍ ولا بقعةٍ يُذكر لها شيءٌ من الفضائل - ولو كذبًا - إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها، والتَّبرك بها، حتى جعلوا لها أوقاتًا معلومةً يفوت عيدُهم بفواتها، ويَرون من أعظم الخسارات أن يفوِّت الرجل ذلك العيدَ المعلوم[1].

زِيَارَةُ القُبُورِ

١٢٨) ثُـمَّ الـزِّيـارَةُ عَـلَـى أَقْـسَـامِ ... ثَـلاثَـةٍ يَـا أُمَّـةَ الإِسْـلامِ
١٢٩) فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فيمَا أضْمَرَهْ ... فـي نَـفْـسِـهِ تَـذْكِـرَةً بـالآخِـرَهْ
١٣٠) ثُـمَّ الـدُّعَـا لَـهُ ولِـلأَمْـوَاتِ ... بِـالـعَـفْـوِ والـصَّـفْـحِ عَـنِ الـزَّلَّاتِ
١٣١) وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَها ... وَلَـمْ يـقُـلْ هُـجْـرًا كَـقَـوْلِ الـسُّـفَـهَـا
١٣٢) فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ ... في السُّنَنِ المُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ

(ثم الزيارةُ) أي زيارة القبور تأتي (على أقسام ثلاثة) زيارةٌ سنيةٌ وزيارةٌ بدعيةٌ وزيارةٌ شركيةٌ فتفهموها (يا أولي الإسلام) والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرمًا من الشركية، ثم هي بعد ذلك

= الطيالسي برقم (١٤٤٣)، وحكم ابن القيم بثبوته في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٠)، وصححه الألباني في الترمذي بنفس الترقيم.

(١) قال الإمام أبو بكر الطرطوشي المالكي رحمه الله - في الحوادث والبدع ص١٠٥-: (فانظروا - يرحمكم الله - أينما وجدتم سدرةً أو شجرةً يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قِبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها).

(فإن نوى الزائر) للقبور (فيما أَضْمَرَه في نفسه) أي كانت نيَّتُه بتلك الزيارة (تذكرةً بالآخرة) أي ليتَّعَظَ بأهل القبور، ويعتبر بمصارعهم، وليعلم الواقفُ عليهم الناظرُ إليهم أنه بهم ملتحقٌ، فليتأهبْ لذلك وليتُبْ إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شرِ كلِّ ما هنالك (ثم) قصد أيضًا (الدُّعا) أي دعاء اللَّه ﷻ (له) أي لنفسه (وللأموات) من المسلمين (بالعفو) من اللَّه ﷻ (والصَّفحِ عن الزلات) وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك (و) مع ذلك (لم يكنْ شَدَّ الرِّحالَ نحوها) الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[1]، (ولم يقل هُجْرًا) أي محظورًا شرعًا (كقول) بعض (السُّفها) لما في السنن من حديث بريدة، قال فيه النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هُجْرًا»[2] (فتلك) الإشارةُ إلى النوع المذكور من الزيارة (سنةٌ) طريقة نبوية (أتت صريحة) أي واضحةً ظاهرةً (في السنن)

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٨٩) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٨٢٧) بلفظ النهي: (لا تشدوا..)، وهو في صحيح مسلم بلفظ البخاري (١٣٩٧) لكن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مسند أحمد برقم (٢٣٠٥٢)، وسنن النسائي برقم (٢٠٣٣)، والمعجم الأوسط للطبراني برقم (٢٩٦٦)، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن النسائي، وأصله في مسلم برقم (٩٧٧) بدون آخره، قال ابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٢١٤): وَهَذَا الْحَدِيثُ يَتَّصِلُ مِنْ غَيْرِ حَدِيثِ رَبِيعَةَ وَيَسْتَنِدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طُرُقٍ حِسَانٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وبريدة الأسلمي وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

أي الأحاديث (المثْبَتَةِ) في دواوين الإسلام (الصحيحة) سندًا ومتنًا، منها حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فقد أُذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة» رواه الترمذي وصححه[(١)]، وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا - إن شاء الله - بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» رواه أحمد ومسلم وابن ماجه، زاد مسلم في رواية: «يرحم الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخرين»[(٢)]، وكذلك الأحاديث في خروجه ﷺ إلى بقيع الغرقد كثيرًا يدعو لهم ويترحم عليهم.

* وكان الصحابة إذا أتوا قبرَه ﷺ صلَّوا وسلَّموا عليه فحسب، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، لم يُذكر عنهم في زيارة القبور غيرُ العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة، لم يعدِلوا عنها، ولم يستبدلوا بها غيرها، بل وقفوا عندها، فهذه الزيارة الشرعية المستفادة من الأحاديث النبوية، وعليها دَرَجَ الصحابةُ والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التَّذكرُ بالقبور، والاعتبارُ بأهلها، والدعاءُ لهم، والتَّرحمُ عليهم، وسؤالُ

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٥٤) وقال: حديث بريدة حديثٌ حسنٌ صحيح، وسنن النسائي (٢٠٣٣)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: ٤٣٧٩.

(٢) مسند أحمد برقم (٢٢٩٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٩٧٥)، وسنن ابن ماجه برقم (١٥٤٧)، وسنن النسائي برقم (٢٠٤٠).

اللهِ العفوَ عنهم، فمن ادَّعى غير هذا طُولب بالبرهان، وأنَّى له ذلك، ومن أين يطلبه؟! بل كَذَبَ وافترى، وقَفَا ما ليس له به علم، بلى إن العلوم الشرعية دالةٌ على ضلالِه وجهلِه.

١٣٣) أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلَا بِهِمْ إلى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا

١٣٤) فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلَالَهْ بَعِيْدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ

(أو قَصَدَ الدُّعاء) من الصلاة وغيرها، أو الاعتكاف عند قبورهم، أو نحو ذلك (والتَّوسلا) بألف الإطلاق (بهم) أي بأهل القبور (إلى الرحمن جل وعلا) عما ائْتَفَكَهُ أهلُ الزيغ والضلال (فبدعةٌ محدثةٌ) لم يأذن اللَّه تعالى بها (ضلالةٌ) كما قال ﷺ: «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1]، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وقال ﷺ - في رواية -: «من عمل عملًا ليس من أمرنا فهو رد»[2]، وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[3]، وغير ذلك.

* فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاهِ فلانٍ وهو ميتٌ أو غائبٌ - وإن كان يَرى أنه لم يدْعُ إلا اللَّه، ولم يَعبدْ سواه - فهو قد عَبَدَ اللهَ بغير ما شَرع، ودعا اللَّه بغير ما أمره أن يدعوَهُ به، فإن اللَّه تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يشرعْ لنا أن ندعوَه بشيء من خلقه البتَّة، بل قد نهانا

---

(١) سيأتي تخريجه في آخر الكتاب - بمشيئة اللَّه تعالى -.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه في آخر الكتاب - بمشيئة اللَّه تعالى -.

رسولُ اللَّه ﷺ عن أن نُقْسِمَ بشيء من المخلوقات مطلقًا، فكيف بالإقسام بها على اللَّه ﷻ؟!.

* وكان أفضلُ القرون يسألون اللَّه ﷻ ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا اللَّه ﷻ لهم ولهم، وتوسُّلُهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائزٌ في كلِّ زمان ومكان، كما ثَبَتَ عن النبي ﷺ، ودَرَجَ عليه السلفُ الصالح - رحمهم اللَّه تعالى-.

* ولم يعرفْ هذا عن أحدٍ من الصحابةِ ولا التابعين لهم بإحسان أنه فَعَل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا بغيره من الأنبياء، ولا بأحدٍ من أفاضل الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرقٌ بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عامٌ عند القبر وغيره.

* وأما عبادةُ اللَّه عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشدُّ وأغلظُ، لأنه ذريعةٌ مفضيةٌ إلى عبادة المقبور نفسِه، كما قدَّمنا عن قوم نوح من استدراجِ الشيطان لهم، وكذلك فَعَل بغالب هذه الأمة والعياذ باللَّه، لذلك نهى النبُّي ﷺ أن يُصلى على القبور أو إليها، وغلَّظ في ذلك، ودعا على فاعله باللعنة، وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريبًا - إن شاء اللَّه تعالى-.

١٣٥) وإنْ دَعَا الْمَقبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيْمِ وَجَحَدْ
١٣٦) لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ صَرْفًا وَلا عَدْلًا فَيَعْفُو عَنْهُ
١٣٧) إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشَكُ الغُفْرَانِ إِلَّا اتِّخَاذَ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ

(وإنْ دعا) الزائرُ (المقبور نفسَه) من دون اللَّه ﷻ وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ من جلب خيرٍ أو دفعِ ضرٍ أو شفاءِ مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو نحو ذلك من قضاء الحوائج (فقد أَشْرَكَ) في فعله ذلك (باللَّه العظيم) المتعالي عن الأضداد والأنداد والكفؤ والولي والشفيع بدون إذنه، (وجحد) حق اللَّه ﷻ على عباده، وهو إفرادُه بالتوحيد وعبادتُه وحده لا شريك له، ونفيُ ضدٍّ ذلك عنه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

(لن يقبل اللَّه تعالى منه) أي من ذلك الداعي مع اللَّه غيرَه المتَّخِذِ من دونه أولياء (صرفًا) أي نافلة (ولا عَدلًا) أي ولا فريضةً (فيعفو عنه) في ذلك، لأن الكافرَ عملُه كلا شيء، قال تعالى - لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام -: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال لسَيِّدِهم وخاتمهم وأكرمهم على ربِّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

(إذ) حرفُ تعليل (كلُّ ذنب) لقيَ العبدُ ربَّه به (موشكُ الغفران) أي يُرجى ويُؤمل أن يُغفر ويُعفى عنه (إلا اتِّخاذَ النِّدِّ للرحمن) فإن ذلك لا يغفر، ولا يَخرج صاحبه من النار، ولا يجدُ ريحَ الجنة، قال اللَّه

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقد قدَّمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفايةٌ في الدلالة على ما وراءه ولله الحمد والمنة.

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ مَا وَقَعَ فِيهِ العَامَّةُ الْيَوْمَ مِمَّا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ الْقُبُورِ وَمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الشِّرْكِ الصَّرِيحِ وَالْغُلُوِّ الْمُفْرِطِ فِي الأَمْوَاتِ

١٣٨) ومَنْ عَلَى القَبْرِ سِرَاجًا أَوْقَدَا ... أَوِ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدَا

١٣٩) فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارَا ... لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنَّصَارَى

(ومَن على القبر) متعلقٌ بأوقدَ (سراجًا) مفعول (أوقدا) بألف الإطلاق، والمعنى: ومن أوقد سراجًا على القبر (أو ابْتَنى) بمعنى بنى، وزِيدت التَّاءُ فيه لمعنى الاتخاذ (على الضَّريح) أي على القبر، واشتقاقه من الضَّرْحِ الذي هو الشَّق (مسجدًا) أو اتخذ القبرَ نفسَه مسجدًا ولو لم يَبْنِ عليه (فإنه) أي فاعلُ ذلك (مجددٌ) بفعلِهِ ذلك (جهارًا) أي تجديدًا واضحًا مجاهرًا به اللهَ ورسولَه وأولياءه (لسنن) أي لطرائق (اليهود والنصارى) في اتِّخاذهم قبورَ أنبيائهم مساجدَ، ويعكفون عليها، وأعيادًا لهم ينتابونها، ويترددون إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول اللّه اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه(١).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٩).

* وقد وقع الأمر والله كما أخبر ﷺ به فالله المستعان.

١٤٠) كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ
١٤١) بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ
١٤٢) وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

(كم) خبريةٌ للتكثير (حذَّر المختارُ) نبيُّنا محمدٌ ﷺ (عن ذا) الفعل من اتِّخاذِ القبور مساجدَ وأعيادًا، والبناءِ عليها، وإيقادِ السُّرُجِ عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أمَّ سلَمَةَ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالحُ أو الرجلُ الصالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شِرارُ الخلقِ عند الله**»[1]، وفيه عنها هي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه فقال - وهو كذلك -: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا[2]، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[3]، وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**» رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه[4]، وعن جندب

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٢٨).
(٢) صحيح البخاري برقم (٥٤٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٥٣٠).
(٤) صحيح مسلم برقم (٩٧٢).

ابن عبد اللَّه البَجَلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ -قبل أن يموت بخمس- وهو يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**» رواه مسلم[1]، وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُجصَّصَ القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه. رواه أحمد ومسلم والثلاثة[2] وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تُجصَّصَ القبورُ، وأن يُكتب عليها، وأن يُبنى عليها، وأن توطأ[3]، وفي لفظ النسائي: نهى أن يُبنى على القبر، أو يُزاد عليه، أو يجصص، أو يكتب عليه[4]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول اللَّه ﷺ زائراتِ القبور، والمتَّخذين عليها المساجد والسرج وراه أهل السنن[5]، ولأحمدَ -بسند جيِّدٍ- عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ من شرارِ الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**» رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه[6]، وقال سعيد بن منصور في سننه:

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩٧٠).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٠٥٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ٣٢٠)، الألباني في تحقيقه للترمذي بنفس الترقيم.

(٤) سنن النسائي برقم (٢٠٢٧)، وصححه الألباني في تحقيقه لها بنفس الترقيم.

(٥) مسند أحمد برقم (٢٠٣٠) وحسنه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٣٢٣٦)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٠) وحسنه، وسنن النسائي برقم (٢٠٤٣)، قال البغوي في شرح السنة (٢/ ٤١٧): حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ صَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٧٤٠).

(٦) مسند أحمد برقم (٣٨٤٤) وحسنه محققه الأرناؤوط، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٠٤١٣)، وصحيح ابن خزيمة برقم (٧٨٩)، وحسنه محققه الأعظمي، وصححه=

حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة ﷺ يتعشى - فقال: هلمَّ إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلَّمتُ على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلتَ المسجدَ فسلِّم، ثم قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلُّوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، لعن اللَّه اليهود والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء[1] وروى مالك في الموطأ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضبُ اللَّه على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»[2]، وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

= شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح العمدة ٤/ ٤٢٧، وجوَّده في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٣٠، وتبعه الشنقيطي في الأضواء ٢/ ٢٩٦، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٧، وقال الذهبي في السير ٩/ ٤٠١: (هذا حديث حسن قوي الإسناد)، وصححه الألباني في تحذير الساجد ٢٣.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني برقم (٤٨٣٩)، ومصنف ابن أبي شيبة برقم (١١٨١٨)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٢٧٢٩)، والمختارة للضياء المقدسي برقم (٤٢٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط ١/ ٣٢٢: رواه أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه، وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ١/ ٢٦٢ (وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي ﷺ بأسانيد معروفة)، وقواه الألباني في أحكام الجنائز ١/ ٢٢٠.

(٢) قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢/ ٣٥٩: (وقد أتينا به متصلا مسندا في التمهيد) وقال في شرح كتاب التوحيد ١/ ٢٩٤ (فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند). =

(بل قد نهى) النبي ﷺ (عن ارتفاع القبر) بالبناء أو نحوه كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناء عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها (وأن يُزاد فيه فوقَ الشِّبر) كما في السنن عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُبنى على القبر، أو يُزاد عليه، أو يُجصص[1] (وكلُّ قبرٍ مشرفٍ) يعني مرتفع (فقد أَمَر) النبيُّ ﷺ (بأن يُسَوَّى) بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تجاوز الشرع في ارتفاعها (هكذا صَحَّ الخبر) وهو ما رواه مسلم عن ثُمامة ابن شُفَيٍّ قال: كنَّا مع فَضَالةَ بنِ عبيد بأرض الروم بِرُودِس، فتُوفيَ صاحبٌ لنا فأَمَرَ فضالةُ بنُ عبيد بقبره فَسُوِيَ، ثم قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يأمر بتسويتها[2]. وله عن أبي الهيَّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ: «ألا تَدَعَ تمثالًا إلا طَمَسْتَه، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلا سوَّيْتَه»[3].

١٤٣) وحَــذَّرَ الأُمَّــةَ عَــنْ إطْـرَائِــهِ فَـغَـرَّهُـمْ إبْـلِـيسُ بـاسْـتِـجْـرَائِـهِ

١٤٤) فَـخَـالَـفـوهُ جَـهْـرَةً وارْتَـكَـبُـوا ما قَـدْ نَـهَـى عَـنْـهُ ولَـمْ يَـجْـتَـنِـبُـوا

(وحذَّر) النبي ﷺ (الأمةَ عن إطرائه) أي الغلو فيه كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارى ابنَ مريم،

= وحكم بثبوته شيخ الإسلام ابن تيمية في جامع المسائل (٣/ ١٠٤)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٧٥٠) وغيرها.

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) صحيح مسلم برقم (٩٦٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٦٩).

إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد اللَّه ورسوله»[١]، وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**[٢]، وعن أنس رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه يا خيرَنا وابنَ خيرِنا وسيدَنا وابنَ سيدِنا، فقال: **«يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد اللَّه ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه عز وجل»** رواه النسائي بسند جيد[٣].

* وهذا كلُّه من حمايةِ النبي ﷺ جناب التوحيد، وكما قال - لمن قال: تعالوا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق - قال: **«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»**[٤].

* واللَّه تبارك وتعالى قد بيَّن ما يجب اعتقادُه في حق الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، وأنه هو تصديقُ خبرِهم، وامتثالُ أمرِهم، واجتنابُ نهيهم،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥).

(٢) مسند أحمد برقم (١٢٥٥١) وصححه محققه الأرناؤوط، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١٠٠٠٧)، والتوحيد لابن منده برقم (٢٧٨)، والضياء في الأحاديث المختارة برقم (١٦٢٨)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع ١/ ٢٨٧ وقال عنه في اقتضاء الصراط ١/ ١٠٦: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وصحح إسناده أيضًا المناوي في التيسير ١/ ٨٢١، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، والظلال (٩٨).

(٣) مسند أحمد برقم (١٢٥٥١) وصححه محققه الأرناؤوط، والسنن الكبرى للنسائي برقم (١٠٠٠٧)، والتوحيد لابن منده برقم (٢٧٨)، والضياء لأحاديث المختارة برقم (١٦٢٨)، قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ١/ ٤٤٦ والألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٩٧: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) سبق تخريجه.

واتباعُهم على شريعتهم، ومحبتهم هم وأتباعهم، وتوابعُ ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدَّعِ أحدٌ منهم الربوبية، ولا دعوا إلى عبادةِ أنفسهم، ولا ينبغي لهم ذلك، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]، وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآيات، وقد تلاها أبو بكر ﵁ يوم مات النبي ﷺ وقال: أيها الناس مَن كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات ﷺ، ومن كان يعبدُ اللَّه فإن اللَّه حيٌ لا يموت، إلى آخر خطبته ﵁(١)، وهذا بابٌ واسعٌ، كثيرةٌ النصوصُ فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٦٨).

(فغرَّهم) أي أكثرَ الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي (إبليس) لعنه اللَّه وأعاذنا منه (باستجرائه) أي باستهوائِه إياهم، واستدراجِه لهم، وإدخالِهم في الهلكات شيئًا فشيئًا.

* كما فعل بالأمم السالفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهوون، إما بالغلو وإما بالجفاء، لا يبالي ما أهلك العبدَ به، سواء قصرَه على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه، أو جاوزه به حتى يتبعَ سبيلَ الضلال، فتفرق بهم عن سبيله، ولم يسلمْ من ذلك إلا عبادُ اللَّه المخلصون، الذين هداهم اللَّه صراطَه المستقيم، فلم يقصروا عنه، ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا به واعتصموا، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١] (فخالفوه) أي الذين استهواهم الشيطان، خالفوا النص من الكتاب والسنة (جهرةً وارتكبوا ما قد نهى عنه) من الغلو والإطراء، وما لم يأذن به اللَّه (ولم يجتنبوا) ذلك ولا شيئًا.

مُقَارَنَةٌ بَيْنَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَأْنِ الْقُبُورِ وَمَا عَلَيْهِ الْمُعَظِّمُونَ لَهَا

١) فنهى عن الحلف بغير اللَّه ﷻ وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون باللَّه على الكذب، ولا يحلفون بالند فيكذبون.

٢) ونهى أن تُقرن مشيئةُ العبد بمشيئة اللَّه تعالى، وهؤلاء يثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدو والآصال، ويسألون منهم قضاءَ الحوائج دون ذي الجلال، بل يَعتقدُ فيهم الغاليةُ منهم أن بعض الأولياء هو المتصرفُ في الكون، والمدبِّرُ له في كل حال.

٣) ودعا الرسولُ ﷺ إلى عبادةِ اللَّه وحده، ودعائه وحده لا شريك له، فدعوا مع اللَّه غيره، حتى دَعوا الرسولَ الآتي بذلك نفسَه مع اللَّه ﷻ.

٤) ونهى عن اتِّخاذِ القبورِ مساجدَ، وهؤلاء يعكفون عليها، ويُصلون عليها وإليها، لا ولها من دون اللَّه ﷻ، وكثيرٌ منهم يُفضِّلون الصلاةَ فيها على مساجد اللَّه ﷻ التي بُنيت لذلك.

٥) ونهى أن تُجصَّص القبور، أو يُبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القبابَ وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادةٍ إليها دون اللَّه صرفوها.

٦) ونهى عن بناء المساجد عليها، ولعن من فعل ذلك، ودعا عليه بالغضب، وهؤلاء قد بنوا عليها، ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها، أو حلمٌ يتمثل لهم الشيطان فيه، أو خيالٌ أو سماعُ صوتٍ فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة أهل الدين إلى الكتاب والسنة.

٧) ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على تسريجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد اللَّه، وكأنما ندبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عَنى بها مَن فعل ذلك.

٨) وقال ﷺ: **«لا تُشد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** الحديث[1]، وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين، أو مَن يظنونهم

---

(١) سبق تخريجه.

صالحين، مسافةَ الأيام والأسابيع والشهور، ويرون ارتكاب ذلك المنهيّ من أعظمِ القربات.

٩) ونهى ﷺ عن اتخاذِها أعيادًا، وهؤلاء قد اتخذوها أعيادًا ومعابد، لا بل معبودات من دون اللَّه ﷻ، ووقّتوا لها المواقيت زمانًا ومكانًا، ويخشعون عندها أكثرَ مما يُخشع عند شعائرِ اللَّه.

١٠) وقال ﷺ: «**لا تُطْروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»(١)، وهؤلاء قد أَطْرَوا مَن هو دونه من أُمَّتِه بكثير، وقال ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث باللَّه**»(٢)، وهؤلاء قد استغاثوا بغير اللَّه سِرًّا وجهرًا، وهتفوا باسم غير اللَّه في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وأخلصوا لهم الدعاء من دون اللَّه ﷻ، وصرفوا إليهم جُلَّ العبادات، من الصلاةِ والنَّذرِ والنُّسُكِ والطواف وغير ذلك، وقد أنكر ﷺ على من قال: لولا اللَّه وفلان، فكيف بمن يقول: يا فلان ما لي سواك؟!، ويقول: قد استغثتُ اللهَ فلم يغثني!! حتى استغثت فلانًا فأغاثني!! فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

* فأيُّ فاقرةٍ على الدِّين أصعبُ من هذه الأفعال؟ وهل جنى الأخابث على الدين أعظمُ من هذا الضَّلَال؟ وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضُّلَّال؟ وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال؟ فأيُّ مُنافٍ للتوحيد وأيُّ مناقضٍ له أقبح من هذا الشرك والتنديد.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

١٤٥) فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا   وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
١٤٦) بِالشِّيدِ والآجُرِّ وَالأَحْجَارِ   لا سِيَّمَا في هَذِهِ الأَعْصَارِ

(فانظر) أيها المؤمن (إليهم) وإلى أعمالهم (قد غلوا) في أهل القبور الغلوَّ المفرطَ الذي نهاهم اللَّه تعالى ورسوله ﷺ عنه (وزادوا) عما حذرهم عنه الرسل (ورفعوا بناءها) أي: بناء القبور المنهيِّ عن مجردِهِ قليلِهِ وكثيرِهِ (وشادوا) أي ضربوه (بالشيد) وهو الجصُّ (والآجُرِّ) اللَّبِن المحروق (والأحجار) المنقَّشَة المزخرفة (لا سيما) بزيادة (في هذه الأعصار) القريبة بعد ظهور دولة العبيديين، الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض[1]، فاعتنوا ببناء القباب على القبور، وزخرفتها وتشييدها، وجعلها مشاهد، وندبوا الناس إلى زيارتها، وأتوا بذلك باسم محبَّةِ أهل البيت.

١٤٧) وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا   وَكَمْ لِوَاءً فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
١٤٨) وَنَصَبُوا الأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ   وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظُمِ الرُّفَاتِ
١٤٩) بَلْ نَحَرُوا في سَوَاحِهَا النَّحَائِرْ   فِعْلَ أُولي التَّسْيِيبِ والْبَحَائِرْ
١٥٠) والْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ   وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ

(١) هذه العبارة نسبها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على المنطقيين - (١ / ٢٨٠) إلى أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب المستظهري، ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الذي قاله أبو حامد فيهم هو متفق عليه بين علماء المسلمين)، وهم طوائف متعددة ومنهم المعروفون اليوم بالإسماعيلية والنصيرية والبُهَرة والمكارمة واليامِيَّة وأشباههم.

(وللقناديل) من الشموع وغيرها **(عليها)** أي على القبور وفي قبابها **(أوقدوا)** تعرضًا للَّعنة من رسول اللَّه ﷺ لمن فعل ذلك **(وكم لواءً فوقها عقدوا)** تعظيمًا لها وتألهًا ورغبةً ورهبةً **(ونصبوا)** عليها **(الأعلام والرايات)** لا سيما يوم عيدِها .

* لأنهم قد اتخذوا لكل قبرٍ عيدًا ، أي يومًا معتادًا يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها ، وفي ذلك العيد تُنصب الزينةُ الباهرة ، وتُدَقُّ الطُّبول والأعواد ، ويجتمع الرجالُ والنِّساءُ في ميدانٍ واحدٍ لابسين زينتَهم ، قد عطَّر كلٌّ من الجنسين بأطيب ما يجد ، ولبس أطيب ما يجد ، وتجبى الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها ، من نقودٍ وثمارٍ وأنعامٍ وخراجاتٍ وغيرها ، مما علم اللَّه تعالى أنها لا يُبتغى بها وجهُه ، ولم تنفق في مرضاته ، بل في مساخِطِهِ .

(وافتتنوا) في دينهم **(بالأعْظُم الرُّفات)** النَّخِرَةِ ، فعبدوها من دون اللَّه ﷻ ، دعاءً وتوكلًا وخوفًا ورجاءً ونذرًا ونُسكًا وغير ذلك **(بل نحروا في سوحها)** أي في أفنية القبور **(النَّحائر)** من الإبل والبقر والغنم إذا نابهم أمرٌ ، أو طلبوا حاجةً من شفاءِ مريضٍ ، أو ردِّ غائبٍ أو نحو ذلك ، وأكثرُهم يَسِمُها للقبر من حيث تولد ، ويُربِّيها له إلى أن تصلح للقربة في عُرْفهم ، ولا يجوز عندهم تغييرُها ، ولا تبديلها ، ولا خصيُها ، ولا وجاؤها ، لا يذهبُ شيء من دمها ، إذ ذلك عندهم نقصٌ فيها وبخس **(فعلَ أولي التسييب والبحائر)** أي كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسييبهم السوائبَ وتبحيرِ البحائرِ وجعل الحامِ .

* والفارق بين هؤلاء وأولئك أن أولئك سَمَّوهم آلهة وشفعاء ، وسمَّوا

مثلَ هذا الفعل بهم عبادةً، وهؤلاء سمَّوهم سادةً وأولياءَ، وسَمَّوا دعاءَهم إياهم تبركًا وتوسُّلًا، وكلاهما مشركٌ في فعله باللَّه ﷻ.

* وهؤلاءِ أعظمُ شركًا وأشدُّ، لأنهم يُشركون في الرَّخاء وفي الشدة، بل هم في الشدة أكثرُ شركًا، وأشدُّ تَعَلُّقًا بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيُشركون في الرَّخاء ويُخلصُون لله في الشدة، كما أخبرنا اللَّه عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وغيرها من الآيات، (**والْتَمَسُوا الحاجات**) التي لا يقدر عليها إلا اللَّه ﷻ (**من موتاهم**) من جلْبِ الخير ودفع الشر (**واتخذوا إلههم هواهم**) وهذا هو السبب في عبادةِ غيرِ اللَّه، بل في جميع معاصي اللَّه.

* لأن الهوى يُعْمِي عن الحق، ويُضل عن السبيل أتباعَه، وهو سببُ الشقاوة، كما أن التزامَ الشريعة باطنًا وظاهرًا سببُ السعادةِ، فهما ضِدَّان لا يجتمعان، ولا يكون الحُكمُ إلا لواحدٍ منهما، فطُوبى لمن كان هواه تبعًا لما جاء به رسول اللَّه ﷺ، وويلٌ لمن قدَّم هواه على ذلك لقد هلك.

١٥١) قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ في فِخَاخِهْ   بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهْ

١٥٢) يَدْعُو إلى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ   بِالْمَالِ والنَّفْسِ وبِاللِّسَانِ

١٥٣) فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ   وَأَوْرَطَ الأُمَّةَ فِي المَهَالِكْ

١٥٤) فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ والإِنْعَامِ   إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلَامِ(١)

---

(١) يقول الشيخ العلامة حسين بن مهدي النعمي التهامي -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه العظيم معارج الألباب في مناهج الحق والصواب مشيرًا إلى ما يُرتكب عند القبور من=

= عظائم الشرك والمحرمات معلنًا براءته -رحمه اللَّه تعالى- من ذلك كله، ومنكرًا على من يُقرُّه، وناعيًا على المنتسبين إلى العلم سكوتهم عن إنكار ذلك ص٥١ :
(وهذا كله بالنظر إلى نفس البناء على القبر لا إلى ما يترتب عليه من الوثنية والشرك، وعلى إحياء هذه المشاهد من كَلْم الإسلام وفقْئ عين شريعة المختار - عليه الصلاة والسلام -، وما يقع في الزيارات من أنواع الشرك بدعاء المقبورين والطَّواف بتلك الأنصاب والعكوف عندها والنذر والتقرب لها بأنواع القربات، وما يترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات كترك الصلاة المكتوبة، وما يقولونه من أقاويلهم المُفْتَراة المكذوبة، قد حملُّوا الولي أو حملها عنهم ، واختلاط الرجال بالنساء وأرباب الملاهي واتخاذ الزينات والمجاهرات بالبدع والمعاصي والمخالفات لله التي لا طَمَعَ في حصْرِها في الرِّقاع ، وكيف وقد امتدت في أقطار البسيطة على ما فيها من الاتِّساع؟! فما أكثر ما ترى هنالك من نسيان اللَّه ونبذٍ لعهوده !!، ومحادةٍ له ولكتابه وتعدٍ لحدوده!!.
ولعَمْر اللَّه، من رضيَ بقاءَ هذه الرسوم شارك في هذا الخَطْب المشْؤوم ، إلا متبرئٌ لله من هذه الأحْداث ، وغائرٌ لله مما حلَّ بدينه من خُطُوب هذه الأبنية ، وزوَّار الأجْدَاث، الذين أعطوها حقَّ ربنا الذي هو أحق أن يُدعى ويُستغاث ، وانهمكوا في صنوفٍ من أنْكرِ الأعمال ، وجسائِم الأخباث.
وأنتم معشر المُفْتِين ، أترضون لأنفسكم: أن تَلْقَوُا اللهَ بشيء من إشادة هذا البنيان؟ فاستعدُّوا للسؤال !! فللأعمال ديَّانٍ.
اللهم ، فهذه براءةٌ إليك مما تكاد السموات يتفطَّرْن منه وتنْشقُّ الأرض وتخر الجبال هدًّا ، أتَتْنَا المناهي عن رسولك في هذا الباب ، كما نهى رأيَ عينٍ، في سَدِّ ذرائِعه ، وهدْم شرائعه ، وطمْس رسُومِه وشَنَائِعِه ، ثم عَمِدَ قومٌ أضاعوا عَهْدَ التَّحقيق، ولم يراعوا مشاعر تأديبك وتعليمك التي تهدِي إلى سواء الطريق، فانْتَصَبُوا لرفع رايات سوءٍ كان ينبغي أن تكون مخفُوضةً معزُولةً بحكمك الوَثيق، وإلا فكل من آمن بك وعَقَلَ عنك وتحقَّقَ بمعرفة دينك لا يجهل ما في طَيِّها من عظيم المُشَاقَّة لك ولرسولك.
اللهمَّ فمن زَعَم عليك: أنك رفعت شأن القِباب والمشاهد والزيارات المعروفة من هذه الطوائف ومواطن الأموات ، وجعلتها ترياقًا لقضاء الحوائج، ومثابةً للناس ، وأعيادًا لهم ، وزَعَم على سلفنا الصالح من أُمَّة نبيك الأكرم: أنهم دَانُوا بذلك ، أو بذرَّة منه. =

(**قد صادهم إبليس في فِخَاخِهِ**) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم، من تزيينِ بناءِ القِبابِ على القبورِ باسمِ محبَّةِ الأولياء، ثم بالعكوف عليها، وعبادةِ اللَّه ﷻ عندها تَبَرُّكًا وتَيَمُّنًا بتلك البقاع التي فُضِّلَتْ بهم إذ دفنوا فيها!!، ثم بعبادتهم أنفسِهم دون اللَّه ﷻ، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئًا فشيئًا إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية، من التَّصرفِ فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ، فصار الأمرُ كما ترى في جميعِ الأقطار، وفي كل القُرى والأمصار، وفي كل زمنٍ تَشِيْعُ وتزيد وفي كل عصر من الأعصار (**بل بعضهم قد صار من أفراخه**) المساعدين له، الدَّاعين إلى ما دعا إليه حزبه، ليكونوا من أصحاب السعير (**يدعو إلى عبادة الأوثان**) من القبور وغيرها (**بالمال والنفس وباللسان**).

* وليس هذا خاصًّا بقبور الصالحين الذين عُرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أيُّ قبرٍ تمثَّلَ فيه الشيطان، أو حُكِيَتْ له حكايةٌ، أو رُؤِيَتْ له رؤيًا صدقًا كانت أو كذبًا فقد استحق عندهم أن يُبنى عليه القباب، ويُعكف عنده، ويُنذر له، ويذبح عليه، ويستشفي به المرضى، ويُستنزل به الغيث، ويُستغاثُ به في الشدائد، ويُسألُ منه قضاءُ الحوائج، ويخاف ويُرجى، ويُتَّخذ ندًا من دون اللَّه ﷻ وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًّا كبيرًا.

= إتباعًا لأمرك، ورضاءً بحكمك، وصار من غاية سعيه. زيادةَ ازدراء هذه المفاسد، وإيقادِ نيرانها. فاحْكُمْ بيننا وبينه بالحق، وأنت خير الحاكمين).

فَصْلٌ أَذْكُرُ فِيهِ بَيَانَ حَقِيقَةِ السِّحْرِ، وَحُكْمَ السَّاحِرِ، وَذِكْرِ عُقُوبَةِ مَنْ صَدَّقَ كَاهِنًا

١٥٥) وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ

١٥٦) أعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ فِي الْكَوْنِ لا في الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

(والسحرُ حقٌّ) يعني مُتَحققٌ وقوعه ووجوده، ولو لم يكنْ موجودًا حقيقةً لم تَرِد النَّواهي عنه في الشرع، والوعيدُ على فاعله، والعقوباتُ الدينية والأخروية على متعاطيه، والاستعاذة منه أمرًا وخبرًا، قال سبحانه -في ذم اليهود-: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، والنَّفاثات: هن السواحر يَعْقِدْنَ ويَنْفُثْن.

* والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرِها أن السِّحرَ حقيقةٌ وجودُه.

(وله تأثيرٌ) فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتل، ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرِّق بين المرء وزوجه (لكن) تأثيرُه ذلك إنما هو (بما قدَّره القديرُ) ﷻ، أي بما قضاه وقدَّره وخلَقَه عندما يُلقي الساحرُ ما ألقى، ولذا قلنا (أعني بذا التقدير) في قوله (بما قدره القدير) (ما قد قدره في الكون) وشاءه (لا) أنه أَمَرَ به (في الشرعة) التي أرسل اللّٰه بها رسله،

وأنزل بها كتبه المطهرة من ذلك وغيره.

* فإن القضاءَ والأمرَ والحكمَ والإرادةَ كلٌ منها ينقسم إلى كوني وشرعي:

١) فالكوني: يشمل ما يرضاه اللَّه ويحبه شرعًا، وما لايرضاه في الشرع ولا يحبُّه.

٢) والشرعي: يختص بمرضاته ﷻ ومحابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]..

* والمقصود أن السحرَ ليس بمؤثِّر لذاتِه نفعًا ولا ضرًّا، وإنما يؤثِّر بقضاء اللَّه تعالى وقَدَرِه، وخَلْقِه وتكوينه، لأنه تعالى خالقُ الخير والشر، والسحرُ من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهو القضاءُ الكوني القدري، فإنَّ اللَّه تعالى لم يأذن بذلك شرعًا.

* قال الإمام النووي -رحمه اللَّه تعالى- في شرح مسلم: قال المازري -رحمه اللَّه تعالى-: مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ وجمهورِ علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقةً كحقيقةِ غيره من الأشياء الثابتةِ، خلافًا لمن أنكر ذلك في حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالاتٍ باطلةٍ لا حقائقَ لها.

* وقال القرطبي -رحمه اللَّه تعالى-: وعندنا أن السِّحْرَ حقٌّ، وله حقيقةٌ، يخلق اللَّه عنده من يشاء، خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويهٌ وتخييل اهـ.

* قلت: قد ثبت وتقرَّر من هذا وغيره تحققُ السحرِ وتأثيرُه بإذن اللَّه

بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامَّةِ الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتلُ به والإمراضُ والتَّفرقةُ بين المرء وزوجه وأخذُه بالأبصار فحقيقةٌ لا مكابرةَ فيها، وباللَّه التوفيق.

١٥٧) واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلا نَكِيرِ
١٥٨) كَمَا أَتَى في السُّنَّةِ المُصَرَّحَهْ مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ
١٥٩) عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِيه أثَرْ أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَرْ
١٦٠) وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِندَ مَالِكِ مَا فِيهِ أقْوَى مُرْشِدٍ للسَّالِكِ

(واحكم على الساحر) تعلَّمَه أو علَّمه، عملَ به أو لم يعملْ (بالتكفير) أي بأنه كَفَرَ بهذا الذنب الذي هو السِّحْر، وقد عُلم أن السحرَ لا يُعمل إلا مع من كفرٍ باللَّه، وذلك واضحٌ صريحٌ في آية البقرة بأمور:

١) منها قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ تتقوَّلُه وتزوِّره على مُلك سليمان، أي في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدالَ ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضًا عما أوحى اللَّه تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظمِ الكفرِ، وهو من عبادةِ الطَّاغوت التي هي أصلُ الكفر.

٢) ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ برَّأ اللَّه ﷻ نبيه ﷺ من الكفر، وهذا الذي برأه تعالى منه هو علمُ الساحر وعملُه، فإن اليهود - قاتلهم اللَّه - تلقَّوا السحرَ عن الشياطين، ونسبوه إلى سليمان ﷺ فبرَّأه اللَّه تعالى من إفكهم بهذه الآية.

٣) ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أثبت كفرَ الشياطين بتعليمِهم الناسَ السحرَ، وكذلك كلُّ من تعلَّمَ السحرَ أو علَّمه أو عملَ به يكفر ككفر الشياطين الذين علَّموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذُ الشيطان وخرِّيجُه، عنه روى، وبه تخرَّج، وإياه اتَّبَع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فبين تعالى أنه بمجرد تعلُّمِه يكفرُ، سواءٌ عمِلَ به وعلَّمه أولا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وذلك أنهما علِمَا الخيرَ والشرَ والكفرَ والإيمانَ، فعرفا أن السحرَ من الكفر، وعن ابن جريج - في هذه الآية-: لا يجترئُ على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار.

٤) ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني من حظٍّ ولا نصيبٍ، وهذا الوعيد لم يُطلق إلا فيما هو كفرٌ لا بقاءَ للإيمان معه.

٥) ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ السحرَ وسائرَ الذُّنوبِ ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]، وهذا من أصرحِ الأدلةِ على كفرِ السَّاحر، ونفيِ الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يُقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتقى، إنما قال -تعالى- ذلك لمن كفر وفجر، وعمل بالسحر واتبعه، وخاصم به رسوله، ورمى به نبيه، ونبذ الكتاب وراء ظهره، وهذا ظاهرٌ لا غبارَ عليه والله أعلم.

* وقد صرَّحَ بذلك أئمةُ السلفِ من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدْرِ الذي يصير به كافرًا، والصحيح أن السحرَ المتَعَلَّمَ من الشياطين

كلُّه كفرٌ، قليلُه وكثيرُه كما هو ظاهر القرآن.

(وحدُّه) أي حدُّ الساحر (القتل) ضربه بالسيف (بلا نكير) بل هو ثابتٌ بالكتاب من عمومِ النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم (كما أتى) ثابتًا (في السُّنَّة المصرحة) الثابتة عن النبي ﷺ (مما رواه الترمذي) محمد بن عيسى بن سَوْرَة السلمي أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير، أحدُ الأعلام، وصاحب الجامع والتفسير، قال ابنُ حِبَّان: كان ممن جمع وصنَّفَ، قال أبو العباس المستغفري: مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعًا (وصححه) موقوفًا[1] (عن جندب) هو ابن عبد اللَّه بن سفيان البجلي العلقمي أو العلقي مات بعد الستين وقال -رحمه اللَّه تعالى-: باب ما جاء في حد الساحر عن جندب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «حد الساحر ضربه بالسيف» هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه.. والصحيح عن جندب موقوفًا والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يُقتل الساحر إذا كان يعمل من سحرِهِ ما يبلغ الكفرَ، فإذا عمل عملًا دون الكفر فلم يُر عليه قتلًا. اهـ

(وهكذا في أثر أمر بقتلهم) يعني السحرة (روي عن عمر) بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العُزَّى العدوي أبي حفص المدني أحدِ فقهاء الصحابة،

---

(١) سنن الترمذي برقم (١٤٦٠)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٦٦٥)، ومستدرك الحاكم برقم (٨٠٧٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ووافقه الذهبي، وضعفه المحدث الألباني -رحمه اللَّه تعالى- مرفوعًا وصححه موقوفًا على جندب ﷺ كما في السلسلة الضعيفة برقم (١٤٤٦) لكن قال فخر الدين الزيلعي في تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣/ ٢٩٣: الْمَوْقُوفُ في مِثْلِهِ مَحْمُولٌ على السَّمَاعِ لِأَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِالرَّأْيِ.

ثاني الخلفاء الراشدين، وأحدِ العشرة المشهود لهم بالجنة، وهذا الأثرُ المشارُ إليه في الباب هو ما رواه أحمدُ والشافعي رحمهما اللَّه تعالى قالا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بَجَالةَ بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرةٍ، قال رضي الله عنه: فقتلنا ثلاث سواحر[1].

(وصح)[2] نقلًا (عن حفصة) بنت عمر بن الخطاب العدوية أمِّ المؤمنين رضي الله عنها (عند مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبي عبد اللَّه المدني، إمام دار الهجرة، وُلد سنة ثلاث وتسعين، وحُمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة، ودفن بالبقيع -رحمه اللَّه تعالى ورضي عنه- (ما) أي الذي (فيه أقوى) دليلٍ (مرشدٍ للسالك) وهو ما رواه في موطئه في: باب ما جاء في الغِيْلة والسحر من كتاب العقول أن حفصة زوج النبي ﷺ: قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبَّرتها فأمرت بها فقُتلت[3]. قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيرُه هو مثل الذي قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فأرى أن يُقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه اهـ

(١) مسند الشافعي برقم (٢٩٠)، ومصنف ابن أبي شيبة برقم (٢٨٩٨٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٢٧٧)، وصححه ابن القيم في زاد المعاد ٥/ ٦٢، وحسن إسناده في تيسير العزيز الحميد ١/ ٣٤٢ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٥٨٩.

(٢) موطأ مالك برقم (٣٢٤٧)، ومسند الشافعي برقم (٢٩٠)، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني برقم (١٨٧٤٧)، وصححه ابن القيم في زاد المعاد ٥/ ٦٢، وابن كثير في التفسير ١/ ١٤٣.

(٣) وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص الحبير ٤/ ٤١ قصة أخرى شبيهة بهذه=

قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- : وقد رُوي من طرقٍ متعددة أن الوليدَ ابن عقبة كان عنده ساحرٌ يلعب بين يديه، فكان يضرب رأسَ الرجل ثم يصيح به فيُرد إليه رأسُه، وقال الناس: سبحان اللَّه يُحيي الموتى، ورآه رجلٌ من صالح المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملًا على سيفه، وذهب يلعب لَعِبَه ذلك، فاخْتَرَطَ الرجلُ سيفَه فضربَ عنقَ السَّاحر، وقال: إن كان صادقًا فليُحْيِ نفسه، وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه ثم أطلقه[١] واللَّه أعلم، وحمل الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا واللَّه أعلم.

* وقال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- : فصلٌ وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيي بن محمد بن هبيرة -رحمه اللَّه تعالى- فيمن يتعلم السِّحرَ ويستعمله فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد يكفر بذلك، وقال الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- : إذا تعلَّمَ السِّحرَ قلنا له: صِفْ لنا سحرَك، فإن وصف ما يُوجِبُ الكفرَ مثل ما اعتقده أهلُ بابلٍ من التَّقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعلُ ما يُلتمس منها فهو كافرٌ، وإن كان لا يوجبُ الكفرَ فإن اعتقدَ إباحَتَهُ فهو كافرٌ.

= قال: رواها مالك والشافعي والحاكم والبيهقي من رواية عمرة عنها: أن مُدَبَّرة لعائشة سحرتها استعجالًا لعتقها، فباعتها عائشة ممن يسيء ملكها من الأعراب، قال الحافظ: وإسناده صحيح، وصححها ابن الملقن في البدر المنير ٨ / ٥٢٠، والألباني في إرواء الغليل ٦ / ١٧٧.

(١) قصة جندب صحح إسنادها الذهبي في تاريخ الإسلام ٥ / ٨٧، والألباني في السلسلة الضعيفة ٣/ ٤٤٥.

* قال ابنُ هبيرة: وهل يُقتل بمجردِ فعلِهِ واستعمالِهِ؟ قال مالكٌ وأحمدُ: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قُتِلَ بسحره إنسانٌ فإنه يُقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يُقتل حتى يتكرر منه بذلك، أو يقرَّ بذلك في حقِّ شخصٍ معينٍ، وإذًا فإنه يقتل حَدًّا عندهم، إلا الشافعي فإنه قال: يُقتل - والحالةُ هذه - قصاصًا.

* قال: وهل إذا تابَ السَّاحرُ تُقبل توبتُه؟ فقال مالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ في المشهور عنه: لا تُقبل، وقال الشافعي وأحمد - في رواية -: تُقبل.

* واختلفوا في المسلمة الساحرة، فعند أبي حنيفة أنها لا تُقتل، ولكن تُحبس، وقال الثلاثة حكمُها حكمُ الرَّجل واللَّه أعلم اهـ.

١٦١) هَـذَا وَمِـنْ أَنْـوَاعِـهِ وَشُـعَـبِـهْ   عِـلْـمُ الـنُّـجُـومِ فَـادْرِ هَـذَا وَانْـتَـبِـهْ

هذا هو البحث الرابع وهو بيانُ أنواعِ السِّحْرِ:

* فمنها علمُ التنجيم، وهو أنواعٌ أعظمُها ما يفعله عبدةُ النَّجوم، ويعتقدونه في السَّبعَةِ السَّيَّارَةِ، وكلُّ نجمٍ جعلوا لعبادتِه أوقاتًا مخصوصةً كأوقات الصَّلوات عند المسلمين، واعتقدوا تَصَرُّفَها في الكون، وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها.

* ومنها: ما يفعله مَن يَكتبُ حروفَ أبي جَاد، ويجعل لكلِّ حرفٍ منها قَدْرًا من العَدد معلومًا، ويُجري على ذلك أسماءَ الآدميين والأزمة والأمكنة وغيرها، ويجمعُ جمعًا معروفا عنده ويَطرحُ منها طَرْحًا خاصّذذذذذًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراجِ الإثني عشرَ المعروفةِ عندَ أهلِ الحساب، ثم يحكم على تلك القواعدِ بالسُّعود

والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وقد يتحكَّمُ في الغيب ! ! فيدَّعي أن هذا يُولدُ له، وهذا لا، وهذا الذَّكر، وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيًّا، وهذا يكون فقيرًا، كأنه هو الكاتبُ ذلك للجنين في بطن أمه ! ! لا واللَّه لا يدريه الملَكُ الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه: أَذَكَرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أم سعيدٌ؟ ما الرزقُ؟ وما الأَجَل؟ فيقول له فيكتب(١)، وهذا الكاذبُ المفتري يدَّعي علمَ ما استأثرَ اللهُ بعلمه، ويدَّعِي أنه يدركُه بصناعةٍ اخترقَها، وأكاذيبَ اختلقَها، وهذا من أعظم الشِّرك في الربوبية، ومَنْ صدَّقه واعتقده فيه كَفَرَ والعياذ باللَّه.

* ومنها: النَّظرُ في حركاتِ الأفلاك ودورانِها، وطلوعِها وغروبِها، واقترانِها وافتراقها، معتقدين أن لكلِّ نجمٍ منها تأثيراتٍ في كل حركاتِهِ منفردًا، وله تأثيراتٌ أُخَرُ عند اقترانه بغيره، في غلاءِ الأسعار ورُخصِها، وهبوبِ الرياح وسكونِها، ووقوعِ الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقًا، ومن هذا القسم الاستسقاءُ بالأنواء، وسيأتي الحديث فيه عند ذكره في المتن إن شاء اللَّه وبه الثقة.

* ومنها: النَّظرُ في منازل القمر الثمانية والعشرين، مع اعتقاد التَّأثيراتِ في اقْترانِ القمرِ بكلٍ منها ومفارقَتِهِ، وأن في تلك سعودًا أو نحوسًا، وتأليفًا وتفريقًا وغير ذلك.

* وكلُّ هذه الأنواع اعتقادُ صِدْقِها مُحَادَةٌ لله ورسولِه، وتكذيبٌ بشرعِهِ وتنزيلِهِ، واتباعٌ لزخارفِ الشيطان، ما أنزل اللَّه بذلك من سلطان، والنَّجمُ

---

(١) كما ورد بذلك الحديث الآتي تخريجه - بمشيئة اللَّه تعالى- في الكلام على القدر.

مخلوقٌ من المخلوقات، مربوبٌ، مسَخَّرٌ، مُدَبَّرٌ، كائنٌ بعد أن لم يكن، مسبوقٌ بالعدمِ المحْضِ، مُتَعَقَّبٌ به، ليس له تأثيرٌ في حركةِ الكون ولا سكون، لا في نفسه ولا في غيره، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] وغير ذلك من الآيات، وروى ابن أبي حاتم -رحمه اللَّه تعالى- عن قتادةَ الإمامِ في التفسير وغيره قال -رحمه اللَّه تعالى-: إنما جعل اللَّه - سبحانه - هذه النجومَ لثلاثِ خصالٍ، جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتَدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غيرَ ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظَّه، وأضاع نصيبَه، وتكلَّف ما لا علم له به، وإنَّ ناسًا جَهَلَةً بأمر اللَّه قد أحدثوا من هذه النجوم كهانةً: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا !! ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا !! ومن وُلد نجمَ كذا وكذا كان كذا وكذا، لعمري ما من نجمٍ إلا يُولد به الأحمر والأسود، والقصير وَالطَّوِيلُ وَالْحَسَنُ وَالدَّمِيمُ، وَمَا علم هَذَا النَّجْم وهذه الدَّابة وهذا الطير بشيء من الغيب؟، وقضى اللَّه تعالى أنه: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. وهذا كلامٌ جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقا[1]، وروى أبو داود -رحمه اللَّه تعالى- في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم برقم (١٦٥٣٦)، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني =

«مَن اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر زاد ما زاد»[(١)]، وروى ابنُ عساكرَ - وحسنه - عن أبي مِحْجَنٍ - مرفوعًا: «أخافُ على أُمتي ثلاثًا: حيفَ الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقَدَر»[(٢)].

* ومن أنواع السِّحرِ: زَجْرُ الطير، والخطُّ بالأرض، روى أبو داود عن قَطَن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «العِيَافَةُ والطِّيرةُ والطَّرقُ من الجبت»[(٣)] ورواه أحمد في مسنده، والجِبْتُ هو السحر، قاله عمر ﷺ، وكذلك قال ابنُ عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم، وقال في القاموس: الجِبْتُ - بالكسر - الصَّنَمُ، والكاهن، والساحر، والسحر، والذي لا خير فيه، وكل ما عُبد من دون اللَّه ﷻ.

* ومن أنواعه: العَقْدُ والنَّفْثُ فيه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ

= (٤/ ١٢٢٦)، وصححه الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/ ٣٧١.

(١) مسند أحمد برقم (٢٨٤٠) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٣٩٠٥)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٢٦)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٢، وابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٣/ ٤١٣، والمناوي في التيسير ٢/ ٣٩٤، والنووي في رياض الصالحين ٣٠٣، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٠٢٩، والشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٤٩، والألباني في الصحيحة برقم ٧٩٣، وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٧/ ٣٦٩: وَرِجَالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ.

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني برقم (٢٨٢)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (١٥٣٣)، وجامع بيان العلم وفضله برقم (١٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٢١٤.

(٣) مسند أحمد برقم (٢٠٦٢٣)، ومصنف عبد الرزاق برقم (١٩٥٠٢)، والمعجم الكبير للطبراني برقم(١٥٣٣٠)، وحسن إسناده النووي في رياض الصالحين ١/ ٣٠٤ وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢/ ١٤٨.

ﭐلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]. وروى النسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ، ومَن سَحَرَ فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»(١) .

حُرْمَةُ حَلِّ السِّحْرِ بالسِّحْرِ

١٦٣) وَحَلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصًّا يُشْرَعُ   أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيُمْنَعُ

(وحلُّه) يعني حَلَّ السِّحرِ عن المسحور بالرقى والتَّعاويذ والأدعية من (الوحي) الكتاب والسنة (نصًّا) أي بالنص (يُشرع) كما رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديثُ الرقى المتقدمة في بابها، التي أمر بها الشارع ﷺ، ونَدَبَ إليها، ومن أعظمها فاتحةُ الكتاب، وآيةُ الكرسي، والمعوذتان، وآخرُ سورةِ الحشر، فإن ضمَّ إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقًا، والآيات التي يتضمن لفظُها إبطالَ السِّحرِ، كقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩] وقوله ﷻ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] ونحوها، كان ذلك حَسَنًا، ومثل الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردةِ في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثيرٌ منها في باب الرقى، وكتبُ السُّنَّةِ من الأمهات

---

(١) السنن الكبرى للنسائي برقم (٣٥٢٨)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٤٠٤)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٦٩- بعد كلام-: ويتوجه انه حديث حسن وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢/ ١٤٦.

وغيرِها مشحوناتٌ بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن اللَّه عزوجل، فمن ابتغى ذلك وَجَدَهُ واللَّه الموفق.

(أما) حَلُّ السحر عن المسحور **(بسِحْرٍ مثلِهِ فيحرم)** فإنه معاونةٌ للساحر، وإقرارٌ له على عملِهِ، وتقربٌ إلى الشيطان بأنواع القُرَبِ ليبطلَ عَمَلَه عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يَحِلُّ السحرَ إلا ساحرٌ، ولما قيل للنبيِّ ﷺ: لو تَنَشَّرْتَ؟ فقال: «**أمَّا أنا فقد شفاني اللهُ وعافاني، وخشيتُ أن أُثِيْرَ على الناس شرًّا**»[1]، وروى أبو داود - في سننه - عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: سُئِل رسولُ اللَّه ﷺ عن النُّشْرةِ؟ فقال: «**هو من عمل الشيطان**»[2].

* ولهذا ترى كثيرًا من السَّحرة الفَجَرَةِ في الأزمان التي لا سَيْفَ فيها يردعُهم يَتَعَمَّدُ سِحْرَ الناس ممن يحبه أو يبغضه، ليضْطَرَّه بذلك إلى سؤاله حَلَّه، يتوصَّلُ بذلك إلى أموالِ الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم، نسأل اللَّه تعالى العافية.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة -عليها رضوان اللَّه تعالى- صحيح البخاري برقم (٥٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٩).

(٢) مسند أحمد (١٤١٣٥)، وسنن أبي داود برقم (٣٨٦٨)، ومستدرك الحاكم برقم (٨٢٩٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ووافقه الذهبي، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٦٣: إسناد جيد ورواه أحمد في المسند وأبو داود.. وسنده قوي، وصحح إسناده النووي في المجموع ٩/ ٥٧، واكتفى الحافظ ابن حجر في الفتح بتحسينه (١٦ / ٢٩٩) فانتقده الألباني في الصحيحة رقم ٢٧٦٠ وصححه.

تَصْدِيقُ الكَاهِنِ كُفْرٌ

١٦٣) وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرْ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الـمُعْتَبَرْ

(ومن يصدِّق كاهنًا) يعتقدُ بقلبه صدقَه فيما ادَّعاهُ من عِلْمِ المغَيْبَات التي استأثر اللَّه تعالى بعِلْمِها (فقد كَفَر) أي بَلَغَ دَرَكَةِ الكفر بتصديقه الكاهن (بما أتى به الرسول) محمدٌ ﷺ عن اللَّه ﷻ من الكتاب والسنة، وبما أتى به غيره ﷺ من الرسل عليهم السلام.

* والكاهن في الأصل هو من يأتيه الرِّئيُ من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١]، وفي صحيح البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: سألَ ناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكهان؟ فقال: «إنهم ليسوا بشيء»، قالوا: يارسول اللَّه إنهم يُحِدِّثُون بالشيء يكون حقًّا؟ فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني، فيُقَرْقِرُهَا في أُذُنِ وَلِيِّهِ كقَرْقَرَةِ الدَّجاج، فيَخلطون معها أكثرَ من مائة كذبة»(١)، وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبت الملائكةُ بأجنحتها، خُضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيَسمعها مسترقُ السَّمْع، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعضٍ - وَصَفَهُ سفيانُ بكفِّه فحرَّفها وبَدَّدَ بين أصابعه - فيسمع الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحته، ثم يلقيها الآخرُ إلى مَن تحته، حتى يلقيَها على لسانِ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٢٢).

السَّاحِرِ أو الكاهن، فربَّما أدركه الشهابُ قبل أن يلقيَها، وربما ألقاها قبل أن يدركَهُ، فيكذبُ معها مائةَ كذبةٍ، فيُقال: أَوَليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا كذا وكذا؟! فيُصدَّقُ بتلك الكلمةِ التي سُمعت من السماء»[1].

* وقد بين اللَّه تعالى كذبَ الكاهنِ بقوله: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، فسمَّاه أفَّاكًا، وذلك مبالغةٌ في وصفِهِ بالكذب، وسمَّاه أثيمًا، وذلك مبالغةٌ في وصفه بالفجور.

* وأما كفر الكاهن فمن وجوه:

منها: كونه وليًّا للشياطين، فلم يُوْحِ إليه الشيطانُ إلا بعد أن تولَّاه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١] والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذا وجه ثان.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ أي نور الإيمان والهدى ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩] وهذا وجه رابع.

والخامس: تسميتُه طاغوتًا في قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠] نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة، وقوله: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ أي بالطاغوت، وهذا وجه سادس.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢).

والسابع: أن من هداه اللَّه للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضي الله عنه لم يأتِه رئيُّه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره، وتوليه إياه حتى إنه رضي الله عنه كان يَغضب إذا سُئل عنه، حتى قال له عمر رضي الله عنه: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم(١).

الثامن: وهو أعظمها تشبُّهُهُ باللَّه عز وجل في صفاته، ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر اللَّه تعالى بها دون من سواه، فلا سميَّ له ولا مضاهي ولا مشارك: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]، ولسان حال الكاهن وقاله يقول: نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شئ فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادعاه؟ فقد روى الأربعةُ والحاكمُ - وقال: صحيح على شرطهما - عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**من أتى عرَّافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٢). وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «ليس

---

(١) أصل القصة في صحيح البخاري رقم (٣٨٦٦)، وقد ذكر الحافظ في الفتح ٧ / ١٧٩ طرقَ قصته مع عمر وسؤاله إياه عن كهانته، وفيه خبر مجيء رئيه له بخبر النبي ﷺ، ثم قال: وهذه الطرق يقوي بعضها ببعض.

(٢) مسند أحمد برقم (٩٥٣٢) وحسنه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود برقم (٣٩٠٦) بلفظ آخره: (فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ)، والكبرى للنسائي برقم (٨٩٦٨)، وسنن ابن ماجه برقم (٦٣٩)، وسنن الترمذي برقم (١٣٥)، والمستدرك للحاكم برقم (١٥) وصححه ووافقه الذهبي، ونقل الرباعي في فتح الغفار (١٧ / ٦٧) تصحيح=

منا من تَطَيَّرَ أو تُطِيِّرَ له، أو تكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1]، ولمسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[2] فهذا حُكم مَن سأله مطلقًا، والأول حُكم مَن سأله وصدَّقه بما قال.

* ثم اعلم أن الكاهن عامٌّ في كلِّ من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره، كالرَّمال الذي يَخُط بالأرض أو غيرها، والمنجم أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة، كالدلالة على مسروق، ومكان الضالة ونحوها، أو المستقبلة كمجيء المطر، أو رجوع الغائب، أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر اللَّه ﷻ بعلمه، فلا يعلمه مَلَكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل إلا من طريق الوحي، كما قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ ولم يعلم الرسول ﷺ مكانَ

= العراقي له في أماليه، وصحح إسناده المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٧٤٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٨، قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٢١٧): وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين أخرجهما البزار - بسندين جيدين - ولفظهما: (من أتى كاهنا..)، ..وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود - بسند جيد - لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأي، قلت: وجوَّد حديث ابنِ مسعود ابنُ كثير في التفسير (١ / ٣٦٣) وصححه الشوكانيُّ في فتح القدير (١ / ١٥٥).

(١) مسند البزار (٣٥٧٨)، وقال المنذري - كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١)-: رواه البزار بإسناد جيد، وقال الهثمي في المجمع (٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٧.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٣٠).

راحلتِه حتى أعلمه اللَّه بذلك، وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني اللَّه** ﷻ **به**» وهي في مسلم[١]، وفيه قول عائشة ﵂ لمسروق -رحمه اللَّه تعالى-: ومن زعم أن رسول اللَّه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على اللَّه الفرية[٢]، واللَّه تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

الإسلام والإيمان والإحسان

هذا فصلٌ يَجمع معنى حديثِ جبريل في تعليمنا الدين، وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب، الإسلام والإيمان والإحسان، وبيانُ كلٍّ منها، وهو حديثٌ مشهورٌ في كتب السُّنَّة عن جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، منهم عمر بن الخطاب[٣]، وابنه عبد الله[٤]، وأبو هريرة[٥]، وأبو ذر[٦]، وعبد اللَّه بن

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣١٥).

(٢) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى عند إيراد المؤلف له بتمامه في الكلام على رؤية النبي ربه ليلة المعراج.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩ و ١٠).

(٥) سنن النسائي برقم (٤٩٩١)، ومسند البزار برقم (٤٠٢٥)

(٦) مسند أحمد برقم (٢٩٢٦) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، ومسند البزار برقم (٤٨٣٢) ونقل السيوطي في جمع الجوامع برقم (١٩٩٤) تحسين المناوي له، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٤٥) عن إسناد أحمد: وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد.

عباس[(١)]، وأبو عامر الأشعري[(٢)]، وطلحة بن عبيد اللَّه[(٣)]، وأنس بن مالك[(٤)]، وجَرير بن عبد اللَّه البجلي[(٥)]، وغيرهم ﷺ.

وحديث عمر أخرجه مسلم في أول جامعه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقتُ أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبدُ اللَّه بن عمر ﷺ داخلًا المسجدَ، فاكتَنَفْتُه أنا وصاحبي أحدُنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبي سيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرأون القرآن ويَتَقَفَّرُون العلم، وذَكَرَ من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم وأنهم بُرَآء مني، والذي يحلف به عبد اللَّه ابن عمر لو أن لأحدِهم مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فأَنْفَقَه في سبيل اللَّه ما قَبِلَهُ اللهُ منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمرُ بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ - ذات يوم - إذ طَلَع علينا رجلٌ شديدُ بيَاضِ الثياب شديدُ سوادِ الشَّعر لا يُرى عليه أَثَرُ السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى

---

(١) مسند أحمد برقم (١٧٢٠٧).

(٢) تعظيم قدر الصلاة برقم (٣٨١، ٣٨٢)، ومسند البزار برقم (٦٩٥١)، مسند البزار ١٨ مجلد كاملا - (١٣ / ٣٣٤).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٥)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣).

(٥) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

النبي ﷺ فأَسْنَدَ ركبتيه إلى ركبتيه، وَوَضَع كفَّيْه على فخديه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسولُ اللَّه، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلًا»**، قال: صدقتَ، فعجبْنا له يسألُه ويُصَدِّقُه، قال: **«فأخبرني عن الإيمان»**، قال: **«أن تؤمنَ باللَّه ملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر وتؤمن بالقدرِ خيرِه وشرِّه»**، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال: **«أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: **«أن تلدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفَاةَ العُراة العَالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان»**، قال: ثم انطلق فلبثتُ مليًّا، ثم قال لي: **«يا عمر أتدري من السائل؟»** قلت: اللَّه ورسوله أعلم، قال: **«فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»**[1].

وسنذكر - إن شاء اللَّه تعالى- ما تيسر من النصوص في كل مسألة من مسائله عند ذكرها في المتن فنقول وباللَّه التوفيق.

الإيمانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ

١٦٤) اعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قوْلٌ وعَمَلْ فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ

(اعلم) يا أخي وفقني اللَّه وإياك والمسلمين **(بأن الدين)** الذي بَعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه ورضيَه لأهل سمواته وأرضه وأَمَرَ أن لا يُعبد إلا به ولا يَقبل من أحد سواه ولا أحسنَ دينًا ممن التزمه واتبعه هو **(قولٌ)**

(١) سبق تخريجه.

أي بالقلب واللسان (وعملٌ) أي: بالقلب واللسان والجوارح.

أَرْكَانُ الإيمَانِ

فهذه أربعة أشياء جامعةٌ لأمور دين الإسلام:

١) الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥] صدقوا ثم لم يَشُكُّوا، وفي حديث الشفاعة: «**يَخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة**» الحديث[1]، وقال في الشاكِّين المرتابين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

٢) الثاني: قول اللسان: وهو النُّطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، والإقرار بلوازمها، قال الله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه**»[2] وما في معناه.

٣) الثالث: عملُ القلب وهو النيَّةُ والإخلاصُ والمحبةُ والانقيادُ والإقبالُ على اللَّه ﷻ والتَّوكُّلُ عليه، ولوازمُ ذلك وتوابعُه، وغيرُ ذلك من أعمال القلوب.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٥)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

٤) الرابع: عملُ اللسان والجوارح، فعملُ اللسان: مالا يُؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعملُ الجوارح ما لا يُؤدَّى إلا بها مثلُ القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة اللَّه كنقل الخُطا إلى المسجد وإلى الحج والجهاد في سبيل اللَّه ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديثُ شُعَبِ الإيمان.

أَنْوَاعُ الكُفْرِ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَرْبَعَةٍ

* فإذا حَقَّقْتَ هذه الأمورَ الأربعةَ تحقيقًا بالغًا ثم أَمعَنْتَ النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لا تخرجُ عن أربعة:

كفر جهل وتكذيب، وكفر جُحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق، فأَحَدُها يُخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعتْ في شخص فظلماتٌ بعضها فوق بعض، والعياذ باللَّه من ذلك لأنها:

١- إما أن تنتفيَ هذه الأمور كلُّها قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح، أو ينتفي بعضها.

أ- فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق.

ب- وإن انتفى تصديقُ القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب.

ت- وإن كَتَم الحق مع العلم بصدقه فكفرُ الجحود والكتمان.

ث- وإن انتفى عملُ القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع

انقياد الجوارح الظاهرة فكفرُ نفاق، سواء وُجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك.

ج- وإن انتفى عملُ القلب وعملُ الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حقٌ ولم يتبعوه، وكفرُ من ترك الصلاة عنادًا واستكبارًا.

* ومُحالٌ أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ: «**إن في الجسد مُضْغَةً إذا صَلَحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّه ألا وهي القلب**»[1].

* ومن هنا يتبين لك أن من قال - من أهل السنة - في الإيمان هو التصديق - على ظاهر اللغة - أنهم إنما عَنَوا التصديقَ الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا بلا شك.

١٦٥) كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
١٦٦) عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَهْ
١٦٧) الِإسْلَامِ والإِيمَانِ والإِحْسَانِ ... والْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ

(**كفاك**) أيها الطالب الحق (**ما قد قاله الرسول**) محمد ﷺ (**إذ**) حين (**جاءه يسأله**) عن مراتب الدين وشرائعه (**جبريل**) عليه السلام كما في الحديث السابق عن جماعة من الصحابة (**على مراتب ثلاث فصَّلَه**) في تلك

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير -عليهما رضوان الله تعالى-.

الأجوبة الصريحة (جاءت) أي الثلاث المراتب (على جميعه) أي على جميع الدين (مشتملة)، ولهذا سمَّى النبيُّ ﷺ تلك الأمور الدين، فقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

مرتبة الإسلام

(الإسلامِ) بالخفض بَدَلٌ من مراتب، ويقال له: بَدَلُ بعضٍ من كُلٍ، وما بعده معطوفان عليه.

هذه هي المرتبة الأولى في حديث عمر، والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:

١) الحالة الأولى: أن يُطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يُراد به الدينُ كله، أصولُه وفروعُه من اعتقاده وأقواله وأفعاله، وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: فأيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**»، قال: وما الإيمان؟ قال: «**تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**»[1]، فجعل ﷺ الإيمانَ من الإسلام وهو أفضله.

٢) الحالة الثانية: أن يُطلق مقترنًا بالاعتقاد فالإسلام حينئذ يُراد به

---

(١) مسند أحمد برقم (١٧٠٦٨) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، مصنف عبد الرزاق - (١١ / ١٢٧)، ٢٠١٠٧، قال المنذرى (٢/ ١٠٦): رواه أحمد بإسناد صحيح، ورواته محتج بهم فى الصحيح، وصححه الحافظ العراقي في تخريجه لإحياء علوم الدين (٣ / ٩٦)، وقال السيوطي في جمع الجوامع أو الجامع (١ / ١٦٤): ورجاله ثقات، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٧٦: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن تيمية ١/ ٥.

الأعمالُ والأقوالُ الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية، وقوله ﷺ - لما قال له سعد رضي الله عنه مَالَكَ عن فلان؟ فواللَّه إني لأراهُ مؤمنًا - فقال ﷺ: «أو مسلمًا»[١]، يعني أنك لم تَطَّلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة، وفي رواية النسائي[٢]: (لا تقل مؤمن، وقل مسلم)، وكحديث عُمَر هذا وغير ذلك.

مَرْتَبَةُ الإِيمَانِ

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور.

* والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] ويقول: بمصدق.

* وأما في الشريعة: فلإطلاقِه حالتان:

١) الحالة الأولى: أن يُطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يُراد به الدين كله، وفسَّرَه النبي ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبد القيس - في الصحيحين وغيرهما - فقال: «آمركم بالإيمان باللَّه وحده)، قال: «أتدرون ما الإيمان باللَّه وحده؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُؤديَ من المغنم

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١٥٠).
(٢) وهو في سننه برقم (٤٩٩٣)، والمعجم الأوسط برقم (٥٢٥٢)، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن النسائي بنفس الرقم.

الخمس»[١]، وفي الصحيحين: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٢]، وهذه الشُّعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل الجوارح.

* ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها اللَّه تعالى إيمانًا في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يعني: صلاتكم[٣]، وباللَّه التوفيق.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٣)، وصحيح مسلم برقم (١٧).
(٢) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.
(٣) كما ورد ذلك مرفوعًا إلى رسول اللَّه ﷺ فيما رواه ابنُ عباس ﵄ قال: لما توجَّه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول اللَّه فكيف الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ وهو في مسند أحمد برقم (٢٦٩١) وقال محققه الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح، وفي سنن أبي داود برقم (٤٦٨٠)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٢٧) وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والمستدرك للحاكم برقم (٣٠٦٣) وصححه ووافقه الذهبي، والتوحيد لابن مندة برقم (٢٦٤) وقال: هذا الحديث مشهور عن إسرائيل إسناد متصل، وصححه الحافظ في الفتح (١ / ٩٦)، وكذا صححه الشيخ الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود برقم (٤٦٨٠)، وفي صحيح البخاري برقم (٤٠) عن البراء بن عازب ﵁ قال: مات على القبلة - قبل أن تُحول - رجالٌ وقتلوا، فلم نَدْرِ ما نقول فيهم، فأنزل اللَّه تعالى: (وكان اللَّه ليضيع إيمانكم)، قال ابن رجب في فتح الباري (١ / ١٧٥): وممن روي عنه أنه فسر هذه الآية بالصلاة إلى بيت المقدس: ابن عباس -من رواية العوفي-، عنه، وسعيد بن المسيب، وابن زيد، والسدي، وغيرهم.

* وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم - رحمهم اللَّه تعالى- : إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم[1]، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان

(١) ما قرره المصنف من أن الإيمانَ اعتقادٌ بالجنان وقول بٌاللسان وعملٌ بالأركان هو مذهبُ عامَّةُ السلف الذي انعقد إجماعهم عليه، وهو من شِعَار أهلِ السنة الذي فارقهم فيه أهلُ البدع، فقد قال الإمام الشافعي - في الأم-: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مِن بعدهم ومَن أدركنا يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان ص ١٢٣، وساق اللالكائي في اعتقاد أهل السنة برقم (٣٢٠) بإسناده - الذي صححه الحافظ في الفتح (١ / ٤٧) - إلى الإمام البخاري أنه قال: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات قرنًا بعد قرن ثم قرنًا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة. . فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص)، وأسند برقم (١٥٨٥) إلى الحميدي قال: سمعت وكيعًا يقول: أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل)، وذكر ابن جرير في عقيدته بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: (سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز -رحمهم الله- ينكرون قول من يقول: إن الإيمان إقرار بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان)، وقال البغوي في شرح السنة ١/ ٣٨-٣٩: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان)، وقال الطبري: (والصواب في الإيمان قول من قال هو قول وعمل يزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل)، وقال أبو عمرو الداني في الرسالة الوافية ١٦٩: (ومن قول الفقهاء والمحدثين: أن الإيمان قول، وعمل، ونية، وإصابة السنة)، ويقول الخطابي في الغنية عن الكلام وأهله - (١ / ٤٥): (ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)، وفي حلية الأولياء (٨ / ٣٨١) عن يحيى بن سعيد أبي سعيد قال: (كان من أدركت من الأئمة يقولون الإيمان قول وعمل=

إنكارًا شديدًا قال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع.

٢) والحالة الثانية: أن يُطلق الإيمان مقرونًا بالإسلام، وحيئذ يُفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ٥٧]، وكما في قول النبي ﷺ - في دعاء الجنازة-: «اللهم من أحيَيْتَه منَّا فأَحْيِهِ على الإسلام، ومن توفيتَه منا فَتَوَفَّهُ على الإيمان»[1]، وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما

= يزيد وينقص)، وفي شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم - ١٧ عن قتيبة بن سعيد قال: (هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة: . . والإيمان قول وعمل، الإيمان يتفاضل) وجاء في ذم الكلام وأهله للهروي - (٢ / ٣٩٧) عن حفص بن عمر المهرقاني قال: سألت عبد الرزاق قلت: يا أبا بكر إن عندنا قوما مختلفين في الإيمان فأخبرني على ما أنت؟ وعلى ما أدركت العلماء؟ فقال: (الإيمان عندنا قول وعمل ويقين وإصابة السنة، فمن عمل وأيقن وقال ولم يصب السنة فهو منقوص، ومن قال ولم يعمل فهو منقوص، ومن قال وعمل ولم يوقن فهو منقوص، على هذا أدركت العلماء)، وقال ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح) الواسطية- المجموعة العلمية ص٦٢، وقال شارح الطحاوية: (ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان) ص ٢٧٤. ويقول ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٥٧): (أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة وبأن الإيمان قول وعمل ونية).

(١) مسند أحمد برقم (٨٧٩٥) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن أبي داود (٣٢٠١)، وسنن الترمذي برقم (١٠٢٤)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٩١٨)، وسنن ابن ماجه (١٤٩٨)، والمستدرك للحاكم برقم (١٣٢٦) وقال: هذا حديث صحيح على=

يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله.

فِي اجْتِمَاعِ اسْمَي الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ وَافْتِرَاقِهِمَا

* والحاصل أنه إذا أُفرد كلٌ من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كلٌ منهما على انفراده يشمل الدِّينَ كله، وإن فُرِّقَ بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل، والمجموع مع الإحسان هو الدِّين كما سمَّى النبيُّ ﷺ ذلك كلَّه دينًا، وقد ذكر ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك، وقال: وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة[١].

* قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح -رحمه اللَّه تعالى-: ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة، لأن اسم الشيء مطلقًا يقعُ على الكل منه، ولا يُستعمل في الناقص ظاهرًا إلا بقيْد، ولذلك جاز إطلاق نَفْيِهِ عنه في قوله ﷺ: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[٢]، واسم الإسلام يتناول - أيضا - ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحقَّقناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأنَّ كلَّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، قال: وهذا تحقيق وافٍ بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غَلِطَ فيها الخائضون، وما حقَّقْناه من ذلك موافقٌ لمذهب جماهير

= شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥ / ٢٧١)، والشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٧٥).

(١) جامع العلوم والحكم ٢٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العلماء أهل الحديث وغيرهم[١]، انتهى.

أقوال أهل البدع المخالفة لأهل السنة في الإيمان

١) قال ابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم: هو مجرد التصديق فقط، وعلى هذا القول يكون اليهودُ الذين أقرُّوا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى اللَّه الإيمانَ عنهم.

٢) وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة باللَّه فقط، وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافرٌ بالكلية، إذ لا يجهلُ الخالقَ سبحانه أحدٌ.

٣) وقالت المرجئة والكرامية: الإيمان هو الإقرار باللسان دون عَقْدِ القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين.

٤) وقال آخرون: الإيمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان، وهذا القول مُخْرِجٌ لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل، وهو ظاهر البطلان.

٥) وذهب الخوارجُ والعَلَّاف ومن وافقهم إلى أنه: الطاعة بأسرها فرضًا كانت أو نفْلًا، وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان، وكلما يقول له السائل في فريضة هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوَّع شيئًا»[٢].

---

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط - (١ / ١٣٥) لأبي عمرو ابن الصلاح.

(٢) سبق تخريجه.

٦) وذهب الجُبَّائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه: الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل، وهذا - أيضًا - يُدْخِل المنافقين في الإيمان، وقد نفاه اللَّه عنهم.

٧) وقال الباقون منهم: العمل والنطق والاعتقاد، والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كلَّ الأعمال شرطًا في الصحة، بل جعلوا كثيرًا منها شرطًا في الكمال، كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[1]، والمعتزلة جعلوها كلها شرطًا في الصحة واللَّه أعلم.

الدِّينُ الذي تكُونُ به النَّجَاة والحُكْمُ على النَّاسِ بما أَظْهَرُوهُ

* ثم اعلم يا أخي - أرشدنا اللَّه وإياك - أن التزام الدينِ الذي يكون به النجاةُ من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبدُ بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذُكر في حديث جبريل وما في معناه من الآيات والأحاديث.

* وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يَظهر منه ما يناقضه أُجريت عليه أحكامُ المسلمين في الدنيا، ووُكِلَتْ سريرتُه إلى اللَّه تعالى، وأَمَرَنا اللهُ ورسولُه ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين، مع إخباره بصفاتهم، وتعريفه بسيماهم

---

(١) صحيح البخاري (١ / ٧) معلقًا، ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٢٠) بإسناد أبي بكر ابن أبي شيبة في الإيمان وقال: وَهُوَ إِسْنَاد صَحِيح وَرِجَاله ثِقَات، وهو في الإيمان لابن أبي شيبة برقم (١٣١)، وفي اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم (١٥٧٢)، والإبانة الكبرى لابن بطَّة برقم (١١٦٠)، وكتاب السنة للخلال برقم (١١٦٢).

وعلاماتهم، ولم يقتل النبيُّ ﷺ أحدًا منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك، ويقيم الحدود عليهم، غير أنه نُهِيَ عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم والله أعلم، قال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ١١]، ولما أن استأذنه عمر رضي الله عنه في قتل الرجل الذي انتقد عليه حكمه ﷺ في قسمة الذهيبة قال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**»[١]، وقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه فيه: يا رسول الله ألا أضربُ عنقه؟ فقال: «**لعله أن يكون يصلي**»، قال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أُؤمر أن أنقِّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونَهم**»[٢] الحديث في الصحيحين، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلَّوا صلاتنا واستقبلُوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حَرُمَتْ علينا دماؤهم وأموالُهم إلا بحقِّها، وحسابُهم على الله ﷻ**»[٣].

(مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ)

(والإحسان) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين في هذا الحديث.

* والإحسان لغة: إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه.

* وفي الشريعة: هو ما فسَّره النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٦٣).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٠٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦٤).
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٥).

فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

* والمقصود أنه ﷺ فَسَّرَ الإسلامَ هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمانَ بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، ومجموع ذلك هو الدين، والكل من هذه المراتب (مبنيٌّ على أركان) لا قوامَ له إلا بقيامها.

[أَرْكَانُ الإِسْلَامِ الخَمْسَةَ]

١٦٨- فَقَدْ أَتَى الإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَى ... خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا

١٦٩) أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ

١٧٠) رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لا تَنْفَصِمْ

١٧١) وثَانِيًا إِقَامَةُ الصَّلَاةِ ... وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

١٧٢) وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

أركان المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام.

وهي على قسمين قولية وعملية:

* فالقولية: الشهادتان.

* والعملية الباقي، وهي ثلاثة أقسام:

١) بدنية: وهي الصلاة والصوم.

٢) ومالية: وهي الزكاة.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

٣) وبدنية مالية: وهو الحج.

* وقولُ القلب وعملُه شرطٌ في ذلك كله كما تقدم.

* والنصوص في هذه الأمور الخمسة كثيرةٌ جدًّا، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[1]، فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن، هكذا حدَّثنا رسولُ اللَّه ﷺ، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة ضِمامِ بن ثعلبة، وسؤالِه النبيَّ ﷺ عن تفصيل ما بعثه اللَّه تعالى به، وجوابه إياه بأركان الإسلام. رواه الجماعة[2].

الشَّهَادَتَان

(**أولها**) أي أول هذه الأركان (**الركن الأساس الأعظم**) الركن في اللغة: الجانب الأقوى، وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس**»، فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية، ولهذا قلنا (**الأساس**) الذي لا يقوم البناء إلا عليه، ولا يمكن إلا به، ولا يحصل بدونه (**الأعظم**) هذه الصيغة

---

(١) صحيح البخاري برقم (٨، ٤٢٤٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦) واللفظ لأحمد في المسند برقم (٤٧٩٨).

(٢) مسند أحمد برقم (٢٣٨٠)، صحيح البخاري برقم (٦٣)، وصحيح مسلم برقم (١٢)، سنن أبي داود برقم (٤٨٦)، وسنن الترمذي برقم (٦١٩)، وسنن النسائي برقم (٢٠٩٢)، وسنن ابن ماجه برقم (١٤٠٢).

مُشْعِرةٌ بتعظيم بقية الأركان، وإنما هذا أعظمها، فإنها كلَّها تابعةٌ له، ولا يدخل العبدُ في شيء من الشريعة إلا به **(وهو الصراط)** الطريق الواضح **(المستقيم)** الذي لا اعوجاج فيه، ولا غُبار عليه، بل هو معتدل جلي نيِّر **(الأقوم)** أي الأعدل، فإن من لم يَثْبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو **(ركن الشهادتين)** وهما شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه، فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما، ففي الشهادة الأولى توحيد المعبود، الذي ما خُلق الخلقُ إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا يُوصل إلى اللَّه تعالى إلا منه، ولا يَقبل دينًا ممن ابتغى غيره **(فاثبت)** أيها العبد - المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة - على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي، ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين **(واعتصم)** أي استمسك **(بالعروة)** أي بالعقد الأوثق في الدين والسبب الموصل إلى رب العالمين **(الوثقى)** تأنيث الأوثق **(التي لا تنفصم)** أي لا تنقطع، ولا إله إلا اللَّه هي العروة الوثقى، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وتقدم أن شهادة أن محمدا رسول اللَّه ﷺ والإيمان به هو شرط في الإيمان باللَّه، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية.

الصَّلَاة

(وثانيا) من الأركان الخمسة **(إقامة الصلاة)** بجميع حقوقها ولوازمها **(وثالثا تأدية الزكاة)** إعطاؤها على الوجه المشروع.

(حُكْمُ تَارِكِ الصَّلَاة)

عن عبد اللَّه بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[١].

أ- وقد أجمعوا على قتله كفرًا إذا كان تركُه الصلاةَ عن جحودٍ لفرضيتها، أو استكبارٍ عنها، وإن قال لا إله إلا اللَّه، لدخولِهِ في التارك لدينه المفارق للجماعة[٢]، وفي قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٣]، فإنه بذلك يكون مُرْتَدًّا مُبَدِّلًا لدينه.

ب- وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون - كما هو حال كثير من الناس - فقال النووي -رحمه اللَّه تعالى- في شرح مسلم-: قد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي -رحمهما اللَّه تعالى- والجماهيرُ من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يَفْسُق ويُستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن، ولكنَّه يُقتل بالسيف، وذهب جماعةٌ من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن

---

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦٢٢)، تعظيم قدر الصلاة برقم (٩٤٨)، قال النووي في رياض الصالحين ٢/ ٢٣: رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ في كِتابِ الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب١/ ١٣٧.

(٢) يشير المؤلف لحديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة) وهو في صحيح البخاري برقم (٦٤٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٦٧٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٨٥٤) من حديث عبد اللَّه بن عباس رضوان اللَّه عليهما.

أبي طالب - كرم اللَّه وجهه - وهي إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبه قال عبد اللَّه بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي - رضوان اللَّه عليه -، وقال أيوب السختياني: ترك الصلاة كفرٌ لا يُختلف فيه، وذهب إلى هذا القول جماعةٌ من السلف والخلف، وحكى إسحاقٌ عليها إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزي: هو قولُ جمهورِ أهل الحديث، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي - رحمهم اللَّه تعالى- إلى أنه لا يَكْفُرُ ولا يُقْتَل، بل يُعزر ويُحبس حتى يصلي اهـ[1].

(حُكْمُ مَانِعِ الزَّكَاةِ)

* وأما حكم تاركها:

أ- فإن كان مَنْعُه إنكارًا لوجوبها فكافرٌ بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة.

ب- وإن كان مُقرّا بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام.

ت- وأما إن كان الممتنعُ عن أداء الزكاة فردًا من الأفراد فأجمعوا على أنها تُؤخذ منه قهرًا. وهل يكفر أم لا؟ فقال عبد اللَّه بن شقيق: كان أصحابُ رسول اللَّه ﷺ لا يرون من الأعمال شيئًا تركه كفرٌ إلا الصلاة، وذهب طائفة من أهل الحديث إلى أنَّ من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمسة عمدًا أنه كافر، ورُوي ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم،

---

(١) شرح النووي على مسلم - (٢/ ٧٠).

وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه، وهو قول ابن حبيب من المالكية، وعن ابن مسعود: أن تارك الزكاة ليس بمسلم، وعن أحمد رواية: أن ترك الصلاة والزكاة كفرٌ دون الصيام والحج، قال ابن عيينة: المرجئة سَمَّوا تركَ الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم وليس سواء، لأن ركوبَ المحارم متعمدًا من غير استحلالٍ معصيةٌ، وتركُ الفرائض من غير جهل ولا عذرٍ كفرٌ، وبيان ذلك في أمر إبليس وعلماء اليهود الذي أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

* وهل يُقتل أم لا؟ الأول: هو المشهور عن أحمد -رحمه اللَّه تعالى-، ويُستدل له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»(١) الحديث، والثاني: لا يُقتل، وهو قول مالك والشافعي، ورواية عن أحمد - رحمهم اللَّه تعالى-.

* وأما هل يُنكل بِأَخْذِ شيء من ماله مع الزكاة؟ فقد رُوي في خصوص المسألة حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**في كل سائمةِ إبل في أربعين بنت لبون، لا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مُؤْتَجِرًا بها فله أجرها، ومن منعها فإنَّا آخِذُوها وشطرَ مالِه، عَزْمَةٌ من عزمات ربنا، لا يحلُّ لآل محمد منها شيء**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم(٢)، وعلق الشافعي القول به على ثبوته، فإنه

---

(١) سيأتي تخريجه بمشيئة اللَّه تعالى.

(٢) مسند أحمد برقم (٢٠٠٥٣) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، سنن أبي داود برقم (١٥٧٧)، والنسائي برقم (٢٤٤٩)، والطبراني برقم (٩٨٤)، والحاكم برقم (١٤٤٨) وقال: صحيح الإسناد، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥ / ٤٨١): وَإِسْنَاد هَذَا الحَدِيث صَحِيح إِلَى بهز، ثم ذكر توثيق الأئمة لبهز، وصحح إسناده العيني في عمدة=

قال: لا يُثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به.

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام:

* وهو في اللغة: الإمساك.

* وفي الشرع: إمساكٌ مخصوص، في زمن مخصوص، بشرائط مخصوصة.

* وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٣- ١٨٥].

* وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كُفْرُ مَنْ جحد فرضيته وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه وقوله (فاسمع واتبع)

= القاري (١٣ / ٤٠٤)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٢ / ٣٥٧): وقد قال يحيى بن معين في هذه الترجمة إسناد صحيح إذا كان من دون بهز ثقة، ثم قال: وسئل أحمد عن إسناده فقال: صالح الإسناد، وقال ابن عبد الهادي في المحرر في الحديث - (١ / ٣٣٩): هَذَا الحَدِيث صَحِيح، و(بهز) ثِقَة عِنْد أَحْمد، وَإِسْحَاق، وَابْن الْمَدِينِيّ، وَأبي دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَغَيرهم) وحسنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٣/ ٢٦٤ وغيره.

مأخوذ من قول اللَّه ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

الحَجُّ

الركن الخامس الحج وهو (على من يستطع) أي من استطاع إليه سبيلا، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

* واشتراط الاستطاعة فيه مصرحٌ به في الآية وفي حديث جبريل وغيره، وفسره النبي ﷺ بالزاد والراحلة(١).

* ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته، وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته، وروى الإسماعيلي - بإسناد صحيح - عن عبد الرحمن بن غُنم أنه سمع عمر بن الخطاب ﷺ يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواءٌ عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا(٢)، وروى سعيد بن منصور في

---

(١) وذلك في حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ الذي حسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح ٢/ ٦٨: سأل رجلٌ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: ما الحاجُّ؟ فقال: «الشَّعِثُ التَّفِلُ». فقام آخر فقال: يا رسول اللَّه أي الحج أفضل؟ قال: «العج والثج». فقام آخر فقال: يا رسول اللَّه ما السبيل؟ قال: «زاد وراحلة» رواه في شرح السنة برقم (١٨٤٧)، وهو في مسند الشافعي برقم (٧٤٤)، وجود إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٦ / ٣٠) من حديث أنس ﷺ.

(٢) هو في أخبار مكة للفاكهي (٨٠٤)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٤٦٧٠)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨٩٢٣)، وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ / ٣٨٤، والشيخ الشنقيطي في أضواء البيان ١ / ٢٠٥، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة تحت حديث رقم(٤٦٤١)، قال العلامة عبد اللَّه الدويش في تنبيه القارئ على تقوية ما ضعفه الألباني - (١ / ١٤٩): (وله حكم المرفوع لأنه لا يقال بالرأي).

سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كلِّ مَن كان عنده جِدَةٌ فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين[١]. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسولُ اللَّه ﷺ قال: «**أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أَكُلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتم عن شيء فدعوه**»[٢] ورواه مسلم واللَّه أعلم.

١٧٣) فَتِلْكَ خَمْسَةٌ، ولِلإيمَانِ سِتَّةُ أرْكَانٍ بِلَا نُكْرَانِ
١٧٤) إيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
١٧٥) وَبالْمَلائِكِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَهْ
١٧٦) ورُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلَا إِيهَامِ

(فتلك) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا (خمسة) فسَّر النبيُّ ﷺ بها الإسلام، فاعْلَمْها، واحتفظ بها، واعملها وعلِّمها، فسوف تُسأل عنها، وتُحاسب عليها، فأَعْدِدُ للسؤال جوابًا، وإياك أن تُخِلَّ بشيء منها فتكون من الظالمين.

---

(١) صححه الحافظ ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير ٢/ ٢٢٣، والحافظ ابن كثير في التفسير ١/ ٣٨٧، ونقل ابن الملقن في البدر المنير ٦/ ٣٨٧: تحسين الحافظ أبي محمد المنذري له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

أَرْكَانُ الإِيمَانِ

(وللإيمان ستة أركان) فسره بها النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره (بلا نكران) للنقل، ولا تكذيبٍ للخبر، ولا شكٍّ في الاعتقاد، ولا استكبار عن الانقياد:

* الأول منها (إيماننا بالله) بإلهيته وربوبيته لا شريكَ له في الملك، ولا منازعَ له فيه، ولا إلهَ غيره، ولا ربَّ سواه، واحدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولا يشرك في حكمه أحدًا، ولا ضد له، ولا ند، ولم يكن له كفوٌ أحدٌ (ذي الجلال) ذي العظمة والكبرياء، الذي هو أَهْلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُوحَّد فلا يُشرك معه غيره، ولا يوالى إلا هو: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، (و) الإيمان ب (ما له) تعالى (من صِفَةِ الكمال) مما وصف به نفسه، ووصفَه به رسول اللَّه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وإمرارها كما جاءت، بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، وأنَّ كلَّ ما سمَّى اللَّه تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسول اللَّه ﷺ الكُلُّ حقٌّ على حقيقته، على ما أراد اللَّه، وأراد رسوله، وعلى ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

* (و) الثاني الإيمان (بالملائك) الذين هم عباد اللَّه المكرمون، والسَّفَرَةُ بينه تعالى وبين رسله - عليهم الصلاة والسلام - (الكرام) خَلْقًا وخُلُقًا، والكرام على اللَّه تعالى (البَرَرة) الطاهرين ذاتًا وصفةً وأفعالًا،

المطيعين لله ﷻ، وهم عِباد من عباد الله ﷻ، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

* ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكَّلَهم به على أقسام:

١) فمنهم الموكَّل بالوحي من الله تعالى إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٤- ٩] وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلَّى له على صورته التي خُلق عليها، له ستمائة جناح، قد سدَّ عِظَمُ خَلْقِهِ الأُفُقَ، ثم رآه ليلة المعراج - أيضًا - في السماء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣- ١٥][1] ولم يَرَهُ ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين[2]

---

(١) وسيأتي ذكر ذلك والدليل عليه في الكلام على قصة المعراج.

(٢) كما روى البخاري في صحيحه برقم (٤٥٧٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين، وفي صحيح البخاري برقم (٣٠٦٠) ومسلم برقم (١٧٤) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وروى مسلم برقم (١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رأى جبريل.

وبقية الأوقات في صورة رجل، وغالبًا في صورة دحية الكلبي ﷺ[١].

٢) ومنهم الموكَّل بالقَطْر وتصاريفه إلى حيث أمره اللَّه ﷻ، وهو ميكائيل ﵇، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرِّفون الرياح والسحاب كما يشاء اللَّه ﷻ.

٣) ومنهم الموكَّل بالصُّور وهو إسرافيل ﵇، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه ﷻ، الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل: «**اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢].

٤) ومنهم الموكَّل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت[٣] وأعوانه قال

---

(١) روى مسلم في صحيحه برقم (١٦٧) عن جابر ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: (.. ورأيت جبريل ﵇ فإذا أقرب من رأيت به شَبَهًا دحيةُ بن خليفة)، وفي صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٥١) عن معتمر قال سمعت أبي حدثنا أبو عثمان قال: أنبئت أن جبريل ﵇ أتى النبيَّ ﷺ - وعنده أمُّ سلمة - فجعل يحدث ثم قام فقال النبيُّ ﷺ لأم سلمة (من هذا؟). أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: وايم اللَّه ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي اللَّه ﷺ بخبر جبريل أو كما قال، قال: فقلت لأبي عثمان ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد. ولفظ مسلم: حتى سمعت خطبة نبي اللَّه ﷺ يخبر خبرنا.

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٠) من حديث ﵄.

(٣) يقول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية - (١ / ٤٩): وأما ملك الموت فليس=

اللَّه تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ، وقد جاء في الأحاديث: أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وأجمل صورة، بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة، وأفظع منظر، بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قَبَضَها مَلَكُ الموت، فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها(١).

٥) ومنهم الموكَّل بحفظ العبد في حِلِّه وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، وهم المعقبات قال اللَّه تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١٠، ١١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمعقبات من اللَّه هم الملائكة، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر اللَّه تعالى خَلَّوا عنه(٢). وقال مجاهد: ما من عبد إلا له مَلَكٌ مُوَكَّلٌ في نومه ويقظته من الجن

= بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل واللَّه أعلم.

(١) جاء ذلك في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في مجيء الملائكة للمحتضر وفيه: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس)، وفيه: (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه) أخرجه أحمد في المسند(١٨٥٥٧)وقد سبق تخريجه.

(٢) جامع البيان للطبري برقم (٢٠٢١٧)، تفسير عبد الرزاق الصنعاني برقم (١٣٥٩)، تفسير ابن أبي حاتم برقم (١٢١٩٦).

والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أذن اللَّه فيه فيصيبه.

٦) ومنهم الموكَّل بحفظ عملِ العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، قال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، وقال الحسن البصري -رحمه اللَّه تعالى- وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] يا ابن ادم بُسطت لك صحيفتك، ووكِّل بك ملكان كريمان، أحدُهما عن يمينك، والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتِك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، اقللْ أو أَكْثِرْ، حتى إذا مِتَّ طُويت صحيفتك، فجُعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤] الآية، فقد واللَّه عَدَلَ من جعلك حسيب نفسك اهـ.

٧) ومنهم الموكَّلون بفتنة القبر، وهم منكر ونكير، وسيأتي - إن شاء اللَّه تعالى- ذكر النصوص في ذلك قريبًا، نسأل اللَّه تعالى الثبات والتوفيق.

٨) ومنهم خَزَنَة الجنة، ومقدمهم رضوان عليه السلام قال اللَّه تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

٩) ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة، كما قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]..

١٠) ومنهم خَزَنَة جهنم - عياذًا بالله منها - وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومُقدَّمُهم مالك عليه السلام وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٧-٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] وفي صحيح مسلم: «**يُؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجرونها**»(١).

١١) ومنهم الموكَّلون بالنطفة في الرحم، وفي بابه من الأحاديث كثير، وفيها أن: (**الملك يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق؟ وما الأجل؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء، فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يُغير ولا يُبدل**»(٢).

١٢) ومنهم حَمَلَة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).
(٢) سيأتي تخريجه - بمشيئة الله - في الكلام على أبواب القدر.

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] الآيات وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، ولأحمد عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[١]، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج: ثمانية صفوف من الملائكة.

١٣) ومنهم «ملائكة سياحون يتَّبعون مجالس الذكر، فاذا وجدوا قومًا يذكرون اللَّه عز وجل تنادوا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربُّهُم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك» الحديث[٢].

١٤) ومنهم الموكَّل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد ياليل وعَوْدِه منهم، وفيه قول جبريل له ﷺ: «إن اللَّه

(١) سنن أبي داود برقم (٤٧٢٩)، والمعجم الأوسط برقم (١٧٠٩)، ومستدرك الحاكم برقم (٨٧٩٧) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح المناوي إسناد أبي داود في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٣٥ والذهبي في العلو للعلي الغفار ١/ ٩٧، وقال عنه الحافظ في الفتح ٨/ ٦٦٥: وإسناده على شرط الصحيح، وقال عنه المؤلف في الأصل ١/ ١٧٢: وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقال الهيثمي في المجمع برقم (١٥٦): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. ورواه ابن أبي حاتم بإسناد آخر قال عنه الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/ ٤١٥: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٢٨)، والصحيحة (١٥١) وغيرها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك»، وفيه قول مَلَك الجبال: «**إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟**» فقال ﷺ: «**بل استأن بهم لعل اللَّه أن يخرج من أصلابهم من يعبد اللَّه لا يشرك به شيئًا**»[(١)].

١٥) وفيهم زوار البيت المعمور الذي أقسم اللَّه تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج[(٢)]، وهو بيتٌ في السماء السابعة، بحيال الكعبة في الأرض، لو سقط لوقع عليها[(٣)]، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم، والحديث بألفاظه في الصحيحين[(٤)].

١٦) ومنهم ملائكةٌ صفوفٌ لا يفترون، وقيام لا يركعون، ورُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٩)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٥)، من حديث عائشة رضوان اللَّه عليها.

(٢) سيأتي تخريجه -بمشيئة اللَّه تعالى- في أحاديث المعراج.

(٣) جاء ذلك في أثر قتادة -رحمه اللَّه تعالى- قال: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا اللَّه ورسوله أعلم. قال: فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خرَّ لخرَّ عليها . . .) ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٧٧)، وقال عنه: وإسناده مرسل صحيح، وجاء من قول عبد اللَّه بن عمرو ﵄ -موقوفًا عليه- صححه الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٤٩٣، ووردت هذه الجملة والتي تليها عن ابن عباس ﵄ بإسناد صالح كما قال الحافظ في نفس الموضع السابق من الفتح، ومثله مما لا يقال بالرأي والاجتهاد فلعله يأخذ حكم الرفع.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٠٣٥)، صحيح مسلم برقم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﵄.

ومنهم غير ذلك، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١] وعن رجل صحب رسول اللَّه ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن لله تعالى ملائكةً ترعد فرائصهم من خيفته، وما منهم مَلَك تقطر منه دمعة من عينيه إلا وقعت على مَلَك يصلي، وإن منهم ملائكةً سجودًا منذ خلق اللَّه السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكةً ركوعًا لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق اللَّه السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه اللَّه ﷻ فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**» وإسناده لا بأس به أخرجه محمد ابن نصر المروزي[١].

وفي الصحيح عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وصف لكم**»[٢].

الإِيمَانُ بالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ

* (و) الثالث الإيمان بـ(**كتبه المنزلة**) على رسله (**المطهرة**) من الكذب والزور، ومن كل باطل، ومن كل ما لا يليق بها، قال اللَّه تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ

---

(١) في تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٦٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٤/ ٤٨٧ حديث رقم ١٩٨٨.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).

مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

* ومعنى الإيمان بالكتب: التصديق الجازم بأن كلها مُنَزَّلٌ من عند اللَّه ﷻ على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام اللَّه ﷻ لا كلام غيره، وأن اللَّه تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد، والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأن جميعها يصدق بعضُها بعضًا لا يكذبه، كما قال تعالى- في الإنجيل-: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال في القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وأنَّ كلَّ مَن كذَّب بشئ منها أو أبى عن الانقياد لها مع تَعَلُّقِ خطابه به يكفر بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وأن نسخ الكُتُب الأولى بعضها ببعض حق، كما نُسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، وكما نُسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل بالقرآن، وأن نَسْخَ القرآن بعضِ آياتِه ببعض حقٌّ، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، والناسخ والمنسوخ آياتٌ مشهوراتٌ مذكوراتٌ في مواضعها من كتب التفسير وغيرها، وأنه لا يأتي كتاب بعده، ولا مغيِّرَ ولا مبدِّل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأن مَن كذَّب بشئ منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أنَّ مَن كذَّب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذَّب به، وأن مَن اتبع غير سبيله ولم يقتف أَثَرَهُ ضَلَّ.

* ثم الايمان بكتب اللَّه ﷿ يجب إجمالًا فيما أَجمل، وتفصيلًا فيما فَصَّل، فقد سمَّى اللَّه تعالى من كتبه: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صُحفَ إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملًا في قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، فنقول كما أَمَرَنا ربنا ﷿: آمنا بما أَنزل اللَّه من كتاب، وما أَرسل من رسول، وقال تعالى- في القرآن والسنة-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده، وتلاوته آناء الليل والنهار، والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال البطلين، والنصيحة له ظاهرًا وباطنًا بجميع معانيها، نسأل اللَّه تعالى أن يرزقنا كلَّ ذلك، ويوفقنا له، ويعيننا عليه، ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه ولي التوفيق.

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ

* (و) الرابع الإيمان بـ(رسله) وهم كلُّ من أُوحي إليه وأمر بالتبليغ، أما مَن أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي، ولا كل نبي رسول، (الهداة) جمع هاد، والمراد به هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد اللَّه ﷿ هو مقلِّبُ القلوب ومصرف الأمور، ليس لِمَلَكٍ

مقرب ولا نبي مرسل تصريفٌ في شيء منهما فَضلًا عمن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

* والإيمان برسل اللَّه ﷺ متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر باللَّه تعالى وبجميع الرسل ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠- ١٥٢]

* **ومعنى الإيمان بالرسل** هو: التصديق الجازم بأن اللَّه تعالى بعث في كلِّ أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جمعَيهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون، كرام بررة أتقياء، أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم اللَّه به، لم يكتموا منه حرفًا، ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا، ولم يُنقصوه، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين، وأن اللَّه تعالى فضَّل بعضهم على بعض درجات، وقد

اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد اللَّه ﷻ بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يُضاد ذلك أو ينافي كماله، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف، فيُفرض على هؤلاء ما لا يُفرض على هؤلاء، ويخفف على هؤلاء ما شُدد على أولئك، ويَحْرُم على أمَّة ما يَحِلُّ للأخرى، وبالعكس، لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا ﷻ ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

* وقد ذكر اللَّه تعالى- في كتابه - منهم (١) آدم، (٢) ونوحا، (٣) وإدريس، (٤) وهودا، (٥) وصالحا، (٦) وإبراهيم، (٧) وإسماعيل، (٨) وإسحاق، (٩) ويعقوب، (١٠) ويوسف، (١١) ولوطا، (١٢) وشعيبا، (١٣) ويونس، (١٤) وموسى، (١٥) وهارون، (١٦) وإلياس، (١٧) وزكريا، (١٨) ويحيى، (١٩) واليسع، (٢٠) وذا الكفل، (٢١) وداود، (٢٢) وسليمان، (٢٣) وأيوب، وذكر الأسباط جملة، (٢٤) وعيسى، (٢٥) ومحمدًا، وقص علينا من أنبائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالًا وتفصيلًا، ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فَصَّل، وإجمالا فيما أَجْمَل.

١٧٧) أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلا شِكٍّ كَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

(أولهم) يعني أول الرسل ﷺ نوحٌ بلا شك، قال اللَّه تعالى- لنبيِّه-: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، لأن أُمَّته أولُ من اختلف وغيَّر وبدَّل وكذب، وإلا فآدم قبله كان نبيًّا رسولًا، قال ابن

عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية قالوا: كان بين نوح وآدم عشَرَةُ قرون كلُّهم على شريعةٍ من الحق، فاختلفوا فبعث اللّٰه النبيين مبشرين ومنذرين (كما أن محمدًا) ﷺ (لهم) أي للرسل (قد ختما) فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

١٧٨) وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ الأُلَى ... في سُورَةِ الأَحْزَابِ والشُّورَى تَلا

(وخمسة منهم) أي من الرسل (أولو) أي أصحاب (العزم) يعني الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل اللّٰه تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، لذا خُصُّوا بالذكر في (سورة الأحزاب) يعني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وهؤلاء الخمسة: محمد ﷺ وهو خاتمهم، ونوحٌ وهو فاتحهم، وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما (و)كذا ذَكَرَهم على وجه التخصيص في سورة (الشورى) إذ يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] وخيرهم محمد ﷺ.

الإِيمَانُ بِالمَعَادِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ

١٧٩) وَبِالْمَعَادِ ايْقِنْ بِلَا تَرَدُّدِ ... ولا ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ
١٨٠) لكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى
١٨١) مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْيَ عَلامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

(وبالمعاد) وهو الْمَرَدُّ إلى اللَّه ﷻ والإياب إليه (ايقن) استيقن بذلك يقينًا جازمًا (بلا تردد) هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٣- ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥- ٦] وغيرها من الآيات، بل وغيرها من السور، وسيأتي إن شاء اللَّه مزيد نصوصٍ في اللقاء والبعث والنشور، (و) بـ(لا ادِّعا) بالقصر للوزن، وهو مصدر ادَّعى يَدَّعِي ادِّعاءً (علم بوقت الموعد) متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيب التي

لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وغيرها من الآيات، وتقدم حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي ﷺ: «**أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . .**»[1] الحديث.

وروى البخاري عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس ثم قرأ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾»[2].

الإيمَانُ بِأَمَارَاتِ السَّاعَةِ

و(**لكننا**) نؤمن ونصدق (**من غير امترا**) من غير شك (**بكل ما قد صح**) سنده وصرُح لفظُه (**عن خير الورى**) نبينا محمد ﷺ، الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (**من ذكر آيات**) أمارات (**تكون**) تقع (**قبلها**) قبل الساعة (**وهي**) أي تلك الأمارات (**علامات**) لمجيء الساعة وقربها ودنوها (**وأشراط لها**) أي لاقترابها.

* وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثيرٍ من علاماتها قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] الآيات.

---

(١) سبق تخريجه في موضع الإشارة إليه من المتن.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٥١).

* وقد ذكر اللَّه تعالى أن بعثة نبينا ﷺ من أشراطها كما قال ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات، وانشقاقُ القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة(١).

* وذَكَرَ تعالى من كبار أشراطها: الدخان، ونزول عيسى لقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وغيرها وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

* وأما الأحاديث في أشراط الساعة فكثيرة متواترةٌ، وقد تقرر في حديث جبريل ذكره ﷺ من أماراتها: «**أن تلد الأَمَةُ رَبَّتَها، وأن ترى الحُفَاةَ العُراة العالَةَ رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان**»(٢) وقوله ﷺ: «**بُعثتُ أنا والساعة كهاتين**»، وأشار بالسبابة والوسطى(٣)، وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: طَلَعَ النَّبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تَذَاكرون؟**»، قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس**

---

(١) وسيأتي ذكره ودليله من السنة قريبًا بمشيئة اللَّه.

(٢) سبق تخريجه في موضع الإشارة إليه من المتن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٩٥)، صحيح مسلم برقم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ، وصحيح البخاري برقم (٦١٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١) من حديث أنس ﷺ، وتفرد به البخاري دون مسلم برقم (٦١٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، كما تفرد به مسلم دون البخاري برقم (٨٦٧) من حديث جابر ﷺ.

من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، وفي رواية: «ونار تخرج من قُعْرَة عدن تَرْحَل[١] الناس»، زاد في أخرى: «تنزل معهم إذا نزلوا وتَقِيل معهم حيث قالوا»[٢]، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»، وفي رواية: «الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»[٣]. وروى البخاري -رحمه اللَّه تعالى- في كتاب الفتن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقْتَتِلَ فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقْتَلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يُبعث دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللَّه، وحتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال، فيَفِيْضُ حتى يُهِمَّ ربَّ المال مَن يقبل صدقته[٤]، وحتى يَعرضَه فيقول الذي يَعرضه عليه: لا أرب

---

(١) قال النووي في شرحه على مسلم (١٨ / ٢٩): ومعناه تأخذهم بالرحيل وتزعجهم، ويجعلون يرحلون قدَّامها.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٧).

(٤) قال النووي في شرحه على مسلم - (٧ / ٩٧): ضبطوه بوجهين أجودهما وأشهرهما: يُهِم - بضم الياء وكسر الهاء - ويكون رب المال منصوبًا مفعولًا، والفاعل من وتقديره يحزنه ويهتم له، والثاني: يَهُم - بفتح الياء وضم الهاء - ويكون رب المال مرفوعًا فاعلًا، وتقديره يهم ربُّ المال مَن يقبل صدقته أي يقصده.

لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنتْ من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولتقومنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهُما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحَتِه فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعة وهو يَلَيْطُ حوضَه فلا يَسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[1]. وفي صحيح مسلم عن عبد اللَّه بن عمرو قال: حفظتُ من رسول اللَّه ﷺ حديثًا لم أنْسَهُ بعدُ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن أولَ الآيات خروجًا طُلوع الشمس من مغربها، وخروجُ الدَّابة على الناس ضُحى، وأَيَّهُما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إِثْرِها قريبًا»[2]. وفيه عن ابن شهاب أخبرني عروةُ بن الزبير أن زينبَ بنت أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنتَ أبي سفيان أخبرتها زينبُ بنت جحش زوجُ النبي ﷺ قالت: خرج رسول اللَّه ﷺ يومًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وجهُه يقول: «لا إله الا اللَّه، ويلٌ للعرب مِن شرٍ قد اقترب، فُتِح اليومَ من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه» وحَلَّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول اللَّه أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثُر الخَبَثُ»[3]، وفيه عن النواس بن سمعان قال: ذَكَر رسول اللَّه ﷺ الدَّجال ذاتَ غداةٍ فخَفَضَ فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحْنا إليه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٤١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

عَرَفَ ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول اللَّه ذكرت الدجال غداةً فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرجْ وأنا فيكم فانا حجِيْجُه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قَطَطٌ، عينه طافئة، كأني أُشَبِّهُه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خُلَّةً بين الشام والعراق، فعَاثٍ يمينًا وعاثٍ شمالًا، يا عباد اللَّه فاثبتوا»، قلنا: يا رسول اللَّه وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول اللَّه فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول اللَّه وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأْمُر السماءَ فتُمطرُ، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرًا وأسبغه ضروعًا وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردُّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيُصبحون مُمْحِلِين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فَتَتْبَعُه كنوزُها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتَلِئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقْبِل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بَعَثَ اللهُ المسيحَ بنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طَأْطَأَ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كجُمَان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيَطْلُبُه

حتى يدركه بباب لُدٍ فيقتلُه، ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني قد اخرجت عِبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيَمُرُّ أوائلُهم على بُحيْرة طبرية فيشربون ما فيها، ويَمُرُّ آخرُهم فيقول: لقد كان بهذه مرةً ماءً، ويُحصَر نبيُّ اللَّه عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه فيرسل اللَّه عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيُصبحون فَرْسَى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبيُّ اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضِعَ شبر إلا ملأه زَهَمُهُم ونَتَنُهم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وإصحابه إلى اللَّه ﷻ فيرسلُ اللَّه تعالى طيرًا كأعناق البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مَطَراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسل الأرضَ حتى يتركها كالزَّلَقَة، ثم يقال للارض: انبتي ثمرَك ورُدِّي بركتَك، فيومئذ تأكلُ العصابةُ من الرمانة، ويَسْتَظلُّون بقَحَفِها، ويُبَارَكُ في الرِّسْل حتى إن اللِّقْحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللِّقحة من البقر لتكفي القبيلةَ من الناس، واللِّقحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شِرارُ الناس يتَهارجون فيها تَهَارُجَ الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة»[1]، وفي رواية: قال:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٣٧)، قال النووي في شرحه على مسلم - (١٨ / ٦٥): (إنه شاب قطط) هو - بفتح القاف والطاء - أي شديد جعودة الشعر، مُبَاعد للجعودة=

قال رسول اللَّه ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَه رجلٌ من المؤمنين، فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تَعْمِد؟ فيقول: أَعْمِدُ إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أوَما تؤمن بربِّنا؟ فيقول: ما بِرَبِّنا خفاءٌ، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه، قال: فينطلقون به إلى الدَّجال فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول اللَّه ﷺ، قال: فيأمر الدَّجالُ به

= المحبوبة، (خُلَّة) - بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين - ما بين البلدين، (فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدَّه خواصر) أما تروح: فمعناه ترجع آخر النهار، والسارحة هي الماشية التى تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى، وأما الذُّرى - فبضم الذال المعجمة - وهى الأعالى، والأسنمة جمع ذُروة بضم الذال وكسرها، وقوله (وأسبغه) بالسين المهملة والغين المعجمة أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمدَّه خواصر لكثرة امتلائها من الشبع (فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل، (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) أي قطعتين، ومعنى (رمية الغرض) أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته، (بين مهرودتين) ومعناه لابس مهرودتين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، (تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ) الجُمان - بضم الجيم وتخفيف الميم - هي حبَّات من الفضة تُصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللولؤ فى صفاته فسمى الماء جُمانًا لشبهه به فى الصفاء، (يدركه بباب لُدٍّ) هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس، (النغف) - بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء - وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة، والفرسى - بفتح الفاء مقصور - أي قتلى، واحدهم فريس، قوله (ملأه زهمهم ونتنهم) هو بفتح الهاء أى دسمهم ورائحتهم الكريهة، (يتركها كالزلفة) قال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة، (تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها) العصابة الجماعة وقحفها بكسر القاف هو مقعر قشرها، (ويبارك فى الرِّسل حتى إن اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس) الرِّسل بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن، واللقحة: القريبة العهد بالولادة، (لتكفى الفخذ من الناس) قال أهل اللغة الفخذ الجماعة من الأقارب.

فيُشَجُّ، فيقول: خذُوه وشُجُّوه، فيُوسَع ظهرُه وبطنُه ضَرْبًا، قال: فيقول: أَوَما تؤمنُ بي، قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيُؤْشَرُ بالمنشار من مفرقه حتى يُفْرَق بين رجليه، قال: ثم يمشي بين القطعتين، ثم يقول: قُم فيستوي قائمًا، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخُذُه الدَّجالُ ليَذْبَحَهُ فيُجعلُ ما بين رقبته إلى تُرْقُوَتِه نُحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا، قال: فيُؤخذ بيديه ورجليه فيُقذَفُ به، فيَحسب الناس إنما قَذَفَه إلى النار، وإنما أُلْقيَ في الجنة»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[١].

* وقد أمرنا رسولُ اللَّه ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال[٢] في كل صلاة فريضة أو نافلة.

الإِيمَانُ بِالمَوْتِ

١٨٢) وَيَدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا

(ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذي هو الْمُفْضِي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعةُ كلِّ إنسان بخصوصه.

* والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

١) منها: تحتُّمه على مَن كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٣٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣١١)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تُضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والانس يموتون**»(١).

٢) ومنها: أن كلًّا له أَجَلٌ محدود، وأَمَدٌ ممدود يَنتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، وقد علم اللَّه تعالى جميعَ ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملَك على كل أَحَد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه، في أي مكان يكون، وفي أي زمان، فلا يُزاد فيه ولا ينقص منه، ولا يُغيَّر ولا يُبدل عما سبق به علم اللَّه تعالى وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كلَّ إنسان مات أو قتل أو حَرِقَ أو غَرِق أو بأي حتْفٍ هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] الآية وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآيات وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] وروى مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قالت أمُّ حبيبة رضي الله عنها: اللهمَّ متعني بزوجي رسول اللَّه ﷺ

---

(١) سبق تخريجه.

وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**إنك سألت اللَّه تعالى لآجال مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة، لا يُعجِّل شيءٌ منها قبل حِلِّه، ولا يُؤخرُ منها يومًا بعد حِلِّه، ولو سألت اللَّه تعالى أن يعافيَكِ من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك**»(١).

٣) ومنها: الإيمان بأن ذلك الأَجَلَ المحتوم والحَدَّ المرسوم لانتهاء كلِّ عُمْرٍ إليه لا اطلاع لنا عليه، ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيب التي استأثر اللَّه تعالى بعلمها عن جميع خلقه، فلا يعلمها إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

٤) ومنها: ذكرُ العبدِ الموتَ وجعلُه على باله كما هو الرَّدمُ بينه وبين آماله، وهو المفضِي به إلى أعماله، وإلى الجزاء الأوفى من الحَكَم العَدَل، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي والنسائي وابن حبان وصححه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات الموت**»(٢)،

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

(٢) مسند أحمد برقم (٧٩١٢) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، وسنن الترمذي برقم (٢٣٠٧) وحسنه، وسنن النسائي برقم (١٨٢٤)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٥٨)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (٧٩٠٩) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ١١٧، والضياء في المختارة برقم (١٧٠١)، والهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٨٢١٣)، وصحح النووي أسانيده في الأذكار ١/ ١٠٥، وذكر في المجموع ٥/ ٩٥ أن أسانيده صحيحة كلها على شرط البخاري ومسلم، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ١٨١) ورمز له السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٣٩٦) بالصحة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٣٣).

وروى البخاري عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول اللَّه ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[1].

٥) ومنها: وهو المقصود الأعظم التَّأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، إذ ليس بعده لأحد من مُسْتَعْتَبٌ ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا مَقْعَدٌ ولا منزل إلا القبر، وهو إما روضةٌ من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء، ثم إما نعيم مقيم في جنات النعيم، وإما عذاب أليم في نار الجحيم، قال اللَّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠] الآيات.

أ- وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار.

ب- وكذلك يَسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٥٣).

زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] الآيات.

ت- وكذلك يَسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧- ٢٨] الآيات.

ث- وكذلك يَسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم، وعُرضوا عليه، وهم ناكسو رؤوسهم بين يديه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] الآيات.

ج- وكذلك يَسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾ [فاطر: ٣٧] الآيات. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩] قال: كان العلاء بن زياد يقول: ليُنْزِلْ أحدُكم نفسَه أنه قد حَضَره الموت، فاستقَال ربَّه فأَقَالَه، فليعملْ بطاعة ربه تعالى.

الإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ المَوْتِ

(و) منها الإيمان بـ(ما) الذي (من بعده) أي من بعد الموت (على العباد حُتما) من أحوال الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يَقضيَ اللَّه بين عباده، ويستقرَّ كلٌّ من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

إِثْبَاتُ عَذَابِ القَبْرِ

١٨٣) وَأَنَّ كُلًّا مُقْعَدٌ مَسْئُولُ: مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟
١٨٤) وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
١٨٥) وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ بِأَنَّ مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ

* في هذه الأبيات إثباتُ المسألة العظيمة وهي إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه.

* وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتابًا وسنةً، وأجمع على ذلك أئمةُ السُّنَّة من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم من أهلِ السنة والجماعة.

* وأنكر ذلك بشر المريسي وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩][(١)].

(١) الإيمان بعذاب القبر ونعيمه أصل من أصول أهل السنة والجماعة التي لا يختلفون عليها بل يضللون ويكفرون من أنكره بعد قيام الحجة عليه، ولم ينكره من الأمة إلا من لا يعتد به من أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة والخوارج، وقد قرر علماء الإسلام تواتر أدلته واستفاضتها استفاضة ظاهرة توجب القطع بثبوته، وفيما يلي جملة من أقوالهم في ذلك:
يقول الإمام محمد بن أبي زمنين في أصول السنة ص ١٠١: (وَأَهْلُ ٱلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ)، ثم أورد قول (عَبْد ٱلْمَلِكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: وَفِتْنَةُ ٱلْقَبْرِ وَعَذَابُهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْإِيمَانُ بِٱللَّهِ قَوِيٌّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ شَكٌّ، وَمَنْ كَذَّبَ بِذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّكْذِيبِ بِٱللَّهِ، وَإِنَّمَا يُكَذِّبُ بِهِ ٱلزَّنَادِقَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْبَعْثِ)، وقد نقل أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ٥٣ إجماع السلف عليه فقال: (وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب=

= تثبيته)، وقال أبو يعلى في الاعتقاد ص٣٢: (ثم الإيمان بعذاب القبر، وبمنكر ونكير، قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال أصحاب التفسير: عذاب القبر . . وروى البخاري بإسناده عن أم خالد قالت: «سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر»، وقال النبي ﷺ: «لو نجا أحد من ضمة القبر أو ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ»، ثم من بعد ذلك الإيمان بالصيحة للنشور، بصوت إسرافيل للقيام من القبور، فتلزم القلب أنك ميت ومضغوط في القبر، ومساءل في قبرك ومبعوث من بعد الموت فريضة لازمة. من أنكر ذلك فهو كافر)، وقال ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث ص ١٦: (أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لا يكون . . وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه وبدعوه وهجروه)، وقال الطحاوي كما في شرح الطحاوية ص٣٣٤: (ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهل، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ وعن الصحابة رضوان اللَّه عليهم)، وقال صاعد النيسابوري في الاعتقاد ١٤٧: (رُوي عن أبي مطيع البلخي قال: قال أبو حنيفة ﷺ: من قال: لا أعرف عذاب القبر، فهو مِن الطائفة الجهمية الهالكة، قال اللَّه تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عذاب القبر، وعن محمد بن مقاتل الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: عذاب القبر لاشك فيه، قد رواه عن رسول اللَّه عدةٌ من أصحابه، ولا اختلاف بين العلماء فيه)، قال ابن عبد البر في التمهيد معلقًا على حديث استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر (١٢ / ١٨٦): (وفي هذا الحديث الإقرار بعذاب القبر ولا خلاف بين أهل السنة في جواز تصحيحه واعتقاد ذلك والإيمان به)، وقال الاستذكار (٢ / ٣٣٩): (وأهل السنة والجماعة مصدقون بفتنة القبر وعذاب القبر لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ)، وقال الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد ص ٦٨: (وأما عذاب القبر فقد دلت عليه قواطع الشرع، إذ تواتر عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضي اللَّه عنهم بالاستعاذة منه في الأدعية، واشتهر قوله عند المرور بقبرين: «إنهما ليعذبان»، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية، وهو ممكن، فيجب التصديق به. ووجه إمكانه ظاهر، وإنما تنكره المعتزلة)، وقد قال الآجري في=

= الشريعة (٢ / ٤٤٤) بعد أن ساق جملة من الأحاديث في إثبات عذاب القبر ونعيمه : (ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا)، قال ابن القيم بعد روايته لبعض أحاديث عذاب القبر في الروح ص٥٧ : (وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة)، وقال الاسفراييني في التبصير في الدين ص ١٧٧ : (ولا ينكر ما استفاض به الإخبار ونطقت به الآيات من الإحياء في القبر إلا من ينكر عموم قدرة اللّه تعالى، ومن أنكر عموم قدرته سبحانه وتعالى كان خارجا عن زمرة أهل الإسلام)، وقال ملا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة - (١ / ٣٦٨) : (والأحاديث في ذلك كثيرة في المبنى، وقد تواترت بحسب المعنى، وأجمعوا عليه أهل السنة، خلافا لبعض أهل البدعة)، وقال القاضي عياض في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٨ / ٢٠١): (عذاب القبر ثابت عند أهل السنة، وقد وردت به الآثار . . وأن مذهب أهل السنة تصحيح هذه الأحاديث وإمرارها على وجهها ؛ لصحة طرقها، وقبول السلف لها، خلافًا لجميع الخوارج، ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة؛ إذ لا استحالة فيها ولا رد للعقل)، وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٣ / ٣٨): (وفيه - يعني: حديث سؤال عائشةَ النبيَّ ﷺ عن عذاب القبر في خبر اليهودية- : أن عذاب القبر حق، وأهل السنة مجمعون على الإيمان به والتصديق، ولا ينكره إلا مبتدع)، ونقل عن ابن مجاهد حكايته إجماع أهل السنة على ذلك (٣/ ٣٥٨) فقال: (قال أبو بكر بن مجاهد: أجمع أهل السُّنَّة أن عذاب القبر حق، وأن الناس يُفتنون في قبورهم بعد أن يُحيوا فيها ويُسألوا فيها، ويثبت اللّه من أحب تثبيته منهم . وقال أبو عثمان بن الحداد: وإنما أنكر عذاب القبر بشر المريسي والأصم وضرار)، وقال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري معلقًا على حديث أنس في سماع الميت قرع نعال مشيعيه وسؤال الملكين له - (١٢ / ٤٦٤): (فيه إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل السنة والجماعة وأنكر ذلك ضرار بن عمرو وبشر المريسي وأكثر المتأخرين من المعتزلة)، وقال النووي في شرحه على مسلم - (١٧ / ٢٠٠): (اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال اللّه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد=

= اللَّه تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر . . والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة نفوا ذلك)، وقال أبو عبد اللَّه مغلطاي الحنفي في شرح ابن ماجه (١ / ١٥٤٦): (وفيه إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل الحق أجمعين)، وقال السفاريني في لوامع الأنوار البهية - (٢ / ٢٣): (ما أخبر به الصادق المصدوق وجب الإيمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تُحِلْهُ العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الأخبار إلحادٌ، وهو كما أنه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروذي قال أبو عبد اللَّه الإمام أحمد رضي الله عنه: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل . وقال حنبل: قلت لأبي عبد اللَّه في عذاب القبر فقال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه رددنا على اللَّه أمره، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ . قلت: وعذاب القبر حق؟ قال: حق يعذبون في القبور . قال: وسمعت أبا عبد اللَّه يقول: نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير (وأن العبد يسأل في قبره فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر)، وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٥٠٣) (وقد تظاهرت الدلائل من الكتاب والسنة على ثبوت عذاب القبر وأجمع عليه أهل السنة وصح أن النبي ﷺ سمعه بل سمعه آحاد من الناس).

وقد رأيت إشارات العلماء في كافة ما سبق من أقوالهم إلى أن إنكار عذاب القبر ونعيمه إنما هو من دين الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن ذلك أيضًا قول أبي الحسين الملطي الشافعي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٢٤: (وأنكر جهم عذاب القبر ومنكرا ونكيرا)، وساق ابن شاهين في الكتاب اللطيف ص ٢٤ بإسناده إلى سفيان الثوري قوله: (أما المعتزلة فهم يكذبون بعذاب القبر)، وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين - (١ / ١٢٧): (والخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أن أحدا يعذب في قبره) .

ومن طريف ما يذكر في ذلك ما ذكره ابن أبي الخير العمراني في الانتصار في الرد على=

* والذي أُحْرِقتْ أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعُه الذي أبدأه مِن لا أجزاء ولا أعضاء، ولا فرق بين من كذَّب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه.

* قال اللَّه - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية قال أئمة التفسير: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشَّرتْه الملائكة بالعذاب، فتَفَرَّقُ روحُه في جسده، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ

= المعتزلة القدرية الأشرار - (٣ / ٧٢٧) حيث قال: (وروي أن بعض أئمة الحديث قدم ليصلي على بعض دعاة القدرية، فقام عنده ولم يكبر، وقال بأعلى صوته: اللهم إن هذا ما كان يؤمن بعذاب القبر فلا تنجه منه، اللهم إن هذا ما كان يؤمن بمنكر ونكير فلا تلقنه حجته عند مسألتهما إياه .. ثم التفت إلى من خلفه بعد كلامه هذا وقال: إنما فعلت هذا لتعلموا أنها سنة فإن اللَّه تعالى يقول لنبيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

مع العلم أن قول أهل السنة هو أن عذاب القبر ونعيمه إنما هو على الروح والجسد ليس على واحد منهما دون الآخر قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث النزول - (١ / ١٤٧): (ولهذا صار بعض الناس إلى أن عذاب القبر إنما هو على الروح فقط كما يقوله ابن ميسرة وابن حزم. وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة).

ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ووجه الدلالة من هذه الآية: أنه إذا كان يُفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله وهم لا يرون شيئًا من ذلك فلَأن يُفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كَشف عنه أولى وأظهر، فلابد للمخالف من أحد أمرين: إما أن يُقرَّ بما أخبر اللَّه تعالى به في المحتضر، فيلزمهم ما وَرَدَ في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه اللَّه ورسوله، فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون.

* وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة وأن من أنكر ذاك اعتمادا على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون اللَّه يفعل ما يشاء.

* وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

* وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١] قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن اسحاق ما حاصله أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو عذاب النار.

* وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر(١).

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى-: وفيها الدلالة على عذاب البرزخ(٢).

---

(١) وفسر العذاب الأدنى بعذاب القبر - أيضًا - حبرُ الأمة وترجمان القرآن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما، كما قال الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الروح ص٧٦: (وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد اللَّه بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا عذابٌ في الدنيا يُستدعى به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا مما يخفي على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذابَ القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقيةٌ يُعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى فتأمله)، وقال العلامة ابن السعدي رحمه الله في تفسيره - (١ / ٦٥٦): (وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتُها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار).

(٢) ومن أصرح الأدلة القرآنية على إثبات عذاب القبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، وقد ثبت تفسير المعيشة الضنكة بعذاب القبر مرفوعًا إلى رسول اللَّه ﷺ وجمع من أصحابه، كما أخرج ابن أبي زمنين في أصول السنة برقم (٨٤)، وابن حبان في صحيحه برقم (٣١١٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله -جل وعلا-: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: (عذاب القبر)، وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٥ / ٣٢٤) والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٩/ ٣٣٣)، وحسنه الشيخ=

* وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر إذ رواها أئمةُ السُّنَّةِ وحَمَلَةُ الحديث ونُقَّادُه عن الجَمِّ الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول اللَّه ﷺ[1].

= الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٠٩)، وأخرج ابن حبان في صحيحه برقم (٣١٢٢) وحسنه محققه الأرناؤوط، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤)، والبزار في مسنده برقم (٩٤٠٧)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء ويرحب له قبره سبعون ذراعًا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم قال: «عذاب الكافر في قبره..» الحديث، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٣)، والحاكم في المستدرك برقم (١٤٠٣، ١٤٠٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين..» الحديث وفيه: (ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال: وذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾)، وبناءً عليه فقد فسر المعيشة الضنك بعذاب القبر عددٌ من الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ولذلك قال شيخ المفسرين الإمام الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٩٤): (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر)، وقال الشوكاني في فتح القدير - (٥ / ٣٥) بعد ذكره للأدلة السابقة في تفسير المعيشة الضنك بعذاب القبر: (ومجموع ما ذكرنا هنا يرجح تفسير المعيشة الضنك بعذاب القبر)، وقرر ذلك السعدي في تفسيره (١ / ٥١٥) فقال: (وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر).

(١) يقول أبو بكر ابن أبي عاصم الشيباني في السنة - (٢ / ٣٩٥): والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم، وعلق الطحاوي في بيان مشكل الآثار (١٣ / ٩٨) على بعض الأخبار في عذاب القبر فقال: (فكان هذا الحديث فيه إثبات عذاب القبر، وقد رويتُ عن رسول اللَّه ﷺ آثارًا باستعاذته منه متواترة)، وقال=

- فروى البخاري عن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: **«إنهما ليُعذبَّان، وما يُعذبَّان في كبير»** ثم قال: **«بلى، أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**، ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كلَّ واحد منهما على قبر، ثم قال: **«لعله يُخَفَّفُ عنهما ما لم يَيْبَسَا»**[1] ورواه مسلم أيضًا وغيره.

- ولهما وللنسائي عنه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان يُعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: **«قولوا: اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»**[2].

- وروى البخاري عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن أحدَكم إذا مات عُرض عليه مقعدُه بالغداة والعَشِي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك**

= الاسفراييني في التبصير في الدين ٦٧: (وفي عذاب القبر قد بلغت الأخبار حد التواتر)، وقال المناوي في فيض القدير (٢/ ٥٠٣) (قال الدماميني رحمه الله: وقد كثرت الأحاديث فيه حتى قال غير واحد إنها متواترة لا يصح عليها التواطؤ، وإن لم يصح مثلها لم يصح شيء من أمر الدين)، وقال أيضًا (٢/ ١٠٢): (فعذاب القبر حق عند أهل السنة وهو ما نقل متواترا فيجب اعتقاده ويكفر منكره). وقال أيضًا (٥/ ٤٢٤): (وقال السلمي: أما الأخبار في عذاب القبر فبالغة مبلغ الاستفاضة).

(١) صحيح البخاري برقم (٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٢).

(٢) هو من أفراد مسلم عن البخاري أخرجه مسلم برقم (٥٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأشار إلى ذلك الحُميدي في الجمع بين الصحيحين برقم (١٢٠١) والمزي في تحفة الأشراف برقم (٥٧٥٢)، وقد أورد البخاري هذا المعنى من غير حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة»(١).

- وله من حديث عائشة رضي الله عنها أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فسَأَلَتْ عائشةُ رسولَ اللَّه ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «عذاب القبر حق»، قالت عائشة: فما رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوَّذ من عذاب القبر. ووافقه عليه مسلم وغيره(٢).

- وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قُبر الميت» أو قال: «أحدُكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، والآخر النكير، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد اللَّه ورسوله، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنَّا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرُهم، فيقولون: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهليه إليه، حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلتُ مثلَه لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك»(٣).

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٣١٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٠٦)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٦) بدون الجملة الأولى المرفوعة.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٠٧١) وحسنه، والزهد لابن المبارك برقم (١٥٩٠)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٧١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٩١) وغيرها.

- وروى ابنُ جرير عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تُوَلُّون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن يساره، وكان فِعلُ الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيُؤتى من قِبل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، فيُؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل، فيُؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قِبَلي مدخل، فيُقال له: اجلس، فيجلس قد مُثلت له الشمس قد دنت للغروب، فيقال: أخبرنا عمَّا نَسألك، فيقول: دعني حتى أُصَلِّي، فيقال له: إنك ستفعل، فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه؟ وما تشهد به عليه؟ فيقول: أمحمد؟ فيقال له: نعم، فيقول: أشهد أنه رسول اللَّه، وأنه جاءنا بالبينات من عند اللَّه، فصدَّقْناه، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعليه تبعث إن شاء اللَّه تعالى، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنَوَّرُ له، ويُفتح له بابٌ في الجنة، فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ اللَّه لك فيها، فيزداد غِبْطة وسرورًا، ثم تُجعل نسمتُه في النَّسم الطيب، وهي طيرٌ خُضر يعلق بشجر الجنة، ويُعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب، وذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»(١).

---

(١) تفسير الطبري برقم (٢٠٨٧١)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٥٤٣)، والأوسط برقم (٢٦٣٠)، وصحيح ابن حبان برقم (٣١١٣) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١٩٥٤): ورجاله ثقات، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٣، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٥٦١).

- وروى البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحدٌ قصَّها، فيقول ما شاء اللَّه، فسَأَلَنا يومًا، فقال: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**»، قلنا: لا، قال: «**لكني رأيتُ الليلة رجلين، أتياني فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجل قائم بيده -قال بعض أصحابنا عن موسى- كَلُّوب من حديد يُدخله في شِدْقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثلَ ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى آتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيَشْرخ به رأسه، فإذا ضربه تَدَهْدَهَ الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، قلتُ: من هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقا إلى ثَقْب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع، يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلتُ: مَن هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر، ورجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجلُ الذي في النهر، فإذا أراد ان يخرج رَمَى الرجلُ بحجر في فيه فردَّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارًا لم أرَ قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني**

منها فصعدا بي إلى الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عمَّا رأيت، قالا: نعم، أما الذي رأيته يُشق شِدْقُه فكذَّاب يُحدِّث بالكذبة تُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذي رأيتَه يُشرخ رأسُه فرجلٌ علمه اللَّه القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيتَه في الثَّقْب فهم الزناة، والذي رأيتَه في النهر آكلُوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يُوقِدُ النَّارَ مالكٌ خازنُ النار، والدار الأولى التي دخلتَ دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخلْ منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك»[1].

فِي لِقَاءِ اللَّهِ

١٨٦) وَبِالْلِّقَا والْبَعْثِ والنُّشُورِ وَبِقِيَامِنَا مِنَ القُبُورِ

١٨٧) غُرْلًا حُفَاةً كَجَرادٍ مُنْتَشِرْ يَقُولُ ذُو الكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

أي يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بلقاء اللَّه عز وجل الحاصل فيه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٢٠)، وأقتصر مسلم في صحيحه على أوله برقم (٢٢٧٥)، قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- بعد ذكره لهذا الحديث في كتابه الروح ٥٩: (وهذا نصٌ في عذاب البرزخ، فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر).

﴿٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وغيرها من الآيات، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحبَّ لقاءَ اللَّه أحبَّ اللَّه لقاءه، ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه»، فقلت: يا نبي اللَّه أكراهية الموت؟ فكلُّنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّر برحمةِ اللَّه ورضوانِه وجنَّتِه أحبَّ لقاءَ اللَّه فأحب اللَّه لقاءه، وإنَّ الكافرَ إذا بُشِّر بعذاب اللَّه وسخطه كَرِهَ لقاءَ اللهِ وكرِهَ اللهُ لقاءَه»[1]، وفي رواية: «والموت قبل لقاء الله»[2].

وفي حديث القُرَّاء أصحابِ بئر مَعُونة: «بَلِّغُوا قومَنا عنَّا أنْ قد لقِيْنَا ربَّنا فرضيَ عنَّا ورضيْنا عنه»[3]، ورُوي أنه كان قرآنًا فنُسختْ تلاوتُه[4] والآيات والأحاديث في إثبات لقاء اللَّه ﷻ كثيرةٌ جدًّا، ومن كذَّب بذلك كَفَر.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٤).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٨٤).
(٣) صحيح البخاري في مواضع منها رقم (٢٦٤٧، ٢٦٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٧٧).
(٤) صحيح البخاري برقم (٣٨٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٧٧) من حديث حديث أنس رضي الله عنه.

الإيمَانُ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ

(والبعث والنشور) أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بالبعث والنشور، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٠- ٣١] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٧- ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٦-٦٨] الآيات إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٤٨- ٥٣] الآيات.

* وجميعُ سور المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير

والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور بل القرآن كلُّه من فاتحته إلى خاتمته مملوءٌ بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه، وتقرير ذلك بأصدق الأخبار، وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه، ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها، ولهذا يَذكر إحياءَ الموتى بعد ذكر إحيائِه الأرض ليستدل مَن له قلبٌ شهيد على الآجل بالعاجل، وعلى الغيب بالشهادة، فيقول ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣]، وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًا، وقد تقدم كثيرٌ منها في مواضع متفرقة.

وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كذَّبني ابنُ آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبُه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمُه إياي فقوله: اتخذ اللَّه ولدًا، وأنا الأحد الصَّمد، لم أَلِدْ، ولم أُوْلدْ، ولم يكنْ لي كُفُوًا أحد**»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كلُّ ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذَّنب، منه خُلقَ ومنه يُرَكَّب**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٩٠).

(٢) صحيح مسلم برقم: (٢٩٥٥)، وهو في صحيح البخاري برقم (٤٦٥١) جزء من حديث بلفظ: (ليس من الإنسان شيء إلا يَبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذنب، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة). قال الحافظ في الفتح (٨/ ٥٥٢): والعَجْب - بفتح=

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إني أول مَن يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان؟ أم بعد النفخة؟**»(١).

فَصْلٌ: مُنْكِرُو البَعْثِ عَلَى أَرْبَعِةِ أَصْنَافٍ

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف:

١) صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوانَ تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها ربٌّ يتصرف فيها، إنما هي أرحامٌ تَدْفع، وأرض تَبْلَع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

٢) والصنف الثاني من الدهرية: طائفةٌ يقال لهم الدَّوْرِيَّة، وهم منكرون للخالق - أيضًا -، ويعتقدون أنَّ في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعودُ كلَّ شئ إلى ما كان عليه، وزعموا أنَّ هذا قد تكرر مرات لا تَتَنَاهَى، فكابروا في المعقول، وكذَّبُوا المنقولَ، وهاتان الطائفتان يعُمُّهُم قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

٣) الصنف الثالث: الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مُقرّون بالبداءة، وأن اللَّه تعالى ربُّهم وخالقُهم، ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِىَ

= المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة ويقال له عجم بالميم أيضا عوض الباء - وهو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٥) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣) بمعناه.

إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، فأقرُّوا بالبداءة والْمُبْدئ، وأنكروا البعث والمعاد.

٤) والصنف الرابع: ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقرُّوا بمعاد ليس على ما في القرآن، ولا فيما أخبرت به الرسل عن اللَّه ﷻ، بل زعموا أنَّ هذا العالَمَ يَعدم عدمًا محضًا، وليس الْمُعادُ هو بل عالم آخر غيرُه، فحينئذ تكون الأجساد التي تُعذَّبُ وتُجازى وتشهد على مَن عمل بها المعاصي ليست هي التي أُعيدت، بل هي غيرها، والأبدان التي تُنعمُ بالجنة وتُثابُ ليست هي التي عملت الطاعة، ولا أنها تحولتْ من حال إلى حال، بل هي غيرها، تبتدأ ابتداءً محضًا، فأنكروا معاد الأبدان، وزعموا أن المعاد بداءة أخرى.

(غُرلا حفاة) الأغرل الأقلف، حفاةً غيرُ منتَعِلين (كجراد منتشر) شُبهوا بالجراد المنتشر لكثرته، ولكونه ليس له وجهة يقصدها، بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك، قال اللَّه تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦- ٨].

وفي الصحيحين عن ابن عباس ﵄ قال: قام فينا رسولُ اللَّه ﷺ يخطب، فقال: «إنكم محشورون حُفاةً عُراةً غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية، وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيُؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أُصَيحابي؟ فيقول اللَّه ﷻ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول - كما قال العبد الصالح -: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ

ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧- ١١٨] قال: فيقال: **إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[١]، وفي رواية: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنكم ملاقوا اللَّه حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرلًا**»[٢]، وفي أخرى: قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يخطبُ على المنبر، وفيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غُرلًا**»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول اللَّه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «**الأمر أشد مِن أن يُهِمَّهُم ذلك**»[٣]، وفي رواية النسائي: فقالت عائشة: يا رسول اللَّه فكيف بالعورات؟ فقال: «**لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»[٤].

الجَمْعُ لِيَوْمِ الفَصْلِ

١٨٨) وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ والسُّفْلِي

١٨٩) في مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ والْكَرْبُ

(**ويُجمع الخلق**) أولُهم وآخرُهم (**ليوم الفصل**) يوم يَفصل الرحمن بين الخلائق، سمَّاه اللَّه تعالى يومَ الفصل لذلك، وسمَّاه يومَ التغابن لكثرة

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٥٩)، وصحيح مسلم (٢٨٦٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٩).

(٤) مسند أحمد برقم (٢٤٦٣٢) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وسنن النسائي برقم (٢٠٨٣)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (٨٦٨٤) وصححه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي برقم (٢٠٨٣).

المغبونين يومئذ، وسمَّاه يومَ الجمع لأنه يَجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي ويَنفذهم البصر، وسمَّاه يوم التَّلاق لأنه يلقى فيه العبدُ ربه، ويلقى فيه العاملُ عملَه، ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهلُ السماوات والأرضين، وسمَّاه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور وغير ذلك، قال اللَّه ﷻ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٧- ٤٨] وغيرها من الآيات.

(**جميعُهم علويُهم**) وهم عوالم السماوات (**والسفلي**) وهم عوالم الأرضين (**في موقف**) عظيم (**يَجِلُّ**) يشتد (**فيه الخطب**) الشأن والأمر (**ويَعظم الهول**) الأمر الفظيع الهائل (**به**) أي فيه (**والكرب**) الحزن الآخذ بالنَّفس والهم والغم، وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩-١٠].

وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»(١)، ولأحمد عن المقداد بن الأسود الكندي ﵁ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إذا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٢).

كان يوم القيامة أُدْنِيَتِ الشمسُ من العباد حتى تكون قَدْرِ مِيْلٍ أو مِيْلَين، قال فتصهرهم الشمس، فيكونون في العَرَق كقدر أعمالهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم مَن يأخذه إلى حِقْويه، ومنهم مَن يُلجِمه إلجامًا» ورواه مسلم والترمذي[1].

ويقول -تبارك وتعالى-: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣] ويقول اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

حَشْرُ الخَلَائِقِ لِلْعَرْضِ

١٩٠) وأُحْضِرُوا للْعَرْضِ والْحِسَابِ ... وَانْقَطَعَتْ عَلائِقُ الأَنْسَابِ

(وأُحْضِروا للعرض) العَرض له معنيان:

- معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، هذا يدخل فيه مَن يناقشُ الحسابَ ومَن لا يُحاسب.

- والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرُهم بها، وستْرُها عليهم، ومغفرتُها لهم، والمناقشة. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] الآيات وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ

(١) مسند أحمد برقم (٢٣٨٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٤٢١).

﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦- ٨]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] وعن أبي العالية قال: يُسال العباد كلُّهم عن خُلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون، وعن ماذا أجابوا المرسلين.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ليس أحد يُحاسب يوم القيامة إلا هلك**» فقلت: يا رسول اللَّه أليس قد قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يُناقش الحسابَ يوم القيامة إلا عذب**»[1].

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه اللَّه يوم القيامة، ليس بين اللَّه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»[2].

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عَرَض رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن أو قال: يا ابن عمر هل سمعتَ النبي ﷺ يقول: «**يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كَنَفَه فيقرِّره بذنوبه، تعرف ذنبَ كذا، يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: أنا سترتها في الدنيا، وأغفرُها لك اليوم، ثم تُطوى صحيفةُ حسناته، وأما الآخرون أو الكفار**

(١) سيأتي تخريجه عند ذكر الناظم للعرض ضمن المتن بمشيئة اللَّه.
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٤)، صحيح مسلم برقم (١٠١٦).

فينادَى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللَّه على الظالمين»[١].

وفي الترمذي عن أبي بزرة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمرِهِ فيما أفناه، وعن علمه فيم عمل فيه، وعن ماله مِن أين أكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» وقال: حسن صحيح[٢].

بَرَاءَةُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ

(وانقطعت علائقُ الأنساب) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] الآيات وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآيات.

قال الحسن -رحمه اللَّه تعالى-: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وفي الحديث الصحيح - في أمر الشفاعة - أنه اذا طُلب إلى كلٍ من أولي العزم أن يشفع عند اللَّه في الخلائق يقول: «نفسي نفسي، لا أسألك

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٨).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، مسند أبي يعلى برقم (٧٤٣٤)، المعجم الأوسط برقم (٢١٩١)، سنن الدارمي برقم (٥٣٧)، وجوَّد إسناده ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢/ ٤١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٢٦) وغيره من كتبه.

إلا نفسي» حتى إن عيسى بن مريم يقول: «لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني»(١).

١٩١) وارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأهْوَالِ وانْعَجَمَ الْبَلِيغُ في الْمَقَالِ

١٩٢) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

(وارتكمت) اجتمعت (سحائبُ الأهوال) جمع هول وهو الأمر الشديد الهائل المفظع (وانعجم) أُسكت فلم يتكلم البليغ الذي كان في الدنيا مقتدرًا على البلاغة والفصاحة في المقال، قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]، وفي حديث الشفاعة: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل»(٢) الحديث (وعنت الوجوه) ذلَّت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عانٍ (للقيوم) تضمين لمعنى قوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾، (واقتُص من ذي الظلم) أي اقْتُضِيَ من الظالم للمظلوم، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠] وغيرها من الآيات.

وقال البخاري: باب القصاص يوم القيامة، ثم ساق - بسنده - حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس بالدماء»(٣).

وحديثَ أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَن كانت عنده مظلمةٌ

(١) سيأتي تخريجه قريبًا بمشيئة اللَّه.
(٢) سيأتي تخريجه قريبًا بمشيئة اللَّه.
(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٦٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٧٨).

لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، مِن قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه»[١].

وحديثَ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قَنطرة بين الجنة والنار، فيُقص لبعضهم من بعض مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[٢].

وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أتدرون مَن المفلس؟»، قالوا: المفلس فينا - يا رسول اللَّه - مَن لا درهم له ولا متاع، قال رسول اللَّه ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقَذَف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُقعد فيَقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقتص ما عليه من الخطايا أُخذ من خطاياهم فطُرح عليه، ثم طرُح في النار»، هذا حديث حسن صحيح[٣].

١٩٣) وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ وَجِيءَ بِالكِتَابِ والأَشْهَادِ
١٩٤) وَشَهِدَتِ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ وَبَدَتِ السَّوْءَاتُ والْفَضَائِحُ
١٩٥) وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرْ وانكَشَفَ الْمَخْفِيُّ في الضَّمَائِرْ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩).
(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٧٠).
(٣) مسند أحمد برقم (٨٠١٦)، وسنن الترمذي برقم (٢٤١٨)، وهو في صحيح مسلم برقم (٢٥٨١) بلفظ أوّله: (أتدرون ما المفلس؟)، .

(وسارت الملوك) العظماءُ الرؤساءُ الكبراءُ (للأجناد) الرعايا أي صاروا سواء في ذلك الموقف، مشتركين في هوله الفظيع، وكربه الشديد إلا من رحمه اللَّه، وليس لأحد منهم مقال، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، قال ابن عباس - وغيره من الصحابة والتابعين - ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يقول: لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حُكمًا كملكهم في الدنيا، (وجيء بالكتاب والأشهاد) قال اللَّه تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] وغير ذلك من الآيات.

قال ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- روى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنَّه خطب فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] فقال: سائق يسوقها إلى اللَّه تعالى، وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السائق من الملائكة، والشهيد الإنسانُ نفسُه يشهد على نفسه، وقوله تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلَّغوهم رسالات اللَّه إليهم، والشهداء أي: الملائكة الحفظة على أعمال العباد، قال ذلك عطاء، ويدل عليه قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، (وشهد)ت على كل جاحد (الأعضاء) أعضاؤه (والجوارح) عطف تفسير، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] الآيات وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩- ٢٢] الآيات وغيرها.

وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: **«أتدرون مم أضحك؟»**، قلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال ﷺ: **«من مجادلة العبدِ ربَّه يوم القيامة، يقول: ربِّ ألم تُجِرْني من الظلم، فيقول: بلى، فيقول: لا أجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكُتَّاب شهودًا، فيُختم على فيه، ويقال - لأركانه-: انطقي، فَتَنْطِقُ بعمله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا وسُحْقًا، فعَنْكُنَّ كنتُ أناضل»**(١).

وروى ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال: لما رَجَعَتْ إلى رسول اللَّه ﷺ مهاجرة البحر قال: **«ألا تُحدِّثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول اللَّه، بينما نحن جلوسٌ إذ مرَّت علينا عجوزٌ من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلَّةً من ماء، فمرَّت بفتى**

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩)، السنن الكبرى للنسائي برقم (١١٥٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم برقم (١٤٣٠١).

منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فَخَرَّت على ركبتيها، فانكسرت قُلَّتُها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم - يا غُدَر - إذا وضع اللَّه الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، قال: يقول رسول اللَّه ﷺ: «صدَقَتْ، كيف يُقَدِّسُ اللَّه تعالى قومًا لا يُؤخذ لضعيفهم من شديدهم) ورواه ابن ابي الدنيا[1]، (وابتليت) أي اختُبرت (هنالك) الإشارة إلى موقف القيامة العظيم وهوله الجسيم (السرائر) جمع سريرة وهي ضد العلانية (وانكشف المستور في الضمائر) إشارة إلى قول اللَّه ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]، قال البغوي -رحمه اللَّه تعالى-: وذلك يوم القيامة، تُبلى السرائر تظهر الخفايا، قال قتادة ومقاتل: تُختبر، قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين اللَّه تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال صمتُ ولم يصم، وصليتُ ولم يصل، واغتسلتُ ولم يغتسل، فيُختبر حتى يظهر مَن أَدَّاها ممنْ ضَيَّعَها.

---

(١) في الأهوال برقم (٢٣٥)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٠١٠)، وابن حبان في صحيحه برقم (٥٠٥٨)، وأبو يعلى في مسنده برقم (٢٠٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٧٢)، وقال عنه الذهبي في العلو ١ / ٨٢: إسناده صالح، وحسن إسناده الكناني في مصباح الزجاجة ٤ / ١٧٨، وقال ابن الملقن في البدر المنير ٩ / ٥٤٢: وجميع رجاله احتج بهم مسلم في صحيحه، وصحح إسناده المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٢٢٦ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٣٢٣٩).

صَحَائِفُ الأَعْمَالِ تُؤْخَذُ بِاليَمِينِ وَالشِّمَالِ

١٩٦) ونُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ   تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ والشِّمَالِ

١٩٧) طُوْبَى لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْيَمِينِ   كِتَابَهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِينِ

١٩٨) وَالْوَيْلُ لِلآخِذِ بالشِّمَالِ   وَرَاءَ ظَهْرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي

(**ونُشرت صحائف**) كتب (**الأعمال**) من حسنات وسيئات، قال اللَّه تعالى: (**وإذا الصحف نشرت**)، (**تؤخذ باليمين**) للمؤمن (**والشمال**) للكافر (**طوبى**) أطيب شيء، واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (**لمن يأخذ باليمين كتابه بشرى**) أعظم بشارة (**بحور**) جمع حوراء صفة لهن من حوَر العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما (**عِين**) عين الأعين (**والويل**) كلمة عذاب وواد في جهنم (**للآخذ بالشمال**) كتابه (**وراء ظهر للجحيم صال**) اسم فاعل من صَلَى يَصْلَى غُمر فيها.

* وقد ذكر اللَّه تعالى تطايرَ الصحف ونشرها وتناوَلَها في غير آية من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦- ١٥] قال ابن عباس ومجاهد وغيرها: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]: طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر، يلزم به، ويجازى عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ

مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] قال معمر -وتلا الحسن البصري: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] -: يا ابن ادم بُسطت لك صحيفتك، ووكِّل بك ملكان كريمان، أحدُهما عن يمينك، والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتِك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، اقللْ أو أَكْثِرْ، حتى إذا مِتَّ طُويت صحيفتك، فجُعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤] الآية، فقد عَدَلَ واللَّه من جعلك حسيب نفسك، وروى ابن ابي حاتم عن أبي عثمان قال: المؤمن يُعطى كتابه بيمينه في ستر من اللَّه فيقرأ سيئاتِه، فكلما قرأ سيئاته تغيَّر لونُه، حتى يمرَّ بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدِّلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقه: ٢٥] قال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠] قال: فتُغل يدُه اليُمنى إلى عنقِه، وتُجعل يده الشمال وراء ظهره فيُؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

فَصْلٌ فِيمَا جَاءَ فِي المِيزَانِ

١٩٩) وَالْوَزْنُ بِالقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلَا

٢٠٠) فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ

(والوزن) لأعمال العباد (بالقسط) العدل (فلا ظلم) على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العَدْل الحكيم الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعَله على عباده محرمًا، فلا يُهضم أحدٌ من حسناته (ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا) الالف للإطلاق، قال اللَّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] (فبين ناج راجح ميزانه) إلخ قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

*** والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:**

١) الأول: أنه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأن أفعال العباد تُجسَّم فتوضع في الميزان، ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان اللَّه وبحمده وسبحان اللَّه العظيم**»[١].
ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث، فأما أن يقال إن الآتي هو كلام اللَّه نفسه فحاشا وكلا ومعاذ اللَّه، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يُوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، والقول بأن الأعمال هي ذاتها التي توزن ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنه.

٢) والقول الثاني: أن صحائف الأعمال هي التي توزن، ويدل لذلك حديث صاحب السجلات الذي راوه الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما[٢].

٣) والثالث: أن الموزونَ ثوابُ العمل.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٢٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) سبق تخريجه.

٤) **الرابع**: أن الموزون هو العامل نفسه، ويدل لذلك ما روى أحمد أن ابن مسعود ﷺ صعد شجرة يجتني الكباثَ، فجعل الناس يعجبون من دِقَّةِ ساقيه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد**»[(١)]، وروى البخاري - في صحيحه - عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يَزِنُ عند اللَّه جناح بعوضة، وقال: اقرأوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٢)].

* قلت: والذي اسْتُظْهِرَ من النصوص - واللَّه اعلم - أن العاملَ وعملَه وصحيفةَ عملِه كلٌّ ذلك يوزن، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكلٍ من ذلك ولا منافاة بينهما، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذِكْرُه في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة[(٣)].

---

(١) مسند أحمد برقم (٣٩٩١) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، المعجم الكبير للطبراني برقم (٨٣٧١)، الآحاد والمثاني للشيباني برقم (٢٣٩)، وحسنه الضياء المقدسي في المختارة برقم (٨٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٠): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٧/ ١٠٥): رواه أبو داود الطيالسي وأحمد بن منيع وأحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي ورواته ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٥٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٥٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٥).

(٣) وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره - بعد أن ذكر ثلاثة أقوال في ذلك - حيث قال (٣/ ٣٩٠): (وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالُّها، وتارة يوزن فاعلها، واللَّه أعلم).

فَصْلٌ فِيمَا جَاءَ فِي الصِّرَاطِ

٢٠١) وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلَا امْتِرَاءِ كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْبَاءِ
٢٠٢) يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمَالِ
٢٠٤) فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إلى الجِنَانِ وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ

(وينصب الجسر) وهو الصراط على متن جهنم (بلا امتراء) بلا شك (كما أتى في محكم الأنباء) من الآيات والأحاديث (يجوزه) يمرُّ عليه (الناس على أحوال) متفاوتة (بقدر كسبهم) في الحياة الدنيا (من الأعمال) من إحسان أو إساءة أو تخليط (ف) هم (بين مجتاز) عليه (إلى الجنان) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع (ومسرف) على نفسه (يُكب في النيران) فلا ينجو، ومنهم من تلْفَحُه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»(١)، قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾(٢). وفيهما عن أبي هريرة ﷺ - أيضًا - مرفوعًا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه: «ويُضرب الصراطُ بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أولَ مَن يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل،

---

(١) صحيح البخاري برقم: (٦٢٨٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢).
(٢) مسند الطيالسي برقم (٢٤٢٣).

ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سَلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعْدان، هل رأيتم السَّعْدان؟ قالوا: نعم يا رسول اللَّه، قال: فإنها مثل شوك السَّعْدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عِظَمها إلا اللَّه ﷻ، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، والموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازَى أو نحوه»(١) الحديث، وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه: «ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم)، قلنا: يا رسول اللَّه وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لها شوكة عُقَيْفَاءُ تكون بنجد يقال لها: السعدان، يمرُّ المؤمن عليها كالطَّرْف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وناج مَخْدُوش، ومكدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرُهم يسحبُ سحبًا»(٢) الحديث، وفيه - أيضًا - قال

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٠٠)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٠١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣)، قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣٦ / ١١٠): قوله: مدحضة من دحضت رجله دحضا زلقت، قوله: مَزَلَّة من زلَّت الأقدام سَقَطَت، وقال الكرماني: مزَلَّة - بكسر الزاي وفتحها - بمعنى المزلقة أي موضع تزلق فيه الأقدام، ومَدْحَضَةٌ: أي محل ميل الشخص، وهما بفتح الميم ومعناهما متقاربان، قوله: خطاطيف: جمع خُطاف بالضم وهو الحَدِيدَة المعْوَجَّة كالكلوب يُختطف بها الشيء، والكلاليب: جمع كُلوب، قوله: وحسكة - بفتحات - وهي شوكة صلبة معروفة قاله ابن الأثير، وقال صاحب التهذيب وغيره: الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتُخذ مثله من حديد، وهو من آلات الحرب، قوله مفلطحة: - بضم الميم وفتح الفاء وسكون اللام وفتح الطاء المهملة وبالحاء المهملة - أي عريضة يقال فلطح القرص إذا بسطه وعرضه، قوله: عُقَيْفَاء - بضم العين المهملة وفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وبالفاء=

أبو سعيد: بلغني أن الجسرَ أَدَقُّ من الشعْرة، وأَحَدُّ من السيف[١]، وقال الضحاك: ليس أحدٌ إلا يُعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طَفِئ نورُ المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾. وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ قال: على الصراط اهـ.

* وقد أنكر الصراطَ والمرورَ عليه أهلُ البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورودَ برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيما روى ابنُ عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مَارَى ابنَ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الورود فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هو الدخول، وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد اللَّه بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا

= ممدودا ويروى عَقِيْفَة على وزن كريمة - وهي المنعطفة المعوجة، قوله: والركاب الإبل واحدتها الراحلة من غير لفظها، قوله: مَسَلَّم - بفتح اللام المشددة، قوله: مخدوش أي مخموش ممزوق قاله الكرماني من الخمش بالمعجمتين وهو تمزيق الوجه بالأظافير، قوله: ومكدوس - بالمهملتين - أي مصروع ويروى بالشين المعجمة أي مدفوع مطرود ويروى مكردس بالمهملات من كردست الدواب إذا ركب بعضها بعضا، يعني أنهم ثلاثة أقسام: قسم مسلم لا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يسلم ويخلص، وقسم يسقط في جهنم.

(١) قول أبي سعيد هذا ورد في سياق مسلم للحديث دون سياق البخاري.

وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما واللَّه أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يُخرجني اللَّه منها، وما أرى اللَّه ﷻ أن يخرجك منها بتكذيبك[1].

فَصْلٌ فِيمَا وَرَدَ فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ

٢٠٤) والنَّارُ والْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاءَ لَهُمَا

أي: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بـ(الجنة والنار) والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:

١) **الأول**: كونهما حقًّا لا ريب فيهما ولا شك، وأن النار دارُ أعداء اللَّه، والجنة دار أوليائه، وهذا هو المشار إليه بقولنا (حق)، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة، وروى البخاري عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ اللَّه ورسوله، وكلمتَه ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، أدخله اللَّه الجنة على ما كان من العمل**»، زاد في رواية: «**من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء**» ووافقه على إخراجه مسلم وغيره[2]. وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علّق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما، والشهادة بذلك، ولهذا يقول اللَّه ﷻ يوم القيامة لأهل النار:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره برقم (١٧٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (١١١٩٤)، والطبري برقم (٢٤٠١٩)، ومقاتل بن سليمان في تفسيره ص (٣١٩).

(٢) صحيح البخاري رقم (٣٢٥٢)، وصحيح مسلم رقم (٢٨).

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [يس: ٦٣-٦٤] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ [الطور: ١٣-١٥] الآيات وغيرها.

٢) البحث الثاني: اعتقاد وجودهما الآن، قال اللَّه تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤-١٥] وغيرها من الآيات، يخبر تعالى أنها مُعَدَّةٌ، قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء اللَّه تعالى، مُدَّخَرَةٌ لهم، وأنها في السماء(١)، وأن النبي ﷺ

---

(١) وقد دلَّ الدليل من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة على أن الجنة في السماء فمن القرآن قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ وسدرة المنتهى فوق السماء، ولذلك قال الإمام أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٥ / ٢٩١) عند هذه الآية: (وفي الآية دليل على أن الجنة في السماء وأنها مخلوقة، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو كافر بهذه الآية)، وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره (١ / ٨١٨) في قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾: (وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة)، وقد عقد الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - (١ / ٤٧) بابًا في مكان الجنة وأين هي، ومما قاله فيه: (قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾: وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء)، وأما دليل ذلك من السنة الصحيحة فما جاء في خبر المعراج الذي رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٢)، ومسلم برقم (١٦٣) والمبين لما دلت عليه الآية وفيه قوله ﷺ: **«ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أُدخلت الجنةَ فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»** قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على مسلم (٢ / ٢٢٣): (وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الجنة في السماء واللَّه أعلم)، ومن ذلك ما في صحيح البخاري (٢٦٣٧) عنه -عليه الصلاة والسلام -أنه قال: **«فإذا سألتم اللَّه فاسألوه=**

أتاها ليلة المعراج ورآها. وقال تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١]، فهي أيضا مُعَدَّةٌ لأعداء اللَّه تعالى، مرصدة لهم، وقال البخاري - في صحيحه - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ثم ذكر فيه حديثَ عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ في الجنة، فرأيتُ أكثرَ أهلِهَا الفقراءَ، واطَّلَعْتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِهَا النساءَ**»[1]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرتَه فوليْتُ مدبرًا**»، فبكى عمر، وقال: عليك أغار يا رسول الله؟!»[2]، وحديثه رضي الله عنه -أيضًا- قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرْ، فاقرؤوا -إن شئتم- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾**»[3]. ثم ساق الأحاديث في صفتها، ثم قال:

= الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، قال ابن القيم في الموضع السابق: (والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال في الحديث الصحيح: «إذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» ثم نقل ابن القيم أقوال جملةٍ من الصحابة كعبد اللَّه بن سلام وعبد اللَّه بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبعض التابعين كمجاهد في إثبات أن الجنة في السماء).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٧).

(٢) سيأتي تخريجه - بمشيئة اللَّه - في فضائل عمر رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٠٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

باب صفة النار وأنها مخلوقة، ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربِّ أَكَلَ بَعْضِي بعضًا، فأَذِنَ لها بِنَفَسَيْن، نفسٍ في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون في الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمْهَرِيْر»[١]، وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج: «ثم انطَلَق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغَشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدْخلتُ الجنةَ فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[٢]، وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لما خلق اللَّه الجنة والنار أَرسَل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أَعْدَدْتُ لأهلها فيها، فذَهَب فنظر إليها وإلى ما أعدَّ اللَّه لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بالجنة فَحُفَّتْ بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك لقد خشيتُ أن لا يدخلَها أحدٌ، قال: ثم أرسَلَه إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا، ثم رجع، فقال: وعزتك لا يدخلُها أحدٌ سَمِعَ بها، فأَمَر بها فَحُفَّتْ بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيتُ أن لا ينجوَ منها أحدٌ إلا دخلها»[٣]. وإلى هذه المسألة الإشارة

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٨٧)، وصحيح مسلم برقم (٦١٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٣).

(٣) مسند أحمد برقم (٨٣٧٩)، وسنن أبي داود برقم (٤٧٤٦)، وسنن الترمذي برقم (٢٥٦٠)، وسنن النسائي برقم (٣٧٦٣)، وهو في صحيح البخاري برقم (٦١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٢) مختصرًا.

بقولنا (موجودتان)[١].

٣) **البحث الثالث**: في دوامهما وبقائهما بإبقاء اللّه لهما، وأنهما لا تفْنَيَان أبدًا، ولا يفنى مَن فيهما، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا (**لا فناء لهما**)، وقد أخبر اللّه تعالى بأَبديَّةِ الجنة بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وأبدية حياة أهلها بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وعدم انقطاعها عنهم بقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢]، ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وبعدم خروجهم بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وكذلك النار قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٧-١٦٩]، وأخبرنا - أيضًا - أن أهل النار الذين هم أهلها خُلقتْ لهم وخُلُقوا لها، وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها، ولا خلاص وَلَاتَ حين مَنَاصَ، فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]

---

(١) خصص الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله أول أبواب كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لهذه المسألة فقال: (الباب الأول في بيان وجود الجنة الآن)، ثم قال: (لم يزل أصحاب رسول اللّه والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما عُلِمَ بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها. . ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها).

ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥] ونفى فناءهم فيها بقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادِي مناد: يا أهل الجنة فيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»[1].

وروى مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيْضُوا عليهم، فيَنْبُتُون نباتَ الحَبَّةِ تكون في حَمِيْل السيل»، فقال رجل

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩).

من القوم: كأن رسول اللَّه ﷺ قد كان بالبادية»[1] وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وباللَّه التوفيق.

إِخْرَاجُ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم، وأنهم يخرجون منها برحمة اللَّه تعالى، ثم بشفاعة الشافعين، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقةَ العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم، وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أُخْرجوا منها، وأُدخلوا الجنة، وأنها ليَأْتِيَنَّ عليها يوم وهي تصفق في أبوابها، ليس بها أحد، وعلى ذلك حَمَلَ جمهورُ المفسرين الاستثناءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ الآية [هود: ١٠٧]، وعلى ذلك يُحمل ما ورد من آثار الصحابة.

* وما أحسن ما قاله ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كتابة الوابل الصيب قال -رحمه اللَّه تعالى-: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيبٌ لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دارُ الطيب المحض، ودارُ الخبيث المحض، وهاتان الداران

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٥)، وقال النووي في شرحه على مسلم (٣/ ٣٨): ضبائر ضبائر مكرر مرتين وهو منصوب على الحال وهو بفتح الضاد المعجمة وهو جمع ضَبارة بفتح الضاد وكسرها لغتان. . ويقال فيها أيضا إضبارة بكسر الهمزة، قال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة، وأما قوله ﷺ: (فبُثُّوا) فهو بالباء الموحدة المضمومة بعدها ثاء مثلثة ومعناه فرقوا واللَّه أعلم.

لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عُذبوا بقدر جزائهم أُخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دارُ الطيب المحض، ودار الخبيث المحض. انتهى كلامه -رحمه اللَّه تعالى-.

أَقْوَالُ الضَّالِّينَ وَأَهْلِ البِدَعِ فِي النَّارِ

١) قالت اليهود - قبحهم الله-: إن النار يدخلها قومٌ من الكفار ويخرجون منها بعد أيام، ثم يخلفهم آخرون كما قص اللَّه تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ﴾ ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

٢) وقال ابن عربي - إمامُ الاتحادية محي الزندقة والإلحاد في آيات اللَّه تعالى-: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم.

٣) وقال الجهم وشيعته: إن الجنة والنار تفنيان كلاهما.

٤) وقال طائفة من المعتزلة والقدرية: لم يكونا الآن موجودتين، بل ينشئهما اللَّه تعالى يوم القيامة.

٥) وقال أبو الهذيل العلاف: تفنى حركات أهل الجنة والنار، ويصيرون جمادا لا يُحِسُّون بنعيم ولا ألم.

* وكلُّ هذه الأقوال مخالفةٌ لصحيح المعقول وصريح المنقول،

ومحادَّةٌ ومشاقَّةٌ لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديمٌ للعقول السخيفة وزبالةِ الأذهان البعيدة، وما أحسن ما قاله ابنُ القيم -رحمه اللَّه تعالى- في نونيته الكافية الشافية - بعد حكايته عقيدة جهم وشيعته - دمرهم اللَّه تعالى:

تَبًّا لِهَاتِيكَ العُقُولِ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الأَبْدَانِ
تَبًّا لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الآثَارِ وَالأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

فَصْلٌ فِيمَا جَاءَ فِي الحَوْضِ وَالكَوْثَرِ

٢٠٥) وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وبِهِ يَشْرَبُ في الأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ

(وحوض خير الخلق) نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷻ (حقٌّ) لا مِرْيَةَ فيه (وبه) بالحوض يشرب أي يُروى ولذا عُدِّي بالباء دون مِنْ لتضمُّنِ الشرب ههنا معنى الرِّي (في الأخرى) أي في الدار الآخرة و(جميع حزبه) وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزله معه، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وروى البخاري بسنده إلى أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه اللَّه إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اللَّه إياه[1] اهـ.

* وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طُرقِ جماعةٍ من الصحابة عن النبي ﷺ واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٢).

السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن.

* روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء**»(١). ولمسلم لفظ آخر: «**ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة**»(٢).

* ولهما عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «**إني فَرَطُكُم على الحوض، مَنْ مَرَّ عليَّ شَرِبَ، ومَن شرب لم يظمأْ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفُهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم**»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان ابن أبي عياش فقال: هكذا سمعتَ من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتُه هو يزيد فيها: «**فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سُحقًا سُحقًا لمن غيَّرَ بعدي**»(٣).

* وللبخاري عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»(٤).

* ولمسلم عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لأَذُوْدَنَّ عن حوضي رجالًا كما تُذادُ الغريبة من الإبل**»(٥)، وله عن أبي حازم عنه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٣)، وهو في صحيح البخاري برقم (٦٢١٩) بمعناه من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٢١٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٣٨)، صحيح مسلم برقم (١٣٩١).

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٢٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٢).

قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشدُّ بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثرُ من عدد النجوم، وإني لأصدُّ الناس عنه كما يَصُدُّ الرجلُ إبلَ الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول اللَّه أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سِيْمَا ليست لأحد من الأمم، تَرِدُون عليَّ غُرًّا مُحَجَّلين من أثر الوضوء»[1].

* ولهما - واللفظ لمسلم - عن عبد اللَّه بن عمرو قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»[2]، ولهما عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يَرِدُ علي منكم، وسيُؤْخَذُ ناسٌ دوني، فأقول: يا ربِّ مني، ومن أمتي، فيقال: هل شعرتَ ما عملوا بعدك؟ واللَّه ما بَرِحُوا يرجعون على أعقابهم»، وكان ابنُ أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا.

* ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن نبي اللَّه ﷺ قال: «إني لَبِعُقْرِ حوضي أَذُودُ الناسَ لأهل اليمن، أضربُ بعصاي حتى يَرْفَضَّ عليهم»، فسئل عن عرضه؟ فقال: «من مقامي إلى عَمَّان»، وسئل عن شرابه؟ فقال: «أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يَغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدُهما من ذهب، والآخر من وَرِق»[3].

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٧).
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٢٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٣٠١)، يقول النووي في شرحه على مسلم - (١٥/ ٦٢). =

* وفي الترمذي عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليَّ عمرُ بن عبد العزيز فحُملت على البريد، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شَقَّ علي مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردتُ أن أشقَّ عليك، ولكن بلغني عنك حديثٌ تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال أبو سلام حدثني ثوبان رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ قال: **«حوضي من عدن إلى عَمَّان البلقاء، ماؤُهُ أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابُه عددُ نجوم السماء، مَن شَرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراءُ المهاجرين، الشُّعْث رؤوسًا، الدُّنْسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المتَنَعِّمات، ولا تُفتح لهم السدد»**، قال عمر: لكني نكحتُ المتنعمات، وفُتحتْ لي السُّدَد، ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم أني لا أَغسلُ رأسي حتى يَشْعَثَ، ولا أغسلُ ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتَّسِخَ. ورواه ابن ماجه، بلفظ: **«إن حوضي ما بين عدن إلى إيلة، أشدَّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، أَكَاوِيْبُه كعدد نجوم السماء، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»** الحديث، وفيه: قال: فبكى عمر حتى اخْضَلَّتْ لحيتُه، وفيه: ولا أَدْهُنُ رأسي حتى يشعث[1].

= قوله ﷺ: (إني لبِعُقْر حوضي) هو بضم العين وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته وقيل مؤخره، قوله ﷺ: (أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم) معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفضَّ على أهل اليمن.. ومعنى يَرْفَضّ عليهم: أي يسيل عليهم.

(١) مسند أحمد برقم (٢٢٤٢١)، وسنن الترمذي برقم (٢٤٤٤)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٣٠٣)، ومستدرك الحاكم برقم (٧٣٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الشرعية الكبرى ٣ / ٣١٥، وجوّده الحافظ ابن كثير=

* ولأبي داود عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلًا، فقال: **«ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض»** قال: قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة[1].

* وللترمذي عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردةً»** هذا حديث حسن غريب[2].

فَصْلٌ فِي الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ عَنْ لِوَاءِ الحَمْدِ

٢٠٦) كَذَا لَه لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعًا تُحْشَرُ

روى الترمذي عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»** وفي الحديث قصة قال

= في النهاية في الملاحم والفتن ١ / ١٩٣، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير برقم (٢٢٦٧)، ومستدرك الحاكم برقم (٢٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨٢)، السنة لابن أبي عاصم (٧٠٧ و ٧٠٨) وغيرها.

(١) مسند أحمد برقم (١٩٣٢٨)، سنن أبي داود برقم (٤٧٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٣)، الظلال (٧٣٣) وسواها.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤٤٣)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٦٧٣٨)، السنة لابن أبي عاصم برقم (٧٣٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٥/ ٤٤٣، وتخريج الطحاوية (١٩٧)، والمشكاة (٥٥٩٤)، والصحيحة (١٥٨٩) وغيرها.

الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[١].

فَصْلٌ فِي آيَاتِ الشَّفَاعَةِ وَأَحَادِيثِهَا وَالمَقَامِ المَحْمُودِ

٢٠٧) كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظْمَى كَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكَرُّمَا

٢٠٨) مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لا كَمَا يَرَى كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى

(كذا له) لنبينا ﷺ **(الشفاعة العظمى)** يوم القيامة وهو المقام المحمود الذي قال اللَّه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ولذا قلنا **(قد خصه اللَّه بها)** بالشفاعة **(تكرما)** منه ﷻ عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد . . وأعطيت الشفاعة**»[٢]، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء اللَّه تعالى من مات من أمتي لا يشرك باللَّه شيئًا**»[٣]. وفيه عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى اللَّه عليه بها عشرًا ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة فإنها منزلة في**

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٤٨)، وهو في مسند أحمد برقم (٢٥٤٦) ومسند أبي يعلى برقم (٢٣٢٨) والرد على الجهمية برقم (١٨٤) لكن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وروي من حديث أنس وحذيفة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين، ونص على ثبوته الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٢٨٥ وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٥٦، والألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٩٠) حديث رقم (٢٨٥٩) وغيره.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٤٥)، وصحيح مسلم برقم (١٩٩).

الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1]، وتلك الشفاعة لا تكون إلا (من بعد إذن الله) ﷻ سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة فليس يشفع إلا من أذن اللَّه له في الشفاعة وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن اللَّه له وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن اللَّه تعالى له أن يشفع فيه كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النمل: ٢٦]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

* والمقصود: أن الشفاعة ملك لله ﷻ ولا تسأل إلا منه كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة، **(لا كما يرى كل قبوريٍّ)** نسبة إلى القبور لعبادته أهلها **(على اللَّه افترى)** في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك لله ﷻ لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات وكشف الكربات

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨٤).

والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي ولله الحمد والمنة.

٢٠٩) يَشْفَعُ أَوَّلًا إلى الرَّحْمَنِ في فَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
٢١٠) مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى كُلِّ أُولِي العَزْمِ الهُدَاةِ الفُضَلَا

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكر اللَّه ﷻ له، ووعده إياه، وأمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نسأل اللَّه إياه له ﷺ بعد كل أذان، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا كلُّ أمةٍ تَتْبَعُ نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه اللَّه المقام المحمود[1].

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسولُ اللَّه ﷺ يومًا بلحم، فَرُفِعَ إليه الذراع - وكانت تُعْجِبُهُ - فَنَهَسَ منها نَهْسَةً، فقال: «أنا سيدُ الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع اللَّه يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، فيُسمعهم الدَّاعِي ويُنفذهم البصرُ، وتدنو الشمسُ، فيبلغ الناسَ من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدمَ، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك اللَّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٤١).

يغضب قبلَه مثلَه ولن يغضبَ بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون . . » وذكر نحو مقالتهم لأبيهم آدم ومجيئهم إبراهيم وموسى وعيسى إلى قوله: «فيقول لهم عيسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضبَ بعده مثله، ولم يَذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول اللَّه، وخاتم الأنبياء، وغفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتِي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح اللَّه عليَّ ويلهمني من محامدِه وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهْ، اشفع تُشفَّعْ، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد ادخِلِ الجنةَ من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى»[(١)]. وعند مسلم - وغيره - من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: «فلك بكل ردة رَدَدْتُكَها مسألةٌ تسألنِيْها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم ﷺ»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٥)، صحيح مسلم برقم (١٩٤).
(٢) صحيح مسلم برقم (٨٢٠).

فَصْلُ اخْتِصَاصِهِ ﷺ بِاسْتِفْتَاحِ بَابِ الجَنَّةِ

٢١١) وثَانِيًا يَشْفَعُ في اسْتِفْتَاحِ   دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَلاحِ

٢١٢) هذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ   قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلَا نُكْرَانِ

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة، وقد جاء في الأحاديث أنها - أيضا - من المقام المحمود فأخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«آتي بابَ الجنة يوم القيامة فأستَفْتِحُ، فيقول الخازن: مَنْ أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ لا أفتح لأحد قبلك»**[1]، وللبخاري عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغَ العرقُ نصفَ الأُذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ»**، وزاد عبد اللَّه حدثني الليث قال: حدثني ابن أبي جعفر **«فيَشْفعُ ليُقْضَى بين الخلق، فيَمشي حتى يأخذَ بحلْقَةِ البابِ، فيومئذ يبعثُه اللَّه مقامًا محمودًا يحمدُه أهلُ الجَمْعِ كلُّهم»**[2].

* ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين الأولى في فصل القضاء، والثانية في استفتاح باب الجنة، وسمَّى ذلك كله المقام المحمود.

(هذا) أي ما ذكر **(وهاتان الشفاعتان)** المذكورتان اللتان هما المقام المحمود **(قد خُصَّتَا)** أي جعلهما اللَّه تعالى خاصتين به أي بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحدٍ غيره **(بلا نُكران)** بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٨١).

وهي المشار إليها بقولنا:

٢١٣) وثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ   مَاتُوا عَلَى دِينِ الهُدَى الإسْلامِ

٢١٤) وأوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ   فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإجْرَامِ

٢١٥) أنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إلى الْجِنَانِ   بِفَضْلِ رَبِّ العَرْشِ ذِي الإحْسَانِ

* فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهلُ السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة - رضوان اللَّه تعالى عليهم -، ودَرَجَ على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان - رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه -.

* وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارجُ، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا بخلود مَن دخل النارَ من عصاة الموحدين الذين ماتوا مصرِّين على معصية عَمَلِيَّة عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد، فقضَوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول اللَّه ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وسائر الأحاديث الواردة.

* روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يُهِمُّوا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنّا فيُريحنا من مكاننا، فيأتون آدم» إلى قوله: «فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيُؤذن لي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجدًا فيَدَعُني ما شاء اللَّه تعالى أن يَدَعَني، فيقول: ارفع محمد، وقل يُسْمع، واشفع تُشَفَّع، وسَلْ تُعْطَ، قال: فأرفع رأسي، فأُثني على ربي بثناء وتحميد يُعَلِّمُيْه، ثم أشفع، فيَحُدُّ لي حدًا، فأَخْرُجُ

فأُدخلهم الجنةَ»، قال قتادة: وقد سمعتُه يقول: «فأَخرُج فأُخرجُهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيُؤْذَنُ لي عليه» وذكر مثل ما سبق ثلاث مرات، وفي الرابعة «قال قتادة: وقد سمعتُه يقول: فأَخرج فأُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يَبْقَى في النار إلا مَن حَبَسَه القرآنُ» أي: وَجَبَ عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ نبيكم ﷺ[١]، وروى مسلم عن أنس معناه وفيه: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمدُه بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقُل يُسمع لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا اللَّه، قال: ليس ذاك لك، أو قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأُخْرِجَنَّ مَن قال لا إله إلا الله»، قال: فأَشهدُ على الحَسَن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه - أُرَاه - قال: قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع[٢]، وله - أيضًا - عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يَخرج قوم من النار بعد ما مسَّهم منها سَفْعٌ، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهلُ الجنة الجَهَنَّمِيِّيْن»[٣].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٠٢)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٢) وصحيح مسلم برقم (١٩٣)، وقوله: وهو يومئذ جميع معناه: مجتمع القوة والحفظ.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٩١)، وأخرجه أيضًا برقم (٧٠١٢) بلفظ أصرح في بيان أنهم أصحاب ذنوب دخلوا بها النار وعوقبوا بها ثم خرجوا من النار بعد ذلك برحمة اللَّه تعالى: (ليصيبن أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يُدخلهم اللَّه الجنةَ بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون).

* وهذه الشفاعة الثالثة قد فُسر بها المقامُ المحمود - أيضا - كما في حديث أنس وحديث جابر ﷺ، فيكون المقامُ المحمودُ عامًّا لجميع الشفاعات التي أُوْتِيَها نبيُّنَا محمدٌ ﷺ، لكن جمهور المفسرين فسَّرُوه بالشفاعتين الأوليين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد اللَّه المكرمين.

* وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي - وإن كانت من المقام المحمود الذي وُعِدَهُ - فليست خاصة به ﷺ، بل يُؤْتَاها كثيرٌ من عباد اللَّه المخلصين، ولكن هو ﷺ المقدَّمُ فيها.

* ولم يشفعْ أحدٌ من خلق اللَّه تعالى في مثل ما يشفعُ فيه رسول اللَّه ﷺ ولا يدانيه في ذلك مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مُرْسَلٌ، ثم بعده يشفع من أَذِنَ اللَّه تعالى له من الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء اللَّه تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأَفْرَاطُ، كلٌ منهم يكرمه اللَّه تعالى على قَدْر ما هو له أَهْل، ثم يُخرج اللَّه تعالى من النار برحمته أقوامًا بدون شفاعة الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

٢١٦) وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ   وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاحٍ وَوَلِي
٢١٧) وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرَانِ   جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
٢١٨) في نَهَرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا   فَحْمًا فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَا
٢١٩) كَأَنَّمَا يَنْبُتُ في هَيْئَاتِهِ   حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ في حَافَاتِهِ

ولمسلم في نعت المرور على الصراط: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربَّنا

كانوا يصومون معنا، ويصلون معنا، ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا مَن عرفتم، فتُحَرَّمُ صورُهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أَمَرْتَنا به، فيقول: ارجعوا فمَن وجدتُّم في قلبه مثقالَ دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نَذَرْ فيها أحدًا ممن أمرتنا بهم، يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نَذَر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ ذَرَّةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نَذرْ فيها خيرًا»، وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يقول: إن لم تصدِّقُوني بهذا الحديث فاقرأوا - إن شئتم -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول اللَّه ﷻ: شَفَعَتْ الملائكةُ، وشَفَعَ النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبْقَ إلا أرحم الراحمين، فيَقْبِضُ قَبْضَةً من النار فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حُمَمًا، فيُلقيْهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهرُ الحياة، فيَخرجون كما تَخرجُ الحَبَّةُ في حَمِيْلِ السَّيْل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ؟، وما يكون منها إلى الظِّلِّ يكون أبيض؟ فقالوا: يا رسول اللَّه كأنك كنت تَرعى بالبادية، قال: فيَخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهلُ الجنة، هؤلاء عتقاء اللَّه الذين أدخلهم اللَّه الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة، فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتَنَا ما لم تُعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: ربَّنا أيُّ شيءٍ

أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[١]، ولابن ماجه عن عوف بن مالك ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أتدرون ما خيرني ربي الليلة؟»، قلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «فإنه خيرني بين أن يُدْخِلَ نصفَ أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة»، قلنا: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يجعلنا من أهلها، قال: «هي لكل مسلم»[٢]، ورواه الترمذي بلفظ: «فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك باللَّه شيئًا»[٣]، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جدًا مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية وباللَّه التوفيق.

بَابُ الإيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ

٢٢٠) والسَّادِسُ الإيمَانُ بِالأقْدَارِ فَأيْقِنَنْ بِهَا ولا تُمَارِ
٢٢١) فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ والكُلُّ في أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَرْ

(والسادس) من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو (الإيمان بالقدر) خيره وشره، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٩).
(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٣١٧)، ومستدرك الحاكم برقم (٣٦) وصححه ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٤٥٥٢)، والسنة لابن أبي عاصم (٨٢٠)، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة برقم (٨٢٠).
(٣) سنن الترمذي برقم (٢٤٤١)، صحيح ابن حبان برقم (٧٢٠٧)، مسند الطيالسي برقم (١٠٩١)، مستدرك الحاكم برقم (٢٢٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (٨٢١).

تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، ولمسلم عن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كلُّ شيء بقدر، حتى العجزُ والكَيْسُ، أو الكيس والعجز**»[1]، وله عن أبي هريرة قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول اللَّه ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨- ٤٩]»[2]، ولمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن باللَّه، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّه وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[3]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الترمذي وغيره قول النبي ﷺ له: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[4]

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٤) هذه اللفظة في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ليست في الترمذي كما نبه على ذلك الحافظ ابن رجب في شرحه له في جامع العلوم والحكم، وقد أخرجها فيه الحاكم في المستدرك برقم (٦٣٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١١٠٨٠)، وفي الدعاء برقم (٤١)، وهي ثابتة عن النبي ﷺ في قصة ابن الديلمي - التي سيوردها المؤلف قريبًا وصححها الشيخ الألباني كما أشرت إليه في الموضع نفسه - أنه أتى زيد بن ثابت=

الحديث، ولمسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قَدَرٍ ما سَبَق أو فيما يستقبلون به ما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلْقُ اللَّه، ومُلْكُ يده، فلا يُسئل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك اللَّه تعالى، إني لم أرد بما سألتك إلا لأَحْزِرَ عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول اللَّه ﷺ فقالا: يا رسول اللَّه أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «**لا بل شيء قُضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه** ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]»[1]، والأحاديث في القدر كثيرة جدًّا.

= فحدثه عن النبي ﷺ بحديث فيه هذه الجملة، وثابتة أيضًا من وصية عبادة بن الصامت لابنه التي ذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/ ٤٣٨ أنه قال: ولن تؤمن باللَّه حتى تؤمن بالقدر خيره و شره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: (القدر على هذا، من مات على غير هذا دخل النار». قال الشيخ الألباني غفر اللَّه له: أخرجه الآجري، وكذا أحمد، وابن أبي عاصم وهو حديث صحيح كما حققته في «تخريج السنة لابن أبي عاصم» (رقم ١١١).

قلت: وأخرجه الضياء في الأحاديث المختارة ٨/ ٣٥٠ وقال: إسناده حسن.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٠).

فَصْلُ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِب

واعلم - رحمك اللّه تعالى- ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

١) **المرتبة الأولى**: الإيمان بعلم اللّه ﷻ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعَلِم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه عَلِم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومَن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دِقَّ ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسرَّه وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، ومقتضى اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٠]، ولمسلم عن ابن عباس عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا**»[1]، وفيه عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول اللّه ﷺ ذات

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٦١).

يوم جالسًا، وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**»، قالوا: يا رسول اللَّه فلمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «**اعملوا فكل مُيَسَّرٌ لما خُلق له**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]»[1].

٢) المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بكتاب اللَّه تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، قال اللَّه ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾؟ قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وفي حديث مسلم - السابق قريبًا - عن علي ﵁ قول رسول اللَّه ﷺ: «**ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كَتَبَ اللَّه تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتبت شقيَّة أو سعيدة**» قال: فقال رجل: يا رسول اللَّه أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة**»، فقال: «**اعملوا فكل ميسر، وأما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٦٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٧).

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]»(١)، ولأحمد عن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما في وصيته له وفيه: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف**» ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح(٢)، وغير ذلك من الأحاديث كثير.

فَصْلٌ: وَالإِيمَانُ بِكِتَابَةِ المَقَادِيرِ يَدْخُلُ فِيهِ خَمْسَةُ تَقَادِير

* **الأول: التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض، عندما خلق اللَّه تعالى القلم**، كما قال ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٢]، ولمسلم عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»، قال: «**وعرشه على الماء**»(٣)، ولأبي داود عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت - لابنه-: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق اللَّه القلم،**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٧).

(٢) مسند أحمد برقم (٢٦٦٩)، وسنن الترمذي (٢٥١٦)، حسنه وجود إسناده ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/ ١٨٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٩ برقم ٥٣٠٢.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

فقال له: أكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يابني إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»(١).

* التقدير الثاني من تقادير الكتابة: كتابة الميثاق قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤] وقد قدمنا من أحاديث هذا الباب جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق ولله الحمد والمنة.

* التقدير الثالث: العمري عند تخليق النطفة في الرحم، فيُكتب إذ ذاك ذكوريَّتُها وأنوثتها، والأجل، والعمل والشقاوة والسعادة، والرزق وجميع ما هو لاق، فلا يُزاد فيه ولا يُنقص منه، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥] الآيات، وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «وَكَّلَ اللَّه تعالى بالرحم ملكًا، فيقول: أي ربِّ نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد اللَّه أن يَقْضِيَ خلقَها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقيٌّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيُكتب كذلك في بطن أمه»(٢).

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٢٧٥٧)، سنن أبي داود برقم (٤٧٠٢)، سنن الترمذي (٢١٥٥)، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة برقم (٢٠٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وصححه ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (١ / ٣٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٧٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٢٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٦).

* **والرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر يُقدَّرُ فيها كلٌّ ما يكون في السنة إلى مثله**، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١- ٥] الآيات، ورُوي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك: في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أَمْرُ السَّنَةِ، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، والآثار في ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرةٌ شهيرةٌ.

* **والخامس: التقدير اليومي وهو سَوْقُ المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق**، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال اللَّه عز وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين**»(١)، وعلقه البخاري موقوفًا، وقال الحسين بن فضل: هو سَوْقُ المقادير إلى المواقيت.

* **وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه لا يتقدمه ولا يتأخره**،

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٢٠٢)، المعجم الكبير للطبراني برقم (١٧٦٩)، السنة لابن أبي عاصم برقم (٣٠١)، تفسير ابن أبي حاتم برقم (١٨٧٣٧)، مسند البزار برقم (٤١٣٧) وقال: وهذا من أحسن إسناد، وحسن إسناده الكناني في مصباح الزجاجة ١/ ٢٥، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة برقم (٣٠١).

ثم هذا التقدير اليومي تفصيلٌ من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين، والإمام المبين هو من علم اللَّه ﷻ، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم اللَّه ﷻ، فانتهت الأوائل إلى أوليته، وانتهت الأواخر إلى آخريته، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

٣) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة اللَّه النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء اللَّه تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وما لم يشأ اللَّه تعالى لم يكن لعدم مشيئة اللَّه تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة اللَّه تعالى إيجاده، لا أنه عَجِزَ عنه، تعالى اللَّه وتقدس وتنزه عن ذلك، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

٤) والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن اللَّه ﷻ خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا واللَّه ﷻ خالقها، وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى

عن إعادته، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

إِثْبَاتُ قُدْرَةِ العِبَادِ عَلَى أَفْعَالِهِم وَإِرَادَتِهِمْ لَهَا

* وللعباد قدرةٌ على أعمالهم ولهم مشيئة، واللَّه تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها، وأقدرهم عليها، وجعلها قائمة بهم، مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلِّفوا، وعليها يُثابون ويُعاقبون.

* ومع ذلك فهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم اللَّه تعالى عليه، ولا يشاؤون إلا أن يشاء اللَّه ﷻ، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، فكما لم يُوجِد العبادُ أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتُهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبَعٌ لقدرة اللَّه سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم.

* وأفعالهم المخلوقة لله قائمةٌ بهم، لائقةٌ بهم، مضافةٌ إليهم حقيقة، وهي من آثار أفعال اللَّه تعالى، فاللَّه فاعلٌ حقيقة، والعبد منفعل حقيقة، واللَّه تعالى هادٍ حقيقة، والعبد مهتدٍ حقيقة، وهو البصير بمن يستحقُّ الهدايةَ ممن يستحقُّ الضَّلالَ، واللَّه -تبارك وتعالى- هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم اللَّه إياها، وخلقها فيهم، وأمرهم ونهاهم بحسبها.

* والمقصود أن اللَّه سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة، كما جمع - تعالى- بين ذلك في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [المزمل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] أي: بسببه وقال تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال النبي ﷺ: «**الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»[1].

* فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كَفر، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كَفَر، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافها الله تعالى فهو المؤمن حقيقة.

أَقْوَالُ الفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي القَدَرِ

١) **فالأول قول القدرية النفاة**: وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق، فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله ﷻ وملكه، وأنها ليست داخلة في ربوبيته ﷻ، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد، ويريد ما لا يكون، وأنهم أغنياء عن الله ﷻ، هذا مع إنكارهم علم الله ﷻ وقدرتَه ومشيئتَه وإرادته وغير ذلك من صفاته، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كَبيرًا.

---

(١) سبق تخريجه بدون لفظة (ونستهديه) التي لم تثبت في خطبة الحاجة كما نبه على ذلك الشيخ الألباني في مقدمة الرد المفحم - (٥).

* وأول مَن أحدثه في هذه الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة، وأنكر عليه ذلك بقيةُ الصحابة وأئمة التابعين، وتبرأوا من هذا الاعتقاد، وكفَّروا منتحليه، ثم تَقَلَّد عنه ذلك المذهبَ الفاسدَ رؤوسُ المعتزلة المضِلُّون كواصل بن عطاء الغزَّال وعمرو بن عبيد ومَن في معناهم وعلى طريقتهم، حتى بالغ بعضهم فأنكر علمَ اللَّه تعالى، وأنكر كتابة المقادير السابقة، وجعل العبادَ هم الخالقين لأفعالهم، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة، ثم افترقوا في أفعال اللَّه كما افترقوا في علمه، ففرقة قالت: كلُّ أفعال العباد ليست مقدورة لله، ولا مخلوقة له، لا خيرها ولا شرها، والأخرى قالت: الخير مِن أفعالهم مخلوقٌ له تعالى ومقدور له، وأما الشَّرُّ فليس عندهم مخلوقًا لله ولا مقدورًا له، فأثبتوا نصفَ القدر ونفوا نصفه، وأثبتوا خالِقَيْن، فهم في الحقيقة مجوسٌ ثَنَوِيَّة، بل أعظم منهم، لأنهم جعلوا المخلوقين كلهم خالِقِين.

٢) **والقول الثاني: وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى اللَّه ﷻ هو قول الجبرية الغلاة الجفاة** الذين يقولون: إن العبد مجبورٌ على أفعاله، كالسَّعَفَةِ يحركها الريح العاصف، وكالهاوي من أعلى إلى أسفل، فسَلَبُوا العبدَ قدرتَه واختيارَه، ونفوا عن اللَّه تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجَّتَه الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم، وطعنوا في عدله وشرعه، فلا معنى لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسْع وتحميل مالا يطاق، فأقاموا عذرَ إبليس اللعين، وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة المقبوحين، وأن غضب اللَّه عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا: إنه

عاقبهم ومَقَتَهم على طاعتهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته، هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية، وقد ذكر ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- كثيرًا من عباراتهم فمن ذلك:

* أن رجلًا رأى رجلًا آخرَ يَفْجُرُ بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاء اللَّه وقدره، فقال: الخيرة فيما قضى اللَّه، فلُقِّبَ بالخيرة فيما قضى اللَّه، وكان إذا دُعي به غضب.

* ولقد بالغ بعضهم في ذلك حتى قال: القدر عذرٌ لجميع العصاة.

* ومُرَّ بِلِصٍّ مقطوع اليد على بعض هؤلاء، فقال: مسكين مظلوم، أجبره على السرقة، ثم قَطَعَ يده عليها.

* وقيل لبعضهم: أترى اللَّه كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: واللَّه قد فعل ذلك، ولكن لا نَجْسُرُ أن نتكلم.

* وقال بعض هؤلاء: العارف لا ينكر منكرًا، لاستبصاره بسرِّ اللَّه في القدر.

قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى-: وسمعت شيخ الإسلام يقول:

القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث:

١) نفاته، وهم القدرية المجوسية.

٢) والمعارضون به للشريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهم القدرية المشركون.

٣) والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء اللَّه تعالى وخصومه، وهم القدرية الإبليسية، وشيخهم إبليس، وهو أول من احتج على اللَّه بالقدر، فقال: «بما أغويتني»، ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم، فمَنْ أقرَّ بالذنب وبَاءَ به ونزَّه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن برَّأ نفسه واحتج بالقدر فقد أشبه إبليس.

بيان الحق الذي هدى اللَّه أهل السنة إليه في الإيمان بالقضاء والقدر

* قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى-: وهدى اللَّه -بفضله- ورثةَ أنبيائه ورسله لميراث نبيهم ﷺ وأصحابه ﷺ فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل:

١) آمنوا بقضاء اللَّه وقدره، ومشيئته العامة النافذة، وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه ألهم كلَّ نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدي مَن يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

٢) ويؤمنون - مع ذلك - بحكمته، وأنه حكيم في كلِّ ما فَعَلَه وخَلَقَه، وأن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقْتَضَتْ صدورَ ذلك وخلْقَه، وأن حكمتَه حكمةُ حقٍ، عائدة إليه، قائمة به كسائر صفاته، وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة، التي هي مُتَعَلَّق محبتِه وحمدِه، ولأجلها خَلَق فسوَّى، وقدَّر فهدى، وهذه الحكمة هي الغاية، والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال، إذ نفْيُ الغاية مستلزمٌ لنفي الوسيلة، وذلك يستلزم إنكار ربوبيتِه وإلهيتِه،

والمقصود أن ورثةَ الرسل وخلفاءَهم - لكمال ميراثهم لنبيهم - آمنوا بالقضاء والقدر، والحكمِ والغاياتِ المحمودة في أفعال الرب تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي، وصدَّقوا بالوعد والوعيد، فصدَّقوا بالخلق والأمر، ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر. انتهى ما سقنا من كلامه -رحمه اللَّه تعالى- مختصرًا[1].

لَا يَنْتَظِمُ أَمْرُ الدِّينِ إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ وَامْتَثَلَ الشَّرْعَ

* والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال، وإذا كان الإيمان بالقدر - خيره وشره - هو نظامُ التوحيد، فإن الإتيان بالأسباب التي تُوصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانةُ اللَّه عليها هو نظامُ الشرع، فإن الثواب والعقاب مترتِّبٌ على الشرع - فعلًا وتركًا - لا على القدر.

* والإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربتِه به مخاصمةٌ لله تعالى في أمرِه وشرعِه، وثوابِه وعقابِه، وطعنٌ في حكمتِه وعدلِه، ونسبةٌ لأحكم الحاكمين إلى العبث والظلم في ذلك كلِّه.

* وكذلك الانقيادُ في الشرع مع نفي القدر وإخراجِ أفعال العباد عن قدرة الباري وجعلِهم مستقلِّين بها مستغنين عنه طعنٌ في ربوبية المعبود وملكوته.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين - (١/ ١٦١).

* والمؤمنون بالقدر يُعَزُّون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجُّون به على المعاصي والمعايب، فإذا وُفِّقُوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء اللَّه وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم -تبارك وتعالى- وقالوا كلمة الصابرين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

القَدَرُ السَّابِقُ لَا يَمْنَعُ العَمَلَ وَلَا يُوجِبُ الاتِّكَالَ

* واتفقت جميعُ الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العملَ ولا يوجبُ الاتكالَ، بل يُوجب الجِدَّ والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه بسبْق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**لا اعملوا فكل ميسر**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠][(١)] كما في الأحاديث التي قدمنا.

* فاللَّه ﷻ قدَّر المقادير، وهيأ لها أسبابًا، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسَّر كلًا مِن خلْقِه لما خَلَقَه له في الدنيا

---

(١) سبق تخريجه.

والآخرة، فهو مهيَّأٌ له، ميسَّرٌ له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطةٌ بالأسباب الموصلة إليها كان أشدَّ اجتهادًا في فعلها، والقيام بها، وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه مِن كون الحرثِ سببًا في وجود الزرع، والنكاح سببًا في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سببٌ في دخول الجنة، والعمل السَّيءُ سببٌ في دخول النار، وقد فَقِهَ هذا كلَّ الفقه مَن قال -من الصحابة لما سمع أحاديث القدر-: ما كنت بأشدَّ اجتهادًا مني الآن[1]، وفي المسند والترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت رُقَى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتقيها هل ترد من قدر اللَّه شيئًا؟ قال: «هي من قدر اللَّه»[2]، يعني أن اللَّه -تبارك وتعالى- قدَّر الخير والشر، وأسباب كل منهما.

---

(١) وهذا القول قول سراقة بن مالك بن جعشم فيما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٣٣٧) عن أبي الزبير عن جابر أن سراقة بن جعشم قال: يا رسول اللَّه أخبرنا عن أمرنا كأنا ننظر إليه، أبما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير أو بما يستأنف؟ قال: (لا بل بما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير)، قال: ففيم العمل إذًا؟! قال: (اعملوا فكل ميسر)، قال سراقة: فلا أكون أبدا أشد اجتهادا في العمل مني الآن. قال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٨)، والحديث في صحيح مسلم برقم (٢٦٤٨) دون قول سراقة المذكور.

(٢) سنن الترمذي (٢٠٦٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه برقم (٣٤٣٧)، المعجم الكبير للطبراني برقم (٣٠٢٠)، ومكارم الأخلاق للخرائطي برقم (١٠٤٠)، وصححه العراقي في طرح التثريب ٣/ ٢٣٤، وجود إسناده الصالحي في سبل الهدى والرشاد ١١٩/١٢ وحسنه الشيخ الألباني في تخريج مشكلة الفقر برقم (١١).

ذِكْرُ مَا جَاءَ مِنَ الأَحَادِيثِ فِي ذَمِّ القَدَرِيَّةِ

روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[1].

وللترمذي عن نافع عنه رضي الله عنه جاءه رجل فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام، فقال: إنه بلغني أنه قد أَحْدَثَ، فإن كان قد أَحْدَثَ فلا تُقْرِئْهُ مني السلام، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**في هذه الأمة - أو في أمتي الشك منه - خسفٌ أو مسخٌ أو قذفٌ في أهل القدر**» هذا الحديث حسن صحيح غريب[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل برقم (٥٥٨٤)، سنن أبي داود برقم (٤٦٩٣)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٢٦٨)، والقدر للفريابي (١٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٧٨٩٢) وغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٥٢)، سنن ابن ماجه برقم (٤٠٦١)، مسند البزار برقم (٥٩٥٣)، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة برقم (٥٩٦٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٧٢٣) وغيرها.

ومع ذلك فقد قال ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في حاشيته على سنن أبي داود ١٢/ ٢٩٨: (والذي صح عن النبي ﷺ ذمُّهم من طوائف أهل البدع هم الخوارج، فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح، لأن مقالتهم حدثت في زمن النبي ﷺ وكلمة رئيسهم، وأما الإرجاء والرفض والقدر والتجهم والحلول وغيرها من البدع فإنها حدثت بعد انقراض عصر الصحابة، وبدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة فأنكرها مَن كان منهم حيًا كعبد اللَّه بن عمر وابن عباس وأمثالهما رضي الله عنهم، وأكثر ما يجيء من ذمتهم فإنما هو موقوف على الصحابة من قولهم فيه). والذي يُفهم من كلام ابن القيم - رحمه اللَّه تعالى- تضعيفه للأحاديث الواردة في بعض هذه الطوائف التي أشار إليها، وبالأخص القدرية، وما ذكره -رحمه اللَّه تعالى- من تأخر ظهورها عن زمن النبي ﷺ=

وروى عبد الرزاق عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبيَّ بنَ كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر فحدِّثني بشيء لعل اللَّه يذهبه من قلبي، فقال: لو أن اللَّه عذَّب أهلَ سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غيرُ ظالمهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيل اللَّه ما قَبِلَهُ اللَّه منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيتُ عبدَ اللَّه بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدَّثني عن النبي مثل ذلك(١).

وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه في ذلك(٢).

وللترمذي عن أبي هريرة ﵁ قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهُه حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه حبُّ الرُّمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلت إليكم، إنما هلك مَن كان**

= لا يكفي وحده - واللَّه أعلم - علةً لردها، فما الذي يمنع أن تكون هذه الأحاديث من جملة الأخبار التي أخبر المصطفى ﷺ فيها ببعض الأمور الغيبية قبل ظهورها ليكون ظهورُها بعد زمنه من دلائل صدق نبوته ورسالته ﷺ، وينبغي أن يعود الأمر في هذه الأحاديث - كغيرها - إلى أسانيدها، ويحكم عليها من خلالها بعد ذلك بما تستحقه من الصحة أو الضعف، والعلم عند اللَّه وحده.

(١) مسند أحمد برقم (٢١٦٥١) وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٤٧)، صحيح ابن حبان (٧٢٧)، القضاء والقدر للبيهقي (٤١٣)، وصححه ابن القيم في شفاء العليل (١٨ / ٧)، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٤٣٩ وغيرها.

(٢) سبق تخريجه.

قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتُ عليكم ألا تنازعوا فيه»[١].

ولأحمد عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر»[٢].

وله عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس ﷺ قال: قيل لابن عباس ﷺ إن رجلًا قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه - وهو يومئذ قد عمي - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنْت منه لأعضَّنَّ أنْفَهُ حتى أقطعه، ولئن وقعتْ رقبتُه في يدي لأدقنَّها، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يَطُفْنَ بالخزرج تصطفق أَلَيَاتُهنَّ مشركات»، هذا أول شركٍ هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يُخرِجُوا اللهَ من أن يكون قدر خيرًا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرًّا[٣].

ذِكْرُ بَعْضِ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي هَذَا البَابِ

* وروى عبد اللَّه بن أحمد عن ابن عباس قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد.

---

(١) سنن الترمذي برقم (٢١٣٣)، ومسند البزار برقم (١٠٠٦٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٢٢ حديث رقم ٩٨ - ٩٩.

(٢) مسند أحمد برقم (٢٧٥٢٤)، وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، السنة لابن أبي عاصم برقم (٣٢١)، مسند البزار برقم (٤١٠٦)، مسند الشاميين برقم (٢٢٠٠)، وحسنه البوصيري في إتحاف الخيرة برقم (٣٧٩٨) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٧٥).

(٣) مسند أحمد برقم (٣٠٥٥)، السنة لابن أبي عاصم برقم (٧٩)، القدر للفريابي برقم (٣٧٣)، وضعفه الألباني في ظلال الجنة ص ٣٢.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] قال: تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب.

* وفي تفسير الضحاك عنه رضي الله عنه في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم.

* ولعبد اللَّه ابن الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه: ما من آدمي إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه وإياه.

* وله عنه رضي الله عنه قال -وذكر عنده القدر يومًا فأدخل إصبعه السبابة والوسطى في فيه فَرَقَمَ بهما باطن يديه- فقال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب.

* وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي فقال أبو موسى: أنا فقال عمرو بن العاص: أيُقدِّر علي شيئًا يعذبني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لم؟ قال: لأنه لا يظلمك، فقال عمرو: صدقت.

* قال عبيد بن عمير: إنكم مكتوبون عند اللَّه بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم.

* وقال إبراهيم النخعي: آفة كل دين القدر.

* وقال إياس بن معاوية: ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له، فقلت لهم: فإن اللَّه على كل شيء قدير.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة.

الكَلَامُ عَلَى خِصَالٍ سِتٍّ فِي نَفْيِهَا إيمانٌ بالقَدَرِ

٢٢٢) لا نَوْءَ لا عَدْوَى ولا طِيَرَ وَلا عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حِوَلَا

٢٢٣) لَا غُولَ لَا هَامَةَ لَا ولاصَفَرْ كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَرْ

هذان البيتان من تتمة بحث القدر، فإن نفيَ هذه الخصال الست وما في معناها إيمانٌ بالقدر، وتوكل على خالق الخير والشر، الذي بيده النفع والضر، واعتقادُ صحة شيء منها شركٌ منافٍ للتوحيد أو لكماله، مناقض للتوكل على اللَّه ﷻ عياذًا باللَّه منه:

١) فأما النوء: فهو من الاعتقاد في النجوم، فإنهم يعتقدون أن لمطالِعِ الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرًا في هبوب الرياح وسكونها، وفي مجيء المطر وتأخُّرِهِ، وفي رُخص الأسعار وغلائها وغير ذلك، روى الإمام مالك بن أنس في موطئه عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصبح من عِبادي**

مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مُطرنا بفضل اللَّه ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنَوْء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» ورواه الشيخان من طريقه بلفظه(١).

٢) وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد إلى جسد بطبيعته، فنفى اللَّه تعالى ذلك ورسوله ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن: ١١] وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا عدوى»**، فقام أعرابي فقال: أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب؟ قال النبي ﷺ: **«فمن أعدى الأول؟»** ورواه مسلم بنحوه(٢)، ولهما من طُرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى، ولا طِيرة، ولا هامَة، ولا صَفَر»**(٣).

الجَمْعُ بَيْنَ نَفْيِ العَدْوَى وَبَيْنَ الأَمْرِ بِالفِرَارِ مِنَ المَجْذُومِ

والجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيرادِ الْمُمْرض على الْمُصِحِّ والأمر بالفرار من المجذوم - وكلاهما في الصحيح متصلا بحديث لا عدوى ولا طيرة(٤)- من ثلاثة أوجه كلها نَفْيُ العدوى فيها على إطلاقه:

(١) الموطأ برقم (٤٥١)، ومسند أحمد برقم (١٧١٠٢)، وصحيح البخاري برقم (٩٩١)، وصحيح مسلم برقم (٧١).
(٢) صحيح البخاري برقم (٥٤٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٢٠).
(٣) صحيح البخاري برقم (٥٤٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٢٠).
(٤) أما النهي عن إيراد الممرض على المصح ففي صحيح البخاري برقم (٥٤٣٧)،=

١) الوجه الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيءٌ من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة، فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسولُ اللَّه ﷺ فيقع في الحرج.

٢) الوجه الثاني: أن نهيَه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى اللَّه تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالًا بطبعها ولكن اللَّه ﷻ هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها، فإن شاء تعالى أبقى السببَ وأثَّر في مسببه بقضاء اللَّه تعالى وقدره، وإن شاء سَلَب قواها فلا تؤثر شيئًا، ففي أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثباتٌ للأسباب التي خلقها اللَّه ﷻ، وفي أكله ﷺ معه[1] تعليمٌ لنا بأن اللَّه هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه،

= وصحيح مسلم برقم (٢٢٢١)، وأما الأمر بالفرار من المجذوم متصلًا بنفي العدوى ففي صحيح البخاري (٥٣٨٠) تعليقًا بصيغة الجزم، وهو من المعلقات التي لم يصلها في موطن آخر، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٧٨٣): وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود الطيالسي وسلم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حيان شيخ عفان فيه. فالسند صحيح، ووصله ابن خزيمة أيضا كما في «الفتح»، وأخرج ابن خزيمة له شاهدًا من حديث عائشة ولفظه: «**لا عدوى، وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد**». وصححه البغوي في شرح السنة برقم (٣٢٤٧)، وابن القيم في الطرق الحكمية (٤١٤)، وأخرجه أحمد في المسند برقم (٩٧٢٠) من حديث أبي هريرة أيضًا وصححه محققه شعيب الأرناؤوط.

(١) يشير المؤلف إلى حديث جابر - الذي رواه الأربعة إلا النسائي - أبو داود برقم (٣٩٢٧)، والترمذي برقم (١٨١٧)، وابن ماجه برقم (٣٥٤٢) أن رسول اللَّه ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال: (كل ثقة باللَّه وتوكلا عليه). وقد ضعفه ابن القيم في زاد المعاد ٤/ ٢٧٢ والألباني في تحقيقه للسنن الثلاثة المذكورة وفي المشكاة برقم (٤٥٨٥)، وإذا ضممنا عدم ثبوت أكله ﷺ مع المجذوم إلى حديث الشريد بن=

= سويد قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «إنا قد بايعناك فارجع» الذي أخرجه مسلم (٧ / ٣٧) علمنا شدة مراعاة النبي ﷺ للأخذ بأسباب التوقي من العدوى، وأن ذلك لا ينافي كمال التوكل مطلقًا، لأن الأمور معقودة بأسبابها في قدر اللَّه تعالى، فمِن التوكل تناولُ الأمور على ما جعلها اللَّه عليه من الأسباب، لا ترك الأسباب توكلًا على اللَّه ﷻ كما سيؤكده المؤلف فيما يأتي واللَّه أعلم. ومع ذلك فقد قال الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في تعليقه على أحاديث المجذوم - في مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٧٢-: (ولا تنافي بين هذه الآثار، ومن أحاط علما بما قدمناه تبين له وجهُها، وأن غاية ذلك أن مخالطة المجذوم من أسباب العدوى، وهذا السبب يعارضه أسباب أخرى تمنع اقتضاءه، فمن أقواها التوكل على اللَّه والثقة به، فإنه يمنع تأثير ذلك السبب المكروه، ولكن لا يقْدِر كلٌّ واحد من الأمة على هذا، فأرشدهم إلى مجانبة سبب المكروه والفرار والبعد منه، ولذلك أرسل إلى ذلك المجذوم الآخر بالبيعة، تشريعًا منه للفرار من أسباب الأذى والمكروه، وأن لا يتعرض العبدُ لأسباب البلاء، ثم وضع يده معه في القصعة، فإنما هو سبب التوكل= = على اللَّه والثقة به الذي هو من أعظم الأسباب التي يدفع بها المكروه والمحذور، تعليمًا منه للأمة دفع الأسباب المكروهة بما هو أقوى منها، وإعلامًا بأن الضرر والنفع بيد اللَّه ﷻ، فإن شاء أن يضرَّ عبدَه ضرَّه، وإن شاء أن يصرف عنه الضر صرفه، بل إن شاء أن ينفعه بما هو من أسباب الضرر ويضره بما هو من أسباب النفع فَعَل، ليتبين العبادُ أنه وحده الضار النافع، وأن أسباب الضر والنفع بيديه، وهو الذي جعلها أسبابًا، وإن شاء خلع منها سببيتها، وإن شاء جعل ما تقتضيه بخلاف المعهود منها، ليُعلم أنه الفاعل المختار، وأنه لا يضر شيءٌ ولا ينفع إلا بإذنه، وأن التوكل عليه والثقة به تُحيل الأسباب المكروهة إلى خلاف موجباتها، وتبين مرتبتها، وأنها مَحَالٌ لمجارى مشيئة اللَّه وحكمته، وأنه سبحانه هو الذي يَضرُّ بها وينفع، ليس إليها ولا لها من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، وأنها إنما يَنال ضررُها مَن علَّق قلبه بها ووقف عندها)، ولما ذكر -رحمه اللَّه تعالى- أحاديث الأمر بمجانبة المجذوم في كتابه الطرق الحكمية ص ٤١٥ قال عقبها:

(ولا تعارض بين هذا وبين ما رواه مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن ابن=

ولا يصيب العبدَ إلا ما كَتب اللَّه له.

٣) **الوجه الثالث**: أن النفوس تستقذر ذلك، وتنقبض عند رؤيته، وتشمئز من مخالطته، وتكرهه جدًّا، لاسيما مع ملامسته وشم رائحته، فيحصل بذلك تأثير - بإذن اللَّه - في سقمها، قضاءً من اللَّه وقدرًا، لا بانتقال الداء بطبيعته - كما يعتقده أهلُ الجاهلية - بل على أنه سببٌ فيه، قد يؤثر - بإذن اللَّه تعالى - لاسيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه.

* والمقصود: أن نفي العدوى مطلق على عمومه، وفيه إفراد اللَّه ﷻ بالتصرف في خلقه، وأنه مالك الخير والشر، وبيده النفع والضر، وليس في الأمر بمجانبة البلاء ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاةٌ ولا مناقضةٌ، بل ذلك - مع الثقة باللَّه والتوكل عليه - من فعل الأسباب النافعة، وتوقي الأسباب المؤذية، ودفع القدر بالقدر، والالتجاء من اللَّه إليه.

* وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب، وليس التوكلُ بترك الأسباب، بل التوكل من الأسباب، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها، وكذلك لا يكون الموحد تاركًا التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقي المضرة، وحرصه على ما ينفعه، فإنما الشأن فيما وَقَر في القلوب، وسكنت إليه النفوس،

= المنكدر عن جابر أن رسول اللَّهِ ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في قصعته وقال: (كل باسم اللَّه وتوكلا على اللَّه)، فإن هذا يدل على جواز الأمرين، وهذا في حق طائفة وهذا في حق طائفة، فمن قوِي توكله واعتماده ويقينه من الأمة أَخَذ بهذا الحديث، ومن ضعف عن ذلك أخذ بالحديث الآخر، وهذه سنة وهذه سنة واللَّه أعلم).

والتوفيق بيد اللَّه، والمعصوم من عصمه اللَّه تعالى[١].

* ومن هذا الباب: نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون، وعن الخروج منها فرارًا منه، فإن في القدوم عليه تعرضًا للبلاء، وإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، وتسببًا للأمور التي أجرى اللَّه تعالى العادة بمضرتها، وفي الفرار منه تسخُّط لقضاء اللَّه ﷻ، وارتياب في قدره، وقوله ﷺ: «فلا تخرجوا فرارًا منه»[٢] تقييدٌ للنهي بخروجٍ لقصد الفرار،

(١) قلت: وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- الموقفَ الشرعي من الأسباب في عبارات جامعة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره الحديث السابق - كما مجموع الفتاوى ٨/ ٣٩٧:
(فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع). ثم قال -رحمه اللَّه تعالى-: (فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على اللَّه لا على سبب من الأسباب، واللَّه ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فَعَلَها مع التوكل على اللَّه، كما يؤدى الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جُنَّةَ الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أُمر به من الجهاد، ومَن تَرَكَ الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم). ويؤكد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا المعنى في طريق الهجرتين ١/ ٣٩٧ فيقول: (وهو - سبحانه - فَرَغَ من الأشياء، وقدَّرها بأسبابها المفضية إليها، فكما أن المسببات مِن قدره الذي فرغ منه فأسبابها - أيضًا - من قدره الذي فرغ منه، فتقديره المقادير بأسبابها لا ينافي القيام بتلك الأسباب، بل يتوقف حصولها عليها. . فالكمال هو تنزيل الأسباب منازلها علمًا وعملًا، لا الإعراض عنها ومحوها، ولا الانتهاء إليها والوقوف عندها).

(٢) نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون وقوله ﷺ: (فلا تخرجوا فرارًا منه)، وردا في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه المتفق عليه: صحيح البخاري برقم (٥٣٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢١٩)، ومن حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما صحيح البخاري برقم (٦٥٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢١٨).

فلا يدخل في ذلك مَن خرج لحاجته اللازمة، كما قيد ﷺ الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابرًا محتسبًا صحيحَ اليقين ثابتَ العزيمة قويَّ التوكل مستسلمًا لقضاء اللَّه ﷻ(١).

٣) وأما الطيرة فهي ترك الإنسان حاجته واعتقادُه عدمَ نجاحها تشاؤمًا بسماع بعض الكليمات القبيحة، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صدَّه ذلك عنها ورجع، معتقدًا عدمَ نجاحها، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام، أو ببعض الساعات، فلا يسافر فيها كثيرٌ من الناس، ولا يعقد فيها نكاحًا، ولا يعمل فيها عملًا مهمًا ابتداءً، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحسٌ، وَكَذَا التَّشَاؤُمُ بِبَعْضِ الْجِهَاتِ فِي بَعْضِ السَّاعَاتِ فَلَا يَسْتَقْبِلُهَا فِي سَفَرٍ وَلَا أَمْرٍ حَتَّى تَنْقَضِيَ تِلْكَ السَّاعَةُ أَوِ السَّاعَات، وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين، يَزْعُمُونَ أَنَّ هُنَاكَ فَلَكًا دَوَّارًا يَكُونُ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، فَمَنِ اسْتَقْبَلَ تِلْكَ الْجِهَةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهَا هَذَا الْفَلَكُ لَا يَنَالُ خَيْرًا وَلَا يَأْمَنُ شَرًّا ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَاذِبُونَ مُفْتَرُونَ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُمْ - قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَمِنْ

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٢٨٧) عن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون فأخبرني أنه: (عذاب يبعثه اللَّه على من يشاء، وأن اللَّه جعله رحمةً للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا - يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كَتب اللَّه له - إلا كان له مثل أجر شهيد). وفي لفظ له برقم (٥٤٠٢): (كان عذابًا يبعثه اللَّه على من يشاء فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين. .) الحديث.

ذَلِكَ التَّشَاؤُمُ بِوُقُوعِ بَعْضِ الطُّيُورِ عَلَى الْبُيُوتِ يَرَوْنَ أَنَّهَا مُعْلِمَةٌ بِشَرٍّ، وَكَذَا صَوْتُ الثَّعْلَبِ عِنْدَهُمْ ، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم، وإن تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام، وهذا وما شاكله كان في الجاهلية قبل النبوة، وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك، وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، أرداهم اللَّه وألحقهم به آمين.

بَيَانُ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ»

وأما حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة»**[1]، فالشؤم ضد اليُمْن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد، أو اللَّسِنَة المؤذية، أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك، وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها، أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم، ليس هو من باب الطيرة المنفية، فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده، ليس من هذا، لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها، لا لعدم مصلحتها وانتفائها، فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ غَنِيًّا افْتَقَرَ لَيْسَ بِتَبْذِيرِهَا بَلْ لِنَحَاسَتِهَا عَلَيْهِ، وأنه إِنْ يأخذْها يموت بِمجردِ دخولِهَا عَلَيْهِ لَا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٤٢١)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٢٥).

بسببٍ مَحْسُوسٍ، بَلْ عِنْدَهُمْ أَنَّ لَهَا نَجْمًا لَا يُوَافِقُ نَجْمَهُ بَلْ يَنْطَحُهُ وَيَكْسِرُهُ، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، حتى إن رجلًا في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك، ويفرق به بين المرء وزوجه فتنبه له بعض العامة - ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث - فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة ما ترى فيها هل هي سعد لي أو نحس عليَّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية، ثم قال له: دعها فإنك أخذتها لا تُبلي معها ثوبًا، يعني يموت سريعًا لا تطول معها صحبتُه، وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته، قد طالت صحبته معها، وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم كلَّهم أسمائهم حتى حضروا، فقال له: هؤلاء أولادي منها، ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم.

* وروي في كفارة الطيرة حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه - وَقَفَه-: **«من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول اللهم لا خير إلا خيرُك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**[1]، وروى أبو داود عن عبد اللَّه بن مسعود عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«الطيرة شرك»** ثلاثًا، وما منا إلا ولكن اللَّه يذهبه بالتوكل[2]. وقوله: وما

---

(١) مسند أحمد برقم (٧٠٤٥) مرفوعًا وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، وصححه الشيخ الألباني كما في جامع صحيح الأذكار برقم (٥٣٦)، وهو في عمل اليوم والليلة لابن السني (٢٩١) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا أيضًا، ورمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير (٨٧٠١)، وصححه الألباني مرفوعًا في السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم (١٠٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

منا إلا . . إلخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذي.

٤) وأما الغول فهي واحد الغيلان، وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم، والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفًا شديدًا، ويستعيذون ببعضهم من بعض، كما قال تعالى- عنهم-: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] زاد الإنسُ الجنَّ جرأة عليهم وشرًا وطغيانًا، وزادتهم الجنُّ إخافة وخبلًا وكفرانًا، وكان أحدهم إذا نزل واديا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه، فأبطل اللَّه تعالى ورسوله ﷺ ذلك، ونفى أن يضروا أحدًا إلا بإذن اللَّه ﷻ، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة برب الكون وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر فقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، وقال ﷺ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» وهو في الصحيح[1]، وأحاديث الاستعاذة والأذكار في طرد الشيطان وغيره كثيرة.

* وأما قول من قال: إن المراد في الحديث نفي وجود الغيلان مطلقًا فليس بشيء، لأن ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة في زمن النبي ﷺ وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم واللَّه أعلم.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٠٨).

٥) و ٦) وأما الهامة والصفر فروى أبو داود عن ابن جريج عن عطاء قال: يقول الناس الصفر وجع يأخذ في البطن، قلت: فما الهامة؟ قال: يقول الناس الهامة التي تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الإنسان إنما هي دابة، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ قرئ على الحارث بن مسكين - وأنا شاهد - أخبركم أشهب قال: سئل مالك عن قوله: (لا صفر) قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عامًا ويحرِّمونه عامًا، فقال النبي ﷺ: «لا صفر».
قلت: وكل هذه المعاني لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال، وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث[1] ولله الحمد والمنة.

مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ

٢٢٤) وثَـالِـثٌ مَـرْتَـبَـةُ الإحْـسَـانِ   وَتِـلْـكَ أعْـلَاهَـا لَـدَى الـرَّحْـمَـنِ
٢٢٥) وَهْوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ في الْعِرْفَانِ   حَتَّـى يَكُـونَ الْـغَـيْـبُ كَـالْـعِـيَـانِ

هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة في حديث جبريل المتقدم، وهي أعلى مراتب الدين، وأعظمها خطرًا، وأهلها هم المستكملون لها، السابقون بالخيرات، المقربون في علو الدرجات، وإذا

(١) وثمة معنى آخر مما يدخل في هذه الجملة أشار إليه الشيخ سليمان بن عبد اللَّه في تيسير العزيز الحميد ٣٦٠ فقال: وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي ﷺ ذلك، قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي عن السفر فيه. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام، كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

كان الإسلام هو الأركان الظاهرة عند اقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، فإن الإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، وأما عند الاطلاق فكلٌ منها يشمل دين اللَّه كله.

* وقد فسره النبي ﷺ تفسيرًا هو من جوامع الكلم، فقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين، وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

١- المقام الأول: وهو أعلاهما: أن تعبد اللَّه كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدتِهِ اللهَ ﷻ بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة (**في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان**) فمن عَبَد اللَّه ﷻ على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ.

٢- المقام الثاني: مقام الإخلاص: وهو أن يعملَ العبدُ على استحضار مشاهدة اللَّه إياه، واطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير اللَّه، وإرادته بالعمل، وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلًا للثاني، فقال: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، فإذا تحقق في عبادته بأن اللَّه - تعالى- يراه، ويطلع على سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الأول.

* وقد ذكر اللَّه -تبارك وتعالى- هذا المعنى في غير ما موضع من القرآن، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠] وغير ذلك من الآيات.

* فمن صفات أولياء اللَّه المتقين المحسنين أنهم استشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة اللَّه ﷻ بهم علمًا، وقدرة، ولطفًا، وخبرة بأقوالهم ونياتهم، وأسرارهم وعلانياتهم، وحركاتهم وسكناتهم، وجميع أحوالهم كيف عملوا، وأين عملوا، ومتى عملوا، فكان عملهم خالصًا لله، موافقًا لشرعه، مستحضرين ذلك بقلوبهم، نافذة فيه بصائرهم، فأخلصوا لله العمل، وراقبوه مراقبة مَن ينظر إلى ربه.

* وللبخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه تعالى قال: من عادي لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن عاذ بي لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدِي عن نفس عبدي المؤمن، يكرَهُ الموتَ وأنا أكره مساءَتَه»**(١).

---

(١) سبق تخريجه.

* فهؤلاء ذكروا اللَّه تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولوه ووالوا فيه فتولاهم، وعادوا أعداءه - لأجله - فآذن بالحرب من عاداهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، والحسنى التي وعد اللَّه المحسنين هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه اللَّه عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ[1]، فلما كانوا يعبدون اللَّه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة - كأنهم يرونه بقلوبهم، وينظرون إليه في حال عبادتهم إياه - كان جزاؤهم على ذلك النظر إلى وجهه -تبارك وتعالى- في الآخرة عيانًا بأبصارهم، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فقال تعالى عنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، لما كان حالهم في الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على قلوبهم حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

(١) سبق تخريجه.

فَصْلٌ: سِتُّ مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِمَبَاحِثِ الدِّينِ

١) الأولى: كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

٢٢٦) إِيـمَـانُـنَـا يَـزِيـدُ بِـالـطَّـاعَـاتِ وَنَـقْـصُـهُ يَـكُـونُ بَـالـزَّلَّاتِ

* وعلى ذلك ترجم البخاري - في جامعه - كتاب الإيمان (باب قول النبي ﷺ بُني الإسلام على خمس، وهو قول وفعل ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢][(١)].

* وقال الترمذي -رحمه الله تعالى-: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**»[(٢)]، وحديث: «**يا معشر النساء تصدقن..**» إلخ، وهو في الصحيحين، والشاهد منه قوله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن**»[(٣)]، وذكر حديث أبي هريرة وهو في

---

(١) صحيح البخاري (١ / ٧).

(٢) مسند أحمد برقم (٢٤٢٥٠)، سنن الترمذي (٢٦١٢)، السنن الكبرى للنسائي (٩١٠٩)، المستدرك للحاكم برقم (١٧٣) وقال: رواته ثقات على شرط الشيخين، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٢٤٨٣)، وضعفه الألباني في تحقيقه للترمذي برقم (٢٦١٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٩٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٩).

الصحيحين - أيضًا - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون بابًا، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا اله الا الله**» هذا لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح، ولفظه: «**بضع وستون**»، ولمسلم رواية: «**بضع وسبعون**»، لكن قالا: «**شعبة**» بدل «**بابًا**»(١).

* وروى مسلم عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال - وكان من كُتَّاب رسول اللَّه ﷺ - قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان اللَّه ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول اللَّه ﷺ يذكِّرُنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول اللَّه ﷺ عافَسْنَا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر رضي الله عنه: فواللَّه إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول اللَّه ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وما ذاك؟**»، قلت: يا رسول اللَّه نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي يده إن لو تدُومُون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحَتْكم الملائكةُ على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن - يا حنظلة - ساعة وساعة**» ثلاث مرات(٢).

---

(١) مسند أحمد برقم (٩٧٤٦)، صحيح البخاري برقم (٩)، صحيح مسلم برقم (٣٥)، سنن أبي داود برقم (٤٦٧٦)، سنن الترمذي برقم (٢٦١٤)، سنن النسائي الكبرى برقم (١١٧٣٦)، سنن ابن ماجه برقم (٥٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٥٠).

* وعلى هذا إجماعُ الأئمة المعتدِّ بإجماعهم أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى، كما سيأتي - إن شاء اللَّه تبارك وتعالى- بيانُه قريبًا.

٢) المسألة الثانية: تفاضل أهل الإيمان فيه:

٢٢٧) وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

هذه هي المسألة الثانية: وهي تفاضل أهل الإيمان فيه:

* فقد ذكر اللَّه -تبارك وتعالى- أقسامَهم التي قسمهم عليها - بمقتضى حكمته - فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢] الآيات، فقسم - تعالى- الناجين منهم إلى مقتصدين وهم الأبرار أصحاب اليمين، الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات، فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه، وإلى سابق بالخيرات، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، وتركوا ما لا بأس به خوفًا مما به بأس، وما زالوا يتقربون إلى اللَّه تعالى بذلك، حتى كان سمعَهم الذي يسمعون به، وبصرَهم الذي يبصرون به، إلى آخر معنى الحديث السابق، وأما الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان: أحدهما: أن المراد به الكافر، فيكون كتقسيمهم في سورة الواقعة، فإن تفاضل أهل الإيمان في تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين: سابقين مقربين، وأبرار هم أصحاب اليمين، وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق،

وإنما الخلاف في الظالم نفسه في آية فاطر، والقول الثاني: أن المراد به عصاة الموحدين، فإنهم ظالمون لأنفسهم، ولكن ظلم دون ظلم، لا يُخرج من الدين، فعلى هذا يكون قسمًا ثالثًا في تفاضل أهل الإيمان، ورجح هذا القول ابنُ القيم -رحمه اللَّه تعالى-[١].

* وإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم؟ وقد ذكر اللَّه -تبارك وتعالى- أن الرسلَ متفاضلون، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

* وكما أخبر اللَّه -تبارك وتعالى- عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليف كذلك جعل الجنة - التي هي دار الثواب - متفاوتةَ الدرجات مع كون كلٍ منهم فيها، فأخبر - في سورتي الرحمن والواقعة - بصفة الجنة التي يدخلها السابقون، وأنها أعظمُ وأعلى من صفات الجنة التي يدخلها أصحاب اليمين، وكذلك في سورة المطففين وغيرها، وقال النبي ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[٢]، وأهل الجنة متفاوتون في الدرجات وفي كل ما هم فيه تفاوتًا لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ.

* وقد قدمنا أحاديث الشفاعة، وفيها أن عصاة الموحدين - الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم - متفاوتون تفاوتًا بعيدًا في مقدار ما تأخذ منهم،

---

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين - (١ / ٣٠٥).

(٢) سبق تخريجه.

وكذلك يتفاوتون في مقدار لبثهم فيها، وسرعة خروجهم منها، لأنهم متفاوتون في الإيمان والتوحيد الذي بسببه يخرجون منها، فيقال للشفعاء: أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان[١]، ثم من كان في قلبه وزن برة من إيمان، ثم من كان في قلبه ذرة من إيمان[٢]، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان[٣]، فأين هذا ممن الإيمان في قلبه مثل الجبل العظيم، وأين مَن نورُه على الصراط كالشمس ممَّن نورُه على إبهام قدمه ينونص تارة ويطفأ أخرى؟! ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥- ٣٦].

* ومن أدلة تفاوت الناس في الإيمان ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمر وعليه قميص يجره**»، قالوا: فما أَوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»[٤].

* وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ذكره البخاري تعليقا مجزوما به[٥].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) صحيح البخاري برقم (٧٠٧٢)، صحيح مسلم برقم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٠٧)، صحيح مسلم برقم (٢٣٩٠).
(٥) صحيح البخاري (١ / ٢٦)، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٨)، والخلال في السنة برقم (١٠٨١)، وصححه الإمامان الذهبي في تاريخ الإسلام =

* وقال النبي ﷺ: «ملئ عمار إيمانًا إلى مُشَاشِه»[١].

* وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح[٣].

* وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤] قال -

---

= ٧ / ٤٠٢، وابن حجر في الفتح ١/ ١١١.

(١) رواه ابن ماجه برقم (١٤٧) من حديث علي رضي الله عنه، والنسائي في الكبرى برقم (٥٠٠٧) من حديث عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٨٠) من حديثه أيضًا ومن حديث عبد الله بن مسعود وصححه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٨٢٠٣) من حديث علي وابن مسعود، وقال عنه المقدسي في الأحاديث المختارة ٢/ ٣٨٩: إسناده لا بأس به، وصححه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٧٤ وفي فيض القدير ٥/ ٣، والحافظ في الفتح ٧/ ٩٢ من رواية البزار له من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٩١: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٠٧ وغيرها. قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير(٢/ ٢٨٧) إلى مشاشه: بضم الميم أي ملئ جوفه به حتى وصل إلى العظام الظاهرة، والمشاش رءوس العظام.

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٦٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٥)، وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٣٠) وفي تخريج أحاديث الإحياء - (١ / ٣٥)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (٩٠٨) والعجلوني في كشف الخفاء(٢١٣٠)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة تحت حديث رقم (٦٣٤٣)

حين فرغ- : إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وقال أصحاب الرأي : ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان، افتراءً على اللَّه، وخلافًا لكتابه وسنة نبيه، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهلَ الردة، وقال فضيل : يقول أهل البدع الإيمان الإقرارُ بلا عمل، والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال، ولا يتفاضلون بالإيمان، قال : فمن قال ذلك فقد خالف الأثر، وردَّ على رسول اللَّه ﷺ قوله، لأن رسول اللَّه ﷺ قال : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1]، وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقولِ إن فرائض اللَّه ليست من الإيمان، فميَّز أهلُ البدع العملَ من الإيمان، وقالوا : إن فرائض اللَّه ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أن يكون جاحدًا للفرائض، رادًّا على اللَّه أمره، ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل، فما أسوأَ هذا من قول وأقبَحَه، فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

* والمقصود : بيان أن الناس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل، وأدناهم المخلِّطون من أهل التوحيد، وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا اللَّه ﷻ الذي خلقهم ورزقهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) السنة لعبد اللَّه بن أحمد - (١ / ٣٧٦).

* وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة، بل - واللَّه - يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آن واحد وفي مكان واحد ولو كُشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا اللَّه، وجميعُ أعمال الإيمان الناسُ فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر في قلوبهم من العلم واليقين، وعلى ذلك يموتون، وعليه يُبعثون، وعلى قدْرِهِ يَقِفُون في عَرَق الموقف، وعلى ذلك الوزن، والصحف، وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط، وبحسب ذلك يمرون عليه، ومن يبطأ به عمله لم يسرع به نسبه[1]، وبذلك يتسابقون في دخول الجنة، وعلى حسبه رفْعُ درجاتهم، وبقدْرِه تكون مقاعدهم من ربهم -تبارك وتعالى- في يوم المزيد، وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم، واللَّه يختص برحمته من يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم.

٣) المسألة الثالثة: فاسقُ أهلِ القبلة مؤمنٌ ناقص الإيمان:

٢٢٨) وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ... لَمْ يُنْفَ عَنهُ مُطْلَقُ الإيمَانِ

٢٢٩) لَكنْ بقَدْر الْفِسْقِ والْمعَاصِي ... إيْمَانُهُ مَا زالَ في انْتِقَاصِ

* وهذه المسألة تعني أن فاسق أهل القلبة لا يُنفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يُوصف بالإيمان التام، ولكن هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، أو مؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرته، فلا يُعطى الاسمَ المطلق، ولا يُسلب مطلقَ

---

(١) جاء ذلك في جملة من جمل حديث أبي هريرة ﷺ المرفوع إلى النبي ﷺ الذي في صحيح مسلم برقم (٢٦٩٩) بلفظ: (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، وأوله (من نفس عن مؤمن كربة.. إلخ).

الاسم، والمراد بالفسق هنا هو الأصغر، وهو عمل الذنوب الكبائر التي سماها اللَّه ورسوله فسقًا وكفرًا وظلمًا، مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها.

* وقد قال النبي ﷺ: «سباب المسلم، فسوق وقتاله كفر»[(١)]، وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض» الحديث[(٢)] وغيره، وقد اسْتَبَّ كثيرٌ من الصحابة على عهده ومن حضوره فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم، بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين.

* وقال اللَّه - سبحانه-: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ٩] فسمى اللَّه تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة ثم أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

* وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوة الإيمان فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٤) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه، وهو - من حديث ابن عمر رضي الله عنهما - في صحيح البخاري برقم (٤١٤١) وصحيح مسلم برقم (٦٦)، وتفرد به البخاري دون مسلم من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما برقم (١٦٥٢)، ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه (١٦٥٤).

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨].

* ولا منافاة بين تسمية العمل فسقًا أو عامله فاسقًا وبين تسميته مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه.

* وذلك لأن كلًّا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

١- أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

٢- أصغر يُنقص الإيمان، ولا ينافي الملة، ولا يُخرج صاحبه منه، فكفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق.

أَقْوَالُ أَهْلِ البِدَعِ فِي عُصَاةِ المُوَحِّدِين

* قالت الخوارج: المصِرُّ على كبيرة من زنا أو شربِ خمر أو ربا كافرٌ مرتدٌ خارجٌ من الدين بالكلية، لا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولو أقرَّ لله تعالى بالتوحيد، وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد، وهو مخلدٌ في النار أبدًا، وقد تمسكت الخوارج والمعتزلة وأضرابهم بنصوص الكفر والفسوق الأصغر، واستدلوا بها على الأكبر، وذلك مما جَنَتْهُ أفهامُهم الفاسدة، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

* وقالت المعتزلة: العصاةُ ليسوا مؤمنين ولا كافرين، ولكن نسميهم فاسقين، فجعلوا الفسقَ منزلةً بين المنزلتين، ولكنهم لم يحكموا به بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين، بل قضوا بتخليده في النار أبدًا، فوافقوا الخوارج

مآلًا ، وخالفوهم مقالًا ، وكان الكل مخطئين ضُلَّالًا .

* وقابل ذلك المرجئةُ فقالوا : لا تَضُرُّ المعاصي مع الإيمان لا بنقص ولا منافاة، ولا يدخل النارَ أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية، ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبي بكر وعمر، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذ الكل مستوفي النطق بالشهادتين - كما قدمنا اعتقادهم في بحث الإيمان - نسأل اللَّه تعالى العافية .

٤ - المسألة الرابعة : العاصي لا يَخْلُدُ في النار، وأمره إلى اللَّه تعالى :

٢٣٠) ولَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ   مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

٢٣١) تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَةْ   إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وإِنْ شَا آخَذَهْ

٢٣٢) بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وإلى الجِنَانِ   يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيْمَانِ

(ولا نقول إنه) أي الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفرًا **(في النار مخلد)**، بل نقول **(أمره)** مردودٌ حكمه **(للباري)** في الجزاء والعفو **(تحت مشيئة الإله النافذة)** في خلقه **(إن شاء)** اللَّه ﷻ **(عفا عنه)** وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله **(وإن شاء آخذه)** أي جازاه وعاقبه **(بقدر ذنبه)** الذي مات مصرًّا عليه .

* وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال - وحوله عصابة من أصحابه - : **«بايعوني على ألا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على**

اللَّه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه عليه فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك[1]، (**ثم إلى الجنان يَخرج**) من النار (**إن**) كان (**مات على الإيمان**) كما تقدم في أحاديث الشفاعة، وأنه لا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد، بل يخرج منها برحمة أرحم الرحمين ثم بشفاعة الشافعين.

٢٣٣) والْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ في النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

* في هذا البيت إشارةٌ إلى تفسير رسول اللَّه ﷺ لقوله اللَّه ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧- ٨] الآيات كما في صحيح البخاري - وغيره - من طُرق عن عائشة - رضي اللَّه تعالى عنها - قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك**»، قالت: قلت: يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداءك أليس يقول اللَّه ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨] الآيات؟ قال: «**ذلك العرض، يُعرضون، ومن نُوقش الحسابَ هلك**»، وفي رواية: «**عذب**»[2].

* وإذا ثبت تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٨)، وصحيح مسلم برقم (١٧٠٩)، يقول الإمام البغوي في شرح السنة - (١ / ١٠٣): (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئًا منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى اللَّه، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت في البيعة).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٥٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦) بلفظ: (هلك)، ورواية: (عذِّب) في صحيح البخاري برقم (٦١٧١)، صحيح مسلم برقم (٢٨٧٦).

تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم وضدها، فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم لإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

١- الطبقة الأولى: قوم رَجحت حسناتهم بسيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة، ولا تمسهم النار أبدًا.

٢- الطبقة الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت، فقصرت بهم سيئاتُهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر اللَّه تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء اللَّه أن يوقفوا، ثم يُؤذن لهم في دخول الجنة.

٣- الطبقة الثالثة: قوم لقوا اللَّه تعالى مصرِّين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، فرجحَت سيئاتُهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، حتى إن منهم مَن لم يحرمْ منه على النار إلا أثرُ السجود، حرم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن اللَّه تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة، إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نَذَرْ فيها خيرًا، ويُخرجُ اللَّه تعالى من النار أقوامًا لا يعلم عِدَّتَهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين[1].

---

(١) وهذا مبنيٌّ على أن الرب تعالى يُجري أمر الحساب والجزاء في عصاة أهل التوحيد على الموازنة بين حسناتهم وسيئاتهم، وهو مقتضى عدله تعالى وحكمته، ويكون=

= شأن الناس بعد ذلك على الطبقات الثلاث التي أشار لها الشارح، يقول ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في طريق الهجرتين ١/ ٥٦٢: (الطبقة الحادية عشرة طبقة أقوام خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فعملوا حسنات وكبائر، ولقوا اللَّه مصرين عليها، غير تائبين منها، لكنْ حسناتُهم أغلبُ من سيئاتهم، فإذا وُزِنَتْ بها ورجحت كفة الحسنات فهؤلاء أيضا ناجون فائزون، قال تعالى: (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)، قال حذيفة وعبد اللَّه بن مسعود وغيرهما من الصحابة: يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: فمن رجحتْ حسناتُه على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف، وهذه الموازنة تكون بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقَهم من حسناته، فإذا بقي شيء منها وُزن هو وسيئاتُه) ثم قال -رحمه اللَّه تعالى-:

(الطبقة الثالثة عشرة: طبقة أهل المحنة والبلية - نعوذ باللَّه - وإن كانت آخرتهم إلى عفو وخير، وهم قوم مسلمون خفَّتْ موازينهم، ورجحت سيئاتُهم على حسناتهم، فغلبتها السيئات، فهذه الطبقة التي اختلفت فيها أقاويل الناس، وكثر فيها خوضهم، وتشعبت مذاهبهم، وتتشتت آراؤهم، فطائفة كفَّرتْهم وأوجبت لهم الخلود في النار، وهذا مذهب أكثر الخوارج. . وطائفةٌ أوجبت لهم الخلود في النار، ولم تطلق عليهم اسم الكفر، بل سموهم منافقين، وهذا المذهب يُنسب إلى البكرية أتباع بكر بن أخت عبد الواحد، وطائفةٌ نزَّلتهم منزلةً بين منزلة الكفار والمؤمنين، فجعلوا أقسامَ الخلقِ ثلاثةً: مؤمنين، وكفارًا، وقسمًا لا مؤمنين ولا كفارًا، بل بينهما، وأوجبت لهم الخلود في النار، وهذا هو الرأي الذي عليه أهل الاعتزال، وهو أحد أصولهم الخمسة التي هي قواعد مذهبهم. . فوافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الاسم. . فهذه ثلاث فِرَق أوجبت لهذه الطائفة الخلود في النار، وقالت المرجئة - على اختلاف آرائهم - لا يُدرى ما يَفعل اللَّه بهم، فيجوز أن يعذبهم كلَّهم، وأن يعفوَ عنهم كلِّهم، وأن يعذب بعضَهم ويعفو عن بعضَهم، غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار، فجوزوا أن يلحق بعضهم بمن ترجحت حسناتُه على سيئاته، بل جوزوا أن يُرفع عليه في الدرجة، فهم مَوْكُولُون عندهم إلى محض المشيئة، لا يُدرى ما يفعل اللَّه بهم، بل يُرجأ أمرُهم إلى=

* ولم يخلد في النار أحد من الموحدين، ولو عمل أيَّ عمل، ولكن كلُّ مَن كان منهم أعظم إيمانًا وأخف ذنبًا كان أخفَّ عذابًا في النار وأقلَّ مكثًا فيها، وكلُّ مَن كان أضعف إيمانًا وأعظم ذنبًا كان بضد ذلك والعياذ باللَّه.

* وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «**من قال لا اله الا اللَّه نفعته يومًا من الدهر، يصيبه قبل ذلك ما أصابه**»[1].

= اللَّه وحُكمه، وهذا قول كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم، فهذه الأقوال التي يعرفها أكثر الناس، ولا يَحكي أهلُ الكلام غيرَها، وقول الصحابة والتابعين وأئمة الحديث لا يعرفونه ولا يحكونه، وهو الذي ذكرناه عن ابن عباس وحذيفة وابن مسعود أنَّ من ترجَّحَتْ سيئاتُه بواحدة دخل النار، وهؤلاء هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ، فإنهم يدخلون النار، فيكونون فيها على مقدار أعمالهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ويلبثون فيها على قدر أعمالهم، ثم يُخرجون منها، فينبتون على أنهار الجنة، فيَفِيضُ عليهم أهل الجنة بالماء حتى تنبت أجسادهم، ثم يدخلون الجنة، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وهم الذين يأمر اللَّه سيدَ الشفعاء مرارًا أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان، وإخبار النبي أنهم يكونون فيها على قدر أعمالهم مع قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ و: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وأضعاف ذلك من نصوص القرآن والسنة يدل على ما قاله أفضل الأمة وأعلمها باللَّه وكتابه وأحكام الدارين أصحاب محمد، والعقل والفطرة تشهد له، وهو مقتضى حكمة العزيز الحكيم، الذي بَهَرَتْ حكمتُه العقول، فليس الأمر سببًا خارجًا عن الضبط والحكمة، بل مربوط بالأسباب والحِكم، مرتبٌ عليها أكمل ترتيب، جارٍ على نظام اقتضاء السبب، واستدعتْه الحكمة، وأيُّ الطريق سلكها سالك غير هذه الطريق من الطرق المتقدمة أفْضَتْ به إلى ترك بعض النصوص ولا بد).

وأكد - رحمه اللَّه تعالى - هذا المعنى في المدارج ١/ ٥٧٠ فراجعه.

(١) سبق بيان حكمه.

* وهذا مقام ضلَّت فيه الأفهام، وزلَّت فيه الأقدام، وهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

* قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى- في كتاب التوحيد - بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها - قال: وأهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان:

١- صنف منهم: من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن دخل النار، وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة.

٢- الصنف الثاني: الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حُرمت على من قال لا إله إلا اللَّه، تتأول هذا الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها. ثم لما انتهى من الكلام على ما احتجَّ به المرجئةُ على باطلهم وكَفَرَ به الخوارجُ وردُّوه بباطل آخر، شَرَع رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما تشبث به الخوارجُ واحتجوا به على باطلهم، وما كَفَرَ به المرجئةُ وردُّوه بباطل آخر، فقال -رحمه اللَّه تعالى- باب ذكر أخبار رُويت عن النبي ﷺ ثابتة من جهة النقل جَهِلَ معناها فرقتان فرقة المعتزلة والخوارج، احتجوا بها، وادَّعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلدٌ في النار، محرَّمٌ عليه الجنان، والفرقةُ الأخرى المرجئة كَفَرَت بهذه الأخبار، وأنكرتها، ودفعتْها جهلًا منها بمعانيها، ثم ذكر جملة من أحاديث الوعيد على بعض الكبائر ثم قال: معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين:

١- أحدهما: لا يدخل الجنة أي بعض الجنان، إذ النبي ﷺ قد أَعْلَمَ أنها جنان من جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها: مَن فعل كذا لبعض المعاصي حرَّم اللَّه عليه الجنة،

أو لم يدخل الجنة معناه: لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيمًا وسرورًا وبهجة وأوسع، لا أنه أراد لا يدخل شيئًا من تلك الجنان التي هي في الجنة.

٢- والمعنى الثاني: أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أي إلا أن يشاء اللَّه تعالى أن يغفرَ ويصفحَ ويتكرَّمَ ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ اللَّه ﷻ قد أخبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦](١) قد أمليت هذه المسألة في كتاب معاني القرآن الكتاب الأول، واستدللت - أيضًا - بخبر عن النبي ﷺ بهذا المعنى، وساق - بإسناده - إلى قيس بن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلامًا، فغضب عليه، وقال: واللَّه ما وهبت لك شيئًا، فلما أصبح ردَّه عليه، وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من حلف على يمين صبرًا ليقتطع مال امرئ مسلم لقي اللَّه يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»(٢).

---

(١) يقول الإمام الطبري عند هذه الآية في تفسيره (٨/ ٤٥٠): (وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة اللَّه، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركًا بالله).

(٢) التوحيد لابن خزيمة برقم (٥٨٧)، وهو بلفظ قريب من هذا في المستدرك على الصحيحين ٤/ ٧٨٠٣ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأصله في صحيح البخاري برقم (٤٢٧٥) ومسلم برقم (١٣٨)، بدون آخره الذي هو موضع الشاهد منه.

٣- ثم قال: وقد يجوز أن يقول ﷺ مَن فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة، يريد لم يدخل الجنة التي يدخلها فيه مَن لم يرتكب هذه الحوبة، لأنه يُحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب، أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكبُ النارَ إن لم يعف اللَّه ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب، فمعنى هذه الأخبار على هذه المعاني، لأنها إذا لم تُحمل على هذه المعاني كانت على وجه التهاتر والتكاذب[١] اهـ.

* فإن قيل: وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب حدًا لم يقم عليه قال: «**فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»[٢]، وبين ما صرحت به النصوص التي في الميزان والحساب والجنة مَن أنَّ من رَجَحَت خطاياه وسيئاتُه بحسناته تمسه النار ولا بد؟ قلنا: لا إشكال في ذلك ولا منافاة - ولله الحمد -، وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة ﵂ الذي ذكرنا في شرح البيت الأدنى بأن مَن يشأ ﷿ أن يعفوَ عنه يحاسبْهُ الحسابَ اليسير الذي فسره النبي ﷺ بالعرض[٣]، وقال في معنى العرض في الأحاديث السابقة في صفته: «**يدنو أحدُكم من ربه ﷿ حتى يَضع عليه كنفه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتُ**

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٥٦٣).
(٢) سبق تخريجه قريبًا.
(٣) سبق تخريجه قريبًا.

عليك في الدنيا، وأنا اغفرها لك اليوم»[١]، وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب، وقد قال رسول الله ﷺ: **«مَن نُوقش الحساب عذب»**[٢]، نسأل الله ﷻ أن ييسر حسابنا، ويتجاوز عنا، ويغفر لنا بمنه وكرمه آمين.

٥ - عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها:

٢٣٤) ولا نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا إلا مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِمَا جَنَى

(ولا نكفر بالمعاصي) التي قدمنا ذكرها، وأنها لا تُوجب كفرًا، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك، ولا تستلزمه، ولا تُنافي اعتقاد القلب ولا عمله (مؤمنًا) مقرًّا بتحريمها، معتقدًا لها، مؤمنًا بالحدود المترتبة عليها، ولكن نقول يفسُق بفعلها، ويُقام عليه الحدُّ بارتكابها، وينقص إيمانه بقدر ما تجارا عليه منها **(إلا مع استحلاله لما جنى) هذه هي المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها**، بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله ولو لم يعمل به، لأنه حينئذ يكون مكذبًا بالكتاب، ومكذبًا بالرسول ﷺ، وذلك كفرٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فمن جحد أمرًا مجتمعًا عليه معلومًا من الدين بالضرورة فلا شك في كفره.

* والدليل على فسق مرتكب الكبيرة ونقصان إيمانه قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤- ٥] وما في معناها من آيات الحدود والكبائر.

* وقول النبي ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»** الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه(١).

* والدليل على أن النفي في هذا الحديث - وغيره - ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التي صرَّحت بتسميته مؤمنًا، وأثبتت له أخوة الإيمان، وأبقت له أحكام المؤمنين.

المسألة السادسة: التوبة في حق فرد إذا استكملت شروطها مقبولة ما لم يغرغر:

٢٣٥) وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الغَرْغَرَهْ ... كَمَا أَتَى في الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

٢٣٦) أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا؟ ... فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب، كفرًا كان أو دونه.

* وقد دعا اللَّه -تبارك وتعالى- إليها جميع عباده مهما كان الذي أتوه شركًا فما دونه، ودعا إليها جميعَ المسرفين بأي ذنب كان، فقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣- ٥٤] الآيات، وغيرها ما لا يحصى.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

* بل لم يرسل اللَّه - تعالى- الرسلَ وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة، ليتوب عليهم، إنه هو التواب الرحيم.

* وفي الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه - وعليها طعامه وشرابه - فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال - من شدة الفرح-: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»**(١).

* وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - فيما يحكي عن ربه عز وجل - قال: **«أذنب عبدي ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال -تبارك وتعالى-: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربي اغفر لي ذنبي، فقال -تبارك وتعالى-: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»**(٢).

* وفيه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**(٣).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٥٠)، صحيح مسلم برقم (٢٧٤٧)، واللفظ لمسلم.
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٦٨)، صحيح مسلم برقم (٢٧٥٨).
(٣) صحيح مسلم (٢٧٥٩).

* وفيه عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ - في قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا - وفيه: «**فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟**»(١).

* وفيه من حديث ابن عباس ﷺ أن أناسًا من أهل الشرك كانوا قد قَتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة؟ فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣](٢).

شُرُوطُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ

وحيث جاء التوبة والحث عليها فإنما المراد بها التوبة النصوح، وهي التي اجتمع فيها ثلاث شروط:

١- الأول: الإقلاع عن الذنب.

٢- الثاني: الندم على فعله.

٣- الثالث: العزم على أن لا يعود فيه.

٤- فإن كان في ذلك الذنب حقٌّ لآدمي لزم استحلاله منه إن أمكن، للحديث الذي قدمنا: «**من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم**»(٣) الحديث في الصحيح، وهذه الشروط في

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٨٣)، صحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٢)، صحيح مسلم برقم (١٢٢).
(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩).

كيفية التوبة.

* **وأما الشرط في زمانها فهو ما أشرنا إليه في المتن بقولنا (قبل الغرغرة)** وهي حشرجة الروح في الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة، ويبدأ بها السياق، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧- ١٨].

* وعن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة. رواه ابن جرير[(١)]، وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب، وقال الحسن البصري: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾: ما لم يغرغر، وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب.

* وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(٢)]، **وهذا توقيت زمان التوبة في حق كل**

---

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني برقم (٥٣٣)، وتفسير الطبري برقم (٨٨٩٢).

(٢) مسند أحمد برقم (٦١٦٠) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، ورواه أيضًا الترمذي في السنن برقم (٣٨٨٠) وحسنه، وابن ماجه برقم (٤٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٧٦٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ١/ ١٤٠، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٨٩، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٨٦، والسيوطي في الجامع الصغير (١٩٢١)، وصححه ابن القطان الفاسي في بيان الوهم والإيهام ٥/ ٤١٣، والعيني في عمدة القاري ٢٣/ ٩٢، وابن حجر في الفتح ١١/ ٣٥٣، وقال الذهبي في السير ٥/ ١٦٠: هذا حديث عال صالح الإسناد وحسنه=

فرد من العباد.

* وأما في حق عمر الدنيا فقد تقدم في الآيات والأحاديث أن التوبة تنقطع بطلوع الشمس من مغربها، لأنها أول آيات القيامة العظام.

* وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٢- ٨٥].

فَصْلٌ: فِي مَعْرِفَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ وَإِكْمَالِ اللَّهِ لَنَا بِهِ الدِّينَ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ وَأَنَّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ يَكْفُرُ مَنْ صَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ

٢٣٧) نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمِ ... إِلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي

٢٣٨) أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِدَا ... وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى

* نسبه ﷺ: نبينا محمد ﷺ من ولد هاشم، وهو ﷺ: أبو القاسم محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه مغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

= الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣١٤٣.

* وهذا هو النسب المتفق على سرده، لا خلاف فيه لأحد، وإنما الخلاف في كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم، وبين إبراهيم وسام بن نوح، وبين نوح وشيث بن آدم، وقد كان كثير من أئمة الدين كمالك بن أنس الإمام وغيره يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان، ويرونه رجمًا بالغيب، واللَّه - تعالى - يقول: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

* والمقصود: أن نبينا محمدًا ﷺ أخرجه اللَّه تعالى من وسط العرب نسبًا، وأكرمهم حسَبًا، وأعلاهم كعبًا، وأعظمهم جرثومة، وأشرفهم أصلًا، وأطيبهم فرعًا[1].

* روى مسلم عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[2].

* وحمى اللَّه -تبارك وتعالى- أصول نبينا من سفاح الجاهلية، فلم يَشُبْ نسبَه شيءٌ من ذلك، لا من جهه آبائه، ولا من جهة أمهاته، ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام، كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعًا: «**إني ولدت من نكاح، ولم أولد من سفاح**»[3].

---

(١) وقد أشار ﷺ إلى ذلك فيما أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٤) عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بُعثت من خير قرون ابن آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**».

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٣) المعجم الأوسط للطبراني برقم (٤٧٢٨)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٥٣٦) من حديث علي بن أبي طالب بلفظ: (خرجت من نكاح، ولم أخرج من=

* مولده ﷺ: وكان مولده ﷺ عام الفيل كما روى الترمذي وغيره عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، قال الترمذي: حديث حسن[1].

٢٣٩) مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَهْ هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ الْمُنَوَّرَهْ

٢٤٠) بَعْدَ ارْبَعِينَ بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ

٢٤١) عَشْرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا

٢٤٢) وَكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى

(مولده ﷺ بمكة المطهرة) من كل رجس حسًا ومعنى (هجرته) ﷺ (لطيبة) المدينة (المنورة) وكان ذلك موجودًا في الصحف التي بشرت به ﷺ من التوراة والإنجيل وغيرهما، والآيات في ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى، ثم كان الأمر كما بشرت، فوُلد بمكة، وأُوحي إليه فيها، وبعث بالدعوة إلى الله فيها، ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتي إن شاء الله ﷻ.

= سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» وبألفاظ أخرى.

(١) مسند أحمد برقم (١٧٩٢٢)، وسنن الترمذي برقم (٣٦١٩)، ومستدرك الحاكم برقم (٤١٨٣) وصححه، وحسنه الذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٢٢، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم (٣١٥٢). وذكر عن الحافظ ابن عساكر (١/ ٤٠١) عن ابن المنذر أنه قال: «لا يشك أحد من علمائنا: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وبُعث على رأس أربعين سنة من الفيل».

بَدْءُ الوَحْيِ

(بعد أربعين) سنة من عمره ﷺ (بدأ الوحي) من اللَّه ﷻ إليه (به) ﷺ.

* كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ رَبْعَةً من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجَعْد قَطَط، ولا سَبْطٍ رجِل، بعثه اللَّه على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين[1] الحديث.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٤٧). يقول الحافظ ابن حجر -رحمه اللَّه تعالى- في فتح الباري (٦ / ٥٦٩): (قوله: كان رَبْعة - بفتح الراء وسكون الموحدة - أي مربوعًا، وقد فسره بقوله: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة، قوله: أزهر اللون أي أبيض مشرب بحمرة وقد وقع ذلك صريحا في حديث أنس عند مسلم، قوله: ليس بأبيض أمهق المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض، ولا بالآدم الشديد الأدمة، وإنما يخالط بياضه الحمرة، والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر، ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد والبزار وابن منده - بإسناد صحيح - وصححه بن حبان أن النبي ﷺ كان أسمر، وأخرجه البيهقي في الدلائل عن أنس قال: كان رسول اللَّه ﷺ أبيض بياضه إلى السمرة، وفي حديث يزيد الرقاشي عن ابن عباس في صفة النبي ﷺ رجل بين رجلين، جسمه ولحمه أحمر، وفي لفظ: أسمر إلى البياض، أخرجه أحمد وسنده حسن، وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحُمرة التي تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبَت ما يخالطه الحمرة، والمنفي ما لا يخالطه، وهو الذي تكره العرب لونه، وتسميه أمهق، وقد تقدم في حديث أبي جحيفة إطلاق كونه أبيض، وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم، وفي رواية عند الطبراني: ما أنسى شدة بياض وجهه، مع شدة سواد شعره، وكذا في شعر أبي طالب - المتقدم في الاستسقاء - وأبيضُ يُستسقي الغمام بوجهه، وفي حديث سراقة عند ابن إسحاق: فجعلت أنظر إلى=

* وكيفية بدء الوحي ما ذكره البخاري عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: **ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة،**

= ساقه كأنها جمارة، ولأحمد من حديث محرش الكعبي - في عمرة الجعرانة - أنه قال: فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف النبي ﷺ فقال: كان شديد البياض، أخرجه يعقوب بن سفيان والبزار بإسناد قوي، والجمع بينهما بما تقدم، وقال البيهقي: يقال إن الْمُشرب منه حمرة وإلى السمرة ما ضَحَى منه للشمس والريح، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، قلت: وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته ﷺ بأبسط من هذا، وزاد: ولونه الذي لا يشك فيه الأبيض الأزهر، وأما ما وقع في زيادات عبد اللَّه بن أحمد في المسند من طريق علي: أبيض مشرب شديد الوضح فهو مخالف لحديث أنس ليس بالأمهق، وهو أصح، ويمكن الجمع بحمل ما في رواية عليٍّ على ما تحت الثياب مما لا يلاقي الشمس واللَّه أعلم، قوله: ليس بجَعِدٍ قَطط ولا سَبْط: - بفتح أوله وكسر الموحدة - والجعودة في الشعر أن لا يتكسر، ولا يسترسل، والسبوطة ضده، فكأنه أراد أنه وسط بينهما، ووقع في حديث علي - عند الترمذي وابن أبي خيثمة-: ولم يكن بالجَعْدِ القَطَط، ولا بالسَبْط، كان جعدًا رَجِلًا، وقوله: رَجِل- بكسر الجيم ومنهم من يسكنها - أي متسرح) مختصرًا.

ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١- ٣]، فرجع بها رسول اللَّه ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «**زملوني، زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال - لخديجة وأخبرها الخبر-: «**لقد خشيتُ على نفسي**»، فقالت خديجة: كلا واللَّه لا يخزيك اللَّه أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقَتْ به خديجة، حتى أَتَتْ به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءًا قد تَنَصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللَّه أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللَّه ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل اللَّه على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوَ مخرجيَّ هم؟**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُوْدِيَ، وإن يدركْني يومُك أنصرْك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي(١).

* وله عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسولَ اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيَفْصِمُ عنِّي وقد وَعَيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثَّلُ لي الملكُ رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**»، قال: قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحيُ في اليوم

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

الشديد البرْد فيَفْصِمُ عنه وإن جبينَه ليَتَفَصَّدُ عَرَقًا[1].

دَعْوَتُهُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ

(ثم دعا إلى سبيل ربه) وهو دين الإسلام، الذي أرسل اللَّه تعالى به رسله، وأنزل به كتبه، وهو دينه في السماء والأرض، ولن يقبل اللَّه تعالى من أحد دينًا سواه (عشر سنين) دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط، قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس، ولا غيرها قائلًا (أيها الناس اعبدوا ربا تعالى شأنه) لا تعبدوا إلا اللَّه (ووحدوا) تفسيرٌ لذلك، وهذه دعوة مَن قبله من نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ، كلهم يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

* وكانت الدعوة في أول البعثة سرًا ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زال النبي ﷺ مستخفيًا حتى نزلت: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤][2]، وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول اللَّه ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٣٣).
(٢) انظر تفسير الطبري برقم (٢١٥٣٨).

لا أملك لكم من اللَّه شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأَبُلُّها بِبِلالها»(١).

حَدِيثُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ

٢٣٩) وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأعْوَامِ مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنَامِ

٢٤٠) أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمْ وَفَرَضَ الخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمْ

* وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى، ثم إلى حيث شاء اللَّه ﷻ، قال اللَّه -تبارك وتعالى- في ذكر الإسراء: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

* وقال -تبارك وتعالى- في ذكر المعراج: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣- ١٨].

* وللبخاري عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﵄ أن نبي اللَّه ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال: في الحجر - مضطجعًا، إذ أتاني آت فَقَدَّ - قال: وسمعته يقول: فشق - ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود - وهو إلى جنبي -: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيت بطست من ذهب، مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حُشي ثم

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٠٢)، صحيح مسلم برقم (٢٠٤)، ومعنى: (سأبُلُّها بِبِلالِها) أي: سأصِلُها بصِلاتِها، كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٠).

أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنِعْمَ المجيء جاء، ففُتِح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم، فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم صَعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلِّم عليهما، فسلمت فردا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صَعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلما خلصت فإذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صَعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَ قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي صالح، ثم صَعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَ قد أرسل

إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَ قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزتُ بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: ابكي لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثرُ ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك، فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ علي السلام، قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفِعْتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبْقُها مثل قلال هَجَر، وإذ ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، نبقها مثل قلال هَجَر، وإذ ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رُفع لي البيت المعمور، ثم أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة، أنت عليها وأمتك، ثم فُرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بمَ أُمِرْتَ؟ قال: أُمِرْتُ بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم،

واني واللَّه قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك، فرجعتُ فوَضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بمَ أمرت؟ قلت: أمرتُ بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني جربتُ الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييتُ، ولكني أرضى وأُسَلِّم، قال: فلما تجاوزت ناداني مناد، أمضيت فريضتي، وخفَّفتُ عن عبادي»[1]. ورواه مسلم مختصرًا.

* وله عن مُرة عن عبد اللَّه قال: لما أُسرى برسول اللَّه ﷺ انْتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: فأُعطي رسولُ اللَّه ﷺ ثلاثًا، أُعطيَ الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لم يشرك باللَّه من أمته شيئًا الْمُقْحِمَات[2].

* وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لقد رأيتني في الحِجْر، وقريش تسألني عن مسراي، فسَأَلَتْني عن أشياء من بيت المقدس

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٣٥)، صحيح مسلم برقم (١٦٤).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٢).

لم أثبتها، فكُرِبْتُ كربة ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه اللَّه لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[١] الحديث.

* ثم الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لا منامًا، ولا ينافي ذلك ما ذُكر في بعض الروايات في قوله ﷺ: «بينا أنا نائم..»، فإن ذلك عند أول ما أتياه، ولا يدل على أنه استمر نائمًا، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا، ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله، وربطه وصلاته، وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أُسري بروحه وجسده، يقظة لا مناما.

* وتصريح الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] شامل للروح والجسد، وكذلك قوله تعالى- في سورة النجم-: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣] جعل رؤية النبي ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلًا لرؤيته إياه في الأبطح، وهي رؤية عين حقيقة لا مناما.

* ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولم تستبعده قريش، ولم يكن لردهم عليه معنى، لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس، ولا يكذبه أحد، وإنما قص عليهم رسول اللَّه ﷺ مسرى حقيقة، يقظة لا منامًا، فكذبوه، واستهزؤوا به استبعادًا لذلك.

* واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه ليلة المعراج؟ فرُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق لا تحصى كثرة قال: رأى محمد ﷺ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥١).

ربه(١)، وعنه: رآه بقلبه، وفي رواية: رآه بفؤاده مرتين رواه مسلم(٢)، وله عن أبي ذر قال: سألتُ رسول اللَّه ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ قال: «نور أنى أراه»، وفي رواية قال: «رأيت نورًا»(٣)، وروى ابن خزيمة عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه(٤)، وله عن كعب قال: إن اللَّه قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد - صلوات اللَّه عليهما - فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين(٥)، وروى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائش ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على اللَّه الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على اللَّه الفرية، قال: وكنتُ متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تُعجليني، ألم يقل اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسولَ اللَّه ﷺ؟ فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، منهبطًا من السماء، سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣٢٧٩) المستدرك برقم (٢١٧)، صحيح ابن حبان برقم (٥٧) السنة لابن أبي عاصم برقم (٣٥٣)، اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم (٩٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٧)، وفي ظلال الجنة برقم (٤٣٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٨).

(٤) التوحيد لابن خزيمة برقم (٣١٠)، والرؤية للدارقطني برقم (٢٠٣).

(٥) التوحيد لابن خزيمة برقم (٦٠٤)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٧٨)، المستدرك برقم (٤٠٩٩)، الرؤية للدارقطني برقم (١٧٤)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (٥٦٦١).

إلى الأرض»، فقالت: أوَلم تسمعْ أن اللَّه يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أوَلم تسمع أن اللَّه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] قالت: ومن زعم أن رسول اللَّه ﷺ كتم شيئًا من كتاب اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥][1] وعن أبي هريرة وابن مسعود في آية النجم مثل قول عائشة[2].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٧٤)، صحيح مسلم برقم (١٧٧).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في جامع المسائل (١/ ١٠٥): (أما رؤية النبي ﷺ ربَّه بعينِ رأسِه في الدنيا فهذا لم يثبتْ عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من الأئمة المشهورين، لا أحمد بن حنبل ولا غيره. ولكن الذي ثبتَ عن الصحابة - كأبي ذرّ وابن عباس وغيرهما - والأئمة كأحمد بن حنبل وغيره أنه يقال: رآه بفؤادِه، كما ثبتَ في صحيح مسلم عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربَّه بفؤادِه مرَّتين.

وقد ثبتَ عن عائشةَ أنها قالت: من زعمَ أنَّ محمدًا رأى ربَّه فقد أعظمَ على اللَّه الفِريَةَ. . ومن قال: إن النبي ﷺ رآه بعينه في الدنيا فهو أيضا غالطٌ، قائلٌ قولًا لم يَقُلْه أحد من الصحابة، ولا الأئمة.

وقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا ذر أتى النبي ﷺ وقال: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «نورٌ، أَنى أراه!». وفي لفظٍ: «رأيتُ نورًا». فأبو ذرّ هو السائل للنبي ﷺ، وقد أجابه النبي ﷺ بهذا الجواب. وقد روى بإسناده عن أبي ذر أنه: رآه بفؤاده، واتبع أحمد ذلك. =

حَدِيثُ الهِجْرَةِ

٢٤٥) وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلاثَةٍ مَضَتْ   مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وانقَضَتْ
٢٤٦) أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا   مَعْ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

(وبعد أعوام ثلاثة) وقيل: خمسة، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: أكثر، وليست مسألة التاريخ اعتقادية في هذا الباب، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فلا تأثير لاختلاف أهل السير في تاريخه، وتعيين سنته ووقته، غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته ﷺ إلى المدينة، (أوذن بالهجرة) أمره الله ﷻ بها (نحو يثرب) وهي المدينة

= وقد رُوِي أحاديث فيها ذكر الرؤية، وأنه رآه في صورة كذا، وأنه وضع يده بين كَتِفَيْه حتى وجدَ بَرْدَ أناملِه، وقال له: فِيْمَ يَختصمُ الملأ الأعلى؟ قال: في الكفارات والدرجات. . . رواه الترمذي وغيره، وذكر تصحيحه، وهذا الحديث ونحوُه كلُّها رؤيا مَنامٍ، وكانت بالمدينة بعد المعراج، وأما أحاديثُ المعراج المعروفة فليس في شيء منها ذِكرُ رؤيتِه البتَّةَ أصلًا.
فالواجب اتباعُ الآثار الثابتة في ذلك، وما كان عليه السلفُ والأئمَّةُ، وهو إثباتُ مطلقِ الرؤية، أو رؤية مقيَّدة بالفؤاد. أما رؤيتُه بالعين ليلةَ المعراج أو غيرها، فقد تدبَّرنا عامَّةَ ما صنَّفَهُ المسلمون في هذه المسألة وما نقلوا فيها قريبًا من مئةِ مُصنَّفٍ، فلم نجد أحدًا روى بإسنادٍ ثابت - لا عن صاحبٍ ولا إمامٍ - أنّه رآه بعينِ رأسِه. والله أعلم).
وقال رحمه الله في الاستقامة - (١ / ١٥٨): (وهذا هو قول أكثر أهل السنة أنه رأى ربه بفؤاده)، وقال ابن القيم - في اجتماع الجيوش الإسلامية (١ / ١٢)-: (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي - في كتاب الرؤية له - إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك).

المنورة (مع كل مسلم) في ذاك الزمن (له قد صحبا) على الإسلام، وكانت هجرة النبي ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

* روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعث رسول اللَّه ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين[1].

* وقال البغوي -رحمه اللَّه تعالى- في تفسير قول اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشا فَرِقُوا لما أسلمت الأنصار، أن يتفاقم أمر رسول اللَّه ﷺ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول اللَّه ﷺ، وذكر آراءهم، وجواب إبليس الذي جاءهم في صورة شيخ نجدي، وفيه: فقال أبو جهل: واللَّه لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره، إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا، وسيطًا فتيًا، ثم يُعطى كلُّ فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه بين القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، فتُؤدِّي قريش ديته، فقال إبليس لعنه الله: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأيًا، القول ما قال، لا أرى رأيًا غيره، فتفرقوا على قول أبي جهل، وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي يبيت فيه، فأذن اللَّه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩).

له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأَمر رسولُ اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب أن ينام في مضجعه، وقال له: «**اتشح ببردتي هذه، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه**» ثم خرج النبي ﷺ، فأخذ قبضة من تراب، فأخذ اللَّه أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم، وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٨]، ومضى إلى الغار من ثور - هو وأبو بكر -، وخلَّف عليًّا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليًّا في فراش رسول اللَّه ﷺ، يحسبون أنه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ساروا إليه، فرأوا عليًّا رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري؟ فاقتصوا أثره، وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت[1]، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثًا، ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠][2].

* وأما حديث الهجرة فهو ما ساقه البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول اللَّه ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشية، فلما ابتلي

---

(١) قصة نسج العنكبوت على فم الغار رواها الإمام أحمد في مسنده برقم (٣٢٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسنه الحافظ في الفتح ٧/ ٢٣٦، وقال عنه الحافظ ابن كثير -في البداية والنهاية ٣/ ١٨١-: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما رُوي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية اللَّه رسولَه ﷺ

(٢) تفسير الطبري لرقم (١٦٠٤٦)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٤٩).

المسلمون خرج أبو بكر - مهاجرًا - نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغِنَة - وهو سيد القَارَة -، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيحَ في الأرض، وأعبدَ ربي، قال ابن الدَّغِنَةِ: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج، ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]، فأنا لك جارٌ، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدَّغِنَة - عشيةً - في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج، تخرجون رجلًا يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟، فلم تُكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدَّغِنَة، وقالوا - لابن الدَّغِنَة-: مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصلِّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابنُ الدَّغِنَة لأبي بكر، فلبث أبو بكر - بمكة - يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناءهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكَّاء، لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَة،

---

(١) يقول الحافظ في فتح الباري (٧/ ٢٣٣): وفي موافقة وصف بن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال.

فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أَجَرْنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسلْه أن يردَّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابنُ الدَّغِنَة إلى أبي بكر، فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العربُ أني أُخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فأنا أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار اللَّه ﷻ، والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «**إني رأيت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين**»، وهما الحرَّتان، فهاجر من هاجر قِبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبل المدينة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول اللَّه ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر - وهو الخَبَطُ - أربعة أشهر، فبينما نحن في يوم جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل - لأبي بكر -: هذا رسول اللَّه متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، واللَّه ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول اللَّه ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ - لأبي بكر-: «**أخرج من عندك**»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك - بأبي أنت وأمي - يا رسول اللَّه، قال: «**فإني قد أُذن لي في الخروج**»، فقال أبو بكر:

الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت وأمي - يا رسول اللَّه إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول اللَّه ﷺ: «بالثمن»، قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطته على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق، قالت: ثم لحق رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكَمَنَا فيه ثلاث ليالي، يبيت عندهما عبد اللَّه بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثقف، لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا، والخِرِّيْت الماهر بالهداية، قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل، قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقة بن جعشم - يقول: جاءنا رُسل كفار قريش يجعلون في رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر ديةَ كل واحد منهما، مَن قَتَلَه، أو أَسَرَه، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا، ونحن

جلوس، فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفا أَسْوِدَةً بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي، فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرتْ بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أأضرهم أم لا؟، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول اللَّه ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لِأَثَرِ يديها عثانٌ ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي، حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول اللَّه ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني إلا أن قال: «اخفِ عنَّا»، فسألتُه أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول اللَّه ﷺ، قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول اللَّه ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين - كانوا تجارا قافلين من الشام - فكسا الزبير رسول اللَّه ﷺ

وأبا بكر ثيابا بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول اللَّه ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظاره، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم - لأمر ينظر إليه - فبصر برسول اللَّه ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال - بأعلى صوته-: يا معشر العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول اللَّه ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول اللَّه ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول اللَّه ﷺ يجيء أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسولَ اللَّه ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسولَ اللَّه ﷺ عند ذلك، فلبث رسول اللَّه ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول اللَّه ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهل وسهيل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول اللَّه ﷺ - حين بركت به راحلته-: **«هذا إن شاء اللَّه المنزل»**، ثم دعا رسول اللَّه ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد، ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول اللَّه، فأبى رسول اللَّه ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول اللَّه ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ويقول - وهو ينقل اللَّبِنَ -:

هَـذَا الـحِـمَـالُ لا حِـمَـال خَـيْـبَـر   هَـذَا أَبَـرُّ رَبُّـنَـا وَأَطْـهَـر.

ويقول:

الـلَّـهُـمَّ إِنَّ الأَجْـرَ أَجْـرُ الآخِـرَة   فَـارْحَـمِ الأَنْـصَـارَ وَالـمُـهَـاجِـرَة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول اللَّه ﷺ تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت[1].

الإِذْنُ بِالقِتَالِ

٢٤٧) وَبَـعْـدَهَـا كُـلِّـفَ بِـالـقِـتَـالِ   لِـشِـيـعَـةِ الْـكُـفْـرَانِ والـضَّـلَالِ

٢٤٨) حَتَّـى أَتَـوْا لـلـدِّيـنِ مُـنْـقَـادِيـنَـا   وَدَخَـلُـوا فـي الـسِّـلْـمِ مُـذْعِـنِـيـنَـا

(وبعدها) أي بعد الهجرة **(كُلف)** أي أُمر **(بالقتال)** في سبيل اللَّه ﷻ **(لشيعة)** أعوان **(الكفر)** باللَّه وما أرسل اللَّه به رسله، ونزَّل به كتبه **(والضلال)** عن صراطه المستقيم.

* وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن، وسمى اللَّه تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهادًا لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١- ٥٢].

* وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكة مأمورًا إلا بالعفو، أو الإعراض عن الجاهلين، والصبر على أذاهم، واحتمال ما يلقى منهم، فلما هاجر رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة وصارت لهم دار منعة، وإخوان صدق، وأنصار حق، أذن اللَّه تعالى لهم في الجهاد، فقال ﷻ: ﴿أُذِنَ

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٩٢).

لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩- ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] الآيات، و قال النبي ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه . .**»(١) الحديث، وقال ﷺ: «**بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبدوا اللَّه وحده لا شريك له، بأن يقولوا لا إله إلا اللَّه . .**» أو كما قال(٢).

* والجهاد ذروة سنام الإسلام، ولا يقوم إلا به، كما أن بيان شرائعه لا تقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرن اللَّه تعالى بينهما فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري برقم (٢٧٨٦)، ومسلم برقم (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتفرد به البخاري برقم (٣٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) مسند أحمد برقم (٥١١٤)، شعب الإيمان للبيهقي برقم (١١٥٤)، وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٤١٨، وحسنه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٣/ ٤٩٤، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٣٢، وجود إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط ١/ ٨٢، وقال الذهبي في السير ١٥/ ٥٠٩: إسناده صالح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٥١٤٢).

والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه.

* والمقصود: أن النبي ﷺ حين أذن اللَّه له بالقتال وأمره به شمَّر عن ساعد الاجتهاد في شأنه، وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورة، والغزوات المذكورة، كبدْر، وأُحد، والخندق، والفتح، وغيرها، فوق عشرين غزوة، وفوق أربعين سرية، ونصره اللَّه بالرعب في قلوب أعدائه مسافة شهر، حتى فتح اللَّه به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب، وعمرها، ففتح البلاد بالسيف، والقلوب بالإيمان، وعمر البلاد بالعدل، والقلوب بالعلم، فلله الحمد والمنة، **(حتى أتوا للدين)** دين الإسلام **(منقادينا)** الألف للإطلاق، طوعا وكرها **(ودخلوا في السلم)** أي الإسلام **(مذعنينا)** مستسلمين.

* وكان معظم ظهور الإسلام بعد الفتح، لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشًا، لأنهم في الجاهلية هم سادة العرب وقادتها، وكذلك هم في الإسلام، فلما أسلموا بادر كل قوم بإسلامهم، وتواترت الوفود إلى رسول اللَّه ﷺ من كل فج عميق، وانتشر الإسلام، وجرت أحكامه، وانتشرت أعلامه في كل جزيرة العرب، والنبي ﷺ حي.

* وأنزل اللَّه ﷻ عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١- ٣]، ولهذا علم - هو أصحابه - أن ذلك أجله، أعلنه اللَّه به، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رويت

أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد اللَّه ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول اللَّه ﷺ أعلمه، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[١].

* وفرض اللَّه عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التي لم تفرض من قبل، فالجهاد في السنة الأولى، وأتمت صلاة السفر في الأولى، وشرع الأذان، والصيام، وزكاة الفطر، وزكاة النصب، وتحويل القبلة إلى الكعبة، كلها في الثانية، وشرع التيمم سنة ست، وصلاة الخوف سنة سبع، والحج في السادسة، وقيل: في التاسعة، وقيل: في العاشرة، وفيها حج ﷺ، وأنزل اللَّه ﷻ عليه - وهو واقف بعرفة يوم الجمعة -: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] كما قدمنا الحديث في الصحيحين.

وَفَاتُهُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-

٢٤٩) وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِسَالَهْ   وَاسْتَنقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
٢٥٠) وأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الإسْلَامَا   وقَامَ دِينُ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
٢٥١) قَبَضَهُ اللَّهُ العَلِيُّ الأَعْلَى   سُبْحَانَهُ إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٠٤٣).

(**وبعد أن قد بلغ**) الرسول محمد ﷺ (**الرسالة**) من القرآن وبيانه، أمرًا ونهيًا وخبرًا، ووعدًا ووعيدًا وقصصًا (**واستنفذ الخلق**) حتى أنقذهم اللَّه به (**من الجهالة**) من الشرك وما دونه (**وأكمل اللَّه له الإسلاما**) بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها (**وقام**) ظهر (**دين الحق**) الذي بعثه اللَّه ليظهره على الدين كله (**واستقاما**) اعتدل، فلم يبق عليه غبار، ولا عنه معدل، وذهبت عنه غياهب الشرك، وظُلَم الغي، وطغاية الشبهات، وجاء الحق، وظهر أمر اللَّه وهم كارهون، ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دل الأمة عليه، ولا شرٍ عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه، ونهاهم عنه، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وترك فيهم ما لن يضلوا إن تمسكوا به كتاب اللَّه، وبعد هذا (**قبضه اللَّه العلي**) بجميع معاني العلو، ذاتًا، وقهرًا، وقدْرًا، (**الأعلى**) بكل تلك المعاني، فلا شيء أعلى منه ﷻ (**سبحانه**)، وكان قبْضه إياه (**إلى الرفيق الأعلى**) وهي أعلى عليين، وهي الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة، ولا تنبغي إلا له ﷺ، وقد أُمرنا أن نسأل اللَّه له ذلك[1]، اللهم آت نبينا محمدا الوسيلة والفضيلة آمين.

* وكانت وفاته ﷺ في ربيع الأول نهار الاثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠- ٣١].

---

(١) كما سيأتي ذلك قريبًا بمشيئة اللَّه تعالى.

* وفي البخاري قال ابن عباس: يوم الخمس وما الخميس؟ اشتد برسول اللَّه ﷺ وجعه، قال: «**آتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدًا**»، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه؟ استفهموه، فذهبوا يردُّون عليه، فقال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**»، وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم**»، وسكت عن الثالة أو قال فنسيتها[(١)].

* وله عن عائشة رضي الله عنها دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ - وأنا مسندته إلى صدري - ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبدَّه رسول اللَّه ﷺ بصرَه، فأخذتُ السواك، فقضمتُه، ونفضتُه، وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيتُ رسول اللَّه ﷺ استَنَّ استنانًا قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول اللَّه ﷺ رفع يده أو إصبعه، ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثًا، ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي[(٢)]، وفي رواية قالت: وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لا إله إلا اللَّه، إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده، فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبض، ومالت يده[(٣)]، وفي أخرى قالت: فجمع اللَّه بين ريقي وريقه في آخريوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٦٨)، صحيح مسلم برقم (١٦٣٧).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٧٤).
(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٤٥).
(٤) صحيح البخاري برقم (٤١٨٦).

* وفي الصحيحين - وهذا لفظ مسلم - عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: بلى، ثقُل النبي ﷺ، فقال: «**أصلى الناس؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول اللَّه، قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول اللَّه، فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**»، فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول اللَّه، فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس**»، فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول اللَّه، قالت: والناس عكوف في المسجد، ينتظرون رسول اللَّه ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول اللَّه ﷺ إلى أبي بكر أن يصليَ بالناس، فأتاه الرسول، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلا رقيقا -: يا عمر صلِّ بالناس، قال: فقال عمر: أنت أحق بذلك، قالت: فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام، ثم إن رسول اللَّه ﷺ وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر، وقال - لهما -: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي - وهو قائم - بصلاة النبي ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.. الحديث[1].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥)، صحيح مسلم برقم (٤١٨).

* وللبخاري عن عائشة ﵂ أن أبا بكر ﵁ أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسولَ اللَّه ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللَّه لا يجمع عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متَّها، قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد اللَّه بن عباس: أن أبا بكر خرج - وعمر بن الخطاب يكلم الناس - فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد: مَن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومَن كان منكم يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤- ١٤٥]، وقال: واللَّه لكأن الناس لم يعلموا أن اللَّه تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر ﵁ قال: واللَّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى لا تُقلِّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته قالها أن النبي ﷺ قد مات[1].

تَبْلِيغُهُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- رِسَالَةَ اللَّهِ

٢٥٢) نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
٢٥٣) وأنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلَا ... بِهِ وَكُلَّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلَا

(نشهد بالحق) بيقين وصدق (بلا ارتياب) بدون شك (بأنه المرسل

(١) صحيح البخاري (٤١٨٧).

بالكتاب) بالقرآن، إلى كافة الناس من الجن والإنس بشيرا ونذيرا، قال اللَّه -تبارك وتعالى- ممتنًا على عباده المؤمنين ببعثة رسول اللَّه ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] يمتن -تبارك وتعالى- بأجلِّ نعمه على عباده، وأعظمها، وأعلاها، وأتمها، وأكملها إرسالُه فيهم محمدًا ﷺ رسولًا من عند اللَّه -تبارك وتعالى- بكلامه الذي هو صفته، وهو كتابه العزيز، ليهديهم به من الضلالة، ويبصرهم به من العمى، ثم هو ﷺ مؤدٍّ لتلك الأمانة، مبلغٌ كلا ربه، لم يقله النبي ﷺ بالمعنى فقط، بل كما قال ﷻ: **(يتلو عليهم آياته)** الضمير لله ﷻ.

* وقد شهد اللَّه -تبارك وتعالى- له بالرسالة، كما شهد لنفسه بالإلهية، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] الآيات.

* وقال -تبارك وتعالى- في عموم رسالته إلى الأحمر والأسود والجن والإنس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] قال

تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى أيضًا في ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥- ١٦] الآيات، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يهودي ولا نصراني - ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[١].

* وفي حديث الخصائص: **«وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»** وهو في الصحيحين[٢].

(١) صحيح مسلم برقم (١٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «لوكان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني لضللتم»(١)، وقال ﷺ: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»(٢)، وأخبر ﷺ أن عيسى ينزل حَكَمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، يقيم كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ(٣).

* والمقصود: أن اللَّه -تبارك وتعالى- اختصه بعموم الرسالة إلى

---

(١) مسند أحمد برقم (١٥٩٠٣)، سنن الدارمي برقم (٤٣٥)، وصححه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤، وقال الحافظ في الفتح ١٣/ ٥٢٥ بعد ذكره طرق هذا الحديث: وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة (٥٥) وغيرها من كتبه.

(٢) مسند أحمد برقم (١٥١٩٥)، وصححه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٩٨وأكد ذلك بقوله ٢/ ١٣٣: إسناده على شرط مسلم، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة برقم (١٧٧).

(٣) يقول الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٥١: (لو عورض ما جاء به خاتم الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليه - بموسى وعيسى كانت هذه المعارضة ضلالا وانسلاخا من الدين بالكلية، كما صرح به ﷺ، وقد رأى بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: «**أمتهوكون يابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**»، فإذا كان اتباع موسى مع وجود محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليه - ضلالا فكيف باتباع أرسطو وابن سينا ورؤوس الجهمية والمعطلة؟) قلت: وغيرهم من أئمة البدع الذين بلغ من استهانتهم بالوحي إلى درجة أنهم يتوقفون في قبول ما جاء به الوحي المعصوم حتى يوافق مقدمات علم الكلام المذموم الموروث عن الأمم الضالة، فإذا وافقها قبلوه، وإذا خالفها قدموه عليها، وأهملوا ما دلت عليه النصوص الشرعية، وهذا ما قرره الرازي وغيره من المتكلمين نعوذ باللَّه من الخذلان.

الثقلين، ولم يقبل من أحد صرفًا ولا عدلًا إلا باتباعه، ولا يصل أحد دار السلام - التي دعا اللَّه إليها عباده - إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لا نسخ له بعده ولا تغيير، ولا تحويل ولا تبديل.

* وأيده اللَّه - تعالى - بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، التي أعظمها هذا القرآن، الذي تحدى اللَّه به أفصح الأمم وأبلغها، وأقدرها على المنطق، وأكثرها فيه اتساعا، وأطولها فيه باعا، وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعًا، مع عظم محادتهم له، ومشاقتهم فيه، وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين لا في زمن واحد ولا في أزمان فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وغير ذلك من الآيات.

* ومن ذلك: انشقاق القمر قال اللَّه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر(١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٢).

انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اشهدوا**»(١)، زاد في رواية: ونحن مع النبي ﷺ.

* ومنها: حنين الجذع إليه ﷺ كما في الصحيح عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول اللَّه ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «**إن شئتم**»، فجعلوا له منبرًا، فلما كان يقوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: «**كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»(٢)، وفي رواية قال: فلما صُنع له المنبر، وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها، فسكنت(٣).

فَيَا حَامِدًا مَعْنًى بِصُورَةِ عَاقِلٍ ... أَمَالَكَ مِنْ قَلْبٍ شَهِيدٍ وَلَا سَمْعِ؟
يَحِنُّ إِلَيْهِ الجِذْعُ شَوْقًا وَمَا لَنَا ... أَلَسْنَا بِذَاكَ الشَّوْقِ أَوْلَى مِنَ الجِذْعِ؟(٤)

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨٣)، صحيح مسلم برقم (٢٨٠٠).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٣١٩): وقوله: قال: (بكت على ما كانت تسمع من الذكر)، يحتمل أن يكون فاعل قال راوي الحديث، لكن صرح وكيع في روايته عن عبد الواحد بن أيمن بأنه النبي ﷺ أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عنه، قلت: وهو في مسند أحمد برقم (١٤٢٤٤) وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، وفي مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٢٤٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٤٧) باللفظ المصرح بالرفع.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٩١).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تلخيص كتاب الاستغاثة ٢٨٦: وإذا كانت البهائم والجمادات تُعظِّم رسول اللَّه ﷺ فنحن أحق بتعظيمه كما قال الحسن البصري=

* ومنها: تسبيح الطعام، وتكثير القليل بإذن الله ﷻ، ونبع الماء من أصابعه الشريفة ﷺ، كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم»، قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[1]، وعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة - لأم سليم-: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجتْ أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها، فلفَّتْ الخبز ببعضه، ثم دسَّتْه تحت يدي، ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبتُ به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟»، فقلت: نعم، قال: «بطعام»، قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ - لمن معه-: (قوموا)، فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلمَّ يا أم سليم، ما عندك؟»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ

= في حنين الجذع: إذا كان الجذع يحن إليه فأنتم أولى بالحنين إليه، وهذا حسن لكن تعظيمه إنما يكون بطاعته ومتابعته ومعاونته و ما فيه زيادة لثوابه ورفع لمنزلته وهو مراد الحسن و غيره.

(١) صحيح البخاري (٣٩٢١)، صحيح مسلم (٣٠١٣).

ففت، وعصَرَت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول اللَّه ﷺ فيه ما شاء اللَّه أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا[١].

* ولأبي داود عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد اللَّه يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمَّتْ شاةً مصْلية، ثم أهدتها لرسول اللَّه ﷺ، فأخذ رسول اللَّه ﷺ الذراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول اللَّه ﷺ: «ارفعوا أيديكم»، وأرسل رسول اللَّه ﷺ إلى المرأة، فدعاها، فقال لها: «أسممتِ هذه الشاة؟»، قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التي في يدي، وهي الذراع»، قالت: نعم، قال: «فما أردت بذلك؟»، قالت: قلت: إن كنت نبيًّا فلن تضرك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك.. الحديث[٢]، وهو في صحيح البخاري عن أبي هريرة وغيره[٣]، ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصى، وباللَّه التوفيق.

* (و) نشهد (أنه بلغ) إلى الناس كافة (ما) أي الذي (قد أُرسلا) بالبناء للمفعول، والألف للإطلاق (به) من ربه (وكل ما إليه أنزلا) من الكتاب والحكمة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٨٥)، صحيح مسلم برقم (٢٠٤٠).
(٢) سنن أبي داود برقم (٤٥١٢)، السنن الكبرى للبيهقي برقم (١٦٤٣٠)، سنن الدارمي برقم (٦٨)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٩٣١).
(٣) صحيح البخاري برقم (٢٩٩٨).

وفي هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر

١) **الأولى**: أنه أي الرسول ﷺ مبلغ عن اللَّه ﷻ، لم يقل شيئًا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من اللَّه إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه ﷺ رسول اللَّه، فأمرُه ونهيُه تبليغٌ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغٌ لما قصه اللَّه وأخبر به، ولذا كانت طاعته طاعةً لله ﷻ، ومعصيته معصيةً لله ﷻ، وتكذيبه تكذيبًا لإخبار اللَّه ﷻ في أنه رسوله، قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥]، وللإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللَّه ﷺ، أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللَّه ﷺ، ورسول اللَّه ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب، حتى ذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق**»[1]، وله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه

---

(١) مسند أحمد برقم (٦٥١٠) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وسنن أبي داود (٣٦٤٦)، وسنن الدارمي (٤٨٤) وصححه محققه حسين أسد، وقال الحافظ في الفتح ١/ ١٨١: ولهذا طرق أخرى عن عبد اللَّه بن عمرو يقوي بعضها بعضًا، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣٦٤٨) والسلسلة الصحيحة (١٥٣٢).

قال: «**لا أقول إلا حقًّا**»، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا؟ قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**»[١]، ويكفي في ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] الآيات.

٢) المسألة الثانية: أنه ﷺ بلغ جميع ما أرسل به، لم يكتم منه حرفًا واحدًا، قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله ﷺ: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب اللَّه، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «**اللهم أشهد، اللهم أشهد**» ثلاث مرات[٢] الحديث، وفيهما من حديث ابن عباس - في ذلك الجمع الأعظم حين خطب-: «**اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**»[٣]، ومن حديث أبي بكرة - في تلك الخطبة أيضًا-: «**ألا هل بلغت؟**»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم أشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع**»[٤]، وفي

---

(١) مسند أحمد برقم (٨٤٦٢) وقواه محققه شعيب الأرناؤوط، والترمذي في السنن برقم (١٩٩٠) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وحسنه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢/ ٢٠٩، والهيثمي في المجمع برقم (١٤٢٠١)، والسيوطي في الجامع الصغير (٢٦٢٩)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر الشمائل برقم (٢٠٢)، وصحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٩٩٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو من أفراد البخاري على مسلم كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي (١١٧٦)، وقد سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٦٧)، صحيح مسلم برقم (١٦٧٩).

صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد اللَّه السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه اللَّه رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر[1]. ولابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال له: إن أناسًا يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يُبده رسول اللَّه ﷺ للناس؟ فقال ابن عباس: ألم تعلم أن اللَّه تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]؟ واللَّه ما ورثنا رسول اللَّه ﷺ سوداء في بيضاء، وإسناده جيد[2]، وتقدم قول عائشة رضي الله عنها: من حدَّثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أُنزل عليه فقد كذب، واللَّه تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية[3].

٣) المسألة الثالثة: أن هذا الذي بلغه الرسول ﷺ عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام، مكملًا، محكمًا، لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل، ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حل، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل.

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١١).

(٢) وجود إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٧٨.

(٣) سبق تخريجه. وفي صحيح البخاري برقم (٢٥٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٦٣٦) عن الأسود بن يزيد قال: ذكروا عند عائشة أن عليًا رضي الله عنه كان وصيًا فقالت: متى أوصى إليه؟! وقد كنتُ مسندته إلى صدري، أو قالت: حجري فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه؟!.

* فالقرآن وافٍ، شافٍ، كافٍ، محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها، وأقوالها وأعمالها، فمن لم يكفه فلا كُفي، ومن لم يشفه فلا شُفي، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وكما وفى بتقرير الدين وتكميله، وشرحه وتفصيله، كذلك هو وافٍ بالذب عنه، وبردِّ كل شبهة تَرِدُ عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند، ومشاق ومحادٍّ، وبدمغ كل باطل وإزهاقه، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

* وكذلك السُّنَّة من جوامع كلم الرسول ﷺ التي اختصه اللَّه بها، هي روح المعاني، والوحي الثاني، والحكمة والبيان، وتبيان القرآن، والنور والبرهان، فلم يُتوف ﷺ حتى بين الشريعة أكمل بيان، ولم يكن ليتوفاه اللَّه تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك فكيف يتوفاه قبل إنفاذ ذلك وإنجازه مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلهم: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠- ١٥١]، فكيف يَعِدُنا - تعالى - بإتمام النعمة وإكمال الدين، ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك؟ وهو ﷻ

لا يخلف الميعاد، والذي بعثه بالحق بشيرًا ونذيرًا ما توفاه اللَّه ﷻ حتى بلغ ما أرسله اللَّه به أكمل بلاغ، وبينه أتم بيان، وفصله أوضح تفصيل، وأكمل به الدين، وأتم علينا النعمة، ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل - في يوم الجمعة الذي اختص به هو وأمته وهداهم له - في أشرف موقف، وأفضل عشية، يوم الحج الأكبر، وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم[1] الذي لم يتفق وقوع مثله، ولم يتفق أكثر الناس برسول اللَّه ﷺ بعده: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] فأخبر فيها بإكمال دينه وبإتمامه النعمة كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]: وهو الإسلام أخبر اللَّه نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا[2].

٤) **المسألة الرابعة**: أن هذا الدين التام المكمَّل الذي أبلغه الرسول ﷺ إلى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شُرع فيه من أصول الملة وفروعها، ولا نقصًا منها، ولا تغييرًا، ولا تبديلًا، ولا يقبل من أحد دينًا سواه، ولا تُقبل لأحد عبادة لم يتعبدها محمد رسول اللَّه ﷺ، ولا أصحابه، ولا يُعبد اللَّه تعالى إلا بما شرع، وهذه المسألة يأتي إن شاء اللَّه الكلام عليها في الفصل الأخير واللَّه المستعان.

---

(١) ثبت ذلك في صحيح البخاري برقم (٤٥)، ومسلم برقم (٣٠١٧) من حديث طارق بن شهاب عن عمر ؓ من قوله.

(٢) تفسير الطبري برقم (١١١٤٦).

٥) المسألة الخامسة: أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل، فلا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب، فلا كتاب بعده، فهو محكم أبدًا، وهذه المسألة هي المشار إليها بهذا البيت والذي بعده.

٢٥٤) وكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى

٢٥٥) فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ ... وأفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلَاقِ

* قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

* وللبخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّه بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»[1]، ورواه مسلم وزاد: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**»، وله عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا، فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة**»[2]، رواه مسلم وزاد: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء**»، وللبخاري عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟! قال: «**ألا ترضى**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤١)، صحيح مسلم برقم (٢٢٨٧).

أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي» ورواه مسلم[١]، وفي حديث ثوبان الطويل - عند أبي داود وغيره-: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبين، ولا نبي بعدي»[٢]، ولهما عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة ﷺ خمس سنين سمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلف نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن اللّه تعالى سائلهم عما استرعاهم»[٣]، وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي» قال: فشق ذلك على الناس، فقال: «ولكن المبشرات» قالوا: يا رسول اللّه وما المبشرات؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة»[٤]، ولمسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «فُضِّلت على الأنبياء بست، أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٥٤)، صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).
(٢) مسند أحمد (٢٢٤٤٨)، سنن أبي داود برقم (٤٢٥٤)، المستدرك للحاكم (٨٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في المشكاة برقم ٥٤٠٦ وغيرها.
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٢).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٣٨٥١) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، والترمذي في السنن برقم (٢٢٧٢)، والحاكم في المستدرك ٤٠٥(٨١٧٨) وصححه، وصححه أيضًا الضياء في المختارة (٢٦٤٥) والشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٣١).

النبيون»[١]، وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[٢].

* وأما خاتم النبوة الذي بين كتفه ﷺ فهو آية باهرة، ودلالة ظاهرة على أنه لا نبي بعده، وقد وردت عدة أحاديث في صفته، لا بأس أن نذكر ما تيسر منها، فروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده. وفي رواية قال: رأيت خاتما في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام[٣]، وله عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزًا ولحمًا، أو قال: ثريدًا، قال: ثم درت خلفه، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عن ناغض كتفه اليسرى، جُمْعًا عليه خيلان كأمثال الثآليل[٤].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٩٠)، والطبراني في المعجم (١٥٠٣٤) والحاكم في المستدرك (٤١٧٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٠/ ٧٢٨، والذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٤١، وابن كثير في تلخيص كتاب الاستغاثة ١/ ٦١، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٧٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٣٤٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٣٤٦)، قال النووي في شرحه على مسلم - (١٥ / ٩٨): وأما ناغض كتفه فبالنون والغين والضاد المعجمتين والغين مكسورة، وقال الجمهور: النغض والنغض والناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل ما يظهر منه عند التحرك، وأما قوله جُمْعًا: فبضم الجيم وإسكان الميم، ومعناه أنه كجمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها، وأما الخيلان: فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء، جمع خال، وهو الشامة في الجسد والله أعلم، قال القاضي: وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده، قدر بيضة الحمامة، وهو نحو بيضة الحجلة وزر الحجلة.

* (فهو) محمد ﷺ (ختام الرسل) فلا نبي بعده، والرسالة من باب أولى، إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوة وحي مطلق مجردا، فإن أُمر بتبليغه فرسالة، فكل رسول نبي، ولا عكس (باتفاق) من كل كتاب منزل، وكل نبي مرسل، وكل مؤمن بالله واليوم الآخر (وأفضل الخلق) كلهم (على الإطلاق) بلا استثناء، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، قال أئمة التفسير - من الصحابة فمن بعدهم - هو محمد ﷺ. وكذا قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[١]، وقد ظهرت فضيلته ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إمامًا، وعلوِّه فوق الجميع مقامًا، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله ﷻ.

* واختص ﷺ بأشياء أخر في سماحة شريعته، ووضع الآصار عن أمته، وكونه أكثرهم تابعًا[٢]، وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول مشفع[٣]، وأول من يستفتح باب الجنة[٤]، وأول

---

(١) سبق بيان حكمه.

(٢) جاء ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح البخاري (٤٦٩٦)، وصحيح مسلم (١٥٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

(٣) ثبت ذلك في صحيح مسلم برقم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

(٤) ثبت ذلك في صحيح مسلم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: =

من يدخلها من الأمم أمته[(١)]، وله الحوض المورود، وهو الكوثر، وهو أكثر الأنبياء واردًا[(٢)]، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه[(٣)]، وله المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، ويرغب إليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن، وهو وأمته أول من يجوز الصراط[(٤)]، وهم ثلث أهل الجنة، لما جاء أنهم ثمانون صفًّا، وغيرهم من الأمم أربعون صفًّا، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفًّا[(٥)]، ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر[(٦)] وله ﷺ الوسيلة، وهي أعلى

= محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

(١) ثبت ذلك في صحيح مسلم برقم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم. .» الحديث.

(٢) سبق دليل ذلك في موضع ذكره من النظم.

(٣) سبق دليل ذلك في موضع ذكره من النظم.

(٤) جاء ذلك في صحيح البخاري برقم (٧٠٠٠)، وصحيح مسلم (١٨٢) وفيه: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها)، وفي لفظ للبخاري (٧٧٣): (فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز - من الرسل - بأمته).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٤٣٢٨)، والترمذي في سننه برقم (٢٥٤٦)، وابن ماجه في سننه (٤٢٨٩) وابن حبان في صحيحه برقم (٧٤٥٩)، والطبراني في الكبير برقم (١٠١٩٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٢٧٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الضياء المقدسي في صفة الجنة (١٨٦)، والشيخ الألباني في مشكاة المصابيح ٣ / ٢٢٦ حديث رقم ٥٦٤٤، وقد جمع الحافظ في الفتح ١٨/ ٣٧٢ بينه وبين حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي في الصحيحين: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة) بقوله: فَكَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا رَجَا رَحْمَةَ رَبِّهِ أَنْ تَكُون أُمَّتُهُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ مَا ارْتَجَاهُ وَزَادَهُ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

(٦) ثبت ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٢٦٩)=

درجة في الجنة[1] ليس فوقها إلا عرش الرحمن ﷻ، وليست هي لأحد غيره ﷺ، وغير ذلك من مقاماته العلية، التي لا ينالها غيره، ولا يدركها سواه، وهذا مقام يطول ذكره، ولا يحيط بغايته إلا الذي اصطفاه له، وأكرمه به، جعلنا الله ﷻ ممن اقتدى به، واهتدى بهديه، وكان هواه تبعا لما جاء به آمين.

* وأما قوله ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«لا تفضلوا بين أنبياء الله ﷻ»**[2]، فقال النووي -رحمه الله تعالى-: جوابه من خمسة أوجه:

= وصححه محققه شعيب الأرناؤوط: أن رسول ﷺ قال: (ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر) فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر؟ قال: (إنما أقول ما أقول)، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء -(٤/ ٢٣٦)،والسيوطي في الجامع الصغير برقم (٧٥٥٧)، وفي الحاوي للفتاوي ١/ ٢٨٩، وقال عنه الهيثمي مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨١: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٤١، ووافقه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣١٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٤٠ حديث رقم ٣٦٤٧.

(١) كما جاء في صحيح مسلم برقم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣).

١- أحدها : أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.

٢- والثاني : قاله أدبًا وتواضعًا.

٣- والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

٤- والرابع : إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

٥- والخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى.

٦- وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله تعالى- وجهًا : أن التفضيل ليس إليكم، وإنما هو إلى الله ﷻ، وعليكم الانقياد له، والتسليم والإيمان به اه قلت : الوجه الأول من كلام النووي ضعيف، والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب، ويقوي عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحط من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعًا، منهيٌّ عنه شرعًا، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ.

* وأما التفضيل بما أكرمه الله ﷻ، ورفع به درجته، ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر، فهو الذي يجب اعتقاده، والإيمان به، والتصديق، والانقياد له والتسليم، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله، وعن رسوله ﷺ، والله المستعان وبه التوفيق.

فَصْلٌ : فِيمَنْ هُوَ أَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ، وَذِكْرِ الصَّحَابَةِ بِمَحَاسِنِهِمْ وَالْكَفِّ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ رضي الله عنهم

خِلَافَةُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

٢٥٦) وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ   نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ الصِّدِّيقُ

٢٥٧) ذَاكَ رَفِيقُ المُصْطَفَى فِي الْغَارِ   شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ

٢٥٨) وهُوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى   جِهَادَ مَنْ عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى

(وبعده) أي بعد رسول اللَّه ﷺ (الخليفة) له في أمته (الشفيق) بهم وعليهم (نِعم) فعلُ مدح (نقيب) فاعل نعم، والنقيب عريف القوم وأفضلهم (الصديق) هو المخصوص بالمدح، وهو النقابة منه لجميع الأمة.

* وهو أبو بكر عبداللَّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أول الرجال إسلامًا، وأفضل الأمة على الإطلاق رضي الله عنه، فلنَسُقْ الكلام أولا في خلافته، ثم في مقاماته أيام خلافته رضي الله عنه:

* **فأما خلافته** فقد تقدم الحديث في تقديم النبي ﷺ إياه إمامًا في الصلاة - مقامه أيام مرضه ﷺ -، وهو في الصحيحين عن عائشة، وقد راجعته عائشة وحفصة رضي الله عنهما مرارا، وهو يكرر مرارًا عديدة، يقول: **«مروا أبا بكر فليصلِّ»**(١)، ولما أُشير بغيره حرَّك يده، وقال: **«ليصل بالناس ابن**

(١) صحيح البخاري في مواضع منها (٦٣٣)، ومسلم في مواضع منها (٤١٨).

أبي قحافة»، وفي رواية: «**يأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(١)] رضي الله عنه.

وروى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[(٢)].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم، رأيتُني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء اللَّه، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذَنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، واللَّه يغفر له ضعفه، ثم استحالت غَرْبًا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريًّا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضَربَ الناسُ بعَطَنٍ**»[(٣)].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ - في مرضه -: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى مُتَمَنٍ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(٤)].

---

(١) قال النبي ﷺ ذلك عندما قال النبي ﷺ: (مروا مَن يصلي بالناس)، وكان أبو بكر غائبًا فصلى عمر بالناس فسمع النبي ﷺ صوت عمر فقال ذلك كما سيأتي قريبًا، وفي قصة إرادة النبي ﷺ العهد لأبي بكر وستأتي أيضًا.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٩)، صحيح مسلم برقم (٢٣٨٦).

(٣) (ذنوبا) الذنوب الدلو المملوءة (استحالت) أي صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر (غربا) الغرب الدلو العظيمة (عبقريا) العبقري هو السيد وقيل الذي ليس فوقه شيء (ضرب الناس بعطن) أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح.

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٣٨٧)، ورواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٤٢) بلفظ: (لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى اللَّه ويدفع المؤمنون، أو يدفع اللَّه ويأبى المؤمنون). =

وروى أبو داود عن عبد اللَّه بن زمعة رضي الله عنه قال: لما استعز برسول اللَّه ﷺ - وأنا عنده في نفر من المسلمن - دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: «مروا

= يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - في منهاج السنة النبوية - (١ / ٣٦٢): (فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ، فهذا النبي وهذا صديقه، فإذا كان محمد أفضل النبيين فصديقه أفضل الصديقين، فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها، ورضا اللَّه ورسول اللَّه ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له، واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل اللَّه ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند اللَّه ورسوله، فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعًا، ولكن النص دل على رضا اللَّه ورسوله بها، وأنها حق، وأن اللَّه أمر بهذا وقدَّرها، وأن المؤمنين يختارونها، وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها، لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد، ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه، ورضا اللَّه ورسوله بذلك، كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقُّهم بالخلافة، وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص، كما قال النبي ﷺ- لما أراد أن يكتب لأبي بكر - فقال لعائشة: **«ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر»** أخرجاه في الصحيحين، وفي البخاري: **«لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ويدفع اللَّه ويأبى المؤمنون»**، فبين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابًا خوفًا، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر، ليس مما يُقبل النزاع فيه، والأمة حديثة عهد بنبيها، وهم خير أمة أخرجت للناس، وأفضل قرون هذه الأمة، فلا يتنازعون في هذا الأمر الواضح الجلي، فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم أو لسوء القصد، وكلا الأمرين منتف، فإن العلم بفضيلة أبي بكر جليٌ وسوء القصد لا يقع من جمهور الأمة الذين هم أفضل القرون، ولهذا قال: **«يأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر»**، فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستحقاقه لهذا الأمر يغنى عن العهد فلا يُحتاج إليه، فتركه لعدم الحاجة وظهور فضيلة الصديق واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد).

مَن يصلي للناس»، فخرج عبد اللَّه بن زمعة، فإذا عمر في الناس - وكان أبو بكر غائبًا -، فقلت: يا عمر قم فصل بالناس، فتقدم فكبر، فلما سمع رسول اللَّه ﷺ صوته - وكان عمر رضي الله عنه رجلًا مجهرًا، قال: «**فأين أبو بكر؟ يأبى اللَّه ذلك والمسلمون**»، فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه، فجاء - بعد أن صلى عمر تلك الصلاة - فصلى بالناس(١).

وفي رواية قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر رضي الله عنه قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته، ثم قال ﷺ: «**لا لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة**» يقول ذلك مغضبًا(٢).

وله عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال - ذات يوم -: «**من رأى منكم رؤيا؟**»، قلت: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوُزِنْتَ أنت وأبو بكر، فرجحتَ بأبي بكر، ووُزن عمرُ وأبو بكر، فرجح أبو بكر، ووُزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رُفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول اللَّه ﷺ. ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة بمعناه، ولم يذكر الكراهية قال: فاستاء لها رسول اللَّه ﷺ، يعني فساءه ذلك، فقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتي اللَّه الملك من يشاء**»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٩٢٦)، وأبو داود برقم (٤٦٦٢) وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه له برقم (٤٦٦٠).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٦٦٣)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (١١٦٠)، وجوَّد إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٢١١، وصححه الألباني في صحيح ظلال (١١٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠٤٦٣)، وأبو داود برقم (٤٦٣٦) والترمذي برقم (٢٢٨٧) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنسائي في الكبرى برقم (٨١٣٦)،=

وله عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أُريَ الليلةَ رجلٌ صالح أن أبا بكر نِيْطَ برسول اللَّه ﷺ، ونِيْطَ عمرُ بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول اللَّه ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول اللَّه ﷺ، وأما تنوُّط بعضِهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث اللَّه به نبيه ﷺ[(١)].

وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي**»، وأشار إلى أبي بكر وعمر. حديث حسن[(٢)].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: وسئلت مَن كان رسول اللَّه ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح[(٣)].

* **وصفة بيعته رضي الله عنه بخلافة النبوة**: ما رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه من خطبته الطويلة، قال: ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: واللَّه لو مات عمر

= والحاكم في المستدرك برقم (٨١٨٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٠٣).

(١) مسند أحمد برقم (١٤٨٦٣)، وسنن أبي داود برقم (٤٦٣٨)، وصححه الشيخ الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٥، وضعفه في المشكاة (٦٠٧٧) وغيره.

(٢) مسند أحمد برقم (٢٣٣٢٤)، وسنن الترمذي برقم (٣٧٩٩) وحسنه، وسنن ابن ماجه برقم (٩٧)، وقال العقيلي في الضعفاء ٤/ ٩٤: وهذا يروى عن حذيفة عن النبي ﷺ بأسانيد جياد تثبت، وجوَّده أبو حاتم الرازي كما نقله ابن الملقن في البدر المنير (٩ / ٥٨١) عَن العلل، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٤٢٧٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٣٨٥).

بايعتُ فلانا، فلا يغترنَّ امرؤٌ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن اللَّه وَقَى شرها، وليس منكم مَن تُقطع الأعناق إليه مثلُ أبي بكر، مَن بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الذي بايعه، تَغِرَّة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى اللَّه نبينا ﷺ أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقِيَنَا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، فقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقال: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: واللَّه لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلًا، تشهد خطيبهم فأثنى على اللَّه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار اللَّه، وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دَفَّتْ دافَّةٌ من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحْضُنُونا من الأمر، فلما سكتَ أردتُ أن أتكلم، وكنتُ زوَّرتُ مقالةً أعجبتني، أريد أن أقدمهما بين يدي أبي بكر، وكنتُ أُداري منه بعض الحد، فلما أردتُ أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسْلِك، فكرهتُ أن أُغضِبَه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلمَ مني وأوقر، واللَّه ما ترك كلمة أعجبتني - في تزويري - إلا قال - في بديهته - مثلَها وأفضل منها حتى سكتَ، فقال: ما ذكرتم فيكم مِن خيرٍ فأنتم له أهلٌ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسطُ العرب

نسبًا ودارًا، وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، فبايعوا أيَّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره - مما قال - غيرها، كان - واللَّه - أن أُقَدَّمَ فتضربَ عُنقُي - ولا يُقرِّبُني ذلك من إثم - أحبُّ إليَّ مِن أن أتأَمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّلَ إلي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن، فقال قائل - من الأنصار -: أنا جُذَيْلُها المحَكَّك، وعُذَيْقُها المرَجَّب[1]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثُر اللَّغط، وارتفعت الأصوات حتى فَرِقْتُ من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونَزَوْنَا على سعد بن عبادة، فقال قائل - منهم -: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل اللَّه سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا واللَّه ما وجدْنا - فيما حَضَرْنَا من أمرٍ - أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم - ولم تكن بيعةٌ - أن يبايعوا رجلًا منهم بَعدَنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فسادٌ، فمن بايع رجلًا - على غير مشورة المسلمين - فلا يُتابع هو والذي بايعه، تَغِرَّة أن يقتلا[2].

وروى الإمام أحمد عن حُميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول اللَّه ﷺ - وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة -، قال: فجاء فكشف عن

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري (٧/ ٣١): وشرح هاتين الكلمتين أن العُذيق - بالذال المعجمة - تصغير عِذْق، وهو النخلة، المُرجب: بالجيم والموحدة أي يدعم النخلة إذا كثر حملها، والجُذيل بالتصغير - أيضًا - وبالجيم، والجذل عود ينصب للإبل الجرباء لتحتك فيه، والمُحكَّك بكافين، الأولى مفتوحة، فأراد أنه يُستشفي برأيه.
وهذا القائل هو الحباب بن المنذر الخزرجي السلمي وكان بدريًّا.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٢)، ومعنى تغرةً أن يقتلا: أي: حذرًا أن يقتلا.

وجهه، فقَبَّله، وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبَك حيًّا وميتًا، مات محمد - ورب الكعبة -، فذكر الحديث، فانطلق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتقاودان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئًا أُنزل في الأنصار أو ذكره رسول اللَّه ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لو سلك الناس واديًا وسَلَكَتِ الأنصارُ واديًا لسلكتُ واديَ الأنصار»**، **ولقد علمتَ - يا سعدُ - أن رسول اللَّه ﷺ** قال - وأنت قاعد-: **«قريش ولاة هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تَبَعٌ لبرِّهم، وفاجرُهم تبعٌ لفاجرهم»**، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء[1].

وروى البخاري عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة - حين جلس على المنبر -، وذلك الغد من يوم توفي رسول اللَّه ﷺ، وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ اللَّه ﷺ حتى يَدْبُرَنا، يريد بذلك أن يكون آخرَهم، فإن يك محمدٌ قد مات فإن اللَّه تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى اللَّه محمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحبُ رسول اللَّه ﷺ، وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه - قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة -، وكانت بيعة العامة على المنبر، قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول - يومئذ لأبي بكر-: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس[2].

---

(١) مسند أحمد (١٨) وصححه لغيره محققه شعيب الأناؤوط، وصححه الشيخ الألباني السلسلة الصحيحة برقم ١١٥٦.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٧٩٣).

وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة - باسناده - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قبض رسول اللَّه ﷺ، واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول اللَّه ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول اللَّه ﷺ، ونحن أنصار خليفته، كما كنا أنصاره، فقال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم، فلم يرَ الزبير، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلتَ: ابن عمة رسول اللَّه ﷺ وحواريه أردتَ أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول اللَّه ﷺ، فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم، فلم يرَ عليًا، فدعا بعلي بن أبي طالب، فجاء، فقال: قلتَ: ابن عم رسول اللَّه ﷺ، وختنه على ابنته، أردتَ أن تشق عصا المسلمين؟ قال: لا تثريب يا خليفة رسول اللَّه ﷺ فبايعه[1][2].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى برقم (١٦٣١٥)، ومستدرك الحاكم برقم (٤٤٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٤٩: وقد رواه علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكر نحو ما تقدم، وهذا إسناد صحيح محفوظ. وصحح إسناده أيضًا الصالحي في سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣١٦.

(٢) يقول الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- عند هذا الموضع من القصة في البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠: (وفيه فائدة جليلة: وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في=

وروى مسلم عن عروة عن عائشة ﵂ أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق ﵄ تسأله ميراثها من رسول اللَّه ﷺ، مما أفاء اللَّه عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال**»، وإني - واللَّه - لا أُغيِّرُ شيئًا من صدقة رسول اللَّه ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول اللَّه ﷺ،

= وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبينه قريبا، ولكن لما حصل من فاطمة ﵂ عتبٌ على الصديق، بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول اللَّه، ولم تعلم بما أخبرها به الصديق ﵁ أنه قال: (لا نورث، ما تركنا فهو صدقة)، فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح - كما سنبين ذلك في موضعه -، فسألته أن ينظر عليٌ في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك، فلم يجبها إلى ذلك، لأنه رأى أن حقًّا عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول اللَّه، وهو الصادق البار الراشد التابع للحق ﵁، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتبٌ وتغضُّبٌ، ولم تكلِّم الصديق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت - بعد ستة أشهر من وفاة أبيها - رأى عليٌ أن يجدد البيعة مع أبي بكر ﵁ - كما سنذكره من الصحيحين وغيرهما، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول اللَّه، ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر، واعتذر إلى الناس، وقال: ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة، ولا سألتها في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أُخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخبره، ولقد أمره رسول اللَّه أن يصلي بالناس وهو حي، إسناد جيد ولله الحمد والمنة).

ولأعملنَّ فيها بما عمل رسول اللَّه ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئًا، فوجدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرتْه فلم تكلمه حتى توفيت[1]، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ابن أبي طالب ليلا، ولم يُؤْذن بها أبا بكر، وصلى عليها عليٌّ، وكان لعلي رضي الله عنه من الناس وجهة حياة فاطمة رضي الله عنها، فلما توفيتْ استنكر عليٌ وجوهَ الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد، كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر - لأبي بكر-: واللَّه لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي؟ إني واللَّه لآتينهم، فدخل عليهم رضي الله عنه، فتشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قال: إنا عرفنا - يا أبا بكر - فضيلتك، وما أعطاك اللَّه، ولم ننْفِس عليك خيرًا ساقه اللَّه إليك، ولكنك

---

(١) وقد علق الحافظ ابن كثير رحمه الله على ذلك بقوله -كما في البداية والنهاية ٥/ ٢٨٧-: (وهذا الهجران - والحالة هذه- فَتَح على الفرقة الرافضة شرًّا عريضًا وجهلًا طويلًا، وأدخلوا أنفسهم -بسببه- فيما لا يعنيهم، ولو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصِّدِّيق فضله، وقبلوا منه عذره، الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار - رضي اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين-).

ويقول الإمام البيهقي -رحمه اللَّه تعالى - في الاعتقاد ٣٥٣: (وقد دخل أبو بكر الصديق على فاطمة في مرض موتها، وترضاها حتى رضيت عنه، فلا طائل لسخط غيرها ممن يدعي موالاة أهل البيت ثم يطعن على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ويهجن من يواليه، ويرميه بالعجز والضعف واختلاف السر والعلانية في القول والفعل، وباللَّه العصمة والتوفيق).

استبددْتَ علينا بالأمر، وكنا نحن نرى لنا حقًّا[1] لقرابتنا من رسول اللَّه ﷺ، فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر ؓ، فلما تكلم أبو بكر ؓ قال: والذي نفسي بيده لقرابةُ رسول اللَّه ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آلُ فيها عن الحق، ولم أترك أمرًا رأيت رسول اللَّه ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال عليٌّ - لأبي بكر ؓ -: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر ؓ صلاة الظهر، رقى على المنبر، فتشهد، وذكر شأن علي، وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد علي بن أبي طالب ؓ، فعظم حق أبي بكر ؓ، وأنه لم يحمله على الذي صنعه نفاسةً على أبي بكر، ولا إنكارًا للذي فضله اللَّه به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيبًا، فاستُبِد علينا به، فوجدنا في أنفسنا، فسُر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى عليٍّ قريبًا حين راجع الأمر المعروف[2].

---

(١) يقول النووي في شرحه على مسلم - (١٢ / ٧٨): (وما نُقل عنه قدحٌ في البيعة، ولا مخالفة، ولكن بقي في نفسه عتب، فتأخر حضوره إلى أن زال العتب، وكان سبب العتب أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء وقربه من النبي ﷺ وغير ذلك رأى أنه لا يُستبدُّ بأمر إلا بمشورته وحضوره، وكان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحًا، لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصولَ خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة، ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة، لكونها كانت أهم الأمور، كيلا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه أو غسله أو الصلاة عليه أو غير ذلك، وليس لهم من يفصل الأمور، فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء واللَّه أعلم).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٩٩٨)، صحيح مسلم برقم (١٧٥٩)، يقول الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- عن هذه القصة في البداية والنهاية ٥/٢٨٦: (فهذه البيعة التي وقعت من علي ؓ لأبي بكر ؓ بعد وفاة فاطمة ؓ بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع=

* وهذا لا ينافي ما ذُكر في بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة، أو صبيحتها، ولفظة: لم يكن بايع تلك الأشهر، إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيره، لأن الرجال في مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النساء.

* ويشهد لذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ لم يفارق الصديق ﷺ في وقت من لأوقات، ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجه معه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر في حياة فاطمة ﷺ في الشهر الثالث من وفاة رسول اللَّه ﷺ، كما روى الدارقطني عن ابن عمر ﷺ قال: لما برز أبوبكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب ﷺ بزمامها، وقال: إلى أين يا خليفة رسول اللَّه ﷺ؟ أقول لك ما قال لك رسول اللَّه ﷺ يوم أحد، لُمَّ سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فواللَّه لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا فرجع(١).

* ومن تدبر النصوص في ذلك وإجماع المهاجرين والأنصار وأهل

= بينهما وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولا يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ولم يكن علي مجانبًا لأبي بكر هذه الستة الأشهر بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة وركب معه إلى ذي القصة كما سيأتي وفي صحيح البخاري أن أبا بكر ﷺ صلى العصر بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ بليال ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على كاهله وجعل يقول يا بأبي شبه النبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافي كما تقدم).

(١) معجم ابن الأعرابي برقم (١٥٧٣).

بيت النبي ﷺ وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(١).

* **وأما فضله** فقال تبارك وتعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧- ٢١]، حكى جماعة من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ - وأنا في الغار-: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»(٢).

وفيهما(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

وفيهما - واللفظ لمسلم - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث**»، فقال الناس:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٣)، صحيح مسلم برقم (٢٣٨١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٩٤) وهو من أفراد البخاري كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي برقم (١٤٤٤)، وتحفة الأشراف برقم (٨٠٢٨).

سبحان اللَّه - تعجبًا وفزعًا - أبقرة تكلم؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر**»[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينما راع في غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: مَن لها يوم السبُع؟ يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان اللَّه ! فقال رسول اللَّه ﷺ: «فإني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر»**، وفي رواية لهما: «**وما ثَمَّ أبو بكر وعمر**»[٢].

وفي صحيح البخاري عن همام قال: سمعت عمارًا يقول: رأيت رسول اللَّه ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[٣].

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**»، فسلم، وقال: يا رسول اللَّه إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر اللَّه لك يا أبا بكر**» ثلاثًا، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول اللَّه واللَّه أنا كنت أظلم مرتين، فقال ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٣)، صحيح مسلم برقم (٢٣٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٨٧)، صحيح مسلم (٢٣٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٠).

«إن اللَّه بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟» مرتين، فما أوذي بعدها[١].

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا- في حديث أبواب الجنة الثمانية، ودعاء الناس كلٍ من الباب الذي كان يعمل بعمله - وفيه فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يُدعى منها كلها أحدٌ يا رسول اللَّه قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[٢].

وفيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أيُّ الناس أحب اليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثم مَن؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالا[٣].

وفيه عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خير بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

وفيهما عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٧٩٨)، وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

(٣) صحيح البخاري (٣٤٦٢)، وصحيح مسلم (٢٣٨٤).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٢)، وهو من أفراده دون مسلم كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي برقم (٢٠٤٩)، وهو في صحيح مسلم برقم (٢٤١٧) من=

وللترمذي عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال - لأبي بكر - : «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»، وقال حسن صحيح[(١)].

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم اليوم منكم مسكينا؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما اجتمعن في أمرئ إلا دخل الجنة**»[(٢)].

والأحاديث في الصديق كثيرة جدًّا قد أُفْرِدَتْ بالتصنيف وفيما ذكر كفاية في التنبيه على ما وراءه.

وما أحسن ما قال ثابت رضي الله عنه:

إِذَا تَـذَكَّـرْتَ شَـجْـوًا مِـنْ أَخٍ ثِـقَـةٍ فَـاذْكُـرْ أَخَـاكَ أَبَـا بَـكْـرٍ بِـمَـا فَـعَـلَا
خَـيْـرَ الـبَـرِيَّـةِ أَوْفَـاهَـا وَأَعْـدَلَـهَـا بَـعْـدَ الـنَّـبِـيِّ وَأَوْلَاهَـا بِـمَـا حَـمَـلَا
وَالـتَّـالِـي الـثَّـانِـي الـمَـحْـمُـودَ مَـشْـهَـدُهُ وَأَوَّلَ الـنَّـاسِ مِـنْـهُـمْ صَـدَّقَ الـرُّسُـلَا
عَـاشَ حَـمِـيـدًا لِأَمْـرِ الـلَّـهِ مُـتَّـبِـعًـا بِـأَمْـرِ صَـاحِـبِـهِ الـمَـاضِـي وَمَـا انْـتَـقَـلَا

= حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول اللَّه ﷺ: (اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنهم.

(١) سنن الترمذي برقم (٣٦٧٠) وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٩٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٢٨).

* **مواقفه العظيمة**: وأما ما منحه اللَّه تعالى من المواقف العظيمة مع النبي ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه اللَّه ﷻ من نصرته، والذب عنه، والشفقة عليه، والدعوة إلى ما دعا إليه، وملازمته إياه، ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير فأمر لا تدرك غايته.

* كان من رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع اللَّه به شمل العرب بعد شتاته، وبعد أن ارتد أكثرهم عن دينه، وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين، حتى قيل: لم يبق يُصلى إلا في ثلاثة مساجد، الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمي بالبحرين، فردَّهم اللَّه تعالى إلى الحق طوعًا وكرهًا، وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر، ولله الحمد والمنة.

* قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيات، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه، الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، فأبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك، وأقدمهم فيه، وأسبقهم إليه، وأول من تناولته الآية، رضي اللَّه عنه أرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول اللَّه ﷺ واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب - لأبي بكر رضي الله عنه-: كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه، فمن قال لا إله إلا اللَّه**

فقد عَصَم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على اللَّه ﷻ»؟ فقال أبو بكر: واللَّه لأقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، واللَّه لو منعوني عقالًا كانوا يؤدُّونه إلى رسول اللَّه ﷺ لقاتلتُهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فواللَّه ما هو إلا أن رأيتُ اللَّه ﷻ قد شَرَح صدر أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحق(١).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرِهَتِ الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بُدًّا من الخروج في أثره.

* وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق:

١- **الفرقة الأولى**: بنو مذحج، ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي، ويلقب بالأسود، قتله فيروز الديلمي، وأتى خبر مقتله المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة، وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه.

٢- **والفرقة الثانية**: بنو حنيفة، ورئيسهم مسيلمة الكذاب، وكان قد تنبأ في حياة رسول اللَّه ﷺ آخر سنة عشر، وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول اللَّه ﷺ بذلك، ومرض رسول اللَّه ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير، حتى أهلكه اللَّه على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي، الذي قتل حمزة بن عبد المطلب، بعد حرب شديدة، وكان وحشي يقول: «قتلت خير الناس

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٥)، صحيح مسلم برقم (٢٠).

في الجاهلية، وشر الناس في الإسلام»[1].

٣- والفرقة الثالثة: بنو أسد، ورأسهم طليحة بن خويلد، وكان طليحة آخر من ارتد، وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وأول من قوتل بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة، فمر على وجهه هاربا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

* وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير، حتى كفى اللَّه المسلمين أمرهم، ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه، قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول اللَّه ﷺ، وارتدت العرب، واشْرَأَبَّ النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بجبال لهاضها[2].

* وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر.

* وكانت وفاته رضي الله عنه في يوم الإثنين عشية، وقيل: بعد المغرب، ودفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، بعد مرض خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالمسلمين.

* وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين، فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، وكان عُمْر الصديق رضي الله عنه يوم توفي ثلاثا وستين سنة،

---

(١) مسند الطيالسي برقم (١٣١٤)، المعجم الكبير للطبراني برقم (٢٨٧٨)، السنن الكبرى للبيهقي برقم (١٨٦٥٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي برقم (١٧٣٠٠)، المعجم الأوسط للطبراني برقم (٤٩١٣).

السن الذي توفي فيه رسول اللَّه ﷺ، وقد جمع اللَّه بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي اللَّه عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة.

خِلَافَةُ الفَارُوقِ رضي الله عنه

٢٥٩) ثَانِيهِ في الفَضْلِ بِلَا ارْتِيَابِ ... الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ

٢٦٠) أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرْ ... مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَنَصَرْ

٢٦١) الصَّارِمُ الْمَنْكِي عَلَى الكُفَّارِ ... وَمُوسِعُ الْفُتُوحِ فِي الأَمْصَارِ

(ثانيه) أي ثاني أبي بكر (في الفضل) على الناس بعده، فلا أفضل منه، وكذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع (بلا ارتياب) أي بلا شك (الصادع) بالحق المجاهر به، الذي لا يخاف في اللَّه لومة لائم، فكان عمر رضي الله عنه كذلك، وبه سماه النبي ﷺ فاروقا[1]، (الناطق بالصواب)[2] والذي وافق

---

(١) ورد ذلك في حديث مرفوع إلى رسول اللَّه ﷺ وفيه: (وهو الفاروق فرق اللَّه به بين الحق والباطل)، رواه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٧٠، وابن شبة في تاريخ المدينة ٢/ ٢٢٧، والطبري في تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٥٦٢، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٤/ ٥٧، عن أيوب بن موسى مرسلًا، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٥٨٦).

(٢) كما في مسند أحمد برقم (٥١٤٥) وسنن الترمذي (٣٦٨٢) عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: (إن اللَّه جعل الحق على لسان عمر وقلبه)، زاد الترمذي: وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر. إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر، وصححه الألباني في تعليقه عليه، ولفظه في سنن أبي داود برقم (٢٩٦٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٧١٥).

الوحيَ في أشياء قبل نزوله (أعني به) أي بهذا النعت (**الشهم**) الذكي، المتوقد، السيد، المطاع، الحكم، القوي في أمر اللَّه، الشديد في دين اللَّه (**أبا حفص عمر**) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد اللَّه بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوى، ثاني الخلفاء، وإمام الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنهما، وأول من تسمى أمير المؤمنين (**الصارم**) السيف المسلول (**الْمُنْكِي**) من النكاية على الكفار، لشدته عليهم، وإثخانه إياهم، حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية، كما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه (**ومُوسع**) من الاتساع (**الفتوح**) فتوح الإسلام (**في الأمصار**) فكمَّل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك، ثم بلاد فارس حتى مزق اللَّه به مُلْكَهم كل ممزق، ثم أوغل في بلاد الترك، كما هو مبسوط في كتب السِّيَرِ وغيرها.

* تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريبا مع ذكر أبي بكر رضي الله عنه، وكثير من فضائله - أيضًا - التي شارك فيها أبا بكر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال بينا نحن عند رسول اللَّه ﷺ، إذ قال: «**بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا**»، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟ ![1].

وعن حمزة بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بينا أنا نائم، إذ أُتيت بقدح فيه لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الرِّي يجري في أظفاري، ثم أَعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب**» قالوا: فما أوَّلت

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٧٠)، صحيح مسلم برقم (٢٣٩٥).

ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم، رأيت الناس عُرِضوا عليَّ، وعليهم قُمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض عليَّ عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجترُّه**»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»(٢).

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط، إلَّا سلك فجا غير فجك**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ فعمر**»(٤).

ومن موافقته لربه: مراجعته رسول اللَّه ﷺ في الصلاة على عبد اللَّه بن أُبيٍّ ابن سلول - كما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه: فصلى عليه رسول اللَّه ﷺ، ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم (٨٢)، صحيح مسلم برقم (٢٣٩١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٨٠)، صحيح مسلم(٢٣٩٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٨٦)، وهو في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٢٣٩٨).

فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] قال: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ[1].

ومنها: مراجعته رسول الله ﷺ في شأن أسارى بدر، حيث رأى قتلهم، ورأى أبو بكر أن يأخذ منهم الفداء، وهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه، كما في صحيح مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وفيه: وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٩] فأحلَّ الله الغنيمة لهم.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقتُ اللَّهَ في ثلاث، أو وافقني الله في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن أنتهيتُن أو ليبدلن اللَّهُ رسولَه ﷺ خيرا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر ما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥][3].

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وُضع عمر على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون - قبل أن يُرفع - وأنا فيهم، فلم يَرُعْني إلا رجل آخِذٌ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٠٠، ٤٣٩٤).
(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٦٣).
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٢١٣)، وهو في مسلم برقم (٢٣٩٩) مختصرًا.

منكبي، فإذا عليٌّ ﷺ، فترحم على عمر، وقال: ما خلفتُ أحدًا أحبُّ إليَّ أن ألقى اللَّه بمثل عمله منك، وايم اللَّه إن كنت لأظن أن يجعلك اللَّه تعالى مع صاحبيك، وحسبك أني كنت أسمع النبي ﷺ يقول - كثيرا -: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر»، «دخلت أنا وأبو بكر وعمر»، زاد مسلم - في آخره أيضًا -: فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك اللَّه تعالى معهما[1].

والأحاديث في فضله كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية.

* وأما قصة استشهاده ﷺ فهي ما ذكره البخاري عن عمرو بن ميمون قال: أصيب ﷺ وإني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد اللَّه بن عباس - غداة أصيب -، وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم يَرَ فيهن خللًا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول: قتلني، أو أكلني الكلب - حين طعنه - فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمرُّ على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرْنُسا، فلما ظنَّ العلج أنه مأخوذٌ نحر نفسه، وتناول عمرُ يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فلا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر ﷺ، وهم يقولون: سبحان اللَّه، سبحان اللَّه، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر مَن قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري بزيادة مسلم برقم (٣٤٧٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٩).

الصَّنَعُ؟ قال: قاتله اللَّه، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، فقد كنتَ أنتَ وأبوك تحبان أن تَكْثُرَ العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئت فعلت، أي إن شئت قتَلْنا، قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم، فاحتُمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجلٌ شابٌ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى اللَّه لك من صحبة رسول اللَّه ﷺ، وقَدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وَلِيْتَ فعدَلتَ، ثم شهادة، قال: وددتُ أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: رُدوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك، إنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد اللَّه بن عمر انظر ما عليَّ من الدَّين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفَى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فَسَلْ بني عدي بن كعب فإن لن تفِ أموالهم فسل في قريش، ولا تعْدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة، فقل: يقرأ عليك عمر السلامَ، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد اللَّه بن عمر قد جاء، قال:

ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أَذِنَت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة ﵂ والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول اللَّه ﷺ وهو عنهم راض، فسمَّى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن، وقال: لِيَشهدْكم عبد اللَّه بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيُّكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم رِدْءُ الإسلام، وجُبَاةُ المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يُؤخذ من حواشي أموالهم، وتُرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة اللَّه وذمة رسول اللَّه ﷺ أن يُوَفِّيَ لهم بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، ولا يُكَلَّفوا إلا طاقتهم، فلما قُبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد اللَّه بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب،

قالت: أدخلوه، فأُدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ؟ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك من قرابة رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمتَ، فالله عليك لئن أمَّرتُك لتعدلنَّ، ولئن أمرتُ عثمانَ لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له علي رضي الله عنه، وولج أهل الدار فبايعوه[1] رضي الله عنهم أجمعين.

* وكانت مدة خلافة الفاروق رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر، وكانت وفاته على المشهور لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر، وهي السن التي توفي لها رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبويع لعثمان في ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف، ثم علي بن أبي طالب، ثم بقية أصحاب الشورى، ثم بقية أهل الدار، ثم بقية المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم أجمعين -.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٩٧).

خِلَافَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٦٢) ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ذو الْحِلْمِ والْحَيَا بِغَيْرِ مَيْنِ

٢٦٣) بَحْرُ الْعلُومِ جَامِعُ الْقُرْآنِ مِنْهُ اسْتَحَتْ مَلائِكُ الرَّحْمَنِ

٢٦٤) بَايَعَ عَنْهُ سَيِّدُ الأَكْوَانِ بِكَفِّهِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

* **(ثالثهم)** في الخلافة والفضل، كما في حديث ابن عمر السابق **(عثمان)** بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة الصديق إياه، وزوَّجه رسول اللَّه ﷺ رقية ابنته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلف عن بدر لمرضها، وضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوَّجه النبي ﷺ أمَّ كلثوم، بمثل صداق رُقيَّة على مثل صحبتها، وبذلك تَسمى **(ذو النورين)** لأنه تزوج ابنتي نبي، واحدة بعد واحدة، ولم يتَّفق ذلك لغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **(ذو الحلم)** التام الذي لم يدركه غيره **(والحيا)** الإيماني، الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[1]، وقال: «**أصدقهم حياء عثمان**»[2]، **(بحر العلوم)**

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٩)، صحيح مسلم برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٤٠٢٢) وصححه محققه الأرناؤوط، والترمذي في السنن برقم (٤١٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى برقم (٨٢٤٢)، وسعيد بن منصور في سننه برقم (٤)، والطيالسي في المسند برقم (٢٢١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧١٣١) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، والحاكم في مستدركه (٥٧٨٤) وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الضياء في المختارة ٦/ ٢٢٣، والذهبي في=

الفهم التام في كتاب اللَّه تعالى، حتى إن كان ليقوم به في ركعة واحدة فلا يركع إلا في خاتمتها، إلا ما كان من سجود القرآن[1] (جامع القرآن) لَمَّا خَشي الاختلاف في القرآن، والخصام فيه، في أثناء خلافته رضي الله عنه.

* فجمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول اللَّه ﷺ آخر سِنِيِّ حياته، وكان سبب ذلك ما وقع الناس فيه من الاختلاف في القراءة، والمنازعة فيها، فعند ذلك جمع الصحابة، وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك ممن مصلحةِ كف المنازعة، ودفع الاختلاف، فكتب وبعث به إلى الأمصار، ويقال لهذه المصاحف الأئمة، ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف، (منه استحت ملائك الرحمن) كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها

= تاريخ الإسلام ٤/ ٥٦، وقال النووي في تهذيب الأسماء ٢/ ١٧: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة حسنة، وحسنه ابن كيكلدي العلائي في إجمال الإصابة ١/ ٥٨، وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ١٥: وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن نحوه. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) كما جاء في الزهد لابن المبارك برقم (١٢٧٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٢٠) عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسَبقت إليه، فبينا أنا قائم أصلي إذ وضَع رجلٌ يده على ظهري، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان - رحمة اللَّه عليه - وهو خليفة، فتنحيتُ عنه، فقام، فما برح قائمًا حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها.

قالت: كان رسول اللَّه ﷺ مضطجعا في بيتي، كاشفا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له - وهو على تلك الحال -، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له - وهو كذلك - فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول اللَّه ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**[1]، **(بايع عنه)** حين ذهب لمكة في حاجة الرسول ﷺ والمسلمين **(سيدُ الأكوان)** محمد رسول اللَّه ﷺ **(بكفه)** ضَرب بها على الأخرى، وقال: **«هذه لعثمان»**[2]، **(في بيعة الرضوان)** لما غاب عنها فيما ذكرنا، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت، ومعظما لحرمته، فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول اللَّه ﷺ ما أرسله به، فقال - لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول اللَّه ﷺ إليهم -: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول اللَّه ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول اللَّه ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل، فقال رسول اللَّه ﷺ - حين بلغه أن عثمان رضي الله عنه قد قتل -: **«لا نبرح حتى نناجز القوم»**[3] ودعا رسول اللَّه ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة،

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٩٥) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره برقم (٣١٧٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤ / ١٣٥).

فكان الناس يقولون: بايعهم رسول اللَّه ﷺ على الموت، ثم أتى رسول اللَّه ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل.

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: لما أمر رسول اللَّه ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولَ رسولِ اللَّه ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول اللَّه ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول اللَّه ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم. ورواه الترمذي، وقال: حسن صحيح(١).

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن حَزْن القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعة، فقال: ادعو لي صاحبيكم اللَّذَينِ أَلَّباكم عليَّ، فدُعيا له، فقال: أنشدكما اللَّه تعلمان أن رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: «**من يشتري هذه البقعة من خالص ماله، فيكون كالمسلمين، وله خير منها في الجنة**»، فاشتريتها من خالص مالي، فجعلتها بين المسلمين؟، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين!، ثم قال: أنشدكم اللَّه أتعلمون أن رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من يشتريها من خالص ماله، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين، وله خير منها في الجنة**»، فاشتريتها من خالص مالي؟، وأنتم تمنعوني أن أشرب

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن برقم (٣٧٠٢)، والبزار في المسند برقم (٧٢٨٦)، وابن المنذر في الأوسط برقم (٣١٨٤)، وابن شاهين في الكتاب اللطيف برقم (١١٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة برقم (١٠٣)، وحسنه الضياء المقدسي في المختارة برقم (٢٤٠٧)، وضعفه الشيخ الألباني في المشكاة (٦٠٦٥).

منها !، ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم. وقال الترمذي: حسن[١].

وله عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول اللّه عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللّه، ثم حض على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول اللّه عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللّه، ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللّه، فأنا رأيت رسول اللّه ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول: **«ما على عثمان ما عمل بعد هذا، ما على عثمان ما عمل بعد هذا»**[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٥١١)، والترمذي في السنن برقم (٣٧٠٣) وحسنه، والنسائي في الكبرى برقم (٣٦٠٨)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١٣٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٢٢٨٧)، وحسنه الضياء المقدسي في المختارة برقم (٣٢٢)، وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٤٥٧ أن هذا الخبر: جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٧٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٦٧٤٢)، وفي فضائل الصحابة برقم (٨٢٢)، والترمذي في السنن برقم (٤٠٦٥)، والطيالسي في المسند برقم (١٢٨٥) والشيباني في الآحاد والمثاني برقم (١٤١٩) وابن أبي عاصم في السنة برقم (١٢٨٠)، وعبد اللّه بن أحمد في فضائل عثمان بن عفان (١١٥)، وجود إسناده النووي في تهذيب الأسماء واللغات - (١ / ٤٥٦)، وضعفه الألباني في المشكاة (٦٠٦٣)، وبمعناه ويغني عنه حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) مرتين، الذي أخرجه الترمذي برقم (٣٧٠١) وحسنه، والحاكم في المستدرك برقم (٤٥٥٣) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي حديث رقم (٢٩٢٠) والمشكاة (٦٠٦٤).

وروى الترمذي في جامعه عن مرة البهزي رضي الله عنه قال: لولا حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ ما تكلمت، وذَكَرَ الفتنَ فقرَّبها، فمرَّ رجلٌ متقنِّع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال: «نعم» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1]، وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته، وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما وفي فضائله منفردا، ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

وكان الاعتداء على حياته رضي الله عنه[2]، يوم الجمعة، لثماني عشرة خلت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٨١٥٤)، وصححه لغيره محققه شعيب الأرناؤوط، والترمذي في سننه برقم (٣٧٠٤)، وابن ماجه برقم (١١١)، والحاكم في المستدرك (٤٥٥٢) وصححه، قال الهيثمي - في المجمع ٩/ ٨٩-: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٠٦٧).

(٢) ظلمًا وعدوانًا كما شهد به المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ فيما رواه أحمد وصححه الحافظ في الفتح ٧/ ٣٨: عن ابن عمر قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ فتنة فمر رجل فقال: (يُقتل فيها هذا يومئذ ظلمًا) قال: فنظرت فإذا هو عثمان، وكان مقتله على أيدي نفر من الفجار والأوباش الهلكى - عليهم من اللَّه ما يستحقون - ومقتله رضي الله عنه أول الفتن العظيمة التي بليت بها هذه الأمة، كما قال حذيفة رضي الله عنه: أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن الدجال، ودخل بعدها على المسلمين من الشر والتنازع ما كان بعيدا عنهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: (فاتفق المهاجرون والأنصار على تقديم عثمان بن عفان من غير رغبة بَذَلَهَا لهم ولا رهبة أخافهم بها، وبايعوه بأجمعهم طائعين غير كارهين، وجرى في آخر أيامه أسباب ظهر بالشر فيها على أهل العلم أهلُ الجهل والعدوان، وما زالوا يسعون في الفتن حتى قتل الخليفة مظلوما شهيدا بغير سبب يبيح=

= قتله، وهو صابر محتسب لم يقاتل مسلما، فلما قتل رضي الله عنه تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى فى الفتنة من كان عاجزا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته). الفتاوى الكبرى - (١ / ١٩٨)، وبعد مقتله رضي الله عنه ظهر التفرق في هذه الأمة ونبتت طوائف الزيغ والبدعة فيها وأظهرت من الأهواء والآراء المجانبة للحق والسنة ما لم يكن أحد يظن أنه يكون في هذه الأمة وحق فيها قوله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ٧ / ١٩٨ الأخبار في مقتل عثمان وفاجعة الصحابة بذلك قال: إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟ فجوابه من وجوه:

أحدها: أن كثيرًا منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، أو يقتلوه، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة، وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع، ولا أن هؤلاء يجترؤون عليه إلى ما هذا حده، حتى وقع ما وقع، والله أعلم.

الثاني: أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع التضييق الشديد عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك مما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية.

الثالث: أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم قبحهم الله وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

الرابع: أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة؛ لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف يضعه على حبوته إذا احتبى، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله عنه، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك،=

من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين.

* وأما عمره رضي الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة، والله أعلم.

خِلَافَةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه

٢٦٥) والرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ ... أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقَّ ذا الْقَدْرِ الْعَلِي

٢٦٦) مُبِيدُ كُلِّ خَارِجيٍّ مَارِقِ ... وَكُلِّ خِبٍّ رَافِضِيٍّ فَاسِقِ

٢٦٧) مَنْ كَانَ لِلرَّسُولِ في مَكَانِ ... هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلَا نُكْرَانِ

٢٦٨) لَا في نُبُوَّةٍ فَقَدْ قَدَّمْتُ مَا ... يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوْءِ ظَنٍّ سَلِمَا

(والرابع) في الفضل والخلافة (ابن عم) محمد ﷺ (خير الرسل) أكرمهم على الله ﷻ (أعني) بذلك (الإمام الحق) بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة (ذا) صاحب (القدر العلي) الرفيع، وهو أمير المؤمنين

= ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضي الله عنه لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجيء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى قتلوه، وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه، بل كلهم كرهه ومقته وسَبَّ من فعله، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر، كعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم. اهـ

قلت: وقد ساق خليفة بن خياط في تاريخه ١/ ١٧٦ بإسناده إلى عبد الأعلى بن الهيثم قال: حدثني أبي قال: قلت للحسن - أي البصري -: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟! قال: لا كانوا أعلاجًا من أهل مصر.

أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي اللّٰه عنه وأرضاه، كان أبو طالب عمُّ النبي ﷺ أخًا شقيقا لأبيه عبد اللّٰه، وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسولَ اللّٰه ﷺ بعد موت جده عبد المطلب، وهو ابن ثمان سنين، ولما بُعث آواه اللّٰه تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دين قومه، ولله في ذلك حكمة، وقد حرص النبي ﷺ على هداية عمه كل الحرص، ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه، وكفل النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه وهو صغير، فلما بُعث آمن به وهو ابن ثمان سنين.

وهو أول من آمن من الصبيان، وهو الذي فاداه بنفسه، فنام على فراشه ليلة مكر المشركين، وهو الذي برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر، وكان يقول: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة[1]، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتي، وهو صاحب عمرو بن ودٌّ وخيله يوم الخندق، وفتح اللّٰه على يديه يوم خيبر بعد قتلِهِ فارسَهم مرحب، وكان مع حُماة النبي ﷺ يوم أُحد، وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغا عن الرسول ﷺ في الموسم، وشريكه في هديه في حجة الوداع، وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيزه حين توفي، مع جماعة من أهل البيت رضي الله عنهم.

* وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول اللّٰه ﷺ وقولهم عليه ما لم يقل قبحهم اللّٰه.

---

(١) كما في صحيح البخاري برقم (٣٧٤٧).

(**مبيد**) أي مدمر (**كل خارجي**) نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا الاسم علما على الحرورية، الذين كفروا أهل القبلة والمعاصي، وحكموا بتخليدهم في النار بذلك، واستحلوا دماءهم وأموالهم، حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم، حتى علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وخباب وأقرانهم ﷺ، ثم صار هذا الاسم عاما لكل من اتبع مذهبهم الفاسد، وسلك طريقهم الخائبة، وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة، وهم لا يشعرون (**مارق**) اسم فاعل من المروق، وهو الخروج من جانب غير مقصودِ الخروجُ منه، وسُميَ الخوارج مارقة لقول النبي ﷺ فيهم: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، وقوله: «**تمرق مارقة**» الحديث[1].

ففي الصحيح عن أبي سعيد في قصة الذهبية، فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، نأتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتق اللَّه يا محمد، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فمن يطع اللَّه إن عصيته؟! أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!**»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**»، وفي لفظ: «**ثمود**»، وفي لفظ:

---

(١) يعني حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في صحيح مسلم برقم (٢٥٠٨) أن رسول اللَّه ﷺ قال: (تمرق مارقة عند فرقة بين المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين بالحق).

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول اللَّه ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، يُنظَرُ إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظَرُ إلى نَضِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء - وهو القِدْح -، ثم يُنظَرُ إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس**»، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك فالتُمس، فوُجد فأُتيَ به حتى نظرت إليه على نعت رسول اللَّه ﷺ الذي نعت[1].

والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٥١)، صحيح مسلم برقم (٢٤٩٩). (يمرقون) يخرجون منه سريعًا دون أن يستفيدوا منه. (الرمية) هو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه لشدة سرعة خروجه. (نصله) حديدة السهم. (نضيه) بفتح النون وكسر الضاد وتشديد الياء هو القدح وعود السهم. (قدحه) هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش. (قذذه) جمع قذة وهي واحدة الريش الذي يعلق على السهم. (قد سبق الفرث والدم) أي لم يتعلق به شيء منهما لشدة سرعته والفرث ما يجتمع في الكرش مما تأكله ذوات الكروش. (آيتهم) علامتهم. (البضعة) قطعة اللحم. (تدردر) تضطرب وتذهب وتجيء. (حين فرقة) أي زمن افتراق بينهم وفي رواية (على خير فرقة) أي أفضل طائفة. (نعت النبي) أي على وصفه الذي وصفه وحدده.

(و) مبيد (كل خِبٍّ رافضي فاسق) الخب الخدّاع الخائن، والرافضي نسبة إلى الرفض، وهو الترك بازدراء واستهانة، سُمُّوا بذلك لرفضهم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وزعموا أنهما ظَلما عليًّا، واغتصبوه الخلافة، ومنعوا فاطمة رضي الله عنها فِدك، وبذلك يحطُّون عليهما، ثم على عائشة، ثم على غيرها من الصحابة، وهم أقسام كثيرة لا كثرهم اللَّه تعالى.

* أعظمهم غلوًّا، وأسوؤهم قولًا، وأخبثهم اعتقادًا، بل وأخبث من اليهود والنصارى، هم السبيئة أتباع عبد اللَّه بن سبأ اليهودي -قبحه اللَّه-، كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية، كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام، وهم الذين أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس[1]، وكان كبيرهم عبداللَّه بن سبأ يهوديًا، ثم أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة.

* ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا علي، وهم النصيرية[2] الذين

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - كما في مجموع الفتاوى - (٣ / ٣٩٤): (وَهَؤُلَاءِ هُمْ «الزَّنَادِقَةُ» الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِالنَّارِ وَأَمَرَ بِأَخَادِيدَ خُدَّتْ لَهُمْ عِنْدَ بَابِ كِنْدَةَ وَقَذَفَهُمْ فِيهَا بَعْدَ أَنْ أَجَّلَهُمْ ثَلَاثًا لِيَتُوبُوا فَلَمَّا لَمْ يَتُوبُوا أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ وَاتَّفَقَتْ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم عَلَى قَتْلِهِمْ لَكِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كَانَ مَذْهَبُهُ أَنْ يُقْتَلُوا بِالسَّيْفِ بِلَا تَحْرِيقٍ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَقِصَّتُهُمْ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ).

(٢) جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. - (٨٩/ ١) تعريف النصيرية بأنهم: (حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجودًا إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهًا وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية) ثم ذكر أهم معتقداتهم والتي منها:
=

= جعل النصيرية عليًّا إلهًا، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.
لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناسًا لخلقه وعبيده.
يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطّئون من يلعنه.
يعتقد بعضهم أن عليًّا يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه.
يعتقدون أن عليًّا خلق محمد ﷺ، وأن محمدًا خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:
المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.
أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.
عبد اللَّه بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.
عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.
قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.
لهم ليلة يختلط فيهم الحابل بالنابل كشأن بعض الفرق الباطنية.
لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.
لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام !!.
لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا ـ نحن المسلمين ـ وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خُمس ما يملكون.
الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.
يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي اللَّه عنهم أجمعين.
يزعمون بأن للعقيدة باطنًا وظاهرًا وأنهم وحدهم العالمون ببواطن الأسرار.
القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي، وقد قام سلمان (تحت اسم جبريل) بتعليم القرآن لمحمد. =

= الصلاة: عبارة عن خمس أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، و(محسن) هذا هو(السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقْطٌ طرحته فاطمة، وذِكْرُ هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء).
يقولون بتناسخ الأرواح الذي يعني: إنكار البعث والحساب والجزاء والجنة والنار، فالروح التي تطهر تحل بالنجوم، والروح الشريرة تحل بالحيوانات النجسة وهذه نهايات البشر.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في جواب سؤال عن حقيقة مذهب هذه الطائفة التي تحكم بعض بلاد المسلمين في وقتنا الحاضر وللأسف كما في مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩):
(هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم؛ فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة؛ بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها، يدعون أنها علم الباطن...
فإنه ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه؛ إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها... ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين؛ كما قتلوا مرة الحُجاج وألقوهم في بئر زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى...
وصنف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام... =

= ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى؛ بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى- النصارى على ثغور المسلمين.

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذٍ بالسواحل وغيرها؛ فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره؛ فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام اللَّه ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل اللَّه تعالى؛ كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين وأتباعهما، وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم، وفتحوا أيضًا أرض مصر؛ فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مئتي سنة، واتفقوا هم والنصارى؛ فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام للديار المصرية والشامية.

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم؛ فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو «النصير الطوسي» كان وزيرًا لهم بالألموت، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء.

وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين؛ لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمد؛ صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين، ولا بشيء من كتب اللَّه المنزلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن، ولا يقرون بأن للعالم خالقًا خلقه، ولا بأن له دينًا أمر به، ولا أن له دارًا يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار، وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين، وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور، ويضمون إلى ذلك الرفض... وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين، وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين وإن كانوا لا يوافقونهم على أصل كفرهم...

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم، ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوج منهم امرأة، ولا تباح ذبائحهم... ولا يجوز دفنهم=

يقول شاعرهم الملعون قبحه الله:

أَشْـــــهَـــــدُ أن لا إلـــــه إلا حَـــيْـــدَرَة الأَنْزَع الـــبَـــطِـــيـــن
وَلَا سَـــبِـــيـــلَ إِلَـــيْـــهِ إِلَّا مُـــحَـــمَّـــد الـــصَّـــادِق الأَمِـــيـــن
وَلَا حِـــجَـــابَ عَـــلَـــيْـــهِ إِلَّا سَـــلْـــمَـــان ذُو الـــقُـــوَّة الـــمَـــتِـــيـــن

* ومنهم من يدعي فيه الرسالة، وأن جبريل خانها، فنزل بها على محمد ﷺ.

* ومنهم من يدعي فيه العصمة، ويرى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة، ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله[1].

= في مقابر المسلمين، ولا يُصلى على من مات منهم؛ فإن اللَّه ﷻ نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين؛ كعبد اللَّه بن أُبي ونحوه، وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الإسلام؛ لكن يسرون ذلك، فقال الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَروا بِاللهِ وَرَسولِهِ وماتوا وَهُمْ فاسِقونَ﴾؛ فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد؟!

(١) الشيعة الإمامية الإثنا عشرية سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، وأول من أطلق عليهم هذه التسمية هو الإمام زيد بن علي (لما طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين فأبى فرفضوه فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة، وهم تلك الفرقة الضالة الذين زعموا أن عليًّا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان -رضي اللَّه عنهم أجمعين- وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية في الدين وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم(وهم علي وأحد عشر من ذريته)، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي. =

= يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابًا في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات.

من أهم معتقداتهم:

* الإمامة: وأن النبي ﷺ نص على إمامة علي باسمه، وأن عليًا قد نص على ولديه الحسن والحسين.. وهكذا.. فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه. ويسمونهم الأوصياء.

* العصمة: تعتقد الشيعة الإمامية أن كل أئمتهم معصومون عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

* العلم اللدني: كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول ﷺ، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علمًا لدنيًا ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد استودعهم رسول الله ﷺأسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم على زعمهم.

* خوارق العادات: يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام، ويسمون ذلك معجزة، وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الإمام السابق عليه وجب أن يكون إثبات الإمامة في هذه الحالة بالخارقة.

* الغَيبة: يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلًا وشرعًا، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذا من أساطيرهم.

* الرجعة: يعتقدون أن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقف بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد قدموا مركبًا، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية. ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

* التقية: - وهي إظهار الشخص عكس ما يعتقد - ويعدونها أصلًا من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، =

= فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين اللَّه تعالى وعن دين الإمامية، وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له» وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير.

* المتعة: يرون بأن متعة النساء - وهي الزواج المشروط بمدة محدودة - خير العادات وأفضل القربات، وقد حرم الإسلام هذا، ولزواج المتعة آثاره الخطيرة على مجتمعاتهم تؤكد تحريمه.

* يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة: ويروي الكُليني في كتابه الكافي في صفحة ٥٧ طبعة ١٢٧٨هـ عن أبي بصير أي «جعفر الصادق»: «وإن عندنا لمصحف فاطمة ﷺ، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللَّه ما فيه حرف واحد من قرآنكم».

* البراءة: يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم - كما يزعمون - اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وكثير منهم يكفرون عامة الصحابة أو أغلبهم ويقولون بأنهم ارتدوا بعد رسول اللَّه ﷺ إلا نفرًا يسيرًا، كما أنهم يطعنون في عرض رسول اللَّه ﷺ وذلك باتهام أم المؤمنين عائشة ﵂ بما برأها اللَّه تعالى منه في كتابه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول على شاتم الرسول ٣/ ١٠٥٠: (فأما من سبَّ أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما براها اللَّه منه كَفَر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غيرُ واحد، وصرح غيرُ واحد من الأئمة بهذا الحكم).

* المغالاة في علي: بعضهم غالى في شخصية علي ﵁، والمغالون من الشيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد ﷺ، بدلًا من أن ينزل على علي لأن عليًا يشبه النبي ﷺ كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سموا بالغرابية.

* تقديس الأئمة: وذلك باعتقادهم عصمة الأئمة أولًا، وأن علمهم لدني، وأنهم يعلمون الغيب كله، بل انكشف لهم علم اللَّه على ما هو عليه، ولذلك اعتقد الإثنا عشرية أن الأئمة الإثنا عشر أفضل من الأنبياء والرسل، وأشركوهم مع اللَّه تعالى في=

* ومنهم من يدعي أنه رُفع إلى السماء، كما رُفع عيسى، وسينزل كما ينزل عيسى، وهم أصحاب الرجعة.

* ومنهم من يدعي أنه وصيُّ رسول اللَّه ﷺ بأمته، وأنه عَهد إليه بما

= العبادة، فبنوا عليهم المشاهد والقباب، ودعوهم مع اللَّه واستغاثوا بهم من دونه، وذبحوا لهم الذبائح، ونذروا لهم النذور، وقرروا هذا الشرك الأكبر في كتبهم، ومارسوه في حياتهم، حتى عرف فيهم ما أطلقوا عليه حج المشاهد، وجعلوا قصد المشاهد والحج والسفر إليها أفضل من حج بيت اللَّه الحرام الذي فرض اللَّه حجه على الناس.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٤٥) -: (ويعمرون المشاهد التي حرم اللَّه ورسوله بناءها ويجعلونها بمنزلة دور الأوثان. ومنهم من يجعل زيارتها كالحج كما صنف المفيد كتاب سماه مناسك حج المشاهد، وفيه من الكذب والشرك ما هو من جنس كذب النصارى وشركهم).

* ويعظمون عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، وبعضهم يقول: غسل يوم النيروز سُنة.

* لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول، وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقب لَقَّبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

* يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العشر الأول من شهر محرم معتقدين بأن ذلك قربة إلى اللَّه تعالى وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم، ومن يزورهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم.. فسيرَى من ذلك العجب العجاب.

تنتشر فرقة الاثنا عشرية من الإمامية الشيعية الآن في إيران وتتركز فيها، وينتشرون ويسعون للسيطرة الكاملة على العراق، ويمتد وجودهم إلى الباكستان وبعض دول إفريقيا كما أن لهم طائفة في لبنان. أما في سوريا فهناك طائفة قليلة منهم لكنهم على صلة وثيقة بالنُّصيْرية الذين هم من غلاة الشيعة.

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. - (٢٤ / ١) وغيرها من كتب الفرق والمذاهب.

لم يعهده إلى غيره، وبلغه ما كتمه الناس، وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة.

* وأما الزيدية الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن علي وأتباعه، فهؤلاء لا يشتمون الشيخين، ولا عائشة، ولا سائر العشرة، ولكنهم يفضِّلون عليًّا رضي الله عنه ويقدمونه في الخلافة، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم يسكتون عن عثمان رضي الله عنه، ويحطُّون على معاوية غفر اللَّه له، هذا الذي وقفنا في بعض رسائلهم، ثم رأيت في بعضها السكوت عن أبي بكر وعمر، فلا يذكرونهما بخير ولا شر، ولا بخلافة ولا غيرها، ثم يحصرون الخلافة في علي رضي الله عنه وذريته، ففرقة تدعي عصمتهم، وأخرى لا تدعي ذلك(١).

(١) قد يقع اللبس في تحقيق موقف الزيدية من الصحابة عمومًا ومن المشايخ الثلاثة - المتقدمين على عليٍ في الخلافة - خصوصًا، ويرجع ذلك إلى أن الزيدية ليسوا فرقة واحدة، بل فرق متعددة، غير أن الموقف العام الذي عليه العامة من علمائهم دائرٌ بين الترضي عنهم، والتوقف عن الترضي مع القول بالتخطئة لهم في تقدمهم على أمير المؤمنين في الخلافة وحسب، مع تأكيد أئمة الزيدية على أن ما يدَّعونه من تخطئة الصحابة في ذلك لا يزيل عدالتهم -رضوان اللَّه عليهم-، ولا يبيح سبَّهم والطعن والوقيعة فيهم، فضلًا عن القول بتكفيرهم، وفي ذلك يقول العلامة يحيى بن الحسين في الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى - مخطوط: (إنَّ أئمة أهل البيت كافة بين متوقف ومُرَضٍّ، لا يرى أحدٌ منهم السَّب للصحابة أصلًا، يَعرف ذلك مَنْ عرف. وإذا تقرر ما ذكرنا وعُرِفَت أقوال أئمة العلم الهداة عُلِمَ من ذلك بالضرورة - التي لا تنتفي بشكٍ ولا شبهة - إجماع أئمة الزيدية على تحريم سبِّ الصحابة، لتواتر ذلك عنهم، والعلم به، فما خَالَفَ مَا علم ضرورة لا يُعمَل به)، ويقول الإمام عبد اللَّه بن حمزة في العقد الثمين: حكم المتقدمين على أمير المؤمنين=

= عند الزيدية ٥٤.: (الظاهر المعلوم من ذرية الأئمة الطاهرين، والأئمة العلماء إلى يومنا هذا، عدم السب والبراءة، لا نجد أحدًا يحكي عنهم حكاية صحيحة لسب ولا براءة، بل وكلوا أمرهم إلى رب العالمين)، وعندما قرر الإمام ابن الوزير الصنعاني في الروض البسام (١ / ١٤٢) عدالة الصحابة عمومًا نقل مذهب الزيدية في ذلك فقال: (وأمّا الزّيدية: فقد ثبت عن كثير منهم ما يدل على ذلك كما سنذكره، من ذلك قول الإمام الكبير المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رضي الله عنه فإنّه قال في الرسالة الإمامية، في الجواب على المسائل التّهامية ما لفظه: (فأمّا ما ذكره المتكلّم حاكيًا عنّا من تضعيف آراء الصحابة، فعندنا أنّهم أشرف قدرًا، وأعلى أمرًا، وأرفع ذكرًا من أن تكون آراؤهم ضعيفة، أو موازينهم في الشّرف والدّين خفيفة. فلو كان ذلك، لما اتّبعوا رسول الله ﷺ، ومالوا عن إلف دين الآباء والأتراب والقرباء إلى أمر لم يسبق لهم به أُنس، ولم يسمع له ذكر، شاقّ على القلوب، ثقيل على النّفوس، فهم خير النّاس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، فرضي الله عنهم، وجزاهم عن الإسلام خيرًا) إلى قوله: (فهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة، ولم نكتم سواه تقيّة. وكيف وموجبها زائل! ومَن هو دوننا مكانة وقدرة يسبّ ويلعن، ويذمّ ويطعن، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء، وهذا ما يقضي به علم آبائنا منّا إلى علي - عليه السلام) إلى قوله: (وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء بسبّ الصّحابة رضي الله عنهم والبراءة منهم فتبرّأ من رسول الله ﷺ من حيث لا يعلم). انتهى ما أردنا نقله من كلام المنصور بالله، وما فيه من نسبة مذهبه هذا إلى جميع آبائه رضي الله عنهم.

وفي كلامات المؤيد بالله يحيى بن حمزة رضي الله عنه في الذّبّ عن الصّحابة والثّناء عليهم، ما هو أكثر من هذا، ولكن لم يحضرني تأليفه فأنقل ألفاظه في ذلك، وقد أفرد الكلام في ذلك وجوّده في كتابه التحقيق، وانتصر للذّبّ عن الصّحابة غاية الانتصار، وذكر مثل ذلك في كتابيه: الشامل والانتصار، وأمّا المنصور بالله فله في ذلك كلامات مختلفة، في أماكن من كتبه متفرقة. من ذلك كلامه في كتاب هداية المسترشدين). اهـ كلام ابن الوزير.

ويقول الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني في المعراج شرح المنهاج - مخطوط: (لو قيل لواحد ممن يدعي بزعمه كفرًا أو فسقًا في حقهم: أرني نصًا من=

= جهة الأئمة صريحًا أنه يتبرأ فيه من الشيخين؟ لم يمكنه ذلك). قال في حواشي الفصول: (ما أعلم أن أحدًا من العترة يسب الصحابة، ومن قال ذلك فقد كذب)، وقال الإمام عبد اللَّه بن حمزة: (ولا يمكن أحدًا أن يصحح دعواه على أحد من سلفنا الصالح أنهم نالوا من المشايخ أو سبوهم، بل يعتقدون فيهم قبل إحداث الأحداث أنهم خير خلق اللَّه بعد محمد وعلي وفاطمة وولديهما -صلوات اللَّه عليهم- ويقولون قد أخطؤوا في التقدم على علي عليه السلام وعصوا بذلك معصية لا يعلم قدرها إلا اللَّه سبحانه، والخطأ لا يبرأ منه إلا اللَّه سبحانه، وقد عصى آدم ربه فغوى، فإن حاسبهم فبذنب فعلوه وإن عفا عنهم؛ فهو أهل العفو، وهم مستحقون لحميد سوابقهم) كما في الترجمان لابن المظفر - ٨١.

وقال أيضًا: (وهم (يعني الزيدية) لا يسبون الصحابة ولا يفسقونهم، وإنما يخطئونهم في ترك الاستدلال، والإخلال بالنظر في النصوص الموجبة إمامة علي عليه السلام، ويعيبون أفعالهم من دون كلام قبيح، ولا يمكن أحدًا أن يدعي على أحد من أئمة الهدى دعوى صحيحة بأنه سب أو آذى، وهذا منهاج علي عليه السلام، فإنه كان في خطبه وأثناء محاوراته يشكو من القوم تقدمهم، وأنه أولى بالأمر منهم).

وردًا على من زعم أن الزيدية يحكمون بضلال الذين تقدموا على الإمام علي، وأنهم كانوا سبب القتل بين أمة النبي ﷺ قال الإمام عبد اللَّه بن حمزة: (إن هذه الدعوى على الزيدية غير صحيحة، ولا مستمرة، لأنها - أي الزيدية -لا تزعم في أصحاب رسول اللَّه ﷺ أنهم ضلوا وأضلوا، فكيف يعتقدون ذلك فيهم وهم خيار الأمة؟! وبهم أعز اللَّه دينه، ونصر نبيه ﷺ، وهم حماة شرع الإسلام، وبدور الظلام، فجزاهم اللَّه عنّا وعن الإسلام خيرًا، وما سبب القتل والقتال بين الأمة إلا الشيطان، واتباع الهوى، وغلبة حب الدنيا، واللَّه ورسوله والصالحون من أمته وهم صحابته رضي الله عنهم من ذلك أبرياء)كما في الأجوبة الشافية عن المسائل المتنافية.

وقال الإمام يحيى بن حمزة: (إن أحدًا من الأئمة وأكابر العترة لم ينقل عنه إكفار ولا تفسيق كما شرحناه أولًا ونقلناه) التحقيق في الإكفار والتفسيق - مخطوط.

وقال: (فأمَّا القول بالتكفير والتفسيق في حق الصَّحابة، فلم يؤثر عن أحدٍ من أكابر أهل البيت عليهم السلام، وأفاضلهم كما حكيناه وقررناه وهو مردود على ناقله) كما في إرشاد=

= الغبي مخطوط.
وقال الإمام عز الدين بن الحسن: (أما أكثر أئمتنا وعلمائنا فالظاهر عنهم القول بعدم التفسيق - يعني لمن نفى إمامة الإمام - ولهذا نُقِلَ عنهم حسن الثناء على المشايخ المتقدمين على أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلامُ، والترضية عنهم والتعظيم العظيم لهم»(جواب في مسألة الإمامة).
والنيل من الصحابة بعد ذلك لا يعدو أن يكون مذهبًا لفرقة من فرق الزيدية وهي فرقة الجارودية دون غيرهم من عامة الزيدية، ولأجل ذلك فقد حرص علماء الزيدية على تمييز موقف الجارودية عن موقف سائر الزيدية، وبينوا أن الجارودية يعتمدون في الدرجة الأولى على ما جاء في كتب الإمامية، مباشرة أو بواسطة، ثم يتأولون بعض النصوص في ضوئها.
فهذا علي بن الحسين الزيدي في المحيط بالإمامة نسب إلى الجارودية ما نزه عنه سائر الزيدية، فقال: (ذهبت الجارودية إلى التبرؤ من القوم). واعتبر الإمام عبد اللّه بن حمزة الطعن والسب مما اختصت به الجارودية دون السلف من أهل البيت، حيث حكى عنه السيد حميدان أن: (أكثر ما نُقل وصح عن السلف فهو ما قلنا - من التوقف - على تلفيق واجتهاد، وإن كان الطعن والسب من بعض الجارودية ظاهرا). أما الإمام يحيى بن حمزة فأورد روايات عن الإمام زيد والباقر والصادق في الثناء على أبي بكر وعمر، ثم قال: (وهذا هو المعتمد عليه عند أكابر أهل البيت.. فأين هذا عن هذيان الروافض والجارودية؟ فاللّه حسبهم فيما قالوه، ومكافؤهم على ما نقلوه وكذبوه)!!
وأكد في الرسالة الوازعة: (أنهم -أي: الجارودية- مختصون من بين سائر الفرق الزيدية بالتخطئة للصحابة وتفسيقهم، وقد نُقل عن بعضهم إكفار بعض الصحابة، واللّه حسبهم فيما زعموه واعتقدوه وهو لهم بالمرصاد، وهذه المقالة لا تنسب إلى أحد من أكابر أهل البيت وعلمائهم وأئمتهم.. وعلى الجملة فهذه فرية ليس فيها مرية، ونحن نبرأ إلى اللّه من هذه المقالة وليس علينا إلا إظهار الحجة وبيان وجه المحجة، فمن اهتدى فلنفسه وذلك هو المتوجه علينا).
وقال العلامة القرشي في المنهاج: (اعلم أن فيمن يدعي حب أهل البيت قوما يركبون في حق الصحابة خطرا عظيما، وضلالا بعيدا، فتارة يكفرون وتارة يفسقون، ولعل=

* والمقصود: أنهم فرق كثيرة، متفاوتون في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم، وأخفهم بدعة الزيدية، هذا في شأن أهل البيت طهرهم اللَّه تعالى، وأما في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فالمشهور من غالبهم الاعتزال، وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ باللَّه .

* هذا وقد قال علي رضي الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما في الصحيح وفي كتاب السنة عن علقمة في خطبة علي رضي الله عنه على منبر الكوفة:

= المزري عليهم لو نظر في حال نفسه بعين الإنصاف لوجدها لا تساوي أثر نعالهم، = = ولرأى فيها قصورا عن مراتبهم في العلم والعمل، وكيف وقد أثنى اللَّه عليهم ورسوله، وبشرهم بالجنة، مع ما لهم من السابقة في الإسلام والجهاد في سبيل اللَّه، والصبر على الشدائد، وإحياء معالم الدين).

وذكر العلامة الديلمي أن الجارودية ربما أخذوا موقفهم من الصحابة عن الإمامية، فقال: (فأما من طعن على الصحابة ممن يسبهم ويتسمى بالزيدية، فقد أخطأ الخطأ العظيم، وجاوز في أمره الصراط المستقيم، ولعل ذلك كان منه لما سمع به من خرافات الرافضة، من الإمامية وغيرهم من الباطنية الإسماعيلية، ولا يغتر مسلم عاقل بشيء من ذلك). وبين العلامة الدواري في تعليق الشرح أن القول بتفسيق المتقدمين على علي أشهر الروايات عن الجارودية، قال وإليه ذهب بعض الإمامية. وقال العلامة أحمد بن يحيى حابس في شرح الثلاثين: (تتفق رواية أصحابنا عنهم -الجارودية- أنهم يفسقون المشايخ). وأوضح العلامة يحيى بن الحسين في المستطاب بعد أن نسب البراءة من الشيخين إلى الجارودية: (أن أتباع أبي الجارود اختلفوا فمنهم من قال بمقالته من الزيدية وقد انقرضوا، ومنهم من يتوقف فلا يقول بترضية ولا سب). وذكر العلامة إسحاق بن محمد العبدي في الاحتراس: (أن مذهب الزيدية واحد في حق الشيخين، ولم يخالف في ذلك إلا أبا الجارود، حين ذهب إلى أن الناس في إنكار تلك النصوص بين مقصر فاسق ومكابر كافر).

(ألا إنه بلغني أن قومًا يفضلونني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم، من قال شيئًا من ذلك فهو مفتر، عليه ما على المفتري، وخير الناس كان بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم أحدثْنا بعدهم أحداثا يقضي اللَّه فيها ما شاء[1].

وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى، لأنه -رضي اللَّه عنه وكرم اللَّه وجهه- كان يجهر به، ويظهره في المحافل وعلى المنابر، ويذم الرافضة كثيرا، وقد جلد من قيل له إنه تكلم في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، جَلَدَه مائة، وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضي الله عنه.

(من كان) بمعنى صار (للرسول مكان) أي منزلة (هارون من موسى) عليه السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارون في مدة الميعاد، ومحمد ﷺ استخلف عليًّا في غزوة تبوك، ففي الصحيحين من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا رضي الله عنه، فقال: أتُخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبى بعدي**»[2]، وهذا الاستثناء يخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط، لا في النبوة، كمشاركة هارون لموسى فيها، ولهذا قلنا في المتن (لا في نبوة) لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهم ذلك (فقد قدمت) في فصل

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٤٨٤)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٩٩٣)، وابن شاهين في الكتاب اللطيف برقم (١٩٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في فضائل الخلفاء الراشدين (١٦٩)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٩٩٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٥٤)، صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

النبوة (ما يكفي) في هذا الباب (لمن مِن سوء ظن) بأخيه المسلم (سلما) وهو قولي (وكل من من بعده قد ادعى نبوة فكاذب فيما ادعى) وما بعده .

ففي البخاري عن ابن سيرين عن عَبيدة عن علي رضي الله عنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي، فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يُروى عن علي رضي الله عنه الكذب[1].

* قلت: وأكثر ما يكذب على عليٍّ رضي الله عنه الرافضة، الذين يدَّعون مشايعته، ونشر فضائله، ومثالب غيره من الصحابة، فيُسندون ذلك إليه رضي الله عنه، وهو بريء منهم، وهم أعدى عدو له، وفي فضائله رضي الله عنه من الأحاديث الصحاح ما يُغني عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها .

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟[2]،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٠٤).

(٢) يقول النووي رحمه الله في شرحه على مسلم ١٥/ ١٧٥: (فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدًا بسبِّه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعا أو خوفا أو غير ذلك؟ فإن كان تورعًا وإجلالًا له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدًا قد كان في طائفة يسُبُّون فلم يسبَّ معهم، وعجز عن الإنكار، وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلًا آخر: أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حُسن رأينا واجتهادنا، وأنه اخطأ).

فقال: أمَّا ما ذكرت فثلاثٌ قالهن رسول اللَّه ﷺ، لَأَنْ تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حُمر النَّعَم، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول له - وقد خلفه في مغازيه - فقال له علي رضي الله عنه: يا رسول اللَّه خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي»**(١)، وسمعته يقول - يوم خيبر -: **«لأُعطين الرايةَ رجلًا يُحب اللهَ ورسولَه»**(٢)، قال: فتطاولنا لها، قال: **«ادعوا لي عليًا»**، فأُتيَ به أَرْمد، فبصق في عينيه، ودفع إليه الراية ليلة فتح اللَّه عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسولُ اللَّه ﷺ عليًّا وفاطمة وحسَنًا وحُسينًا، فقال: **«اللهم هؤلاء أهلي»**(٣).

وفي صحيح مسلم عن زر قال: قال علي رضي الله عنه: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسمة إنه لعَهَد النبي ﷺ إليَّ: **«أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»**(٤).

والأحاديث في فضله كثيرةٌ جدًا، وقد تقدم الحديث في الإشارة إلى خلافته رضي الله عنه في رؤيا الرجل الصالح الدلو التى شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم جاء عليٌ وأخذ بعراقيها، فانتشطت وانتضح عليه منها شيء(٥)، وكان تأويل ذلك ما أصابه رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه، والفتن

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.
(٢) وأخرجه - أيضًا - البخاري في صحيحه في مواضع برقم (٢٨١٢، ٢٨٤٧، ٣٤٩٩).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).
(٤) صحيح مسلم برقم (٧٨).
(٥) يشير المؤلف إلى حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: (أن رجلا قال: يا رسول اللَّه إني رأيت - فيما يرى النائم - كأن دلوًا دُلّيتْ من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيَها=

الهائلة، والدماء المهرقة، والأمور الصعاب، والأسلحة المسلولة بين المسلمين، بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان، وكان غالبُهم منافقين، وقليل منهم من أبناء الصحابة مغرورون، فحصل من ذلك في يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها.

* **فأما وقعة الجمل**: فكانت بحمص فعْل السبئية - قبحهم اللَّه تعالى - ، ليس باختيار علي رضي الله عنه، ولا طلحة ولا الزبير، ولا أم المؤمنين رضي الله عنها، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة، فتواطأ أهل الفتنة، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين، ويُنشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس، فثار الناس من نومهم إلى السلاح، فلم يشعر أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلا بالرؤوس تندر، والمعاصم تتطاير، ما يدرون ما الأمر، حتى عقر الجمل، وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* **وأما في قتاله أهل الشام**: فكانوا هم مع معاوية، وكان هو رضي الله عنه متأولا، يطلب بدم عثمان، ويرى أنه وليه، وأن قَتَلَته في جيش عليٍّ، فكان معذورًا في خطئه بذلك، وأما عليٌ رضي الله عنه فكان مجتهدًا مصيبًا، وفالجًا مُحقًّا، يريد جمع كلمة الأمة، حتى إذا كانوا جماعة، وخمدت الفتن، وطفئت نارها، أخذ بالحق من قتلة عثمان، وكان رضي الله عنه أعلمَ بكتاب اللَّه

= فشرب شربا، ثم جاء عُمَر فأخذ بعراقَيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فشرب حتى تضلع، ثم جاء آخر فأخذ بعراقيها فانتشطت فانتضح عليه ولم يشرب)، رواه أحمد في المسند برقم (٢٠٢٥٥) وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، وأبو داود في سننه برقم (٤٦٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١١٤١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٧٣): رواه أحمد ورجاله ثقات.

من المطالبين بدم عثمان، وذلك الذي حملهم على ما فعلوه يوم الجمل، فكان أهلُ الشام بغاة، اجتهدوا فأخطئوا، وعليٌّ رضي الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحق، ويفيئوا إلى أمر الله[1]، ولهذا كان أهلُ بدر - الموجودون على وجه

(١) حقق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قول أهل السنة والحديث في قتال علي رضي الله عنه لأهل الشام في صفين، وبين أنه لم يكن قتالًا مشروعًا بل كان قتال فتنة، كما حقق موقف الصحابة من ذلك في مواضع من كتابه منهاج السنة النبوية فقال - رحمه الله تعالى - (١ / ٣٧١): (النبي ﷺ أخبر أن محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة، وهو ممن اعتزل في القتال، فلم يقاتل لا مع علي ولا مع معاوية، كما اعتزل سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وأبو بكرة، وعمران بن حصين، وأكثر السابقين الأولين، وهذا يدل على أنه ليس هناك قتال واجب ولا مستحب، إذ لو كان كذلك لم يكن ترك ذلك مما يُمدح به الرجل، بل كان مَن فعل الواجب أو المستحب أفضل ممن تركه، ودلَّ ذلك على أن القتال قتالُ فتنة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺأنه قال: (ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي خير من الموضع)، وأمثال ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تبين أن ترك القتال كان خيرًا من فعله من الجانبين، وعلى هذا جمهور أئمة أهل الحديث والسنة، وهذا مذهب مالك والثوري وأحمد وغيرهم).، ويقول رحمه الله (١ / ٣٦٩): (والمنصوص عن أحمد وأئمة السلف أنه لا يُذم أحدٌ منهم، وأن عليًّا أولى بالحق من غيره، أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة، بل هم يقولون إن تركه كان أولى)، ويقول رحمه الله بعد استعراضه أقوال الناس في ذلك - (٤ / ٢٥٨): (ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيرا للطائفتين، فليس في الاقتتال صوابٌ، ولكنْ عليٌّ كان أقربَ إلى الحق من معاوية، والقتال قتال فتنة، ليس بواجب ولا مستحب، وكان ترك القتال خيرا للطائفتين، مع أن عليًّا كان أولى بالحق، وهذا هو قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة، وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن=

= مسلمة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأكثر من بقي من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ)، ويؤكد ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ (٤ / ٢٩٣) فيقول: (وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة، وليس فيه أمرٌ من اللَّه ورسوله، ولا إجماعٌ من الصحابة، وأهل صفين لم يبدؤوا عليًّا بالقتال، والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع: هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في القرآن، أو هو قتال فتنة القاعد فيه خير من القائم؟ فالقاعدون من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم يقولون هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القرآن، فإن اللَّه لم يأمر بقتال المؤمنين البغاة ابتداءً لمجرد بغيهم، بل إنما أمر - إذا اقتتل المؤمنون - بالإصلاح بينهم، فمتى كانت طائفةٌ باغية ولم تقاتِل لم يكن في الآية أمرٌ بقتالها، وحينئذ فأصحاب معاوية إن كانوا قد بغوا قبل القتال لكونهم لم يبايعوا عليًّا فليس في الآية الأمر بقتال مَن بغى ولم يقاتل، وإن كان بغيهم بعد الاقتتال والإصلاح وجب قتالهم لكن هذا لم يوجد، فإن أحدا لم يصلح بينهما، ولهذا قالت عائشة ﷺ: هذه الآية ترك الناس العمل بها يعني إذ ذاك، وفي الجملة فالبحث في هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم).

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ (٥ / ١٠٠): (وأما قتال الجمل وصفين فكان قتال فتنة كرهه فضلاء الصحابة والتابعين له بإحسان وسائر العلماء كما دلت عليه النصوص حتى الذين حضروه كانوا كارهين له فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده).

ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ (٨ / ١٦٤): (ومذهب أكثر العلماء أن قتال البغاة لا يجوز إلا أن يبتدؤوا الإمام بالقتال كما فعلت الخوارج مع علي، فإن قتاله الخوارج متفق عليه بين العلماء ثابت بالأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، بخلاف قتال صفين فإن أولئك لم يبتدؤوا بقتال، بل امتنعوا عن مبايعته، ولهذا كان أئمة السنة كمالك وأحمد وغيرهما يقولون: إن قتاله للخوارج مأمور به وأما قتال الجمل وصفين فهو قتال فتنة، ولهذا كان علماء الأمصار على أن القتال كان قتال فتنة، وكان من قعد عنه أفضل ممن قاتل فيه، وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة والأوزاعي بل والثوري ومن لا يحصى عدده).

ويقول (٨ / ٣٧٨): (والذي عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفين لم يكن من القتال المأمور به، وأن تركه أفضل من الدخول فيه، بل عدُّوه قتال فتنة، =

= وعلى هذا جمهور أهل الحديث، وجمهور أئمة الفقهاء، فمذهب أبي حنيفة فيما ذكره القدوري أنه لا يجوز قتال البغاة إلا أن يبدؤوا بالقتال، وأهل صفين لم يبدؤوا عليًّا بقتال، وكذلك مذهب أعيان فقهاء المدينة والشام والبصرة وأعيان فقهاء الحديث كمالك وأيوب والأوزاعي وأحمد وغيرهم أنه لم يكن مأمورا به، وأن تركه كان خيرا من فعله، وهو قول جمهور أئمة السنة كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا الباب).

ويقول في كتاب الاستقامة - (١ / ٣٢): (ولهذا نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة وكان ذلك من أصول السنة وهذا مذهب أهل السنة والحديث وأئمة أهل المدينة من فقهائهم وغيرهم، ومن الفقهاء من ذهب إلى أن ذلك يكون مع وجود العلم التام من أحدهما والبغي من الآخر فيجب القتال مع العادل حينئذ، وعلى هذا الفتنة الكبرى بين أهل الشام والعراق هل كان الأصوبُ حالَ القاعدين أو حالَ المقاتلين من أهل العراق؟ والنصوص دلت على الأول، وقالوا: كان تركُ قتال أهل العراق أصوبُ، وإن كانوا أقربَ إلى الحق وأولى به من الشام إذ ذاك.. وإذا وصف النبي ﷺ طائفة بأنها باغية سواء كان ذلك بتأويل أو بغير تأويل لم يكن مجرد ذلك موجبًا لقتالها ولا مبيحًا لذلك إذ كان قتال فتنة.. فتدبر هذا فإنه موضع عظيم يظهر فيه الجمع بين النصوص، ولأنه الموضع الذي اختلف فيه اجتهاد علماء المؤمنين قديما وحديثا، حيث رأى قوم قتال هؤلاء مع من هو أولى بالحق منهم، ورأى آخرون ترك القتال إذا كان القتال فيه من الشر أعظم من ترك القتال كما كان الواقع، فإن أولئك كانوا لا يبدأون البغاةَ بقتال حتى يجعلوهم صائلين عليهم، وإنما يكون ذنبُهم تركَ واجب مثل الامتناع من طاعةِ معينٍ والدخول في الجماعة، فهذه الفِرقةُ إذا كانت باغية وفي قتالهم من الشر كما وقع أعظمُ من مجرد الاقتصار على ذلك كان القتال فتنة، وكان تركه هو المشروع وإن كان المقاتل أولى بالحق وهو مجتهد).

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى - (٣٥/ ٥٥): (وأما أهل الجمل وصفين فكانت منهم طائفة قاتلت من هذا الجانب، وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا لا من هذا الجانب ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة).

الأرض - كلُّهم في جيشه، وعمار قُتل معه رضي الله عنه، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد - في بناء المسجد - فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه، ويقول: «**ويحَ عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**»(١) قال: يقول عمار: أعوذ باللَّه من الفتن(٢)، فقتله أهلُ الشام، مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق ﷺ، وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف، وإلى طاعة الإمام، التي هي من أسباب دخول الجنة، ويدعونه إلى الفتنة والفرقة، التي هي من أسباب دخول النار، وكان عليٌّ رضي الله عنه أسعدَ منهم وأولاهم بالحق، لقتله الخوارج بالنهروان، وقد قال النبي ﷺ: «**تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»(٣).

* وكان رضي الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة، والتمسك بكتاب اللَّه، وهدى محمد ﷺ، مجتهدا في جمع شمل الأمة، وإطفاء الفتن، والتذفيف على أهل البدع، حتى اعتدى على حياته رضي الله عنه الشقيُّ ابن ملجم الخارجي - قبحة اللَّه -، وقد فعل ذلك يوم الجمعة، في وقت

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري (١ / ٥٤٢) توضيحًا لقوله ﷺ: (ويدعونه إلى النار): فإن قيل: كان قتله بصفين، وهو مع عليٍّ، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ ! فالجواب: أنهم كانوا ظانِّين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون، لا لوم عليهم في أتباع ظنونهم.

(٢) حديث أبي سعيد أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه برقم (٤٣٦)، وأخرجه مسلم مختصرًا برقم (٢٩١٥) ولفظه: (بؤس ابن سمية، تقتلك فئةٌ باغيةٌ).

(٣) سبق تخريجه.

الفجر، وهو يقول: الصلاة الصلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت.

* وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان، سنة أربعين، عن ثلاث وستين سنة.

* فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال.

* وهو يومئذ أفضلُ مَن على وجه الأرض بالإجماع، وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن - مولى رسول اللَّه ﷺ - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الخلافة ثلاثون سنة، ثم تكون بعد ذلك ملكًا**»، قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر، وعشر عمر، واثنتي عشرة عثمان، وست علي رضي اللَّه عنهم أجمعين[1].

* وأيام كلٍّ منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه، وهي ستة أشهر، ثم أصلح اللَّه به الفئتين من المسلمين، كما أخبر النبي ﷺ، ووليَ معاويةُ بذلك، واجتمع الناس عليه، وكان ذلك العام يُسمى عامَ الجماعة.

* وكان معاوية رضي الله عنه أولَ ملوك الإسلام وخيرهم.

ولأحمد عن علي رضي الله عنه قال: ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي،

(١) أخرجه - بهذا اللفظ - الإمامُ أحمد في المسند برقم (٢١٩٦٩)، وحسنه محققه شعيب الأرناؤوط، وفي فضائل الصحابة برقم (٧٨٩)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١١٨١) وصححه الشيخ الألباني في تخريجه لها، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٦٤٦)، والترمذي في السنن برقم (٢٢٢٦)، النسائي في الكبرى برقم (٨١٥٥) بألفاظ مقاربة.

وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي(١).

وله عن الشعبي عن علقمة قال: أتدري ما مَثَل علي في هذه الأمة؟ قال: قلت: وما مثله؟ قال: مثله كمثل ابن مريم، أحبَّه قوم حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه.

وكان رضي الله عنه يُخبر أصحابَه بولايةِ معاويةَ رضي الله عنه ويقولُ: (لا تكرهوا إمارةَ معاويةَ، والذي نفسي بيدهِ ما بينكمْ وبينَ أن تنظروا إلى جماجمِ الرجالِ تَنْدُرُ عن كَوَاهِلِهِمْ كأنها الْحَنْظَلُ إلا أنْ يُفارقكمْ معاويةُ).

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: لا أعلم أحدًا يُحفظ له من الفضائل في الأحاديث الصحاح ما يُحفظ لعلي رضي الله عنه، وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

مَنَاقِبُ السِّتَّةِ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ رضي الله عنهم

٢٦٩) فَالسِّتَّةُ الْمُكَمِّلُونَ الْعَشَرَهْ وَسَائِرُ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ

فيَليهم في الفضل (الستة المكملون) عدد (العشرة) المشهود لهم بالجنة.

كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم (٩٥٢)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٢٧٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٩٨٣)، وصححه الألباني في الظلال. وبمعناه ما أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٩٨٤) وحسنه الشيخ الألباني في ظلال الجنة عن أبي حيرة قال: سمعت عليًّا يقول: يهلك فيَّ رجلان: مفرط في حبي، ومفرط في بغضي.

رجلٌ عليًّا عليه السلام، فقام سعيد بن زيد فقال: أشهد على رسول اللَّه ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد رضي الله عنه[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة.

وفي الصحيح عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ -يوم الأحزاب-: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**»، فقال الزبير: أنا، ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «**إن لكل نبي حواريًّا، وحواريَّ الزبير**»[2].

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد**» زاد في

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٦٤٩)، والترمذي في السنن برقم (٤١١٤) وقال الترمذي: وسمعت محمدًا - أي البخاري - يقول: هو أصح من الحديث الأول أي حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨١٩٥)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩٠٣) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٤٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٧)، صحيح مسلم برقم (٢٤١٥).

رواية: «وسعد بن أبي وقاص»[١].

وعن عبد اللَّه بن شداد قال: سمعت عليًا يقول: ما جمع رسول اللَّه ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له - يوم أحد -: «ارم فداك أبي وأمي»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا - أيتها الأمة - أبو عبيدة بن الجراح**»[٣].

وروى ابن اسحاق في قصة خالد مع بني جَذيمة فقال له عبد الرحمن: عملتَ بأمر الجاهلية في الإسلام، فقال: إنما ثأرتَ بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبتَ قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنك ثأرتَ بعمِّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسولَ اللَّه ﷺ، فقال: «**مهلًا يا خالد، دع عنك أصحابي، فواللَّه لو كان لك أُحدٌ ذهبًا، ثم أنفقته في سبيل اللَّه، ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته**»[٤]. (وسائر

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٤٩)، صحيح مسلم برقم (٢٤١١).

(٣) صحيح البخاري(٣٥٣٤)، صحيح مسلم (٢٤١٩)، والأربعة عدا أبي داود.

(٤) الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٦٦، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٦٦٥٢) مختصرا هكذا: عن أبي سَعِيدٍ قال: كان بين خَالِدِ بن الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عبد الرحمن بن عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا من أَصْحَابِي، فإن أَحَدَكُمْ لو أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ**». وروى البخاري في صحيحه برقم (٣٦٧٣) بلفظ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ) دون ذكر سببه.

الصحب) بقيتهم (الكرام البررة) الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم اللَّه تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه .

* ثم هم على مراتب : أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين ، ثم من الأنصار ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أُحد ، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق ، ثم بيعة الرضوان ، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد اللَّه الحسنى .

أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَبَقِيَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ

٢٧٠) وأهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الأطْهَارُ وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخْيَارُ
٢٧١) فَكُلُّهُمْ في مُحْكَمِ القُرْءَانِ أَثْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الأكْوَانِ
٢٧٢) في الفَتْحِ والْحَدِيدِ والْقِتَالِ وَالْحَشْرِ وَالتَّوْبَةِ وَالأَنْفَالِ
٢٧٣) كَذَاكَ في التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
٢٧٤) وذِكْرُهُمْ في سُنَّةِ الْمُخْتَارِ قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطَارِ

(وأهل بيت) الرسول محمد ﷺ (المصطفى) معناه المختار ، اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل ، وهن زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين ، كما قال اللَّه تعالى فيهن : ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦] ، وقال اللَّه تعالى فيهن : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣- ٣٤] .

١) فمنهن خديجة أمُّ المؤمنين الصِّدِّيقة الأولى ، التي هي أول من

صدقه ﷺ فيما بُعث به على الإطلاق قبل كل أحد ﵂، وقرأ جبريل عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب ولا وصب[١]، ومازالت تُؤويه، وتسكّن جأشه، وتعاضده بالنفس والمال حتى توفاها الله ﷻ.

٢) وعائشة ﵂ الصدِّيقةُ بنت الصديق، حبيبة حبيب الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سموات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان، التي كان ينزل الوحي عليه وهو في حجرها، وتوفي في حجرها، وقد خلط ريقها بريقه ﷺ في آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة، ودفن في حجرتها[٢]، وكانت من أفقه الصحابة في الحديث

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٣٦٠٩)، وصحيح مسلم (٢٤٣٢) من حديث عن أبي هريرة ﵁ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب، وأخرجاه أيضًا من حديث عائشة وعبد الله بن أبي أوفى ﵄.

(٢) أخرج أبو يعلى في مسنده برقم (٤٦٢٦) والآجري في الشريعة برقم (١٧٩٥) عن عائشة أنها قالت: (لقد أعطيت تسعًا ما أُعطيتها امرأةٌ إلا مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرا غيري، ولقد قُبض ورأسه لفي حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلقت طيبة، وعند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما) قال الحافظ الذهبي في السير(٢ / ١٤١): وإسناده جيد.

والتفسير وغير ذلك، حتى كان الأكابر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونها عن أشياء كثيرة، فيجدون منها عندها علما، لاسيما ما قاله الرسول اللَّه ﷺ أو فعله في الحضر، أقرأها جبريل السلام -أيضًا- كما أقرأه على خديجة.

٣) ومنهن أم سلمة رضي الله عنها ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ثم تزوجها نبي اللَّه ﷺ بعد وفاة زوجها رضي الله عنه، وقد رأت جبريل عند النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة رضي الله عنه[١].

٤) ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجه اللَّه إياها من فوق سبع سموات، وهي أطولهن يدًا، لإنفاقها من كسب يدها، وأسرعهن لحوقا به ﷺ[٢]، وبسببها نزل الحجاب[٣].

٥) وصفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران رسول اللَّه وأخي رسوله موسى الكليم عليه السلام.

٦) وجويرية بنت الحارث مَلِك بني المصطلق، التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها.

---

(١) فيما رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٣٥)، ومسلم برقم (٢٤٥١).

(٢) أخرج البخاري في الصحيح (١٣٥٤) عن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ أينا أسرع بك لحوقًا؟ قال: «أطولكن يدا فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعدُ أنما كانت طولُ يدها الصدقةَ، وكانت أسرعنا لحوقًا به زينب، وكانت تحب الصدقة. وفي مسلم (٢٤٥٢) عنها رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: (أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدا)، قالت: فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

(٣) كما في صحيح البخاري برقم (٤٥١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢٨).

٧) وسودة بنت زمعة التي كانت - أيضًا - من أسباب الحجاب[١]، ولما كبرت اختارت نبي اللَّه ﷺ أن تبقى في عصمة نكاحه، ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها[٢].

٨) وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضًا.

٩) وميمونة بنت الحارث الهلالية ﷺ التي نكحها النبي ﷺ في عمرة القضاء، وهما حلالان على ما حدَّثت به هي والسفير بينهما[٣].

* وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة، -رضي اللَّه عنهن-، ويدخل أهل بيته في هذه الآية من باب أولى، بل بنص الحديث الخمسة الذين جللهم النبي ﷺ بكسائه كما في صحيح مسلم[٤] عن عائشة ﷺ قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

* ويدخل في أهل بيته آلُه الذين حرمت عليهم الصدقة، بنو هاشم، وبنو المطلب، كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له

---

(١) كما في صحيح البخاري برقم (١٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢١٧٠).
(٢) كما في صحيح البخاري برقم (٤٩١٤)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٣).
(٣) كما في صحيح البخاري برقم (٤٠١١)، وصحيح مسلم برقم (١٤١١).
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٤٢٤).

حصين: لقد لقيتَ يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيتَ رسول اللَّه ﷺ، وسمعتَ حديثه، وغدوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ، قال: يا ابن أخي واللَّه لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللَّه ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكلِّفُونيه، ثم قال: قام رسول اللَّه ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا، بين مكة والمدينة، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب اللَّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللَّه، واستمسكوا به**»، فحثَّ على كتاب اللَّه تعالى، ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي، أُذكِّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكِّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكِّركم اللَّه في أهل بيتي**»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم. وفي رواية: «**أحدهما كتاب اللَّه ﷻ، هو حبل اللَّه، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة**»، وفيه: فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم اللَّه، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده[1].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨)، قلت: قد يظن البعض تعارضًا بين الروايتين في جواب زيد بن أرقم رضي الله عنه على سؤالهم إياه: نساؤه من أهل بيته؟، حيث جاء الجواب في الرواية الأولى بالإثبات: (نساؤه من أهل بيته)، بينما جاء في الثانية بالنفي: (لا وايم=

وفي الصحيح -أيضًا- عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما فاطمة بَضْعَةٌ مني يؤذيني ما آذاها»[١].

= اللَّه، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده)، وأن مقصوده من نفيه في الرواية الثانية نفي أن يكون نساؤه من أهل بيته أصلًا وهذا غير صحيح، وقد بين أهل العلم مدلول الروايتين وانتفاء تعارضهما على النحو التالي:

يقول النووي في شرحه على مسلم - (١٥ / ١٨٠) - مبينًا وجه الجمع بين الروايتين-: (فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نساؤه لسن من أهل بيته، فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه، ويعولهم، وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلا، ووعظ في حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات في هذا كله، ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله: «نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان» اهـ.

ويقول ابن كثير في تفسيره ٥/ ٤٥٧-٤٥٨: (هكذا وقع في هذه الرواية، والأولى أولى، والأخذ بها أحرى. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها،.. ثم الذي لا يشك فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: اعملن بما ينزل اللَّه على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة..) إلخ.

(١) هو بهذا اللفظ في صحيح مسلم برقم (٢٤٤٩)، وأخرجه البخاري في الصحيح بألفاظ مقاربة منها (٣٥١٠): (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)، وقد قال النبي ﷺ ذلك في شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما خطب بنت أبي جهل فسَمِعَتْ بذلك=

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول اللّه ﷺ، فقال: «مرحبا بابنتي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثا، فبكت فاطمة، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول اللّه ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فقلت لها - حين بكت -: أخصَّكِ رسول اللّه ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول اللّه ﷺ، حتى إذا قبض سألتها؟ فقالت: إنه كان حدثني: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنكِ أول أهلي لحوقا، ونعم السلف أنا لك»، فبكيت لذلك، ثم إنه سارَّني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» فضحكت لذلك[1].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه»[2] ونحوه عن براء بن عازب.

= فاطمة فأتت رسول اللّه ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكح بنت أبي جهل. قال المسور: فقام رسول اللّه ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: (أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، واللّه لا تجتمع بنت رسول اللّه ﷺ وبنت عدو اللّه عند رجل واحد). فترك عليٌّ الخطبة.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٢٨)، صحيح مسلم برقم (٢٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٤٥)، صحيح مسلم برقم (٢٤٢١)، وأما حديث البراء رضي الله عنه فهو في البخاري برقم (٣٥٣٩) ومسلم برقم (٢٤٢٢) لكن بلفظ: (اللهم إني أحبه فأحبه).

وفيه عن أبي بكر رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ على المنبر - والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة واليه مرة - يقول: «**ابني هذا سيد، لعل اللّٰه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»(١).

وفيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**» أو كما قال(٢).

وللترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» وقال حسن صحيح(٣).

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا**»(٤).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٥٣٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١١٠١٢)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٤٧٢)، والترمذي برقم (٤١٣٦) وحسنه الضياء المقدسي في المختارة ١/ ٩٩ وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ١٦/ ١٩٦: رواته ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٠١: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير برقم (٣٨٢٠) بالصحة، وحسنه الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/ ٩٦ من حديث حذيفة وجوَّده من حديث ابن عمر وعلي رضي الله عنهما، وحسنه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير١/ ٩٦ من حديث قرة بن هلال المزني. وقد نص بعض العلماء على كون هذا الحديث من الأحاديث المتواترة وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٦١٥٤ وغيرها.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٥٤٣ - ٥٦٤٨).

الكَلَامُ عَلَى التَّابِعِينَ ﭬ

(وتابعيه) تابعو الرسول ﷺ وأصحابه (السادة) من سَادَ يسودُ (الأخيار) على مراتبهم، كما قال اللَّه تعالى فيهم على الترتيب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢] هذا في الصحابة ثم قال في التابعين: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٣- ٤] وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﭬ أن رسول اللَّه ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، وددت أن قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»[1] الحديث.

وفي المسند عن أنس ﭬ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وددت أني لقيت إخواني**» قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: نحن إخوانك، قال: «**أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني**» إسناده حسن، وقد صُحح[2].

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٢٦٠١) وحسنه لغيره محققه شعيب الأرناؤوط، =

وفيه عن أبي أمامة وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات»[١].

وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد اللَّه بن مسعود جلوسا، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيِّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾الى قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١- ٥]، وقال على شرطهما[٢].

= وأخرجه أبو يعلى في المسند برقم (٣٣٩٠)، والطبراني في الأوسط برقم (٥٤٩٤)، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (٩٦١٧) بالحسن، وحسنه عبد الرؤوف المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٣٠٦٤) والمشكاة (٦٢٨٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٦٨)، وحسنه لغيره محققه شعيب الأرناؤوط، وأخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٣٣٩١)، والطبراني في الكبير برقم (٧٩٣٤)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة (١ / ٤٦)، وحسن الهيثمي في المجمع ١٠/ ٦٣ من حديث أنس بإسناد غير إسناد أحمد، وقال عن حديث أبي أمامة: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (١ / ١٥): هذا إسناد رجاله ثقات، أيمن بن مالك الأشعري ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد رجال الصحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير برقم (٦٦)، وسعيد بن منصور في سننه برقم (١٨٠)، والحاكم في المستدرك (٣٠٣٣) وصححه، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة=

وبالجملة (فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ. . . أَثْنَى عَلَيْهِم خَالِقُ الأَكْوَانِ) في مواضع من كتابه (كالفتح) أي سورة الفتح من أولها إلى آخرها (و) سورة (الحديد) كقوله تعالى فيها: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧-١٠] الآيات (و) سورة (القتال) كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ﴾ [محمد: ٢-٣] الآيات (و) سورة (الحشر) إلى آخرها وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨- ١٠] أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غل لهم إلى يوم القيامة ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم (و)في سورة (التوبة

= (١ / ١٦): هذا إسناد رجاله رجال الصحيحين، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في الأمالي المطلقة ١/ ٣٦.

و)سورة (**الأنفال**) بكمالها، تارة في الثناء عليهم، وتارة في تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم، وتارة في حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد في سبيل الله والإثخان في الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم ووعْده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة، وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله وجهادهم بأموالهم في سبيله وله الحمد والمنة، وغير ذلك من سور القرآن وآياته (**كذاك في التوراة**) الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (**والإنجيل**) الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام (**صفاتهم**) التي جعلهم الله عليها (**معلومة التفصيل**) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] هنا تم الكلام ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

(**وذكرهم**) بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة (**في سنة المختار**) محمد صلى الله عليه وسلم عمومًا وخصوصًا من الأحاديث الصحاح والحسان (**قد سار**) انتشر وأعلن (**سير الشمس في الأقطار**) تمثيلًا لشهرة فضائلهم ووضوحها لا تحصيها الأسفار الكبار.

وفي صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صليت المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا؟**» قلنا: يا رسول الله صلينا المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: «**أحسنتم -أو: أصبتم-**» قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أَمَنَةُ السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[1].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا «**ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**» زاد في رواية: «**ويحلفون ولا يستحلفون**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: «**القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث**»[3].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي**

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٣١).
(٢) صحيح مسلم (٢٥٣٥).
(٣) صحيح مسلم (٢٥٣٦).

فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(١) .

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب مع الضعينة وفيه فقال عمر: إنه قد خان اللّه ورسوله فدعني فلأضرب عنقه فقال: **«أليس من أهل بدر!»** فقال ﷺ: **«لعل اللّه اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»** أو **«فقد غفرت لكم»** فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: اللّه ورسوله أعلم(٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء: لا واللّه ما جاوز معه النهر إلا مؤمن(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئا مريئا فما لنا؟ فأنزل اللّه تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥] وكل هذا في الصحيح. .

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»** وقال الترمذي: حسن صحيح(٤) .

وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم منها عامة،

---

(١) سبق تخريجه قريبًا .
(٢) صحيح البخاري (٣٧٤٠) .
(٣) صحيح البخاري (٣٩٣٩) .
(٤) صححه الألباني في صحيح ظلال الجنة (٨٦٠)، الصحيحة (٢١٦٠) .

ومنها خاص بالمهاجرين، ومنها خاص بالأنصار، ومنها خاص بالآحاد فردا فردا، ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقا، ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول اللَّه ﷺ، ليس هذا موضع بسطها.

إِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ السُّكُوتِ عَمَّا كَانَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

٢٧٥) ثُمَّ السُّكُوتُ واجِبٌ عَمَّا جَرَى بَيْنَهُمُ مِنْ فِعْلِ مَا قَدْ قُدِّرَا
٢٧٦) فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ وَخِطْؤُهُمْ يَغْفِرُهُ الوَهَّابُ

* أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يُعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه، والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة، والاستغفار للقتلى من الطرفين، والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة، والاعتراف لهم بسوابقهم، ونشر مناقبهم، عملا بقول اللَّه عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

* واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور(١).

(١) يقول الإمام أبو بكر الآجري -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الشريعة ٥/ ٢٤٨٥: (ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وفضائل أهل بيته. رضي اللَّه عنهم أجمعين. أن يحبهم، ويترحم عليهم، ويستغفر لهم، ويتوسل إلى اللَّه لهم، ويشكر اللَّه العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم، ولا ينقِّر عنهم، =

= ولا يبحث.
فإذا عارَضَنا جاهل مفتون قد خُطي به عن طريق الرشاد، فقال: لِمَ قاتل فلان لفلان؟ ولِمَ قتل فلان لفلان وفلان؟!
قيل له: ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا، ولا اضطررنا إلى علمها.
فإن قال قائل: ولِمَ؟ قيل: لأنها فتن شاهدها الصحابة ﷺ، فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدى سبيلًا ممن جاء بعدهم؛ لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول ﷺ وجاهدوا معه، وشهد لهم ﷻ بالرضوان، والمغفرة، والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن، فكانوا بالله ﷻ أعرف، وبرسوله ﷺ، وبالقرآن، وبالسنة، ومنهم يؤخذ العلم، وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب، ولهم نتبع، وبهذا أمرنا.
فإن قال قائل: وما الذي يضرنا من البحث عن أخبارهم ومعرفتنا لما جرى بينهم؟ قيل له: الضرر لا شك فيه، وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزلَّ عن طريق الحق ونتخلفَ عمَّا أُمرنا فيهم.
فإن قال قائل: وبِمَ أُمرنا فيهم؟ قيل: أُمرنا بالاستغفار لهم، والترحم عليهم، والمحبة لهم، والاتباع لهم..
فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالمًا بما جرى بينهم فأكون على ما كانوا فيه لأني أحب أن أعلم ذلك ولا أجهله، قيل له: أنت طالب فتنة؛ لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله ﷻ عليك فيما تعبّدك به من أداء فرائضه، واجتناب محارمه كان أوْلى بك.
وقيل له: ولاسيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة، وقيل له: اشتغالك بمطعمك، وملبسك من أين هو؟ أوْلى بك، وتمسكك بدرهمك من أين هو؟ وفيم تنفقه أوْلى بك، وقيل: لا نأمن أن تكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه، ويلعب بك الشيطان فتسب وتبغض مَن أمرك الله بمحبته والاستغفار له وباتباعه، فتزل عن طريق الحق، وتسلك طريق=

= الباطل).
ويقول الإمام أبو عبد اللَّه ابن بطة العُكبري -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/ ٢٤٤: (وكذلك أمر الصحابة - رحمة اللَّه عليهم - فأمرُهم على وجهين: أحدهما: فَرْضِيٌ علينا علمُه والعملُ به، والآخر: واجب علينا الإمساك عنه، وترك المسألة والبحث والتنقير عنه:
- فأما الواجب علينا علمه والعمل به: فهو ما أنزله اللَّه في كتابه من وصفهم، وما ذكره من عظيم أقدارهم، وعلو شرفهم، ومحل رتبهم، وما أُمرنا به من الاتباع لهم بإحسان، مع الاستغفار لهم، وعلم ما جاءت به السنة من فضائلهم ومناقبهم، وعلم ما يجب علينا حبهم لأجله من فضلهم وعلمهم، ونشر ذلك عنهم، لتنحاش القلوب إلى طاعتهم، وتتألف على محبتهم، فهذا كله واجب علينا علمه والعمل به ومن كمال ديننا طلبه.
- وأما ما يجب علينا تركه وفُرض علينا الإمساك عنه وحرام علينا الفحص والتنقير عنه: هو النظر فيما شجر بينهم والخلق الذي كان جرى منهم، لأنه أمر مشتبه، ونُرجئ الشبهة إلى اللَّه، ولا نميل مع بعضهم على بعض، ولا نظلم أحدا منهم، ولا نُخرج أحدا منهم من الإيمان، ولا نجعل بعضهم على بعض حجة في سب بعضهم لبعض، ولا نسب أحدا منهم لسبه صاحبه، ولا نقتدي بأحد منهم في شيء جرى منه على صاحبه، ونشهد أنهم كلهم على هدى وتقى وخالص إيمان، لأنا على يقين من نص التنزيل وقول الرسول أنهم أفضل الخلق، وخيره بعد نبينا محمد ﷺ، ولأن أحدا ممن أتى بعدهم ولو جاء بأعمال الثقلين الإنس والجن من أعمال البر ولو لقي اللَّه تعالى ولا ذنب له ولا خطيئة عليه لما بلغ ذلك أصغر صغيرة من حسنات أدناهم، وما فيهم دني، ولا شيء من حسناتهم صغير، والحمد لله، لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا اللَّه ﷻ، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تُعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن اللَّه غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم).
ويقول الإمام محمد بن أبي زيد القيرواني -رحمه اللَّه تعالى- في رسالته ص ٩: (وأن لا يُذكر أحدٌ من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب). =

= وقد عقد الإمام أبو عبد اللَّه ابن بطة العُكبري في كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص٢٤٧ فصلًا قال فيه: (النهي عن الخوض في أحداث الفتنة الكبرى: فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر اللَّه لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم، ولا يُنظرُ في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك، ولا لغيرك، ولا تروه عن أحد، ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه ممن يرويه، فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه، منهم حماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد اللَّه بن إدريس، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن المبارك، وشعيب بن حرب، وأبو إسحاق الفزاري، ويوسف بن أسباط، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وعبد الوهاب الوراق، كل هؤلاء قد رأوا النهي عنها والنظر فيها والاستماع إليها، وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها، وقد روي عنهم في ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة متفقة المعاني على كراهية ذلك، والإنكار على من رواها واستمع إليها).

ويقول القاضي عياض في كتاب الشفا ٢/ ٤٣: (ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرِّهم، ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة، وضُلَّال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يُلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسنُ التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج: إذ هم أهل ذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء، ولا يغمص عليه أمر، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك، كما قال ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا).

ويقول الإمام الذهبي -رحمه اللَّه تعالى- في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٤: (وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل سنة وهم أولو العلم، وهم محبون للصحابة، كافُّون عن الخوض فيما شجر بينهم، كسعد وابن عمر ومحمد بن سلمة=

* ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك.

* وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معتقد أهل السنة: وهم (أي أهل السنة والجماعة) مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة

= وأمم، ثم شيعة يتوالون وينالون ممن حاربوا عليا، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة، ثم نواصب وهم الذين حاربوا عليا يوم صفين، ويقرون بإسلام علي وسابقيه، ويقولون: خَذل الخليفةَ عثمان، فما علمت في ذلك الزمان شيعيا كفَّر معاوية وحزبه، ولا ناصبيًّا كفَّر عليا وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلًا وعدوانًا، ويتعدون إلى الصديق قاتلهم الله).
يقول الإمام أبو العباس أحمد بن جعفر الفارسي الإصطخري كما جاء في طبقات الحنابلة ١/ ٣٠: (ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ، أو أحدًا منهم، أو تنقَّصه، أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحدا منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يتراجع).

معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول اللَّه ﷺ أنهم خير القرون، وإن الْمُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدَهم، ثم إذا كان قد صدَر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنة تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابُتلي ببلاء في الدنيا كُفِّرَ به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم القَدْرُ الذي يُنكر مِنْ فعْلِ بعضهم نَزْرٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان باللَّه ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح).

* ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من اللَّه عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على اللَّه عز وجل.

* وقال القاضي عياض في ذكر الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ولم يُخرجْ شيءٌ من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

* واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

٢- وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

٣- وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه.

* فكلهم معذورون ﵃، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يُعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم، رضي اللَّه عنهم أجمعين، وكلام الأئمة في هذا الباب يطول، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه تعالى- وقد سُئل عن الفتن أيام الصحابة - فقال: تاليًا قول اللَّه ﷿: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤][(١)].

---

(١) وهنا لا بد من وقفة يَعرف بها المسلم أمرًا لا ينبغي أن يخفى عليه وهو ما يُكِنُّه (مجوس هذه الأمة) من الشيعة الرافضة الإثني عشرية لأصحاب رسول اللَّه ﷺ من البغضاء=

= والحقد والعداوة والطعن عليهم والسب واللعن لهم ونسبتهم العظائم والمخازي إليهم كذبًا وزورًا وبهتانًا، بل ما استقر عليه أمرهم من تكفيرهم أصحابَ رسول الله ﷺ، والقول بأنهم ارتدوا عن الإسلام إلا نفرًا يسيرًا، والروافض والله بالكفر والردة أحق وأولى، ويبالغون في الطعن على الثلاثة الخلفاء -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وعلى أزواجه ويخصون حبيبته ﷺ وزوجته في الدنيا والآخرة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- بمزيد من الطعن، فيتهمونها بما برأها الله تعالى منه، وهم بذلك يُجَسِّدُون ما قاله أبو القاسم بن برهان لأحدهم الذي هو مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي ويقال له الديلمي الذي كان مجوسيا فأسلم إلا أنه سلك سبيل الرافضة وكان ينظم الشعر القوي في مذاهبهم في سب الصحابة وغيرهم فقال له أبو القاسم بن برهان: (يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسيًّا فأسلمت فصرت تسب الصحابة !!) كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه ١٢/ ٤١.

ومن تتبع أحوالهم ومصنفاتهم يجدهم قد ملئت قلوبهم غلًا وحقدًا على أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فهم لا يَفْتُرون عن الوقيعة وسوء القول فيهم والافتراء عليهم.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٨٧: (وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة، وهو رواية عن مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال محمد بن سيرين: ما أظن أحدا يبغض أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله ﷺ). قال البغوي في شرح السنة ١/ ٢٢٩: (وقال مالك: من يبغض أحدا من أصحاب النبي ﷺ وكان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾.. الآية. وذُكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ثم قال: (من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد أصابته الآية). قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٧: (لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله فمن نقص واحدا منهم أو=

خَاتِمَةٌ فِي وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالرُّجُوعِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ إِلَيْهِمَا، فَمَا خَالَفَهُمَا فَهُوَ رَدٌّ

٢٧٧) شَرْطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا

٢٧٨) لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لا سِوَاهُ مُوَافِقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

= طعن عليه في روايته فقد رد على اللَّه رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين). وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ٢/ ٦٠٧: (ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثَم وافقه الشافعي -رضي اللَّه تعالى عنهما- في قوله بكفرهم، ووافقه -أيضًا- جماعةٌ من الأئمة).

ويقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٦/ ٩٣: (واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابَسَ الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب، متأولون، كما أوضحناه في أول فضائل الصحابة من هذا الشرح، قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل).

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهبا تنال به الزلفى وتنجو من النار
فدن بكتاب اللَّه والسنة التي أتت عن رسول اللَّه من نقل أخيار
ودع عنك داعي الرفض والبدع التي يقودك داعيها إلى النار والعار
وسر خلف أصحاب الرسول فإنهم نجوم هدى في ضوئها يهتدي الساري
وعُجْ عن طريق الرفض فهو مؤسس على الكفر تأسيسا على جرف هار
هما خطتان إما هدى وسعادة وإما شقاء مع ضلالة كفار
فأي فريقينا أحق بأمنه وأهدى سبيلا عندما يحكم الباري
أَمَن سَبَّ أصحاب الرسول وخالف الـ كتاب ولم يعبأ بثابت الأخبار
أم المقتدِي بالوحي يسلك منهج الصْـ صَحابة مع حب القرابة الأطهار.

(شرط) في (قبول) اللَّه تعالى (السعي) أي العمل من العبد، وخبر المبتدأ (أن يجتمعا) الألف للإطلاق (فيه) أي في السعي شيئان: أحدهما (إصابةٌ) ضد الخطأ، والثاني (إخلاصٌ) ضد الشرك (معا) أي لم يفترقا، وتفسيره في البيت الذي بعده.

* فتفسير الاخلاص: كون العمل (لله رب العرش) خالصا (لا) شرك فيه لـ(سواه) وهذا هو معنى لا إله إلا اللَّه.

* وتفسير الإصابة: كونه (موافق الشرع) الثابت عن اللَّه (الذي ارتضاه) اللَّه تعالى لعباده دينا، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولم يقبل من أحد دينا سواه، ولا أحسن دينا ممن التزمه، وقد سفِه نفسه من رغب عنه.

* وقد جمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى في بابه.

* وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولًا.

الفصل الأول: في ذكر وجوب طاعة اللَّه ورسوله

٢٧٩) وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلْوَحْيَيْنِ فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ

٢٨٠) وكُلُّ مَا فِيهِ الخِلَافُ نُصِبَا فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا

مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٧٩-٨٠]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١- ٥٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] وغير ذلك من الآيات.

وروى البخاري عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي

يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول اللَّه ومن يأبى؟! قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**[١].

وله عن سعيد بن ميناء حدثنا أو سمعت جابر بن عبد اللَّه يقول: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم الحديث تقدم، وفيه: **«فمن أطاع محمدًا فقد أطاع اللَّه، ومن عصى محمدًا فقد عصى اللَّه، ومحمد فرق بين الناس»**[٢].

وله عن حذيفة قال: يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا[٣].

وله عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنما مثلي ومثل ما بعثني اللَّه به كمثل رجل أتى قومًا، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب بما جئت به من الحق»**[٤].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**[٥].

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٨٥٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٨٥٤)، صحيح مسلم برقم (١٦).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٨٥٨)، صحيح مسلم برقم (٤١٢).

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول اللَّه ﷺ شيئًا ترخص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد اللَّه، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فواللَّه إني أعلمهم باللَّه، وأشدهم له خشية**»(١).

وفي المسند وابن ماجه وغيرهما عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فخط خطًّا هكذا أمامه، فقال: «**هذا سبيل اللَّه عز وجل**»، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله، قال: «**هذه سبيل الشيطان**»، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ضرب اللَّه مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن فتحته تَلِجْهُ،**

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٨٧١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥٣١٢) وحسنه محققه الأناؤوط، وابن ماجه في سننه برقم (١١) وصححه الألباني في تحقيقه له، والطيالسي في المسند (٢٤١)، والمروزي في السنة برقم (١٣)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٦) وصححه الشيخ الألباني في تعليقه عليه المسمى ظلال الجنة.

فالصراط الإسلام، والسوران حدود اللَّه، والأبواب المفتحة محارم اللَّه، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب اللَّه، والداعي فوق الصراط واعظ اللَّه في قلب كل مسلم»[1].

وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول اللَّه ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى اللَّه، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرَ اختلافا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٦٧١) وصححه محققه الأرناؤوط، والترمذي في سننه برقم (٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٦٩)، وجود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع الرسائل (٢ / ٩٧)، وصححه ابن كثير في تفسيره (١ / ١٣٩) قال الإمام عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١٧١: رواه أحمد والبزار مختصرا بغير هذا اللفظ بإسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة حديث رقم (١٩)، والمشكاة (١٩١) وصحيح الترغيب والترهيب - (٢٣٤٨). ولعظمة هذا الحديث فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى - (٢٠ / ٤٥): (فقد بين فى هذا الحديث العظيم - الذي من عرفه انتفع به انتفاعا بالغا إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علوم كثيرة - أن فى قلب كل مؤمن واعظ، والوعظ هو الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وإذا كان القلب معمورا بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخراب المظلم)، وقال تلميذه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين (١ / ٢٣٣): (فليتأمل العارف قدر هذا المثل، وليتدبره حق تدبره، ويزن به نفسه، وينظر أين هو منه، وباللَّه التوفيق).

عضوا عليها بالنواجذ» وقال: هذا حديث حسن صحيح[١]. ورواه أحمد وزاد: **«وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[٢] وفي رواية: قلنا: يا رسول اللَّه إن هذه لموعظة فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**. وفي رواية: **«فعليكم بما عرفتم من سنتي»**[٣].

---

(١) كما في سنن الترمذي رقم (٢٦٧٦)، ورواه ابن ماجه رقم (٤٢)، وأبو داود رقم (٤٦٠٧)، وأحمد رقم (١٧١٨٢) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وحسنه البغوي في شرح السنة ١/ ٢٠١، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع المسائل (٥/ ٣٧٢)، وابن القيم في إعلام الموقعين ٤/ ١٣٧، والمجدد محمد بن عبد الوهاب في مبحث الاجتهاد والخلاف ١/ ٢٢ . وقال الذهبي سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨٣: هذا حديث عال صالح الإسناد، وصححه العلامة الشوكاني في القول المفيد ١/ ٧٨، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٦/ ١٧٦، وصحيح ابن ماجه (٤٢). قال الألباني في الإرواء ٨/ ١٠٨: وقال الهروي: **«وهذا من أجود حديث في أهل الشام»**، وقال البزار: **«حديث ثابت صحيح»**. وقال ابن عبد البر: **«حديث ثابت»** وقال الحاكم: **«صحيح ليس له علة»**. وصححه أيضا الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتناب البدع» (ق ٧٩/ ١). اهـ

وعلق عليه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤١) بقوله: (قوله: **«عضوا عليها بالنواجذ»** أي: اجتهدوا على السنة والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفًا من ذهابه وتفلته. والنواجذ: بالنون والجيم والذال المعجمة، هي الأنياب، وقيل الأضراس).

(٢) كما في المسند برقم (١٧١٨٤) وصححه محققه الأرناؤوط، وهو في الموضع السابق من سنن أبي داود، وسنن ابن ماجه برقم (٤٧)، وصحيح ابن حبان برقم (٥)، وصححه العلامة الشوكاني في القول المفيد ١/ ٧٨، والشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٥)، وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٧).

(٣) مسند أحمد برقم (١٧١٨٢) وصححه محققه الأرناؤوط، وسنن ابن ماجه برقم=

وفي صحيح مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**(١).

ولأحمد عن مجاهد -بإسناد جيد- قال: كنا مع ابن عمر ﵄ في سفر بمكان، فحاد عنه، فسُئل لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول اللَّه ﷺ فعل هذا ففعلت(٢).

وله عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب ﵁ يقول: حرم رسول اللَّه ﷺ - يوم خيبر - أشياء، ثم قال: **«يوشك أحدكم**

= (٤٣)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٥٠٢٣)، وصححه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم برقم (٢)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٤٠، والقاسمي في قواعد التحديث ٤٨، وصححه الشوكاني في القول المفيد ١/ ٧٨، وقال العمري إيقاظ الهمم ١/ ٤٤: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٧) وسواها.

(١) صحيح مسلم برقم (٨٠)

(٢) مسند أحمد برقم (٤٨٧٠) وصححه محققه الأرناؤوط، وأخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني برقم (٤٠٦٣٦)، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٤١، وصححه شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود ٢/ ١٩٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٨: رجاله موثقون، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٤٦ .

أن يكذبني وهو متكئ على أريكته، يُحدَّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب اللَّه، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإنما حرم رسول اللَّه ﷺ مثل ما حرم الله»[١].

وعنه - أيضًا - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته، يقول: عليكم القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد، إلا أن يستغني صاحبهما، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإذا لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم»

---

(١) هو في المسند برقم (١٧٢٣٣) وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وأخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٨٧٦) وحسنه، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٢) وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه له، ونقل ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢/ ٢٨٩ عن البيهقي تصحيحه له، وحسنه أبو إسحاق الشاطبي في الاعتصام ١/ ١١٠، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: (١٤١٤٦)، يقول الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح السنة (١ / ٢٠١): (وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول اللَّه ﷺ كان حجة بنفسه)، ورحم الإمام الشاطبي إذ يقول في كتابه الموافقات - (٤ / ٣٢٥): (الاقتصارُ على الكتاب (أي القرآن الكريم) رأيُ قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة؛ إذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السنة فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل اللَّه، وفي بعض الأخبار عن عمر بن الخطاب: «سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن؛ فخذوهم بالأحاديث، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»، وعن عمر: «ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون».

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وإسناد أحمد جيد وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذي(١).

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي تَحْرِيمِ القَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَتَحْرِيمِ الإِفْتَاءِ فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا يُخَالِفُ النُّصُوصَ

٢٨١) فَالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْلِ ... لَيْسَ بِالأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ(٢)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ

---

(١) هو في المسند برقم (١٧٢١٣)، وفي سنن أبي داود برقم (٤٦٠٤) وصححه ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية (٢ / ٤١٤)، وابن القيم في التبيان في أقسام القرآن ١/ ١٥٢، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى - (٢١ / ٨): وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٣).

(٢) هذا آخر أبيات النظم التي شرحها المؤلف، ليدع من مجموع عدد النظم (٩) أبيات من آخر المنظومة لم يتعرض لشرحها كما رأيت، مقتصرًا على شرح ما يتعلق بمقصوده الأصلي من النظم دون غيره منه.

إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة -وهو يتوكأ على عسيب- فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لئلا يُسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يُوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][١].

وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة المتلاعنَيْن لما جاءت به على النعت المكروه فقال النبي ﷺ: «**لولا ما مضى من كتاب اللَّه لكان لي ولها شأن**»[٢].

وفيه عن جابر رضي الله عنه قال: مرضتُ فجاءني رسول اللَّه ﷺ يعودني وأبو بكر، وهما ماشيان، فأتاني وقد أغمي عليَّ فتوضأ رسول اللَّه ﷺ، ثم صبَّ وضوءه عليَّ فأفقت، فقلت: يا رسول اللَّه كيف أقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟ قال: فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث[٣].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٨٦٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٨٧٩).

وعلى هذا ترجم البخاري -رحمه اللَّه تعالى-: «باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس»، لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ الآية وترجم -رحمه اللَّه تعالى-: «باب ما يُذْكَر من ذَمِّ الرأي وتكلف القياس» ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦][١]، ثم ذكر فيه حديثَ عبد اللَّه بن عمرو قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس يُستفتَون فيفتون برأيهم، فيَضلون ويُضلون**»[٢].

وحديث سهل بن حنيف قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول اللَّه ﷺ لرددته»[٣].

وفي خطبه ﷺ ما لا يحصى أن يقول: «**أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وإن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[٤].

---

(١) كلاهما في صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٦ / ٢٦٦٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٨٧٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٨٧٨).

(٤) هو بهذا اللفظ في مسند الإمام أحمد بن حنبل برقم (١٤٣٧٣)، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٢٢٣٣)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم (١٧٩٩) بلفظ: (إن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدي هديُ محمد ﷺ..) إلخ، وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لها برقم (١٥٧٨).

وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال: اللَّه حكم قسط هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا: إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟! ما هم بمتَّبعيَّ حتى أبدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة وأحذركم زيغة الحكيم[1].

* * *

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦١٣)، ومصنف عبد الرزاق برقم (٢٠٧٥٠)، وصفة المنافق للفريابي برقم (٤١)، والسنن الكبرى للبيهقي برقم (٢١٤٤٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٦١١).

فهرس الموضوعات

* * *